



البيان
نقد

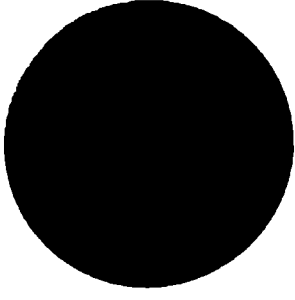
علي الحكيمي

محمد الحكيمي

محمد رضا الحكيمي

الجميلة





الحياة

موسوعة، اسلامية، علمية، موضوعية،
تُخطِّطُ مناهج الحياة الحرة الصاعدة، للفرد
والمجتمع، وتدعو الى دعم نظام إنساني
صالح، في جميع آفاق الارض .

الجزء الأول

علي الحكيمي

محمد الحكيمي

محمد رضا الحكيمي

- * الحياة .
- * محمد رضا الحكيمي، محمد الحكيمي، علي الحكيمي .
- * الجزء الأول .
- * ٥٠٠٠ نسخة .
- * الطبعة الخامسة (١٤٠٨ هـ . ق - ١٣٦٧ هـ . ش) .
- * مكتب نشر الثقافة الإسلامية (دفتر نشر فرهنگ اسلامي) - طهران
- * حقوق الطبع محفوظة للمؤلفين .

الى

الإمام روح الله الخمينيّ

* لم نَعْمَدُ إلى أيِّ ذِكرٍ أو إهداء، لدوافعٍ إنحيازِيَّةٍ أو لمقاصدٍ وأغراضٍ أُخرى، بل
لِلأَمَلِ الْإِنْسَانِيِّ وَالْإِسْلَامِيِّ الَّذِي مازالَ يَخْتَلِجُ في صدورنا؛ وهو أن يَتَجَسَّدَ القِسْطُ الْقُرْآنِيُّ
وَالْعَدَالَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ (بشَجَبِ الدَّاهِيَتَيْنِ : التَّكَاثُرِ وَالْفَقْرِ وَآثَارِهِمَا السَّاحِقَةَ)، فَتُشَقَّ الطَّرِيقُ
إلى إِسْعَادِ الشُّعْبِ الْإِيرَانِيِّ الْمَجَاهِدِ، وَإِعْزَازِ أُمَّةِ الْقِبْلَةِ، وَتَخْلِيصِ الْجُمَاهِيرِ الْمُسْتَضْعَفَةِ
مِن بَرَاثِنِ الْمُسْتَكْبِرِينَ السِّيَاسِيِّينَ وَالْاِقْتِصَادِيِّينَ مَعًا، بِفَضْلِ صُموْدٍ تَغْيِيرِيٍّ مَأْمُولٍ .
كان ذلك ولاغير؛ ولا حول ولا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ..

الفهرست

١٧	المقدمة
٣٣	الباب الاول : المعرفة واصالتها
٣٥	الفصل ١ - اهمية المعرفة
٤١	الفصل ٢ - طلب العلم
٤٤	الفصل ٣ - العقل وتنشيطه
٤٩	الفصل ٤ - الى التفكير
٥٣	الفصل ٥ - التوجيه الاستذكاري
٥٤	الفصل ٦ - الجهالة والجهل
٥٨	الفصل ٧ - فهم الدين وادراكه
٦١	الفصل ٨ - ضرورة تعميم المعرفة
٦٥	الفصل ٩ - النافع من البصائر والعلوم
٦٩	الفصل ١٠ - نفي الهوس العلمي
٧٢	الفصل ١١ - الانسان ومعارفه المحدودة
٧٤	الفصل ١٢ - محدودية الحس وضرورة المعرفة العقلية
٧٦	الفصل ١٣ - المعرفة ، كقيمتها ومراتبها
٨٠	الفصل ١٤ - المعرفة ، المقياس الصحيح
٨٢	الفصل ١٥ - منهج اكتساب المعرفة والعلم
٩٠	الفصل ١٦ - المنطلق الصحيح للمعرفة

٩٢	الفصل ١٧ - المعرفة واعماقها الوجدانية
٩٧	الفصل ١٨ - المعرفة في مدارجها المتكاملة
	الفصل ١٩ - مظاهر المعرفة المتكاملة :
١٠٠	أ- المثابرة والاقدام
١٠٢	ب- التغلب على المشاكل
١٠٣	ج- الانتهاء الى العمل
١٠٤	د- اليقظة الاجتماعية
١٠٤	هـ- التهيؤ لتهديب النفس
١٠٥	و- حسن الاداء
١٠٦	الفصل ٢٠ - المعرفة والعلاقات الانسانية
١٠٨	الفصل ٢١ - المعرفة التجريبية
١١١	الفصل ٢٢ - تلازم المعرفة والعقيدة
١١٦	الفصل ٢٣ - تلازم المعرفة والعمل
١٢٠	الفصل ٢٤ - العمل يقيم بالمعرفة
١٢٢	الفصل ٢٥ - نشر الفكر، طرقه واساليبه
١٢٢	أ- ايجاد الارضية المناسبة
١٢٣	ب- الاقدام والمجابهة
١٢٣	ج- اسلوب الدعوة
١٢٤	د- الدعوة الناجحة
١٢٤	هـ- العمل الشخصي ودوره في نجاح الدعوة
١٢٦	الفصل ٢٦ - معرفة النفس
١٢٩	الفصل ٢٧ - معرفة الكون
١٣١	الفصل ٢٨ - معرفة الله تعالى
	الفصل ٢٩ - معرفة الحجة
	أ- الحجة الباطنة :
١٣٣	١- العقل
١٣٥	٢- كيفية استعمال العقل والاستفادة منه

الفهرست

- ١٣٦ ٣- العقل، صورة حقيقية
- ١٣٧ ٤- العقل واحتياجه الى حجة الله والرجوع اليه
- ١٤٠ ٥- العقل، الدليل والمقياس
ب- الحجة الظاهرة :
- ١٤١ ١- الانبياء
- ١٤٢ ٢- النبي الاعظم
- ١٤٤ ٣- القرآن الكريم
- ١٤٥ ٤- الامام المعصوم
- ١٤٧ ٥- نائب الامام المعصوم
- ١٤٨ الفصل ٣٠- معرفة الناس
- ١٤٨ أ- الاحوال العامة
- ١٤٩ ب- معرفة اهل الحق بالحق
- ١٤٩ ج- معرفة الناس بالاختبار
- ١٥٢ الفصل ٣١- معرفة العدو، انواعه، قدراته ومكائده، والمعاملة معه
- ١٥٥ الفصل ٣٢- معرفة البلايا واثرها في تكامل الانسان
- ١٥٦ الفصل ٣٣- معرفة الزمان والأيام وحوادثها وتحولاتها
- ١٥٨ الفصل ٣٤- معرفة النواميس التاريخية
- ١٦١ الفصل ٣٥- عواقب الامور والنظر فيها
- ١٦٣ الفصل ٣٦- معرفة المنطلق العملي
- ١٦٦ الفصل ٣٧- الإعداد الفكري لمراحل المعرفة
- ١٦٩ الفصل ٣٨- الحرية الفكرية وطلب الصائب من الآراء
- ١٧١ الفصل ٣٩- المعرفة عن طريق الاضداد
- ١٧١ أ- الاضداد
- ١٧١ ب- المضادة مع الشيء للجهل به
- ١٧٣ الفصل ٤٠- معرفة الشيء بالخروج من اطاره
- ١٧٥ الفصل ٤١- موانع المعرفة
- ١٧٥ أ- الحواجز النفسية (طابع تهذيب النفس في المعرفة)

١٧٦	ب- الهوى
١٧٧	ج- الحب الاعمى
١٧٩	د- العجب والكبرياء
١٨١	هـ- الطمع
١٨١	و- الغضب
١٨٢	ز- الجحود
١٨٢	ح- الاماني
١٨٣	ط- الاكراه
١٨٣	ي- الرواسب الفكرية
١٨٤	يا- تقليد الآباء والبيئات
١٨٥	يب- الاستبداد والتفرد بالرأى
١٨٧	الفصل ٤٢- الشورى والاستشارة
١٩٢	الفصل ٤٣- رعاية الحكمة في الاستشارة
١٩٤	الفصل ٤٤- النصيحة في الاستشارة
١٩٦	الفصل ٤٥- النقد واكتمال المعرفة به
١٩٨	الفصل ٤٦- لاغش في النصيحة
١٩٩	الفصل ٤٧- قبول النقد
٢٠٠	الفصل ٤٨- اليقظة
٢٠٢	الفصل ٤٩- الكياسة والفهم
٢٠٤	الفصل ٥٠- التجنب عن الغفلة
٢٠٦	نظرة الى الباب
٢٣٩	الباب الثاني : العقيدة والايمان
٢٤١	الفصل ١- اهمية العقيدة
٢٤٣	الفصل ٢- العقيدة الكبرى، الايمان بالله تعالى
٢٤٥	الفصل ٣- الايمان، عقيدة وعمل
٢٤٨	الفصل ٤- التوحيد والشرك

٢٥٢	الفصل ٥- دور الايمان في الاتجاهات الاجتماعية
٢٥٢	أ- الايمان بحكومة الله وشجب الطاغوت
٢٥٢	ب- صلة الايمان بالمجتمع
٢٥٤	ج- اثر الايمان في التنمية الطبيعية والاجتماعية
٢٥٥	د- الايمان ووحدة المجتمع العقيدي
٢٥٨	هـ- التعاون التكاملي للفرد والمجتمع
٢٦٠	و- دور الايمان في الحركات البناء للفرد والمجتمع
٢٦٢	ز- الصلة التكاملية بين الفرد والانظمة الحاكمة
٢٦٥	ح- الكيان الاجتماعي للمؤمن
٢٦٦	ط- اثر التربية الدينية في التنمية الاجتماعية
٢٦٧	ي- مظاهر التنمية الاجتماعية
٢٦٩	يا- الايثار والتكامل الاجتماعي
٢٧٢	يب- تنمية المظاهر الانسانية العامة
٢٧٢	ختام ، في الحج واثره في التكامل الاجتماعي
٢٧٧	نظرة الى الباب
٢٨٧	الباب الثالث : العمل
٢٨٩	الفصل ١- اهمية العمل
٢٩٤	الفصل ٢- بين الايمان والعمل
٣٠٤	الفصل ٣- العمل ، كيف لاكم
٣٠٤	أ- العمل الحسن
٣٠٦	ب- العمل مع التقوى
٣٠٧	ج- جوهر العمل
٣٠٧	د- السداد في العمل
٣٠٨	هـ- إحكام العمل
٣٠٩	و- البعث على العمل
٣١٠	الفصل ٤- الطريق الوسط (الصورة الطبيعية للعمل)

٣١١	الفصل ٥- الاقدام ينفي الخوف
٣١٢	الفصل ٦- تصفية العمل
٣١٥	الفصل ٧- استمرار العمل واتمامه والاستقامة فيه
٣١٧	الفصل ٨- العمل، لا الامل
٣١٩	الفصل ٩- العمل طريق المعرفة
٣٢١	الفصل ١٠- العمل، ثم القول
٣٢٤	الفصل ١١- العمل الحق يذهب بالباطل
٣٢٥	الفصل ١٢- الدعوة بالعمل
٣٢٧	الفصل ١٣- الانسان رهين الاعمال
٣٢٩	الفصل ١٤- العمل هو المقياس
٣٣١	الفصل ١٥- من البواعث على العمل
٣٣٤	الفصل ١٦- من البواعث على الركود
٣٣٤	أ- الكسل
٣٣٦	ب- العجب
٣٣٧	ج- التواني
٣٣٩	الفصل ١٧- النظم في العمل
٣٤١	الفصل ١٨- اخذ التدابير وتقييم النتائج
٣٤٤	الفصل ١٩- مراتب الأعمال ومراعاتها
٣٤٧	الفصل ٢٠- الانتفاع الصحيح من القوى
٣٤٩	الفصل ٢١- الطريق، ثم العمل
٣٥٠	الفصل ٢٢- اداة العمل
٣٥٣	الفصل ٢٣- الاعمال في ازمانها
٣٥٥	الفصل ٢٤- اغتنام الفرص
٣٥٩	الفصل ٢٥- التجنب عن التسويف
٣٦٣	الفصل ٢٦- الواقع الملموس، لا الاماني
٣٦٦	الفصل ٢٧- التطلع الى المستقبل
٣٦٨	نظرة الى الباب

٣٧٥	الباب الرابع : ميزات الايدولوجية الالهية
٣٧٧	الفصل ١ - الطمأنينة وارواء الظمأ الواجداني
٣٧٩	الفصل ٢ - في ولاية الله تعالى
٣٨٢	الفصل ٣ - ترابط الانسان والكون
٣٨٥	الفصل ٤ - هادفية الكون والانسان
٣٩٨	الفصل ٥ - النظرة الايجابية لا السلبية
٤٠٢	الفصل ٦ - الرقابة الغيبية وعمق اثرها
٤٠٧	الفصل ٧ - المنشأ الالهي للحقوق
٤٠٩	الفصل ٨ - الصلات الجذرية بين الانسان والقانون
٤١٣	الفصل ٩ - شجب السلطات الطاغوتية
٤١٩	الفصل ١٠ - رفع المستوى الانساني
٤٢١	الفصل ١١ - الرعاية الدقيقة للحقوق
٤٢٣	الفصل ١٢ - الانسان بين الركيزة المادية والالهية
٤٢٥	الفصل ١٣ - كرامة الانسان
٤٢٩	الفصل ١٤ - القدرة والعزة والصمود
٤٣١	الفصل ١٥ - الاعتصام والاستقامة
٤٣٤	الفصل ١٦ - التجاوب مع الكائنات في قبول القدرة الالهية
٤٣٨	الفصل ١٧ - الانضباط في الاعمال
٤٤٢	الفصل ١٨ - النجاة من اليأس
٤٤٥	الفصل ١٩ - بين الخوف والرجاء
٤٤٨	الفصل ٢٠ - تنزيه الاعمال عن الشوائب والاتيان بها للقيم الالهية
٤٥٢	الفصل ٢١ - طريق العودة
٤٥٦	الفصل ٢٢ - العقيدة بالحياة الاخرى ودورها في تعالى الانسان
٤٦٣	نظرة الى الباب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ
إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ...

المقدمة

الحياة، الانسان، السعادة ..

كلماتٌ عظيمةٌ وهائلة، عظيمةٌ في جمال، هائلةٌ في رفق. وهي تجولُ - ابدأً -
في أجواءِ الوجود، فتفعمُ جميعَ آفاقه وعرصاته، ثم تتسعُ وتتسع، حتى لا يبقى بينها
وبين الاتساعِ مِيزٌ.

أترى الحياةَ بدونِ الانسانِ تحتفظُ على زهوها وجمالها؟ وترى الانسانَ
بدونِ السعادةِ يصلُ إلى جمالِ خالد، وحياةٍ منشودة؟

أوترى الحياةَ بنفسِها تُعالجُ سعادةَ الانسانِ وتوصلُها اليه؟ أم أن الانسانَ
يجبُ ان يستعملَ الحياةَ بصورةٍ توصلُه إلى تلك الغايةِ الكريمةِ المثلى؟

فهناك حياةٌ وانسانٌ وسعادةٌ، وكلُّ يعملُ ويتفاعلُ، تفاعله الخاصُّ به، وكلُّ
يعرضُ قيمه وصوره، كلما امكنه العرضُ؛ غيرَ أن واجبَ الانسانِ بين هذين
القُطبينِ (الحياة - السعادة) هو أن يجعلَ من حياته ذريعةً لأن يعرضَ قيمه الوجوديةَ
ولان يُبرزَ صورَه الإستعدادية التي تُعَبِّدُ له طُرُقَ الوصولِ الى مدارجِ السعادةِ
(الفردية - الاجتماعية)، في مراحلٍ وابعادِ الحياةِ عامةً ..

وهذا منشودٌ ثمينٌ يتطلَّبُ من الانسانِ أن يكتنِفَ - بكَلِّه - الوَعْيَ والاستيحاء.

الوعي والاستيحاء من كل شيء، حتى يتسنى له ان يجعل من كل شيء سبباً لتوعية نفسه وتجهيزها، لتحصيل السعادة الحقة.

لا يرى الانسان في أي جانب من جوانب هذا الوجود الواسع - العميق - أي عبث او عفوية، فكل يسعى ويجد، وكل يعطي ويأخذ، وكل يسير الى مقصد فاضل وغاية حكيمة. فانظر - مثلاً - الى عين تنفجر من جانب صخرة، في واد، وتجري ليلاً ونهاراً، كأنها فلذة من كبد اللحظات، او كأنها - في حد نفسها - روح من أرواح الزمان، أو كلمة قالها الوجود، وهي الآن تحكي دوي تلك القولة الأولى، فتجري هنا وهناك، على العشب والحصا، وفي خلال عروق الأشجار، فتسقي شيئاً من النبات؛ ثم تنطلق في مجراها، فتصل إلى بركة او نهر، فتقع عليها إشراقة القمر المنير في الليل، وهي تغوص في غمرات بركة او نهر، وتنساب إلى أعماقها، او قل: إلى أعماق اللحظات والأبد الرهيب ..

هذه عين صغيرة، وهذه حالها ومسعاها، وهكذا يكون كل ما يوجد في الكون، الى المجرات والأكوان اللانهائية. أفهل يصح للانسان - والحال هذه - أن لا يسعى؟ ام هل يصح له أن يسعى، من غير أن يكون لسعيه منهج صحيح، وغاية عظيمة تناسب شأن الانسان؟ وهل تتحقق صحة المنهج وعظمة الغاية، من غير معرفة ووعي، واستيحاء وإخلاص واجتهاد؟ وهل يتحقق الوعي والاجتهاد والاخلاص، من غير أن يكون الانسان حراً؟ وهل تفيد الحرية المجردة، من غير أن يتدرع بها الانسان الى ابراز قيمه ومواهبه؟ وهل يمكن للانسان - وهو متحضر في طبيعته ولحاجياته - أن يبرز قيمه ومواهبه، الا في مجتمع فاضل، يتعاون مع بني نوعه: يفيدهم بحق، ويستفيد منهم بحق؟ وهل يمكن هذا الا في نظام سالم حق؟ ولقد وقعت البشرية من قديم أيامها بيد الانظمة الباطلة الفاسدة المستعبدة، وهي مصيبة الانسان العظمى ..

نعم، لقد مضت على الانسان قرون وقرون، يستعبده فيها الجبابرة

والطواغيت، واصحابُ السُّلطات والثَّروات، والمُعندون، والإقطاعيون،
والمُتغلبون .. وَيَسْتَضِعُّهُ المستكبرون، السِّياسيون والاقتصاديون ..
مَضَتْ على الانسانِ قرونٌ وقرون، يَسْتَرْقُهِ فيها الجبابرةُ، والأكاسرةُ،
والقياسرةُ، وَمَنْ إِلَيْهِمْ ..

مَضَتْ على الانسانِ قرونٌ وقرون، يَسْتَحْدِمُهُ فيها الامراءُ وابتائوهم وبنائهم،
وَيَسْتَعْمِلُهُ الحُكَّامُ وابتائوهم وبنائهم، وَيُسَخِّرُهُ الاغنياءُ وابتائوهم وبنائهم؛ يَسْتَعْبِدُونَهُ
وَيَسْتَرْقُونَهُ وَيَسْتَعْمِلُونَهُ، في قبالِ ما يُعْطُونَهُ مِنَ المَطْعَمِ سَدًّا للجوع، ومن
المَلْبَسِ نَفِيًّا للحريةِ . هذه كانت قيمةُ الانسان، وقيمةُ روحه، وكرامته وحرِّيتهُ وشرفه .

*

لقد ظَهَرَتْ في التاريخ - عِبْرَ الايامِ التي عاشها الانسانُ على الأرض - أنظُمَةٌ
وسُلطات، يُعلنُ اصحابُها أنَّ المجتمعَ البشريَّ لا بُدَّ له مِنْ ان يَتَطَلَّبَ العيشَ الرَّغْدَ
والسَّعادةَ الشامِلةَ في ظِلِّ اتِّباعِهِم والتَّسليمِ لقوانينِهِم .
وهؤلاءِ الدُّعاةُ يَنقَسِمُونَ باعتبارِاتٍ مختلفة، الى اقسامٍ مختلفة، غيرَ أنَّ هناكِ
قسمةٌ رئيسيةٌ لهم، بالنَّظرِ الى ماهيةِ موقفِهِم وصدقِهِم فيما يَدَّعُونَ او كذبِهِم،
يَنقَسِمُونَ بحَسَبِها الى ثلاثةِ اقسامٍ :

١ - فئةٌ صادقةٌ في الدَّعوة، قادرةٌ على تحقيقِها.

٢ - فئةٌ كاذبةٌ في الدَّعوة.

٣ - فئةٌ غيرُ كاذبةٍ غيرَ أنَّها لم تَأْتِ بما كان كافياً لتجسيدِ الدَّعوة.

واذا أردنا أن نذكرَ الفئاتِ الثلاثةَ المذكورة، باسماءِ اشتهرت بها في الأدوار
التاريخيةِ والأقطارِ البشريةِ، فنقول:

١ - الأنبياء.

٢ - السُّلاطين.

٣ - الحكماء المصلحون.

أما الفئة الأولى فسنتكلم عنها. وأما الفئة الثانية، فتغلّبت على البشرية في جميع الأدوار، وكلّما قالته أو جاءت به - في طوال الحقب والعصور - فهو كذب وتمويه. فهؤلاء لم يفكروا لحظة في الانسان وكرامته، وفي الحقوق والشخصية الانسانية، ولم يزالوا مقبلين على الجناية والظلم، وعلى الحيانة والإثم والعدوان. واذ رأيتي منهم جنوح الى عدلٍ، أو بخوع بفضيلةٍ وحقٍّ، فلم يكن ذلك إلا بنوعٍ من اضطرارٍ أو بشكلٍ من التّمويه والتّغطية على عقول الجماهير، ابقاءً لكيانهم وسلطاتهم وصيانةً لمنافعهم غير المشروعة واستدامةً لجنایاتهم وخياناتهم. وكلّما خرج واحدٌ منهم عن هذه الخطة. وكانت من اهم اهداف الانبياء محاربة هؤلاء وشجبتهم ..

وأما الفئة الثالثة، وهم الحكماء والفلاسفة المصلحون، أو الذين ادّعوا الاصلاح، فهم وان كانوا - في الأغلب - صادقين في دعواهم ومقاصدهم، غير أنهم لم يأتوا بشيءٍ يُغني البشرية في جميع حاجياتها، ويُجيب عن كلّ ما يحتاج اليه الانسان في جميع جوانبه الوجودية وأبعادها. وذلك لأنهم لم يعرفوا الانسان وأبعاده الوجودية، كما عرفه الانبياء. وبكلمةٍ أخرى: لم تكن عند هؤلاء أجوبةٌ شاملة، لجميع أسئلة البشرية التي تحيا على ظهر هذه الارض، فلم يسدوا ذلك الفراغ، ولم يأتوا في تعاليمهم بما يكفي البشرية في متطلّباتها الواسعة المناحي، ومشاكلها العظيمة الأبعاد، وقضاياها البعيدة الأغوار.

ولا فرق في ذلك بين من ظهر منهم في قديم الأزمان أو القرون الوسيطة أو الجديدة والمعاصرة، فكلّما امعنت النظر في آثارهم وتعاليمهم تجد أن البشرية ومشكلاتها وحاجاتها وتطلّعاتها هي البحر، وأن ما جاء به هؤلاء هي البركة، مع ما في أغلبها من السطحية، والتضارب .. وشموله لجانبٍ وتركه جانباً آخر، وغير ذلك من

النقائص والأعلال.

وإذا كان الواقع الجاري على ظهر الارض - عبر الحقب والأعصار - هكذا، فلنرجع الى الفئة الأولى.

والفئة الأولى، هي التي قد بلغت رسالات الله الى الناس، ونشرت نواميس الله على الأرض .. وجاءت بحقائق عالية. وكلما صدر منها من تعليم، فهو اصول الهية، ودعائم بناءة للشخصية الانسانية، وأسس فطرية قد ينتهي العلم الي بعضها (اذا جاوزت معطيات العلم حد النظرية الي الواقع العيني). وتلك التعاليم، متكفلة لسعادة الانسان، سعادة عامة جامعة، وكافية لجميع ما يحتاج اليه البشرية كافة. ومن المعلوم أن هذه القسمة وايضاها، انما جئنا بها في اقتضاب كامل، مع أن هذه المسألة تحتاج - مع وضوحها - الى شرح وتبيين، لا يسعها هذا المجال. ولما كان هذا الكتاب، عرضاً لتعاليم الاسلام، والاسلام أكمل الانظمة الالهية التي ظهرت في التاريخ وخاتم تلك الانظمة، عمداً الى ذكر مقتضب للانظمة والدساتير والقيادات التي عرفها تاريخ الانسان، عبر عصوره وحقبه.

ولقد عالجت الجماهير البشرية - في الأيام الغابرة الى العصر الحاضر - تلك القيادات والسلطات، بكمها وكيفها، حيث عاشت كلاً منها وجربت عناصرها واستبصرت ما دعت اليها. والحركة الواعية التي نشأها اليوم، من الجنوح الى الحقائق المعنوية، والتمسك بالقيم الدينية، والالتفاف حول علماء الدين المجاهدين لتوسيع دائرة الكفاح التغييرى، إنما هي حصيلة تلك المعالجة والمعاشية والتجربة، مستمدة من الضمير البشرى الكبير.

وحيث علم الانسان، أن الطواغيت قد أسروه واستعبدوه وشهروا على رأسه السيف، وأن الفلاسفة والمفكرين لم يعطوه ما يشفي غلته، في حين أن الانبياء قد دعوه الى العلم والعمل - وهما يطردان السيف من ناحية، ويحتويان على خيرات الحكمة والفلسفة من ناحية اخرى - لذلك التفت الأمم والشعوب حول الانبياء،

وآمنوا بهم واتَّخَذُوهم أَدِلّاءَ، وَضَحَّوْا بِالْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ فِي سَبِيلِ أَهْدافِهِم
الكَرِيمَةِ الْخَيْرَةِ ..

والانبياءُ قد خَدَمُوا الْبَشَرِيَّةَ بِصِدْقٍ وَاخْلَاصٍ، اِدَاءً لِرِسَالَاتِ اللَّهِ وَبَسْطاً
لِلْعَدَالَةِ وَالْحَقِّ. وَلَقَدْ عَاشُوا الْمَصاعِبَ وَالْآلامَ، وَتَفَاعَلَتْ حَيَاتُهُمْ مَعَ الْمَصائبِ
الْمَريرةِ وَالتَّضحياتِ الْبَاهِظَةِ، حَتَّى وَفَّقُوا لِأَنْ يَأْخُذُوا بِبَيْدِ الْإِنسانِ، وَيُرُوهُ الطَّرِيقَ
الْأَقْوَمَ وَالصَّراطِ الْأَعْدَلَ.

وغيرُ خافٍ عَلَيَّ مَنْ يَعْرِفُ الدِّينَ وَتعاليمَهُ الْأَصيلةَ، أَنْ أَشْرَفَ ما وَصَلَ إِلَيْهِ
الْإِنسانُ وَأَثَمَنَهُ فِي طَوْلِ دَهْرِهِ، هُوَ الدِّينُ؛ غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ أَمْرَيْنِ قَدْ ظَهَرَا فِي حَقْلِ
الدِّينِ وَأَضْرًا بِهِ وَبِمُتَطَلِّباتِهِ، فِي سَبِيلِ إِسعادِ الْإِنسانِ.

الامر الأول: بروزُ التَّبدِيلِ وَالتَّحريفِ فِي تَلْكَمُ التَّعاليمِ وَتَشويهِها وَخَلْطُ
بَعْضِها بِبَعْضِ، بِيَدِ اِنسانٍ مُخْتَلِفِينَ فِي الْمَقاصِدِ وَالنَّزَعاتِ .

الامرُ الثَّانِي: وَقوعُ الْغفلةِ او الْجَهْلِ بِتَلْكَ الصِّلةِ الْمُتَماسِكةِ بَيْنَ اجْزاءِ تَلْكَ
التَّعاليمِ؛ فَإِنَّ التَّعاليمَ السَّماويَّةَ الَّتِي قَدْ بَيَّنَّها الْإِنبياءُ وَعَلَّمُوها، هِيَ حَقائِقُ اعْتقاديَّةُ
(ايدولوجيَّةُ)، وَعَمليَّةُ (براغماتيَّةُ)، مَرْتَبُطُ بَعْضُها بِبَعْضٍ، وَلا سِيَّما فِي الْإِسْلامِ،
فَلا يَصِحُّ أَنْ نُلَاحِظَ تَعاليمَ هَذَا الدِّينِ مُنْفَكاً بَعْضُها عَنِ بَعْضٍ، فَلِكُلِّ واحِدٍ مِنْها صِلَةٌ
قويَّةٌ بِسائِرِها، وَخُصوصاً فِي مَرِحْلَةِ الْعَمَلِ ..

وَلا يُمكِنُنا - فِي هَذِهِ السَّطُورِ الَّتِي نُقدِّمُها إِلى الْقُرَّاءِ اِفْتِتاحيَّةً لِهَذَا الْكِتابِ -
أَنْ نُجاوِزَ هَذِهِ الْإِشارةَ الْمُختَصِرةَ، غَيْرَ أَنَّها يُمكِنُ أَنْ تَدْفَعَ بِالْعُقُولِ وَالْإِفاكارِ إِلى
مُثابَرةٍ وَتصميمِ، عَلَيَّ مَعاشَةِ تَلْكَ التَّعاليمِ بِشَكْلِ يَتَبَلَّورُ فِيما يَلِي :

١ - مَعْرِفَةُ مَدْرَسَةِ الدِّينِ وَتعاليمِها النُّظريَّةِ وَالْعَمليَّةِ، فِي جَميعِ الشُّؤنِ
الْبَشَريَّةِ، مَعْرِفَةُ مُجَدِّدَةٍ مُمَحَّصَةٍ أَشَدَّ التَّمحيصِ.

٢ - مَعْرِفَةُ الْإِنظِمَةِ الْجائِرةِ وَالسُّلْطاتِ الْباطِلَةِ، بِأَوْسَعِ طُرُقِ الْمَعْرِفَةِ

وأعمقها؛ ومعرفة ما هنالك من دحض الحقوق فيها ونفي السعادات وإبطال هوية الانسان وحرّيته، وغير ذلك من المفسد الهائلة والأوزار العظيمة.
٣- معرفة النحل القديمة والوسيطّة والمعاصرة، وما فيها من نقائص وجمود وعللٍ ومحدوديّة ومضارٍّ وبطلان.

*

وإذا عرفنا المسائل المذكورة، بإمعانٍ وتبسُّطٍ، نعرف الأمرين التاليين:

- ١ - أن دين الاسلام هو أكملّ الاديان التي وصلت إلينا وأصحها واجمعها، وهو خاتم الشرايع والاديان السماوية.
- ٢ - أن دين الاسلام هو مجموعةٌ واحدةٌ يتصل كلُّ جزءٍ منها بالجزء الآخر صلةً قوية، فلا يصحُّ للانسان المسلم ان يكون مواظباً على صلواته، من غير أن يهتمّ بامور المسلمين ويُعالج المسائل السياسية والقضايا الاجتماعية، لتحقيق العدالة وتركيز الحق والفضيلة، كما يقول الشاعر الاسلامي القديم، عبد الله بن محمد الحميري :

فلا والله لا تزكو صلاةٌ

بغير ولاية العدل الامام

وهذه المعارف المذكورة - بما لها من الغنى والعمق الحياتيين - اذا حصلت في نفوس قوم، تعدّوها الى نفوس آخرين، فتنبث في الملاء والجماهير، وتستتبع الحصيلات التالية المهمة :

١ - في حين اننا نعرف ايضاً ان الاسلام يشجب السلطات الغاشمة، في اية صورة كانت.

- ١ - السعي لمعرفة الاسلام، بصورة واعية ومُحصّنة.
- ٢ - السعي لتهديب التعاليم الاسلامية وتمحيصها وطرح ما أُلصق بها او ما عُرفَ منها على غير وجهه.
- ٣ - التأكيد على ما في تلك التعاليم، من الصلة والرابط، في داخل اجزاء التعاليم و خارجها.

والسعيان الأولان اذا تحققا، يستتبعان الأمر الثالث المذكور. وهو من أهم العوامل التي تدفع الشعوب الى تبني الاسلام تبنياً صحيحاً، والى تجديد الاستفادة من المثل الاسلامية الراقية، في تطوير القضايا البشرية؛ لأن الناس - ولا سيما المفكرين منهم - اذا عرفوا الاسلام وما جاء به، وعرفوا تلك الصلة الجذرية المهمة بين مجموع مبادئ الاسلام واحكامه، يتأخ للاسلام أن يقوم من جديد، على سواعد هؤلاء، برساليته في إنقاذ البشرية من هذه المهالك، وايصالها الى تلك الغايات والسعادات.

فعلى هذا، تعدُّ المثابرة على تهيئة الاسباب والعوامل التي تؤدي الى تهذيب تلك المعارف وبثها، أحسن خدمة انسانية، وارقي عمل اجتماعي، واعظم خطوة اصلاحية، واهم واجب الهي، يجب أن يقوم بعينها اي انسان نابه يمكنه ذلك القيام، من غير أن يعرف التواني أو القعود.

ونحن نعدُّ هذا الكتاب الذي نُقدمه الآن، الى جماهير القراء - في ايران، وفي الأقطار الاسلامية الأخرى، وفي سائر بقاع الأرض - خطوة في هذا الطريق، وقياماً بهذا العبء، حيث عمَدنا فيه الى التعريف بالاسلام، تعريفاً جديداً مُحصّناً - ما تيسر لنا التمهيص - مُستلهمين من نفس التعاليم الاسلامية - ما تيسر لنا الإستلهاهم - مستندين الى القرآن الكريم والحديث الشريف.

وهناك مسائل أخرى يجب أن نُشير اليها في هذا المُستهل:

١ - من خواصّ الانظمة الالهية، التأكيد على اصل الوصاية ودعم أسسها، لكي تدوم برامجها؛ فالمشاهير من الانبياء لهم اوصياء، يخلّفونهم ويقومون بيثّ تعاليمهم - كما هي عليه - استبقاءً لتلك التعاليم وتطبيقاً لها، بصورة صحيحة لا يتطرق اليها نسيان أو تحريف أو تبديل. وهذا امرٌ معلوم، قد نطق به القرآن الكريم في مواضع عديدة حيث يذكر الانبياء واوصياءهم، فراجع:

سورة البقرة (٢): ١٢٧ - ١٢٨، ١٣٦، ١٤٠.

سورة آل عمران (٣): ٣٣ - ٣٤، ٨٤.

سورة النساء (٤): ٥٤.

سورة المائدة (٥): ١٢، ٢٥.

سورة الاعراف (٧): ١٤٢، ١٥٠ - ١٥١.

سورة يونس (١٠): ٨٧ - ٨٩.

سورة طه (٢٠): ٢٩ - ٣٦.

سورة المؤمنون (٢٣): ٤٥ - ٤٨.

سورة الشعراء (٢٦): ١٣، ١٥ - ١٧، ٣٦، ٤٨.

سورة النمل (٢٧): ٤٠.

سورة القصص (٢٨): ٣٤ - ٣٥.

سورة يس (٣٦): ١٤.

و..

٢ - وحيث كان الاسلام قد ختمت به الشرائع، فلا نبي بعد نبينا الاعظم، ولا مرسل الهياً بعد رحلته «ص»، قد جاء التأكيد على الوصاية في هذا الدين أشدّ وأكثر. فلقد أشاد النبي «ص» بذكر الوصاية مرة بعد مرة - كما هو معروف - ومما

جاء من ذلك في كُتُبِ المسلمين كلِّهم، «حديثُ الثَّقَلَيْنِ»، المرويُّ بإسنادِ الفريقين، بطُرُقٍ مُرَبِّيةٍ على حدِّ التواترِ بمرّات. وفيه يقولُ رسولُ الله «ص»: :

إني تاركٌ فيكم الثَّقَلَيْنِ، ما إن تمسَّكتم بهما لَن تَضَلُّوا بعدي،
أحدهما أعظمُ مِنَ الآخر: كتابُ اللهِ وعترتي.

٣- ففي هذا الضَّوء، يَجِبُ ان يكونَ المصدرُ الأصليُّ لتفهيمِ الاسلامِ ومعرفةِ تعاليمه، هو كتابُ الله الكريم، والاحاديثُ المرويَّةُ عن النبيِّ واوصيائه. وهذا هو المنهجُ الذي اتبعناه في الكتاب.

٤- من المعلومِ أنَّ كِيفِيَّةَ الدِّراسةِ عن كلِّ مذهبٍ، او مدرسةٍ، او نظريةٍ، إنما ترتبطُ ارتباطاً نِسْبياً، مع كِيفِيَّةِ تفكيرِ المحقِّقِ ونوعيَّةِ تصوُّره للعالم. فدراستنا هذه حولَ مجموعةٍ من التعاليمِ الاسلاميَّةِ الواردةِ في القرآن والحديث، لاتعدُّ وهذا الأصل. غيرَ أنَّ الذِّخائرَ الاسلاميَّةِ الفكريَّةِ والتربويَّةِ، تتمتعُ بوفرةٍ وغنىٍ وعمقٍ - ولا سيَّما في مصادرها الاولى - تُشقُّ طريقها الى الخلود، وترفعُ مستواها عن النظر، وتُهَيِّمُنُ على عقليَّةِ الدارسِ وتُخَطِّطُ له منهجاً تفكيرياً غنياً، يعمقُ ويعمقُ الى ابعِدِ غاياتِ العمقِ، ويتَّسعُ ويتَّسعُ الى ابعِدِ غاياتِ الاتِّساعِ.

٥- أنَّ معرفةَ الاسلامِ، بصورةٍ صحيحةٍ جامعةٍ مُمَحَّصَةٍ، تتوقَّفُ على مقدمتين :
الاولى : معرفةٌ واعيةٌ لجميعِ العقائدِ والتَّصوراتِ والقوانينِ والاحكامِ
والأنظِمةِ التي جاء بها هذا الدين.

الثانية : معرفةٌ صحيحةٌ لكِيفِيَّةِ الصَّلَاتِ الواقعةِ بينَ المسائلِ الاصليةِ والفرعيةِ - كما أشرنا اليها - وهذه كِصَلَةُ المسائلِ الاقتصاديةِ بالمسائلِ الاخلاقيةِ وبالايمانِ و بقيمةِ الانسانِ و كرامتهِ وبالعباداتِ وبواجباتِ الواليِ وبالمسائلِ

السَّياسِيَّة والعلاقات الاجتماعية؛ وكصلة العبادات بالمسائل الاقتصادية وبقيمة الانسان وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبالجهاد والتَّوَلَّى والتَّبرِّي، وبغير ذلك من المَوَاضِع مثلاً. فكما أنَّ الصلاة تَتَوَقَّفُ على شروطٍ كالطهارة والوضوء.. وكذلك تَتَوَقَّفُ صَحَّتُها الواقِعِيَّة على كثيرٍ من المسؤوليات الاجتماعية، والواجبات السياسية، والوظائف العامَّة، وكذلك سائر العبادات. وهذا الموضوعُ سَيَتَبَلُّورُ في هذا الكتاب إن شاء الله^١.

٦- فعلى هذا يجبُ على العالمِ الاسلامي - الذي يرى نفسه عالماً ومتخصِّصاً يَعْرِفُ الاسلامَ وَيَتَكَلَّمُ عنه وَيَقُودُ أَتباعه - أن يَتَمَتَّعَ من علمٍ مستوعِبٍ لجميعِ التعاليم والانظِمةِ الاسلامية، ومن نظرية عميقة الى كلِّ ما جاء به الاسلام في المَوَاضِع والشؤون عامة^٢، ومن معرفةٍ بالصَّلَاتِ العامَّةِ بين الاحكام الاسلامية وبالمواقف الخاصة لكلِّ حكمٍ حكمٍ، حتى يَتَسَنَّى له ان يَتَصَوَّرَ الاسلامَ تصوِّراً جامعاً^٣، وان يَفْهَمَ الدِّينَ كمجموعةٍ واحدةٍ لا يَنفَكُ أيُّ جزءٍ منه عن الجزء الآخر^٤. وهذا معنى «التَّفَقُّه في الدِّين»، اي معرفة اقسامِ الدِّين في حالة الصَّلَةِ والرِّبَطِ وكمجموعةٍ واحدة، لا كفصولٍ مُبَعَثَرَةٍ.

فالَّذي يَعْلَمُ الاسلامَ وَيَعْرِفُهُ على هذه الصَّورة، هو العالمُ الاسلامي، وهو المُمَثِّلُ للاسلام، المتكَلِّمُ عنه، لا الَّذي يَعْلَمُ الفقهَ ولا يَعْلَمُ السَّياسِيَّةَ الاسلامية؛ او

١ - ولقد جئنا بالباب الآخر من الكتاب (الدين مجموعة واحدة) للتأكيد على هذا الاصل.

٢ و٣ - ومن هنا ننتهي الى ان الاسلام، يجب ان يقوم الناس لفهمه وتحليل ابعاده وتمحيص مدرسته، لجنة لجنة،

حتى يتسنى لهم استيعابه وتفهمه والتفقه فيه كما يجدر، وعرضه على المسلمين وسائر الامم كما يفيد.

٤ - يعني ان يَفْهَمَ أنَّ «الملكيَّة» وان كانت ذات قداية في الاسلام (بشروطها المحددة)، فان الكفاح الجذري

النشط ضد الفقر والحرمان المالي والاضطهاد الاقتصادي ايضاً من اهم الواجبات الاسلامية، وان طلب

«الفقه» ومعاناة متاعبه سنين متمادية في الحوزات العلمية وان كان لازماً، فان معرفة الزمان ولغته والعصر

وتقافيه ومحتوى حياة الانسان المعاصر ومشاكل الانسان الفعلية ايضاً امور لازمة مُحْتَمَةٌ؛ وما الى ذلك من

الصلات والعلاقات والوعي والاستيعاب.

الَّذِي يَعْلَمُ الْكَلَامَ وَالْعَقَائِدَ وَلَا يَعْلَمُ الْمَسَائِلَ الْاجْتِمَاعِيَّةَ؛ أَوِ الَّذِي يَعْلَمُ الْحَدِيثَ وَعِلْمَهُ وَلَا يَفْهَمُ شَيْئاً مِنَ الْإِدَارَةِ الدِّينِيَّةِ؛ أَوِ الَّذِي يَعْلَمُ الْمَوَاضِعَ الْمَذْكُورَةَ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَيَاةِ الْقَلْبِيَّةِ وَالسُّلُوكِ الرَّوْحِيِّ؛ أَوِ الَّذِي يَعْلَمُ تِلْكَ الْأُمُورَ غَيْرَ أَنَّهُ جَاهِلٌ بِالْحِكْمَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْحَقَائِقِ السِّيَاسِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ .. فَمَثَالٌ هُوَ لَا يَمَيِّزُ بَيْنَ مَا يَنْفَقُهُ فِي الدِّينِ، بَلْ تَفَقَّهُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ وَقَسَمَ مِنْهُ، مَفْصُولاً عَنْ سَائِرِ أَقْسَامِهِ. وَهُوَ تَفَقُّهُ نَاقِصٌ لِمَحَالَةٍ.

٧ - كان الغرض من هذا الكتاب واصطفاء مادته وكيفية تأليفه - في الأكثر - التعريف بالمسائل التي جاءت في الاسلام ولكن لم تأخذ حظها من التعريف بها على حدّ يُناسب تلك المسائل، وكذلك إلقاء الضوء على موقف كلِّ حكمٍ في حدِّ نفسه، وفي صلته بسائر الاحكام، لبيان نفس الحكم.

٨ - يتضح لدى القارئ الكريم، ممّا يُعرض عليه في هذا الكتاب من الحقائق الدنيّة، أنّ التعاليم الاسلاميّة قد عمّدت الى ايضاح الخطوط الرئيسيّة للمسائل الانسانية والاجتماعيّة، والعوامل الاقتصادية، والاصول العامّة، وكذلك فسّرت حركة التاريخ وسنّتها؛ وكان ذلك مبتنياً على اصولٍ علمية، وحقائق مشاهدّة، كما كانت حركة الدّين في حقب التاريخ مطابقةً ايضاً لتلك الاصول.

٩ - ومن هنا نعلم أنّ المنهج الذي خطّه الدّين للتفكير ولمعرفة الواقع، وأكّده كلّ التأكيد - على ما بيّنه القرآن الكريم - ليس الا منهجاً علمياً للتعمّق والدرس، وللعلم بكلِّ من الظواهر الطبيعيّة. ولذلك قد جاء في القرآن الكريم كلامٌ كثيرٌ عن الطبيعة وظواهرها الصغيرة، حتى إنّ عدّةً من السُّور القرآنية قد سُمّيت باسماء كالْحَدِيدِ، وَالنَّمْلِ، وَالنَّحْلِ، وَالتِّينِ، وَالبَقْرَةِ.

وكذلك نرى ذكراً وافراً ودرساً مُستوعباً لكثيرٍ من الحقائق الطبيعية في «نهج البلاغة» للامام علي «ع»، وفي الاحاديث المروية عن سائر الائمة «ع»: فقد حَضُوا على العلم بتلك الحقائق علماً صحيحاً، وعلى معرفة الواقع معرفةً عينية، تَوَفَّرُ فيها عناصرُ الشهود والملاحظة.

١٠ - وكذلك نرى في القرآن الكريم، مقاطع مهمة تدفعنا الى تفهم الروابط العلية والمعلولية، خاصة فيما يتعلق بالظواهر التاريخية والتطورات الاجتماعية، وما يتعلق بظهور الحضارات وزوالها، والحوادث التي جرت في الغابرين. وهذا من اهم البواعث على درس الحركات التاريخية وتفهمها، وتفهم عللها من جهة التاريخ والمجتمع. والقرآن الكريم دعا الى هذا التفقه والتمحيص في اكثر من مناسبة. ولا يخفى ما يُعطيه هذا التفهم، من امكانيات علمية وعملية، لتحسين مصائر المجتمع وتطوير القضايا الانسانية الهامة، في الامة الاسلامية وفي سائر اُمم الارض.

١١ - وهكذا تكلم القرآن الكريم عن الانسان واحواله ومراحل وجوده بكثير، وحض على معرفة النفس، وهي معرفة الانسان بوجوده المعنوي. وكذلك حض على معرفة الآفاق، اي الكون. والطريقة التي يُعلمها القرآن لطلب المعرفة وكسب العلم، هي النظر والفحص والتجربة العينية، لا المعرفة الذهنية المجردة، التي تستند الى براهين نظرية صرفة.

١٢ - ومن هنا، يفترق القرآن الكريم، افتراقاً كبيراً، عن الفلسفات والمذاهب العرفانية المصطلحة. فعلى هذا الأصل، يكون تفسير الحقائق الاسلامية المحمدية، وتحليل المسائل القرآنية، على وتيرة الفلسفة الإغريقية، والمشارب

العرفانية، أو آية فلسفةٍ أُخرى تَبْتَنِي على التجريد الخالص، إبتعاداً عن فقه القرآن وروحه، وخروجاً من حوزة الحقائق القرآنية وماهية تعاليمها. وكذلك نبتعد عن فقه القرآن وتفهمه، إذا فسرنا مواضعه المختلفة، على ضوء أصولٍ ماديةٍ صرفة. كل ذلك ابتعادٌ عن فهم القرآن، لأنَّ القرآن ينظرُ الى الأشياءِ بجهتيها المادية والمعنوية، نظرةً تجريبيةً عينية. وهذه النظرة غنيّةٌ وواعيةٌ لا تحتاجُ الى شيءٍ آخر، من الاقتباس، والتأويل، او المقارنة؛ وهذه الخصوصية لا نجدُها في سائر المدارس والمذاهب.

١٣ - فالقرآن الكريم له منطقٌ خاصٌ ومنهجٌ يَخُصُّه. ومن المسلم به أن كل مدرسةٍ ومذهب، يجبُ ان تُفهمَ تعاليمه بمنطقٍ نفسه لا بمنطقٍ غيره، وبضوابطٍ تُضادها في المأخذ، فإنَّ هذا الأمر يُؤدِّي الى التوجيه والتأويل، وهما سببان لتبديل المعاني، وتغطية الحقائق.

١٤ - أن التَّصوْرَ الاسلامي يَبْتَنِي على ازدواجية الانسان والكون، ويعتقدُ بعالمين: ماديٍّ ومعنويٍّ، وبوجودِ صلةٍ أكيدةٍ بين العالمين، بل يرى كلَّ شيءٍ مركباً من جهتين: ماديةٍ ظاهرةٍ ومعنويةٍ باطنة. فهناك خَلْقٌ وأمر، ومُلْكٌ وملَكوت، ولكلُّ شيءٍ ملكوتٌ «وَبِيْدِهِ مَلَكوتُ كُلِّ شَيْءٍ واليه تُرْجَعون». ونحنُ إذا أردنا أن نفهم الحقائق - صغيرها وكبيرها - وأن نصلَ الى واقعِ تلك الحقائق، فعَلينا ان لا نغفلَ عن تلك الازدواجية، القائمة في الكائنات، السارية في كلِّ شيءٍ. وتَشْتدُّ اهميةُ هذا التَّصوْرِ خاصةً، اذا أردنا أن نفهم العالم، ومفهومَ الاسلامِ عنه، فهماً اسلامياً.

١٥ - ومن هنا نَطْلُبُ مِنَ القارئ، أن يَلْتَفِتَ الى ان المقصود بالمواضيع التي جاءت في الكتاب، كإصالة العمل، والتضاد، والتطور .. هوما يُستفاد من تلك

المقدمة

الايديولوجية التي أشرنا إليها، وهي الإزدواجية المذكورة التي تُعدُّ دعامة التَّصوُّر الديني.

١٦ - وقد يَرِدُ في كلامنا - ولا سيَّما في عناوين الابواب والفصول - بعضُ المصطلَّحات التي تُستعملُ في سائر المدارس، غيرَ أنَّه يجبُ أن يَعْلَمَ القارئُ أنَّ مفهومنا من تلك المصطلَّحات والتعابير، ليس عينَ ما يُراد منها هنالك - كما اشرنا اليه - ويُعِينُ على تحديدِ المراد منها هنا ما يَجِيءُ في صُلبِ الكتاب.

١٧ - ومن المعلوم أنَّ كتاباً كهذا الكتاب - ولا سيَّما مع ما فيه من ابتكار وموضوعية - لا يخلو من نقصٍ بل نقائص، وخاصة إنَّ هذا العملُ خُطوةٌ أولى في هذا السبيل، و شروعٌ لعرض الاسلام من جديد، عرضاً، شاملاً، حياً، مُمَحَّصاً، مستوعباً، داعياً الى تطبيقِ الاسلام، تطبيقاً عملياً عاماً؛ فعلى جميعِ مَنْ لهم أهليةُ الهداية والنقد والارشاد، ان لا يَبْخَلُوا عَنَّا بنظرهم وهدايتهم وارشادهم. كما وأنا آملون أن يَقومَ مفكرونا الكبار، وعلمائنا النابهون، لتكميلِ هذا العرض و تطوير ابعاده، إن شاء الله تعالى.

١٨ - ويأتي الكتابُ - بمشيئة الله تعالى وعونه - في عدَّة اجزاء. وهناك مسائل تتعلَّقُ بإعدادِ الكتاب وإخراجه وذكرِ مَنْ ساعدنا عليه، سنأتي بها في مَفْتَحِ الجزءِ الاخير.

١٩ - ونحنُ نَسْتَمِدُّ من الله تعالى، لإعدادِ هذا الكتاب، ونَسْأَلُهُ أن يَجْعَلَ سَعِينَا هذا خالصاً لوجهه، وان يَجْعَلَهُ نافعاً مباركاً.

٢٠ - وفي ختام هذا الاستهلال، نتقدم الى ذكر شيخنا العالم الرباني، والمتأله القرآني، والحكيم الديني، والزاهد الأمثل، صاحب المعارف والمقامات:

الشيخ مجتبي القزويني الخراساني

(١٣١٨ هـ - ١٣٨٦ هـ.ق.)

مؤلف كتاب «بيان الفرقان» القيم. وكانت لهذا الرباني الكبير - رحمة الله عليه رحمة واسعة - مدرسة خاصة، تمتاز باستخراج الحقائق والمعارف العالية من الكتاب والحديث، من غير ركون الى الافكار البشرية والفلسفات المتداولة (مع أنه - رحمه الله تعالى - كان يعلم تلك الفلسفات والافكار ويتقنها ويعلمها بشرح و تحقيق). ومنهجها هذا، هو المنهج الصحيح لاستنباط الحقائق العلمية، من غير أي خلط او شوب. ولقد كان لهذه المدرسة علينا حق عظيم، حيث ألفت افكارنا نحو هذا النوع من الحقائق الالهية والمعارف والعلوم.

وللقارئ أن يعد هذا الكتاب ثمرة من ثمار تلك المدرسة القرآنية الخالصة، فالى الملتقى.

وينبغي أن نشير الى أن فكرة وضع هذا الكتاب كانت قديمة، ولقد شرعنا فيه قبل ست سنوات، غير أن إعداده الاخير والامور المتعلقة بطبعه، قد أخرت إخراجهُ الى هذه الأيام ..

ولاحول ولا قوة الا بالله ..
والسلام على من يخدم الحق لذات الحق.
رمضان المبارك/١٣٩٩.

البَابُ الأَوَّلُ

الباب الأول : المعرفة وأصالتها ؛ وفيه فصول:

الفصل الأول

اهمية المعرفة

الكتاب

- ١ إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم *
الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم *^١
- ٢ وعلم آدم الاسماء كلها، ثم عرضهم على الملائكة فقال : انبؤني باسماء هؤلاء
ان كنتم صادقين * قالوا : سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم
الحكيم * قال : يا آدم انبئهم باسمائهم، فلما انبأهم باسمائهم قال : ألم اقل
لكم : اني اعلم غيب السماوات والارض واعلم ما تبؤون وما كنتم
تكتُمون؟*^٢
- ٣ هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم، يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم
الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين *^٣
- ٤ امن هو قانت انا الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، قل :

١ - سورة العلق (٩٦) : ١ - ٥.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٣١ - ٣٣.

٣ - سورة الجمعة (٦٢) : ٢.

- ١ هل يَسْتَوِي الَّذِي يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؟ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ أَلْبَابٌ * ١
- ٥ قل : هل يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ؟ * ٢
- ٦ وما يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ * ٣
- ٧ قل : هل يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ؟ .. ٤
- ٨ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ، وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولَئِكَ أَلْبَابٌ * ٥
- ٩ وَادْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا * ٦
- ١٠ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى؟ .. ٧

الحديث

- ١ النبي «ص»: «خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»، فَادَّأ فِي الْمَسْجِدِ مَجْلِسَانِ: مَجْلِسُ يَتَفَقَّهُونَ وَمَجْلِسُ يَدْعُونَ اللَّهَ وَيَسْأَلُونَهُ، فَقَالَ: كِلَا الْمَجْلِسَيْنِ إِلَى خَيْرٍ، أَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَدْعُونَ اللَّهَ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَيَتَعَلَّمُونَ وَيُفَقِّهُونَ الْجَاهِلِ؛ هَؤُلَاءِ أَفْضَلُ،

١ - سورة الزُّمَر (٣٩) : ٩.

٢ - سورة الْأَنْعَام (٦) : ٥٠.

٣ - سورة فَاطِر (٣٥) : ١٩.

٤ - سورة الرَّعْد (١٣) : ١٦.

٥ - سورة الْبَقَرَة (٢) : ٢٦٩.

٦ - سورة الْأَحْزَاب (٣٣) : ٣٤.

٧ - سورة الرَّعْد (١٣) : ١٩.

- بِالتَّعْلِيمِ أُرْسِلْتُ لِمَا أُرْسِلْتُ؛ ثُمَّ قَعَدَ مَعَهُمْ.^١
- ٢ الامام علي «ع» : يا كميل! ما من حركة الا وانت محتاج فيها الى معرفة.^٢
- ٣ الامام علي «ع» : فَقَدْ الْبَصَرَ أَهْوَنُ مِنْ فَقْدِ الْبَصِيرَةِ.^٣
- ٤ النبي «ص» : جاء رجلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ إِلَى النَّبِيِّ «ص» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِذَا حَضَرَتْ جَنَازَةٌ أَوْ حَضَرَ مَجْلِسٌ عَالِمٍ أَيُّهُمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَشْهَدَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» : إِذَا كَانَ لِلْجَنَازَةِ مَنْ يَتَّبِعُهَا وَيَدْفِنُهَا، فَإِنَّ حُضُورَ مَجْلِسِ الْعَالِمِ أَفْضَلُ مِنْ حُضُورِ الْفِ جَنَازَةٍ، وَمِنْ عِيَادَةِ الْفِ مَرِيضٍ، وَمِنْ قِيَامِ الْفِ لَيْلَةٍ، وَمِنْ صِيَامِ الْفِ يَوْمٍ، وَمِنْ الْفِ دَرَاهِمٍ يُتَصَدَّقُ بِهَا عَلَى الْمَسَاكِينِ، وَمِنْ الْفِ حَاجَةٍ سِوَى الْفَرِيضَةِ، وَمِنْ الْفِ غَزْوَةٍ سِوَى الْوَاجِبِ تَغْزُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِمَالِكَ وَنَفْسِكَ. وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ الْمَشَاهِدُ مِنْ مَشْهَدِ عَالِمٍ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ يُطَاعُ بِالْعِلْمِ، وَيُعْبَدُ بِالْعِلْمِ، وَخَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَعَ الْعِلْمِ، وَشَرَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مَعَ الْجَهْلِ.^٤
- ٥ الامام علي «ع» : لَا تُخْبِرْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ عِلْمًا.^٥
- ٦ الامام علي «ع» : عَلَيْكُمْ بِالذَّرَايَاتِ لَا بِالرُّوَايَاتِ.^٦
- ٧ الامام علي «ع» : الْعِلْمُ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ.^٧

١ - مُنِيَّةُ الْمُرِيدِ / ١٣، مِنْ طَبْعَةٍ؛ وَ ١٦، مِنْ طَبْعَةِ مَوْسَسَةِ النُّشْرِ الْإِسْلَامِيِّ، بِقَم.

٢ - تُحْفُ الْعُقُولِ / ١١٩.

٣ - غُرُرُ الْحِكْمِ / ٢٢٧.

٤ - رَوْضَةُ الْوَاعِظِينَ / ١٢.

٥ - غُرر الحكم / ٣٣٢.

٦ - الْبِحَارُ ٢ / ١٦٠، عَنْ كِتَابِ «كَنْزِ الْفَوَائِدِ»، لِلْكَرَاجِكِيِّ.

٧ - غُرر الحكم / ٢٠.

- ٨ الامام علي «ع» : لا تَسْتَعْظِمَنَّ أَحَدًا حَتَّى تَسْتَكْشِفَ مَعْرِفَتَهُ.^١
- ٩ الامام الباقر «ع» : .. اِدْفَعْ عَن نَفْسِكَ حَاضِرَ الشَّرِّ بِحَاضِرِ الْعِلْمِ، وَاسْتَعْمِلْ حَاضِرَ الْعِلْمِ بِخَالِصِ الْعَمَلِ، وَتَحَرَّزْ عَلَى خَالِصِ الْعَمَلِ مِنْ عَظِيمِ الْغَفْلَةِ بِشِدَّةِ التِّيْقُظِ، وَاسْتَجَلِبْ شِدَّةَ التِّيْقُظِ بِصَدَقِ الْخَوْفِ .. وَتَوَقَّ مُجَازَفَةَ الْهَوَى بِدَلَالَةِ الْعَقْلِ، وَقِفْ عِنْدَ غَلْبَةِ الْهَوَى بِاسْتِرْشَادِ الْعِلْمِ.^٢
- ١٠ الامام الصادق «ع» - عن الامام الباقر «ع» : يا بُنَيَّ! اِعْرِفْ مَنَازِلَ الشَّيْعَةِ عَلَى قَدْرِ رِوَايَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ هِيَ الدَّرَايَةُ لِلرُّوَايَةِ. وَبِالدَّرَايَاتِ لِلرُّوَايَاتِ يَعْلُو الْمُؤْمِنُ إِلَى اقْصَى دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ. إِنِّي نَظَرْتُ فِي كِتَابِ لِعَلِيِّ «ع» فَوَجَدْتُ فِي الْكِتَابِ: إِنَّ قِيَمَةَ كُلِّ أَمْرِيٍّ وَقَدْرَهُ مَعْرِفَتُهُ. إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يُحَاسِبُ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ فِي دَارِ الدُّنْيَا.^٣
- ١١ الامام الصادق «ع» : اَلْعِلْمُ أَسْلُ كُلِّ حَالٍ سَنِيٍّ، وَمُنْتَهَى كُلِّ مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ. لِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ «ص» : «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ»، أَي: عِلْمِ التَّقْوَى وَالْيَقِينِ.^٤
- ١٢ الامام الصادق «ع» : أَنْتُمْ - وَاللَّهِ - الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ: «وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ»^٥. إِنَّمَا شِيعَتُنَا أَصْحَابُ الْأَرْبَعَةِ الْأَعْيُنِ: عَيْنَيْنِ فِي الرَّأْسِ، وَعَيْنَيْنِ فِي الْقَلْبِ ..^٦.

١ - غرر الحكم / ٣٣٣.

٢ - تحف العقول / ٢٠٧.

٣ - معاني الاخبار / ١ / ٢.

٤ - البحار / ٢ / ٣١ - ٣٢. عن كتاب «مصباح الشريعة».

٥ - سورة الحجر (١٥): ٤٧.

٦ - تفسير العياشي / ٢ / ٢٤٤.

- ١٣ الامام الصادق «ع» : اذا كان يومُ القيامة، جَمَعَ اللهُ عزَّ وجلَّ، الناسَ في صعيدٍ واحد، ووَضَعَتِ المَوازِين، فتوزنُ دِمَاءُ الشُّهداءِ معَ مِدَادِ العُلَماءِ، فيرجحُ مِدَادُ العُلَماءِ على دِمَاءِ الشُّهداءِ.^١
- ١٤ الامام الصادق «ع» - عن النبي «ص» : أَعْلَمُ الناسِ مَنْ جَمَعَ عِلْمَ الناسِ الى عِلْمِهِ .. واكثرُ الناسِ قِيمةً اكثرُهم عِلْمًا، وأقلُّ الناسِ قِيمةً أقلُّهم عِلْمًا.^٢
- ١٥ الامام الصادق «ع» - عن آباءه، عن عليٍّ، عن النبي «ص» : اكثرُ الناسِ قِيمةً اكثرُهم عِلْمًا، واقلُّ الناسِ قِيمةً أقلُّهم عِلْمًا.^٣
- ١٦ الامام الصادق «ع» - عن سَماعة: قلتُ له: قولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ .. فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا»؟ قال: مَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ ضَلالٍ إلى هُدًى، فَكَأَنَّمَا أَحْيَاهَا؛ وَمَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ هُدًى إلى ضَلالٍ فَقَدْ قَتَلَهَا.^٥
- ١٧ الامام الصادق «ع» - مُحَمَّدُ بْنُ مَارِدٍ قال: قلتُ لابي عبدِالله «ع» : حديثٌ رَوِيَ لَنَا إِنَّكَ قُلْتَ: «إِذَا عَرَفْتَ فاعْمَلْ ما شِئْتَ»؟ فقال: قَدْ قُلْتُ ذَلِكَ. قال: قلتُ: وَإِنْ زَنَوْا أَوْ سَرَقُوا أَوْ شَرِبُوا الخمرَ؟ فقال لي: إنا لله وإنا اليه راجعون، والله ما أنصفونا أَنْ نَكُونَ أُخِذْنَا بِالْعَمَلِ وَوُضِعَ عَنْهُمْ، إِنَّمَا قُلْتُ: إِذَا عَرَفْتَ فاعْمَلْ ما شِئْتَ، مِنْ قَلِيلِ الخَيْرِ وكثيره، فَإِنَّهُ يُقْبَلُ مِنْكَ.^٦

١ - البحار ٢ / ١٤، عن «امالي الصدوق».

٢ - امالي الصدوق / ١٩.

٣ - البحار ٧٧ / ١١٢.

٤ - سورة المائدة (٥): ٣٢.

٥ - الكافي ٢ / ٢١٠.

٦ - الوسائل ١ / ٨٧.

- ١٨ الامام الصادق «ع» : لا يَنْبَغِي لِمَنْ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا أَنْ يُعَدَّ سَعِيدًا؛ وَلَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ وَدُودًا أَنْ يُعَدَّ حَمِيدًا؛ وَلَا لِمَنْ لَمْ يَكُنْ صَبُورًا أَنْ يُعَدَّ كَامِلًا؛ وَلَا لِمَنْ لَا يَتَّقِي مَلَامَةَ الْعُلَمَاءِ وَذَمَّهُمْ أَنْ يُرْجَى لَهُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ صَدُوقًا، لِيُؤْمَنَ عَلَى حَدِيثِهِ، وَشُكُورًا لِيَسْتَوْجِبَ الزِّيَادَةَ.^١
- ١٩ الامام الكاظم «ع» : يَا هِشَامُ! إِنَّ لُقْمَانَ قَالَ لِابْنِهِ: .. يَا بُنَيَّ! إِنَّ الدُّنْيَا بَحْرٌ عَمِيقٌ، قَدْ غَرِقَ فِيهِ عَالَمٌ كَثِيرٌ. فَلْتَكُنْ سَفِينَتَكَ فِيهَا تَقْوَى اللَّهَ، وَحَشْوُهَا الْإِيمَانَ، وَشِرَاعُهَا التَّوَكُّلَ، وَقِيَمُهَا الْعَقْلَ، وَدَلِيلُهَا الْعِلْمَ، وَسُكَّانُهَا الصَّبْرَ.^٢
- ٢٠ الامام الكاظم «ع» - فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ: لَا نَجَاةَ إِلَّا بِالطَّاعَةِ؛ وَالطَّاعَةُ بِالْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ، وَالتَّعَلُّمُ بِالْعَقْلِ يُعْتَقَدُ. وَلَا عِلْمَ إِلَّا مِنْ عَالِمٍ رَبَّانِيٍّ.^٣

١ - تحف العقول / ٢٤٨.

٢ - تحف العقول / ٢٨٥.

٣ - الوسائل ١٨ / ٨.

الفصل الثاني

طلب العلم

الكتاب

١ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ، يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * ١

الحديث

١ النبي «ص»: طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ.^٢
٢ النبي «ص»: طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ؛ أَلَا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ بُغَاةَ الْعِلْمِ.^٣

١ - سورة آل عمران (٣): ١٦٤.

٢ - البحار ١ / ١٧٧، عن كتاب «غوالي اللثالي».

٣ - الكافي ١ / ٣٠.

- ٣ الامام علي «ع» : الشاخصُ في طلبِ العلمِ كالمجاهدِ في سبيلِ الله ..^١
- ٤ الامام علي «ع» : أُغْدُ عالِماً او مُتعلِّماً، ولا تَكُنِ الثَّالِثَ فَتَعْطَبَ.^٢
- ٥ الامام الصادق «ع» : طَلَبُ العلمِ فريضةٌ في كلِّ حالٍ.^٣
- ٦ الامام الصادق «ع» : أُطَلِّبُوا العِلْمَ وَلَوْ بِخَوْضِ اللُّجَجِ وَشَقِّ المُهْجِ.^٤
- ٧ الامام الصادق «ع» : لَوْ عَلِمَ النَّاسُ ما في العلمِ لَطَلَّبُوهُ وَلَوْ بِسَفْكِ المُهْجِ وَخَوْضِ اللُّجَجِ.^٥
- ٨ الامام الباقر «ع» - عنِ النبيِّ «ص» : أُغْدُ عالِماً او مُتعلِّماً، وإيَّاكَ أن تَكُونَ لاهِياً مُتَلَذِّذاً.^٦
- ٩ الامام الباقر «ع» : ما مِنْ عَبدٍ يَغْدُو في طَلَبِ العلمِ أو يَرُوحُ إِلا خاضَ الرَّحْمَةَ، وَهَتَفَتْ بِهِ الملائكةُ: «مَرحَباً بِزائرِ الله»، وَسَلَّكَ مِنَ الجَنَّةِ مِثْلَ ذلكَ المَسَلِّكَ.^٧
- ١٠ الامام الصادق «ع» : النَّاسُ إِثْنان: عالِمٌ ومُتعلِّمٌ، وسائرُ النَّاسِ هَمَجٌ؛ وَالمُهْجُ في النَّارِ.^٨

١ - روضة الواعظين / ١٠ .
 ٢ - البحار ١ / ١٩٦، عن «كنز الفوائد» .
 ٣ - بصائر الدرجات / ٣ .
 ٤ - البحار ٧٨ / ٢٧٧، عن كتاب «الاربعين»، للشيخ سديد الدين السوري .
 ٥ - البحار ١ / ١٧٧، «عن غوالي اللثالي». وجاء في «الكافي» (١ / ٣٥) عن الامام علي بن الحسين السجاد «ع» ايضاً .
 ٦ - البحار ١ / ١٩٤، عن كتاب «المحاسن» .
 ٧ - ثواب الأعمال / ١٦٠ .
 ٨ - الخصال / ٣٩ .

الفصل الثاني : طلب العلم

١١ الامام علي «ع» : تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ! فَإِنَّ تَعَلُّمَهُ حَسَنَةٌ وَمُدَارَسَتَهُ تَسْبِيحٌ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ، وَتَعْلِيمُهُ لِمَنْ لَا يَعْلَمُهُ صِدْقَةٌ .. وَهُوَ أَنْيَسٌ فِي الْوَحْشَةِ، وَصَاحِبٌ فِي الْوَحْدَةِ، وَسِلَاحٌ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَزِينُ الْأَخْلَاءِ. يَرْفَعُ اللَّهُ بِهِ أَقْوَامًا يَجْعَلُهُمْ فِي الْخَيْرِ أَيْمَةً يُقْتَدَى بِهِمْ .. لِأَنَّ الْعِلْمَ حَيَاةُ الْقُلُوبِ .. وَقُوَّةُ الْأَبْدَانِ مِنَ الضَّعْفِ .. بِالْعِلْمِ يُطَاعُ اللَّهُ وَيُعْبَدُ ..^١

١٢ الامام الصادق «ع» : لَسْتُ أَحِبُّ أَنْ أَرَى الشَّابَّ مِنْكُمْ إِلَّا غَادِيًا فِي حَالَيْنِ إِمَّا عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ فَرَطًا، فَإِنْ فَرَطَ ضَيِّعٌ، فَإِنْ ضَيِّعَ أَثِمٌ، وَإِنْ أَثِمَ سَكَنَ النَّارَ؛ وَالَّذِي بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْحَقِّ.^٢

١ - امالي الصدوق / ٥٥١.

٢ - البحار ١ / ١٧٠، عن «امالي الطوسي».

الفصل الثالث

العقل وتنشيطه

الكتاب

- ١ إنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ، وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ، وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *^١
- ٢ وَقَالُوا: لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ *^٢
- ٣ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا، وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *^٣
- ٤ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَالنَّجْمُومُ مَسْخَرَاتٌ بِأَمْرِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *^٤

١ - سورة البقرة (٢): ١٦٤.

٢ - سورة الملك (٦٧): ١٠.

٣ - سورة الروم (٣٠): ٢٤.

٤ - سورة النحل (١٦): ١٢.

الحديث

- ١ النبي «ص» : إِنَّمَا يُدْرِكُ الْخَيْرُ كُلَّهُ بِالْعَقْلِ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ.^١
- ٢ النبي «ص» - أَتْنِي قَوْمٌ بِحَضْرَتِي عَلَى رَجُلٍ حَتَّى ذَكَرُوا جَمِيعَ خِصَالِ الْخَيْرِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» : «كَيْفَ عَقْلُ الرَّجُلِ؟» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نُخَيْرُكَ عَنْهُ بِاجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَصْنَافِ الْخَيْرِ تَسَأَلُنَا عَنْ عَقْلِهِ؟! فَقَالَ: «إِنَّ الْأَحْمَقَ يُصِيبُ بِحُמِقِهِ أَعْظَمَ مِنْ فُجُورِ الْفَاجِرِ؛ وَإِنَّمَا يَرْتَفِعُ الْعِبَادُ غَدًا فِي الدَّرَجَاتِ وَيَنَالُونَ الزُّلْفَى مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ».^٢
- ٣ النبي «ص» : لِكُلِّ شَيْءٍ آلَةٌ وَعُدَّةٌ، وَآلَةُ الْمُؤْمِنِ وَعُدَّتُهُ الْعَقْلُ. وَلِكُلِّ شَيْءٍ مَطِيَّةٌ، وَمَطِيَّةُ الْمَرْءِ الْعَقْلُ. وَلِكُلِّ شَيْءٍ غَايَةٌ، وَغَايَةُ الْعِبَادَةِ الْعَقْلُ. وَلِكُلِّ قَوْمٍ رَاعٍ، وَرَاعِي الْعَابِدِينَ الْعَقْلُ. وَلِكُلِّ تَاجِرٍ بِضَاعَةٌ، وَبِضَاعَةُ الْمُجْتَهِدِينَ الْعَقْلُ. وَلِكُلِّ خَرَابٍ عِمَارَةٌ، وَعِمَارَةُ الْآخِرَةِ الْعَقْلُ. وَلِكُلِّ سَفْرٍ فُسْطَاطٌ يَلْجَأُونَ إِلَيْهِ، وَفُسْطَاطُ الْمُسْلِمِينَ الْعَقْلُ.^٣
- ٤ النبي «ص» : مَا قَسَمَ اللَّهُ لِلْعِبَادِ شَيْئًا أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ؛ فَتَوْمُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ سَهْرِ الْجَاهِلِ، وَإِفْطَارُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ صَوْمِ الْجَاهِلِ، وَإِقَامَةُ الْعَاقِلِ أَفْضَلُ مِنْ سُخُوصِ الْجَاهِلِ..^٤
- ٥ الامام علي «ع» : الْعَقْلُ مَرْكَبُ الْعِلْمِ.^٥
- ٦ الامام علي «ع» : الْإِنْسَانُ بِعَقْلِهِ.^٦

١ و ٢ - تحف العقول / ٤٤.

٣ - البحار ١ / ٩٥. عن «كنز الفوائد».

٤ - البحار ١ / ٩١. عن «المحاسن».

٥ - غرر الحكم / ٢٠.

٦ - غرر الحكم / ١٤.

- ٧ الامام علي «ع» : مَنِ اسْتَحْكَمْتُ لِي فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، إِحْتَمَلَتْهُ عَلَيْهَا وَاعْتَفَرْتُ فَقَدْ مَا سِوَاهَا. وَلَا أَعْتَفِرُ فَقَدْ عَقَلٍ وَلَا دِينَ، لِأَنَّ مُفَارَقَةَ الدِّينِ مُفَارَقَةُ الْأَمَنِ، فَلَا يُتَهَنَأُ بِحَيَاةٍ مَعَ مَخَافَةٍ. وَفَقَدْ الْعَقْلَ فَقَدْ الْحَيَاةَ، وَلَا يُقَاسُ إِلَّا بِالْأَمْوَاتِ.^١
- ٨ الامام علي «ع» : الْإِنْسَانُ عَقْلٌ وَصُورَةٌ، فَمَنْ أَخْطَأَهُ الْعَقْلُ وَلَزِمَتْهُ الصُّورَةُ لَمْ يَكُنْ كَامِلًا، وَكَانَ بِمَنْزِلَةِ مَنْ لَا رُوحَ فِيهِ.^٢
- ٩ الامام علي «ع» - قَالَ لِابْنِهِ الْحَسَنِ : يَا بُنَيَّ! إِنَّ اغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ، وَأَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحُمُقُ..^٣
- ١٠ الامام علي «ع» : يَا بُنَيَّ! لَا فَقْرَ أَشَدَّ مِنَ الْجَهْلِ، وَلَا عُدْمَ أَعْدَمَ مِنَ الْعَقْلِ..^٤
- ١١ الامام علي «ع» : الْعَقْلُ رَسُولُ الْحَقِّ.^٥
- ١٢ الامام علي «ع» : مِلَاكُ الْأَمْرِ الْعَقْلُ.^٦
- ١٣ الامام علي «ع» : الْعُقُولُ أَيْمَةٌ الْإِفْكَارِ، وَالْأَفْكَارُ أَيْمَةٌ الْقُلُوبِ، وَالْقُلُوبُ أَيْمَةٌ الْحَوَاسِّ، وَالْحَوَاسُّ أَيْمَةٌ الْأَعْضَاءِ.^٧
- ١٤ الامام علي «ع» : أَلْعَقْلُ مُصْلِحٌ كُلِّ أَمْرٍ.^٨

١ - الكافي ١ / ٢٧.

٢ - البحار ٧٨ / ٧، عن كتاب «مطالب السُّؤُول».

٣ - نهج البلاغة / ١١٠٤؛ عبده ٣ / ١٦٠.

٤ - امالي الطوسي ١ / ١٤٥.

٥ - غرر الحكم / ١٥.

٦ - غرر الحكم / ٣١٥. و في بعض النسخ: «مِلَاكُ الدِّينِ الْعَقْلُ».

٧ - مُسْتَدْرَكُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ / ١٧٦.

٨ - غرر الحكم / ٣٠.

- ١٥ الامام علي «ع» : إَعْقِلُوا الْخَيْرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُؤَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ.^١
- ١٦ الامام علي «ع» : الْعَقْلُ أَقْوَى أَسَاسٍ.^٢
- ١٧ الامام علي «ع» : الْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ.^٣
- ١٨ الامام علي «ع» : ثَمَرَةُ الْعَقْلِ لُزُومُ الْحَقِّ.^٤
- ١٩ الامام علي «ع» : ثَمَرَةُ الْعَقْلِ الْإِسْتِقَامَةُ.^٥
- ٢٠ الامام علي «ع» : لَا يُسْتَعَانُ عَلَى الدَّهْرِ إِلَّا بِالْعَقْلِ.^٦
- ٢١ الامام علي «ع» : الْعَقْلُ - حَيْثُ - كَانَ أَلِفٌ مَأْلُوفٌ.^٧
- ٢٢ الامام علي «ع» : هَبَطَ جِبْرَيْلُ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: يَا آدَمُ! إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أُخِيرَكَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ، فَأَخْتَرْتُ وَاحِدَةً وَدَعَيْتُنِي. فَقَالَ لَهُ آدَمُ: وَمَا الثَّلَاثُ يَا جِبْرَيْلُ؟ فَقَالَ: الْعَقْلُ وَالْحَيَاءُ وَالدِّينُ. قَالَ آدَمُ: فَإِنِّي قَدْ اخْتَرْتُ الْعَقْلَ. فَقَالَ جِبْرَيْلُ لِلْحَيَاءِ وَالدِّينِ: أَنْصِرْفَا وَدَعَاهُ! فَقَالَا: يَا جِبْرَيْلُ! إِنَّا أُمِرْنَا أَنْ نَكُونَ مَعَ الْعَقْلِ حَيْثُ كَانَ..^٨
- ٢٣ الامام الباقر «ع» - عن النبي «ص» : لَمْ يُعْبَدِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ؛ وَلَا يَكُونُ الْمُؤْمِنُ عَاقِلًا حَتَّى يَجْتَمِعَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ: الْخَيْرُ مِنْهُ

١ - نهج البلاغة / ١١٣٠ : عبده ٣ / ١٧٢.

٢ - غرر الحكم / ٣١.

٣ - غرر الحكم / ٢٠.

٤ و ٥ - غرر الحكم / ١٥٨.

٦ - البحار ٧٨ / ٧٠٧ عن «مطالب السؤل».

٧ - غرر الحكم / ٢٧.

٨ - امالي الصدوق / ٦٠٠ : الكافي ١ / ١٠.

- مأمول، والشّرُّ منه مأمون .. ولا يسأم من طلب العلم طول عُمره..^١
- ٢٤ الامام الباقر «ع» : لا مصيبة كعدم العقل، ولا عدم عقل كقلة اليقين.^٢
- ٢٥ الامام علي «ع» : لو صحَّ العقل، لا غتتم كلُّ امرئٍ مهله.^٣
- ٢٦ الامام الصادق «ع» : دِعامَةُ الانسانِ العقل؛ ومنَ العقلِ الفِطنةُ والفهمُ والحفظُ والعلمُ، فإذا كانَ تأييدُ عقله من النور، كانَ عالماً، حافظاً، زكياً، فطناً، فهماً. وبالعقلِ يكمل، وهو دليله ومُبصرُه ومفتاحُ أمره.^٤
- ٢٧ الامام الكاظم «ع» : يا هِشام! إنَّ ضوئَ الجسدِ في عينه، فإنَّ كانَ البصرُ مضيئاً استضاءَ الجسدُ كلُّه. وإنَّ ضوئَ الرُّوحِ العقل، فإذا كانَ العبدُ عاقلاً كانَ عالماً بربِّه، وإذا كانَ عالماً بربِّه أبصرَ دينه. وإنَّ كانَ جاهلاً بربِّه لم يقم له دينٌ. وكما لا يقومُ الجسدُ إلا بالنفسِ الحيَّة، فكذلك لا يقومُ الدينُ إلا بالنيَّة الصَّادِقة. ولا تثبتُ النيَّةُ الصَّادِقةُ الا بالعقل.^٥
- ٢٨ الامام الرضا «ع» : صديقُ كلِّ امرئٍ عقله، وعدُّوه جهله.^٦

١ - الخصال / ٤٣٣.

٢ - تحف العقول / ٢٠٨.

٣ - عرر الحكم / ٢٤١.

٤ - علل الشرايع / ١ / ١٠٣.

٥ - تحف العقول / ٢٩٢.

٦ - الكافي / ١ / ١١.

الفصل الرابع

الى التفكير

الكتاب

- ١ إنَّ في خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، لآيَاتٍ لِّأُولِي
الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ، وَيَتَفَكَّرُونَ فِي
خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا، سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ
النَّارِ *^١
- ٢ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، جَمِيعًا مِنْهُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *^٢
- ٣ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنْبِتُ
لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ
لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *^٣
- ٤ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا، فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ

١ - سورة آل عمران (٣): ١٩٠ - ١٩١.

٢ - سورة الجاثية (٤٥): ١٣.

٣ - سورة النحل (١٦): ١٠ - ١١.

يَتَفَكَّرُونَ * ١

الحديث

- ١ النبي «ص»: فِكْرَةُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ.^٢
- ٢ الامام علي «ع»: تَفَكُّرُكَ يُفِيدُكَ الْإِسْتِبْصَارَ، وَيُكْسِبُكَ الْإِعْتِبَارَ.^٣
- ٣ الامام علي «ع»: مَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ..^٤
- ٤ الامام الكاظم «ع»: لِكُلِّ شَيْءٍ دَلِيلٌ، وَدَلِيلُ الْعَاقِلِ التَّفَكُّرُ، وَدَلِيلُ التَّفَكُّرِ الصَّمْتُ.^٥
- ٥ الامام الصادق «ع»: كَانَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» يَقُولُ: «التَّفَكُّرُ حَيَاةٌ قَلْبِ الْبَصِيرِ»..^٦
- ٦ الامام علي «ع»: الْفِكْرُ مِرَاةٌ صَافِيَةٌ.^٧
- ٧ الامام علي «ع»: فَكْرُ الْمَرْءِ مِرَاةٌ تُرِيهِ حُسْنَ عَمَلِهِ مِنْ قُبْحِهِ.^٨

١ - سورة الاعراف (٧): ١٧٦.

٢ - البحار ٧١ / ٣٢٦.

٣ - غرر الحكم / ١٥٧.

٤ - نهج البلاغة / ٩٣٠: عبده ٣ / ٥٨.

٥ - تحف العقول / ٢٨٦.

٦ - الكافي ١ / ٢٨.

٧ - نهج البلاغة / ١٠٩٠: عبده ٣ / ١٥٢.

٨ - غرر الحكم / ٢٢٧.

الفصل الرابع : الى التفكير

- ٨ الامام علي «ع» : فِكْرُكَ يَهْدِيكَ اِلَى الرَّشَادِ، وَيَحْدُوكَ عَلَى اِصْلَاحِ الْمَعَادِ.^١
- ٩ الامام الصادق «ع» : قَالَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» : [اِنَّ] التَّفَكُّرَ يَدْعُو اِلَى الْبِرِّ وَالْعَمَلِ بِهِ.^٢
- ١٠ الامام علي «ع» : طُوْلُ الْفِكْرِ يُحْمِدُ الْعَوَاقِبَ، وَيَسْتَدْرِكُ فِسَادَ الْأُمُورِ.^٣
- ١١ الامام علي «ع» : مَنْ فَكَّرَ قَبْلَ الْعَمَلِ ، كَثُرَ صَوَابُهُ.^٤
- ١٢ الامام علي «ع» : مَنْ أَسْهَرَ عَيْنَ فِكْرَتِهِ، بَلَغَ كُنْهَ هِمَّتِهِ.^٥
- ١٣ الامام علي «ع» : لَا عِبَادَةَ كَالْتَفَكُّرِ فِي صَنْعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.^٦
- ١٤ الامام العسكري «ع» : لَيْسَتْ الْعِبَادَةُ كَثْرَةَ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ، وَإِنَّمَا الْعِبَادَةُ كَثْرَةُ التَّفَكُّرِ فِي أَمْرِ اللَّهِ.^٧
- ١٥ النبي «ص» : يَا أَبَاذَرٍّ! رَكَعَتَانِ مُقْتَصِدَتَانِ فِي [الـ] تَفَكُّرٍ، خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ وَالْقَلْبُ سَاهٍ.^٨
- ١٦ النبي «ص» - زَيْدُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ «ص» : «رَكَعَتَانِ خَفِيفَتَانِ فِي [الـ] تَفَكُّرٍ، خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ».^٩

١ - غرر الحكم / ٢٧٧.

٢ - الكافي / ٢ / ٥٥.

٣ و ٤ - غرر الحكم / ٢٠٨ و ٢٧٧.

٥ - غرر الحكم / ٢٨٨.

٦ - امالي الطوسي / ١ / ١٤٥.

٧ - تحف العقول / ٣٤٢.

٨ - مكارم الاخلاق / ٥٤٧.

٩ - نواب الاعمال / ٦٨.

١٧ الامام الصادق «ع» : كان أكثر عبادة ابي ذر - رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ - التَّفَكُّرُ والاعتبار. وفي خبر ابي ذر، قال رسولُ الله «ص» : «على العاقلِ أن يكونَ له ثلاثُ ساعات: ساعةٌ يُناجِي فيها رَبَّهُ عزَّ وجلَّ؛ وساعةٌ يُحاسبُ فيها نفسه؛ وساعةٌ يَتَفَكَّرُ فيما صَنَعَ اللهُ عزَّ وجلَّ إليه؛ وساعةٌ يَخْلُو فيها بِحَظِّ نفسه مِنَ الحَلالِ».^١

١٨ الامام علي «ع» - في وصيَّة للحسين : اي بُنَيَّ ! الفِكْرَةُ تُورِثُ نوراً، والغَفْلَةُ ظُلْمَةٌ ..^٢

١٩ الامام علي «ع» : لا عِلْمَ كالتَّفَكُّرِ.^٣

٢٠ الامام علي «ع» : فَضْلُ فِكْرٍ وَتَفْهَمٍ ، أَنْجَعُ مِنْ فَضْلِ تَكَرُّارٍ وَدِرَاسَةٍ.^٤

١- البحار ٧١ / ٣٢٣. الظاهر ان كلمة «ساعة» زائدة في المرة الثالثة من الناسخين، فكانت العبارة في الأصل هكذا «... وساعة يحاسب .. ويتفكر» .. ويمكن ان يقال ان اللفظ كان في الأصل «اربع ساعات». ويُؤيِّدُه ما رواه الشيخ ابو محمد ابنُ شُعبة الحَرَّانِي، عن الامام موسى بن جعفر الكاظم «ع»، وشيخنا العلامة المجلسي، عن الامام ابي الحسن علي بن موسى الرضا «ع»: واللفظ من البحار: «اجتهدوا أن يكونَ زمانُكم اربعَ ساعات : ساعةٌ للهٍ لمناجاته؛ وساعةٌ لأمر المعاش؛ وساعةٌ لمعاشرة الإخوانِ الثقات، والذين يُعرِّفونكم عيوبكم ويُخلصون لكم في الباطن؛ وساعةٌ تَخْلُون فيها لِلذَّاتِكم . وبهذه السَّاعة تَقْدِرُونَ على الثَّلاثِ ساعات» - (تحف العقول / ٣٠٢، البحار ٧٢ / ٣٤٤).

٢ - تحف العقول / ٦٥.

٣ - نهج البلاغة / ١١٣٩؛ عبده ٣ / ١٧٧.

٤ - غرر الحكم / ٢٢٧.

الفصل الخامس

التوجيه الاستذكارى

الكتاب

- ١ وهذا صراطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا، قد فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ *^١
- ٢ وما ذرأاً لَكُمْ فى الأَرْضِ، مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ، إِنَّ فى ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ *^٢
- ٣ .. أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فىهِ مَنْ تَذَكَّرَ، وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ؟ *^٣
- ٤ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا *^٤
- ٥ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ، فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ؟ *^٥

١ - سورة الانعام (٦): ١٢٦.

٢ - سورة النحل (١٦): ١٣.

٣ - سورة فاطر (٣٥): ٣٧.

٤ - سورة الفرقان (٢٥): ٧٣.

٥ - سورة القمر (٥٤): ٤٠.

الفصل السادس

الجهالة والجهل

الكتاب

- ١ ولا تكونوا كالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ *^١
- ٢ قَالَ: يَانُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ، إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ، فَلَا تَسْأَلَنَّ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالَ: رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ، وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ *^٢
- ٣ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً؛ قَالُوا: أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا؟ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ *^٣
- ٤ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ * وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ *^٤

١ - سورة الانفال (٨): ٢١ - ٢٢.

٢ - سورة هود (١١): ٤٦ - ٤٧.

٣ - سورة البقرة (٢): ٦٧.

٤ - سورة الحج (٢٢): ٣ و ٨.

الحديث

- ١ النبي «ص»: العِلْمُ رَأْسُ الْخَيْرِ كُلِّهِ، وَالْجَهْلُ رَأْسُ الشَّرِّ كُلِّهِ.^١
- ٢ الامام الرضا «ع»: صَدِيقُ كُلِّ امْرِئٍ عَقْلُهُ، وَعَدُوُّهُ جَهْلُهُ.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: الْجَهْلُ مَوْتُ.^٣
- ٤ الامام علي «ع»: الْجَهْلُ أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ.^٤
- ٥ الامام علي «ع»: الْجَهْلُ أَدْوَأُ الدَّاءِ.^٥
- ٦ الامام علي «ع»: الْجَهْلُ فِي الْإِنْسَانِ أَضْرُّ مِنَ الْآكِلَةِ فِي الْأَبْدَانِ.^٦
- ٧ الامام علي «ع»: الْجَهْلُ يُزِلُّ الْقَدَمَ.^٧
- ٨ الامام علي «ع»: لَوْ أَنَّ الْعِبَادَ حِينَ جَهَلُوا وَقَفُوا، لَمْ يَكْفُرُوا وَلَمْ يَضَلُّوا.^٨
- ٩ الامام علي «ع»: مَنْ جَهَلَ وَجْهَ الْآرَاءِ أَعْيَتْهُ الْحِيلُ.^٩
- ١٠ الامام الجواد «ع»: مَنْ لَمْ يَعْرِفِ الْمَوَارِدَ أَعْيَتْهُ الْمَصَادِرُ.^{١٠}
- ١١ الامام علي «ع»: لَا تَرَى الْجَاهِلَ إِلَّا مَفْرَطًا أَوْ مُفْرَطًا.^{١١}

١ - البحار ٧٧ / ١٧٥.

٢ - الكافي ١ / ١١.

٣ - غرر الحكم / ١٢.

٤ و ٥ - غرر الحكم / ٢٠.

٦ و ٧ - غرر الحكم / ٤٣ و ٣٢.

٨ و ٩ - غرر الحكم / ٢٦١ و ٢٦٧.

١٠ - البحار ٧٨ / ٣٦٤، عن رسالة «الدُّرَّةُ الْبَاهِرَةُ»، للشَّهِيدِ الْأَوَّلِ.

١١ - نهج البلاغة / ١١١٦: عبدة ٣ / ١٦٥.

١٢ الامام علي «ع» : ابن آدم أشبهُ شيءٍ بالمِعيار، إمّا ناقِصٌ بجهل، أو راجِحٌ بعلم.^١

١٣ الامام علي «ع» : الجهلُ بالفضائلِ من أقبحِ الرذائلِ.^٢

١٤ الامام الصادق «ع» : الجهلُ صورةٌ رُكِّبَتْ في بني آدم، إقبالُها ظلمةٌ وإدبارُها نورٌ. والعبْدُ مُتَقَلِّبٌ مَعَهَا كَتَقَلِّبِ الظِّلَّ مَعَ الشَّمْسِ. ألا تَرَى إلى الإنسان، تارةً تَجِدُهُ جاهِلاً بِخِصالِ نفسه، حامداً لها، عارفاً بعيبيها في غيره ساخطاً. وتارةً تَجِدُهُ عالماً بِطِباعِهِ، ساخطاً لها، حامداً لها في غيره. فهو مُتَقَلِّبٌ بَيْنَ العِصْمَةِ والخِذلانِ، فَإِنِ قابَلَتْهُ العِصْمَةُ أَصابَ، وَإِنِ قابَلَهُ الخِذلانُ أَخْطَأَ. ومفتاحُ الجهلِ الرِّضا والاعتقادُ به. ومفتاحُ العلمِ الاستبدالُ مع إصابةِ مُوافَقَةِ التَّوفيقِ. وأدنى صِفَةِ الجاهلِ دَعَواهُ العِلْمَ بلا اسْتِحْقادِ، واطِسطُهُ جهلُهُ بالجهلِ، وأقصاهُ جُحُودُهُ العِلْمَ. وليسَ شيءٌ إثباتُهُ حَقِيقَةٌ نَفِيهِ إِلَّا الجَهْلُ والدُّنيا والحرصُ؛ فالكلُّ منهم كواحد، والواحدُ منهم كالكلِّ.^٣

١٥ الامام علي «ع» : كَفَى بِالمرءِ جَهلاً أَنْ يَجْهَلَ عُيُوبَ نَفْسِهِ.^٤

١٦ الامام علي «ع» : كَفَى بِالمرءِ غِباوَةً أَنْ يَنْظُرَ مِنْ عُيُوبِ النّاسِ إلى ما خَفِيَ عَلَيْهِ مِنْ عُيُوبِهِ.^٥

١٧ الامام علي «ع» : دَعِ القَوْلَ فيما لا تَعْرِفُ، وَالخِطابَ فيما لَمْ تُكَلِّفْ.^٦

١ - تحف العقول / ١٥٠

٢ - غرر الحكم / ٥٣.

٣ - البحار / ١ / ٩٣.

٤ و ٥ - غرر الحكم / ٢٤٣.

٦ - نهج البلاغة / ٩١٠؛ عبده ٣ / ٤٤.

الفصل السادس : الجهالة والجهل

١٨ الامام الصادق «ع» : العاملُ على غيرِ بصيرةٍ كالسائرِ على غيرِ طريقٍ، فلا تَزِيدُهُ سرعةُ السَّيرِ إلاَّ بُعداً^١.

الفصل السابع

فهم الدين وادراكه

الكتاب

- ١ وما كان المؤمنون لينفروا كافةً، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفةً، ليتفقهوا في الدين، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم، لعلهم يحذرون؟ *^١

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: أيها الناس! لاخير في دين لا تفقه فيه..^٢
- ٢ الامام علي «ع»: المتعبد على غير فقه كجمار الطاحونة، يدور ولا يبرح..^٣
- ٣ الامام الصادق «ع»: لو أتيت بشاب من شباب الشيعة لا يتفقه، لأدبته..^٤

١ - سورة التوبة (٩): ١٢٢.

٢ - البحار ٧٠ / ٣٠٧، عن «المحاسن».

٣ - الاختصاص / ٢٣٨.

٤ - البحار ١ / ٢١٤، عن «المحاسن».

٤ الامام الصادق «ع» : لَيْتَ السَّيَاطُ عَلَى رُؤُوسِ أَصْحَابِي حَتَّى يَتَفَقَّهُوا فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ.^١

٥ الامام الكاظم «ع» : تَفَقَّهُوا فِي دِينِ اللَّهِ، فَإِنَّ الْفِقْهَ مِفْتَاحُ الْبَصِيرَةِ، وَتَمَامُ الْعِبَادَةِ، وَالسَّبَبُ إِلَى الْمَنَازِلِ الرَّفِيعَةِ، وَالرُّتَبِ الْجَلِيلَةِ، فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا. وَفَضْلُ الْفَقِيهِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الشَّمْسِ عَلَى الْكَوَاكِبِ. وَمَنْ لَمْ يَتَفَقَّهُ فِي دِينِهِ لَمْ يَرْضَ اللَّهُ لَهُ عَمَلًا.^٢

الفات نظر

إِنَّ كَلِمَةَ «الْفَقِيهِ»، لَيْسَتْ مُسْتَعْمَلَةً فِي السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ بِالْمَعْنَى الْمَصْطَلِحِ. فَالْفَقِيهِ فِي الْمَصْطَلِحِ يُطْلَقُ عَلَى مَنْ يَعْلَمُ عِلْمَ الْفِقْهِ الْإِصْطِلَاحِيِّ بِصُورَةٍ اجْتِهَادِيَّةٍ. وَلَكِنَّ الْكَلِمَةَ كَانَتْ تُسْتَعْمَلُ فِي الْإِحَادِيثِ وَالتَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ، بِمَعْنَى الْعَالِمِ بِجَمِيعِ مَسَائِلِ الدِّينِ وَالْعَارِفِ بِهَا، وَالْحَاسِبِ نَفْسَهُ عَلَى الْعَمَلِ بِمَقْتَضَاهَا، مِنْ عَقَائِدٍ وَأَخْلَاقٍ وَأَحْكَامٍ. وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى: كَانَتْ الْكَلِمَةُ تُسْتَعْمَلُ فِي مَنْ عَرَفَ الدِّينَ وَتَفَقَّهُ فِيهِ بِجَمِيعِ أَعْيَانِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْحُكْمِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْمَجْتَمَعِ وَالتَّرْبِيَةِ وَالْإِخْلَاقِ، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِنِجْمِ النَّفْسِ وَإِدَارَةِ الْمَجْتَمَعِ وَبِالْقَضَاءِ وَالْحَقُوقِ وَمَا يُمْتُّ بِالْحَرَكَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْأَتِّجَاهَاتِ التَّغْيِيرِيَّةِ، مَعَ كَوْنِهِ نُمُودَجًا عَمَلِيًّا لِمَا تَفْرُضُ عَلَيْهِ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ الْوَاسِعَةُ.

وحيثُ إِنَّ الْعَالَمَ الْبَشَرِيَّ وَالْحَيَاةَ الْإِنْسَانِيَّةَ قَدْ تَحَوَّلَا مُنْذَهُرٍ، وَاسْتَجَدَّتْ لِلْإِنْسَانِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ مَسَائِلُ كَثِيرَةٌ وَمَفَاهِيمٌ حَدِيثَةٌ حَوْلَ

١ - البحار ١ / ٢١٣، عن «المحاسن»: الكافي ١ / ٣١.

٢ - تحف العقول / ٣٠٢ - ٣٠٣.

الحياةِ واساليبها ومايرتبطُ بها، أضحى الاطلاعُ على الاسلام
بجميع مبانيه و قوانينه، التي ترتبطُ بالانسانِ والحياةِ والعالمِ
البشريِّ الفسيحِ ، غير مُتيسِّرٍ لفرد. فلاجل ذلك يجبُ في عالمنا
المعاصر، أن تصدَّى لجانِّ عالمةٍ واعيةٍ وفرقُ اخصائيةٍ (و مُجبةٍ
للانسانِ و عارفةٍ بالحياةِ و منطقتها الحديث)، لاكتشافِ تلك
المسائلِ واستنباطها و تبينها والاجابةِ عليها، كمايراهها الاسلام.

الفصل الثامن

ضرورة تعميم المعرفة

الكتاب

- ١ وما أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ*^١
- ٢ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ، وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ، وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ*^٢
- ٣ قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ..^٣
- ٤ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ: أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ*^٤
- ٥ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ*^٥

١ - سورة سبأ (٣٤): ٢٨.

٢ - سورة المائدة (٥): ١٥ - ١٦.

٣ - سورة الطلاق (٦٥): ١٠ - ١١.

٤ - سورة ابراهيم (١٤): ٥.

٥ - سورة الجاثية (٤٥): ٢٠.

الحديث

- ١ النبي «ص»: أَرْبَعَةٌ تَلْزَمُ كُلَّ ذِي حِجْبٍ وَعَقْلٍ مِنْ أُمَّتِي. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هُنَّ؟ قَالَ: اسْتِمَاعُ الْعِلْمِ، وَحِفْظُهُ، وَنَشْرُهُ، وَالْعَمَلُ بِهِ.^١
- ٢ النبي «ص»: مَنْ نَشَرَ عِلْمًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرٍ مَنْ عَمِلَ بِهِ.^٢
- ٣ النبي «ص»: تَصَدَّقُوا عَلَى أَخِيكُمْ بِعِلْمٍ يُرْشِدُهُ، وَرَأْيٍ يُسَدِّدُهُ.^٣
- ٤ النبي «ص»: يَا عَلِيُّ! ثَلَاثٌ مِنْ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ: الْإِنْفَاقُ مِنَ الْإِقْتَارِ، وَإِنصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، وَبَدَلُ الْعِلْمِ لِلْمُتَعَلِّمِ.^٤
- ٥ النبي «ص»: مَنْ كَتَمَ عِلْمًا نَافِعًا، أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ.^٥
- ٦ الامام علي «ع»: ضَادُّوا الْجَهْلَ بِالْعِلْمِ.^٦
- ٧ الامام الجواد «ع»: .. الْعُلَمَاءُ فِي أَنْفُسِهِمْ خَانَةٌ إِنْ كَتَمُوا النَّصِيحَةَ، إِنْ رَأَوْا تَائِهًا ضَالًّا لَا يَهْدُونَهُ، أَوْ مَيِّتًا لَا يُحْيُونَهُ، فَبِئْسَ مَا يَصْنَعُونَ، لِأَنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أَخَذَ عَلَيْهِمِ الْمِيثَاقَ فِي الْكِتَابِ، أَنْ يَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَبِمَا أُمِرُوا بِهِ، وَأَنْ يَنْهَوْا عَمَّا نُهُوا عَنْهُ، وَأَنْ يَتَّعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلَا يَتَّعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ..^٧

١ - تحف العقول / ٤٦.

٢ - المستدرک ٣ / ١٨٥.

٣ - عُدَّة الدَّاعِي / ٦٣.

٤ - الخِصَال ١ / ١٢٥.

٥ - البحار ٢ / ٧٨، عن «غوالي اللئالي».

٦ - غرر الحكم / ٢٠٥.

٧ - الكافي ٨ / ٥٤.

الفصل الثامن : ضرورة تعميم المعرفة

- ٨ الامام علي «ع» : ما أخذ الله ميثاقاً من أهل الجهل بطلب تبيين العلم، حتى أخذ ميثاقاً من أهل العلم ببيان العلم للجّهال، لأنّ العلم قبل الجهل.^١
- ٩ الامام الصادق «ع» - في قوله تعالى: «مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» .. : مِمَّا عَلَّمْنَاهُمْ يَبْتُونَ.^٢
- ١٠ الامام الباقر «ع» : إِنْ الَّذِي تَعَلَّمَ الْعِلْمَ مِنْكُمْ، لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الَّذِي يُعَلِّمُهُ، وَلَهُ الْفَضْلُ عَلَيْهِ. تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ مِنْ حَمَلَةِ الْعِلْمِ، وَعَلَّمُوا إِخْوَانَكُمْ كَمَا عَلَّمَكُمُ الْعُلَمَاءُ.^٣
- ١١ الامام الصادق «ع» : أَكْتُبُ وَبُثُّ عِلْمِكَ فِي إِخْوَانِكَ، فَإِنْ مِتَّ فَأُورِثُ كُتُبَكَ بَنِيكَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ هَرَجٍ لَا يَأْنِسُونَ فِيهِ إِلَّا بِكُتُبِهِمْ.^٤
- ١٢ الامام الصادق «ع» : لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ؛ وَزَكَاةُ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمَهُ أَهْلَهُ.^٥
- ١٣ الامام الصادق «ع» : عَلَى كُلِّ جِزَاءٍ مِنْ أَجْزَائِكَ زَكَاةٌ وَاجِبَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .. وَزَكَاةُ اللِّسَانِ النُّصْحُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَالتَّيَقُّظُ لِلْغَافِلِينَ ..^٦
- ١٤ الامام علي «ع» : تَزَاوَرُوا وَتَذَاكَرُوا الْحَدِيثَ، إِنْ لَا تَفَعَلُوا يَدْرُسُ.^٧
- ١٥ الامام الصادق «ع» : تَزَاوَرُوا، فَإِنَّ فِي زِيَارَتِكُمْ إِحْيَاءً لِقُلُوبِكُمْ، وَذِكْرًا لِأَحَادِيثِنَا. وَأَحَادِيثُنَا تُعْطَفُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَإِنْ أَخَذْتُمْ بِهَا رَشِدْتُمْ

١ - البحار ٢ / ٢٣ : راجع ايضاً: «الكافي» ١ / ٤١ .

٢ - البحار ٧٠ / ٢٦٧ .

٣ - بصائر الدرجات / ٤ .

٤ - الوسائل ١٨ / ٥٦ .

٥ - عدة الداعي / ٦٣ .

٦ - البحار ٩٦ / ٧ .

٧ - المستدرک ٣ / ١٨٢ .

وَنَجَوْتُمْ، وَإِنْ تَرَكْتُمُوهَا ضَلَلْتُمْ وَهَلَكْتُمْ؛ فَخُذُوا بِهَا وَأَنَا بِنَجَاتِكُمْ زَعِيمٌ.^١

١٦ الامام الرضا «ع»: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا. (قال راوي الحديث:) فقلتُ له: وكيف يُحيي أمركم؟ قال: يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ، فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَا تَبْعُونَا..^٢

١٧ الامام الجواد «ع» - عبدُ العَظِيمِ الحَسَنِي عنه: مُلَاقَاةُ الإِخْوَانِ يُسْرَةٌ، وَتَلْقِيحٌ لِلْعَقْلِ، وَإِنْ كَانَ نَزْرًا قَلِيلًا.^٣

١٨ الامام الباقر «ع»: تَزَاوَرُوا فِي بَيْوتِكُمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ حَيَاةٌ لَأَمْرِنَا..^٤

١ - الوسائل ١٨ / ٦١.

٢ - معاني الأخبار ١ / ١٧٤.

٣ - امالي الطوسي ١ / ٩٣.

٤ - الخصال ١ / ٢٢.

الفصل التاسع

النّافع من البصائر والعلوم

الكتاب

- ١ وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ *^١
- ٢ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ..^٢
- ٣ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ *^٣
- ٤ هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ، وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ *^٤
- ٥ أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ، كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا؟ كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ *^٥

الحديث

-
- ١ - سورة الحج (٢٢): ٢٤.
 - ٢ - سورة الزُّمَر (٣٩): ١٨.
 - ٣ - سورة الاعراف (٧): ٢٠٣.
 - ٤ - سورة الجاثية (٤٥): ٢٠.
 - ٥ - سورة الانعام (٤): ١٢٢.

- ١ الامام علي «ع» : - في صفة المتقين ... وَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ^١.
- ٢ الامام علي «ع» : عَلَّمُوا صِبْيَانَكُمْ، مَا يَنْفَعُهُمْ اللَّهُ بِهِ، لَا تَغْلِبْ عَلَيْهِمُ الْمُرْجِيَّةُ بِرَأْيِهَا^٢.
- ٣ الامام علي «ع» : .. فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ^٣.
- ٤ الامام الباقر «ع» : أُغْدُ عَالِمًا خَيْرًا، وَتَعَلَّمْ خَيْرًا^٤.
- ٥ الامام الكاظم «ع» : أَوْلَى الْعِلْمِ بِكَ مَا لَا يَصْلُحُ لَكَ الْعَمَلُ الْآبِ بِهِ. وَأَوْجِبُ الْعَمَلَ عَلَيْكَ مَا أَنْتَ مَسْئُولٌ عَنِ الْعَمَلِ بِهِ. وَالزُّمُّ الْعِلْمِ لَكَ مَا دَلَّكَ عَلَى صِلَاحِ قَلْبِكَ وَأَظْهَرَ لَكَ فِسَادَهُ. وَأَحْمَدُ الْعِلْمِ عَاقِبَةٌ مَا زَادَ فِي عِلْمِكَ الْعَاجِلُ؛ فَلَا تَشْتَغَلَنَّ بِعِلْمٍ مَا لَا يَضُرُّكَ جَهْلُهُ، وَلَا تَغْفُلَنَّ عَنْ عِلْمٍ مَا يَزِيدُ فِي جَهْلِكَ تَرْكُهُ^٥.
- ٦ الامام الباقر «ع» : مَنْ عَلَّمَ بَابَ هُدًى كَانَ لَهُ أَجْرٌ مِنْ عَمَلٍ بِهِ، وَلَا يَنْقُصُ أَوْلِيكَ مِنْ أَجْوَرِهِمْ^٦.
- ٧ الامام الكاظم «ع» : وَجَدْتُ عِلْمَ النَّاسِ فِي أَرْبَعٍ : أَوْلَاهَا أَنْ تَعْرِفَ رَبَّكَ، وَالثَّانِيَةُ أَنْ تَعْرِفَ مَا صَنَعَ بِكَ، وَالثَّلَاثَةُ أَنْ تَعْرِفَ مَا أَرَادَ مِنْكَ، وَالرَّابِعَةُ أَنْ

١ - نهج البلاغه / ٦١٢ : عبده ٢ / ١٨٥ .

٢ - الخصال / ٦١٤ .

٣ - نهج البلاغه / ٩١٠ : عبده ٣ / ٤٥ .

٤ - البحار ١ / ١٩٤ . عن «المحاسن» .

٥ - البحار ٧٨ / ٣٣٣ .

٦ - البحار ٢ / ١٩٩ . عن «المحاسن» .

تَعْرِفَ مَا يُخْرِجُكَ مِنْ دِينِكَ.^١

٨ الامام علي «ع» : كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ.^٢

٩ الامام علي «ع» : عَلَيْكُمْ بَطَاعَةٌ مَنْ لَا تُعْذِرُونَ بِجَهَالَتِهِ.^٣

١٠ الامام الصادق «ع» : أَحْسِنُوا النَّظَرَ فِيمَا لَا يَسْعُكُمْ جَهْلُهُ، وَأَنْصَحُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَجَاهِدُوهَا فِي طَلَبِ مَعْرِفَةٍ مَا لَا عُذْرَ لَكُمْ فِي جَهْلِهِ، فَإِنَّ لِدِينِ اللَّهِ أَرْكَانًا لَا يَنْفَعُ مَنْ جَهَلَهَا شِدَّةُ اجْتِهَادِهِ فِي طَلَبِ ظَاهِرِ عِبَادَتِهِ، وَلَا يَضُرُّ مَنْ عَرَفَهَا فَدَانَ بِهَا حُسْنَ إِقْتِصَادِهِ. وَلَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِعَوْنِ مَنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.^٤

الفات نظر

يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ إِشَارَاتُ هَذَا التَّعْلِيمِ الصَّادِقِيِّ نَازِرَةً إِلَى «الْحَيَاةِ الْقَلْبِيَّةِ» و«الْمُنَاجَاةِ الْفِكْرِيَّةِ»، الَّتِي لَا تَتَحَقَّقُ الْفَائِدَةُ الْمُنَشُودَةُ مِنْ «الْعِبَادَاتِ الْقَالْبِيَّةِ» إِلَّا بِهَا. وَمِنَ الْمُحْتَمَلِ الْقَوِيِّ أَنْ تَكُونَ رَامِيَةً إِلَى غَرَضٍ آخَرَ؛ وَهُوَ التَّأَكِيدُ عَلَى ضَرُورَةِ مَعْرِفَةِ «الْمُرَبِّيِ الْإِلَهِيِّ»، مِنَ النَّبِيِّ أَوِ الْوَصِيِّ، وَاحْتِزَابِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ مِنْهُمَا، حَتَّى تَقَعَ الْعِبَادَةُ مُوَافِقَةً لِمُرَادِ اللَّهِ تَعَالَى، مَرْضِيَّةً عِنْدَهُ. وَلَعَلَّ كَلِمَةَ «الْأَرْكَانِ» تُؤَكِّدُ هَذَا الْمَعْنَى تَأَكِيدًا.

١١ الامام علي «ع» : الْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحَاطَ بِهِ، فَخُذُوا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ أَحْسَنَهُ.^٥

١ - كشف الغمّة ٢ / ٢٥٥ - ٢٥٦.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٨٤؛ عبده ٣ / ٢٥٤.

٣ - نهج البلاغة / ١١٦٤؛ عبده ٣ / ١٩١.

٤ - البحار ١ / ٢٠٩، عن «كنز الفوائد».

٥ - غرر الحكم / ٤٢.

- ١٢ الامام علي «ع» : حَسْبُ الْمَرْءِ مِنْ كَمَالِ الْمُرُوءَةِ تَرْكُهُ مَا لَا يَجْمَلُ بِهِ، وَمِنْ عِرْفَانِهِ عِلْمُهُ بِزَمَانِهِ..^١
- ١٣ الامام علي «ع» : لَيْسَ الْعَاقِلُ مَنْ يَعْرِفُ الْخَيْرَ مِنَ الشَّرِّ، وَلَكِنَّ الْعَاقِلَ مَنْ يَعْرِفُ خَيْرَ الشَّرِّينَ.^٢
- ١٤ الامام علي «ع» - سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» : أَيُّ النَّاسِ أَكْبَسُ؟ قَالَ: مَنْ أَبْصَرَ رُشْدَهُ مِنْ غَيِّهِ، فَمَالَ إِلَى رُشْدِهِ.^٣

١ - البحار ٧٨ / ٨٠.

٢ - البحار ٧٨ / ٦، عن «مطالب السؤل».

٣ - امالي الصدوق / ٣٥٣.

الفصلُ العاشرُ

نفي الهوس العلمي

الكتاب

- ١ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي هُوَ الْحَدِيثِ، لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ..^١
- ٢ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ، وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا، يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِينَ بِبَابِلَ، هَارُوتَ وَمَارُوتَ، وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ، فَلَا تَكْفُرْ، فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهَا مَا يَفْرَقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرءِ وَزَوْجِهِ .. وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ..^٢

الحديث

- ١ النبي «ص» - قال الامام الكاظم «ع»: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ الْمَسْجِدَ، فِإِذَا جَمَاعَةٌ قَدْ أَطَافُوا بِرَجُلٍ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟ فَقِيلَ: عَلَّامَةٌ. فَقَالَ: وَمَا الْعَلَّامَةُ؟

١ - سورة لقمان (٣١): ٦.

٢ - سورة البقرة (٢): ١٠٢.

فقالوا له: أَعَلِمَ النَّاسَ بِأَنْسَابِ الْعَرَبِ وَوَقَائِعِهَا وَأَيَّامِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْأَشْعَارِ الْعَرَبِيَّةِ. قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ «ص»: ذَاكَ عِلْمٌ لَا يَضُرُّ مَنْ جَهَلَهُ وَلَا يَنْفَعُ مَنْ عَلِمَهُ. ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ «ص»: إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ، أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ، أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ؛ وَمَا خَلَاهُنَّ فَهُوَ فَضْلٌ.^١

٢ الامام علي «ع»: الفِكرُ في غيرِ الحكمةِ هوسٌ.^٢

٣ الامام الصادق «ع»: ذَكَرْتُ يَا مُفَضَّلُ! فِيمَا أُعْطِيَ الْإِنْسَانَ عِلْمَهُ وَمَا مُنِعَ، فَإِنَّهُ أُعْطِيَ عِلْمَ جَمِيعِ مَا فِيهِ صَلَاحُ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ. فَمِمَّا فِيهِ صَلَاحُ دِينِهِ مَعْرِفَةُ الْخَالِقِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِالذَّلَائِلِ وَالشُّوَاهِدِ الْقَائِمَةِ فِي الْخَلْقِ، وَمَعْرِفَةُ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ مِنَ الْعَدْلِ عَلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَبِرِّ الْوَالِدِينَ، وَأَدَاءِ الْإِمَانَةِ، وَمُوَاسَاةِ أَهْلِ الْخِلَّةِ، وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِمَّا قَدْ تَوَجَّدَ مَعْرِفَتُهُ وَالْإِقْرَارُ وَالْاعْتِرَافُ بِهِ فِي الطَّبْعِ وَالْفِطْرَةِ، مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مُوَافِقَةٍ أَوْ مُخَالِفَةٍ. وَكَذَلِكَ أُعْطِيَ عِلْمَ مَا فِيهِ صَلَاحُ دُنْيَاهُ كَالزَّرَاعَةِ، وَالغِرَاسِ، وَاسْتِخْرَاجِ الْأَرْضِينَ، وَاقْتِنَاءِ الْأَغْنَامِ، وَالْأَنْعَامِ، وَاسْتِنْبَاطِ الْمِيَاهِ، وَمَعْرِفَةِ الْعَقَاقِيرِ الَّتِي يُسْتَشْفَى بِهَا مِنَ ضُرُوبِ الْأَسْقَامِ، وَالْمَعَادِنِ الَّتِي يُسْتَخْرَجُ مِنْهَا أَنْوَاعُ الْجَوَاهِرِ، وَرُكُوبِ السُّفُنِ وَالغَوْصِ فِي الْبَحْرِ، وَضُرُوبِ الْحَيْلِ فِي صَيْدِ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ وَالْحَيْتَانِ، وَالتَّصَرُّفِ فِي الصَّنَاعَاتِ، وَوُجُوهِ الْمَتَاجِرِ وَالْمَكَاسِبِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَطُولُ شَرْحُهُ وَيَكْثُرُ تَعْدَادُهُ، مِمَّا فِيهِ صَلَاحُ أَمْرِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ. فَأُعْطِيَ عِلْمَ مَا يَصْلِحُ بِهِ دِينُهُ وَدُنْيَاهُ، وَمُنِعَ مَا سِوَى ذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ فِي شَأْنِهِ وَلَا طَاقَتَهُ أَنْ يَعْلَمَ، كَعِلْمِ الْغَيْبِ وَمَا هُوَ كَائِنٌ وَبَعْضُ مَا قَدْ كَانَ.. فَانظُرْ كَيْفَ أُعْطِيَ الْإِنْسَانُ عِلْمَ جَمِيعِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ لِدِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَحُجِبَ عَنْهُ مَا

١ - الكافي ١ / ٣٢.

٢ - غرر الحكم / ٢٨.

سوى ذلك، ليعرف قدره ونقصه. وكلا الأمرين فيهما صلاحه.
تأمل الآن يا مفضل! ما ستر عن الانسان علمه من مدة حياته، فإنه لو
عرف مقدار عمره وكان قصير العمر، لم يتهنأ بالعيش مع ترقب الموت
وتوقعه لوقت قد عرفه، بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله أو قارب الفناء،
فقد استشعر الفقر والوجل من فناء ماله وخوف الفقر.. ومن أيقن بفناء
العمر استحكم عليه اليأس، وإن كان طويل العمر..

الفصلُ الحادي عشر

الانسان ومعارفه المحدودة

الكتاب

- ١ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ؟ قُلْ: الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي، وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا*^١
- ٢ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ، وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ، كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ؟*^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: مَنْ ادَّعَى مِنَ الْعِلْمِ غَايَتَهُ، فَقَدْ أَظْهَرَ مِنَ الْجَهْلِ نَهَائَتَهُ.^٣
- ٢ الامام علي «ع»: غَايَةُ الْعَقْلِ، الْاعْتِرَافُ بِالْجَهْلِ.^٤

١ - سورة الاسراء (١٧) : ٨٥.

٢ - سورة يونس (١٠) : ٣٩.

٣ - غرر الحكم / ٣٠٠.

٤ - غرر الحكم / ٢٢٢.

٣ الامام علي «ع»: .. فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي .. فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ، فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ جاهلاً ثم عَلَّمْتَ. وما أكثر ما تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ، وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ، وَيَضِلُّ فِيهِ بَصْرُكَ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ.^١

* يجب أن نعلم أن الإسلام، بالإضافة إلى كونه قدسًا الطريق لمعرفة الكون وكشف حقائق الحياة، فإنه قد دعا أيضاً إلى اكتساب تلك المعرفة وحث عليها، كما جاء في كثير من التعاليم القرآنية والحديثية. ولأجل ذلك قد أعطى الله الإنسان أدوات الملاحظة والكشف، كما يقول تعالى: «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»^٢.

راجع بهذا الصدد: الفصل الخامس عشر، من هذا الباب ايضاً.

١ - نهج البلاغة / ٩١٧؛ عبده ٣ / ٤٩.

٢ - سورة النحل (١٦) : ٧٨.

الفصل الثاني عشر

محدودية الحسّ وضرورة المعرفة العقلية

الكتاب

- ١ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ..^١
- ٢ .. وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ، لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *^٢

* لم يَكْتَفِ الخالقُ الحكيم - سبحانه و تعالى - بجعلِ السَّمْعِ والبصرِ للانسان، بل جعلَ له الفؤادَ ايضاً حتى يتعقّلَ به وَيَعِيَ المعارفَ العقليةَ، وَيَخْرُجَ مِنْ إِطَارِ الحسِّ الضيّقِ، الى أجواءِ التعقّلِ وعوالمِهِ الشّاسعةِ المَدَى.

الحديث

١ - سورة الروم (٣٠) : ٧.
٢ - سورة النحل (١٦) : ٧٨.

الفصل الثاني عشر: محدودية الحس وضرورة المعرفة العقلية

١ الامام علي «ع»: ليست الرؤية مع الإبصار، فقد تكذبُ العيون أهلها، ولا يَغشُ العقلُ من استنصحه^١.

٢ الامام الصادق «ع» - قال الديصاني للصادق «ع»: .. قد علمت أننا لا نقبلُ إلا ما أدركناه بأبصارنا، أو سمعناه بأذاننا، أو ذُقناه بأفواهنا، أو شمّمناه بأنوفنا، أو لمسناه ببشرتنا. فقال ابو عبدالله «ع»: ذكرت الحواس الخمس وهي لا تنفع في الاستنباط إلا بدليل، كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح^٢.

٣ الامام الصادق «ع» - في حديث الإهليلجة^٣.. أما إذا أبيت إلا الجهالة، وزعمت أن الأشياء لا تدرك إلا بالحواس، فإني أخبرك أنه ليس للحواس دلالة على الأشياء، ولا فيها معرفة إلا بالقلب، فإنه دليلها ومعرفها الأشياء التي تدعي أن القلب لا يعرفها إلا بها .. إنك تعلم أنه ربما ذهبت الحواس أو بعضها، ودبر القلب للأشياء التي فيها المصرة والمنفعة، من الأمور العلانية والخفية، فأمر بها ونهى، فنفذ فيها أمره، وصح فيها قضاؤه .. ألسنت تعلم أن القلب يبقى بعد ذهاب الحواس ..^٤

٤ الامام الصادق «ع»: .. أخبرني هل تحدث نفسك من تجارة أو صناعة أو بناء أو تقدير شيء وتأمر به إذا أحكمت تقديره في ظنك؟ قال: نعم. قلت: فهل أشركت قلبك في ذلك الفكر شيئاً من حواسك؟ قال: لا. قلت: أفلا تعلم أن الذي أخبرك به قلبك حق؟ قال: اليقين هو..^٥

١ - نهج البلاغة / ١٢٢٣؛ عبده ٣ / ٢٢١.

٢ - الارشاد، للشيخ المفيد / ٢٨١.

٣ - انما سمي هذا الحديث بهذا الاسم لان الاهليلجة ذكرت فيه. وهو رسالة تشتمل على مناظرة توحيدية جرت بين الامام ابي عبدالله جعفر الصادق «ع» والطبيب الهندي. ثم ان الامام كتب المناظرة الى تلميذه المفضل بن عمر الجعفي.

٤ - البحار ٦١ / ٥٥.

٥ - البحار ٦١ / ٦٢.

الفصل الثالث عشر

المعرفة، كيفيتها ومراتبها

الكتاب

- ١ وَيَجْعَلُ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ..^١
- ٢ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٌ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ، فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ * أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ *^٢
- ٣ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ، لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ..^٣
- ٤ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا، وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ *^٤

١ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٨ .

٢ - سورة النور (٢٤) : ٣٩ - ٤٠ .

٣ - سورة الطلاق (٦٥) : ١١ .

٤ - سورة الانعام (٦) : ١٠٤ .

الحديث

- ١ الامام الرضا «ع» - عن النبي «ص»: العلمُ امامُ العملِ.^١
- ٢ الامام علي «ع»: العلمُ مقرونٌ بالعملِ، فمنَ عَلمَ عَمِلَ. والعلمُ يَهْتَفُ بالعملِ فإن أجابَهُ والّا ارتحلَ عنه.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: ما عَلمَ منَ لم يَعْمَلْ بعلمِهِ.^٣
- ٤ الامام علي «ع»: العلمُ رُشدٌ لِمَن عَمِلَ به.^٤
- ٥ الامام علي «ع»: العلمُ يُرشدُكَ وَالْعَمَلُ يَبْلُغُ بِكَ الغَايَةَ.^٥
- ٦ الامام علي «ع»: لا تَسْتَرشدُ إلى الحَزْمِ بغيرِ دليلِ العقلِ، فَتُخْطِئُ منهاجَ الرَّأْيِ، فإنَّ أَفضَلَ العقلِ معرفةُ الحقِّ بِنَفْسِهِ، وأفضَلَ العلمِ وقوفُ الرجلِ عندَ علمِهِ..^٦
- ٧ الامام علي «ع»: رَبُّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ، وَعِلْمُهُ مَعَهُ لا يَنْفَعُهُ.^٧
- ٨ النسبي «ص»: العلمُ عِلْمَان: عِلْمٌ على اللِّسانِ، فَذلك حِجَّةُ علي ابنِ آدم. وَعِلْمٌ في القلبِ، فَذلك العلمُ النافعُ.^٨

١ - عدة الداعي / ٦٤.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٥٦؛ عبده ٣ / ٢٣٩.

٣ - غرر الحكم / ٣٠٨.

٤ - غرر الحكم / ٢٨.

٥ - غرر الحكم / ٥٣.

٦ - البحار ٧٨ / ٧، عن «مطالب السؤول».

٧ - نهج البلاغة / ١١٣٥؛ عبده ٣ / ١٧٥.

٨ - البحار ٢ / ٣٣، عن «غوالي اللثالي».

- ٩ الامام الصادق «ع» : الناس ثلاثة: جاهلٌ يأبى أن يتعلم، وعالمٌ قد شفه علمه، وعاقِلٌ يعملُ لِدُنْيَاهِ وَأَخْرِيَتِهِ.^١
- ١٠ الامام العسكري «ع» : قال محمد بن علي الباقر «ع» : العالمُ كَمَنْ مَعَهُ شَمْعَةٌ تُضِيءُ لِلنَّاسِ، فَكُلُّ مَنْ أَبْصَرَ شَمْعَتَهُ دَعَا لَهُ بِخَيْرٍ. كَذَلِكَ الْعَالِمُ مَعَ شَمْعَةٍ، تُزِيلُ ظُلْمَةَ الْجَهْلِ وَالْحَيْرَةَ..^٢
- ١١ الامام علي «ع» : .. رَأْسُ الْعِلْمِ التَّوَاضُعُ، وَبَصْرُهُ الْبَرَاءَةُ مِنَ الْحَسَدِ، وَ.. عَقْلُهُ مَعْرِفَةُ أَسْبَابِ الْأُمُورِ. وَمِنْ ثَمَرَاتِهِ التَّقْوَى، وَاجْتِنَابُ الْهَوَى .. وَمُجَانِبَةُ الذُّنُوبِ، وَمَوَدَّةُ الْإِخْوَانِ، وَالِاسْتِمَاعُ مِنَ الْعُلَمَاءِ .. وَاسْتِقْبَاحُ مُقَارَفَةِ الْبَاطِلِ، وَاسْتِحْسَانُ مَتَابَعَةِ الْحَقِّ، وَقَوْلُ الصِّدْقِ، وَالتَّجَافِي عَنْ سُرُورِ فِي غَفْلَةٍ، وَعَنْ فَعْلِ مَا يُعَقِّبُ نَدَامَةً. وَالْعِلْمُ يَزِيدُ الْعَاقِلَ عَقْلًا، وَيُورِثُ مُتَعَلِّمَهُ صِفَاتِ حَمْدٍ .. وَيَقْمَعُ الْحَرَصَ، وَيَخْلَعُ الْمَكْرَ، وَيُمِيتُ الْبُخْلَ، وَيَجْعَلُ مُطْلَقَ الْوَحْشِ مَأْسُورًا، وَبَعِيدَ السَّدَادِ قَرِيبًا.^٣
- ١٢ الامام علي «ع» : قَدْ أَحْيَا عَقْلَهُ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ، وَلَطْفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرَقِ، فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ، وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ الْإِبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ، وَدَارِ الْإِقَامَةِ، وَثَبَّتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةٍ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ، بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ.^٤
- ١٣ الامام علي «ع» : إِطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ، وَحُسْنِ

١ - تحف العقول / ٢٣٩.

٢ - البحار ٢ / ٤٠٤ عن «تفسير الامام العسكري» (وهو التفسير المنسوب الى الامام ابي محمد الحسن العسكري «ع»).

٣ - البحار ٧٨ / ٦٠٤ عن «مطالب السؤل».

٤ - نهج البلاغة / ٦٩٢: عبده ٢ / ٢٢٩.

اليقين.^١

- ١٤ الامام الباقر «ع»: لا نورَ كنورِ اليقين.^٢
- ١٥ الامام علي «ع»: مَنْ لَمْ يُوقِنْ قَلْبُهُ، لَمْ يُطْعَهُ عَمَلُهُ.^٣
- ١٦ الامام علي «ع»: .. خَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ.^٤
- ١٧ الامام علي «ع»: أَلَا! إِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ. أَلَا! إِنْ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكَيرَ وَقَبْلَهُ.^٥

١ - نهج البلاغة / ٩٣٥: عبده ٣ / ٦١ - ٦٢.

٢ - تحف العقول / ٢٠٨.

٣ - غرر الحكم / ٢٩٤.

٤ - نهج البلاغة ٩٣١: عبده ٣ / ٥٩.

٥ - نهج البلاغة / ٣١١: عبده ١ / ٢٠١.

الفصلُ الرَّابِعُ عشر

المعرفة، المقياس الصّحيح

الكتاب

١ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى؟ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ
أُولُو الْأَلْبَابِ * ١

الفات نظر

لقد توفّرتِ التعاليمُ الإسلاميّة، القرآنيّة والحديثيّة، على
جوهرية العلم والمعرفة، بحيثُ عدّت الإنسانَ الجاهلَ أعمى،
وجعلت المعرفة مقياساً صادقاً لتقييم الشيء وترجيحه.
وكذلك عدّت النظرة السطحيّة إلى الأشياء تافهةً، واعتدّت بما
للأشياء من القيمة في سوق العلم .

الحديث

١ - سورة الرعد (١٣): ١٩.

١ الامام الصادق «ع»: يا مُفضَّل! .. فَاعْتَبِرْ بِمَا تَرَى مِنْ ضُرُوبِ الْمَآرِبِ، فِي صَغِيرِ الْخَلْقِ وَكَبِيرِهِ، وَبِمَا لَهُ قِيَمَةٌ وَمَا لَا قِيَمَةَ لَهُ .. وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ مَنْزِلَةُ الشَّيْءِ عَلَى حَسَبِ قِيَمَتِهِ، بَلْ هُمَا قِيَمَتَانِ مُخْتَلِفَتَانِ بِسُوقَيْنِ. وَرُبَّمَا كَانَ الْخَسِيسُ فِي سُوقِ الْمَكْتَسِبِ، نَفِيسًا فِي سُوقِ الْعِلْمِ. فَلَا تَسْتَصْغِرِ الْعَبْرَةَ فِي الشَّيْءِ لِصِغَرِ قِيَمَتِهِ. فَلَوْ فَطَنُوا طَالِبُوا الْكِيمِيَا لِمَا فِي الْعَذْرَةِ لَأَشْتَرَوْهَا بِأَنْفُسِ الْأَثْمَانِ وَغَالُوا بِهَا.^١

٢ الامام الكاظم «ع»: يَا هِشَامُ! تَعَلَّمْ مِنَ الْعِلْمِ مَا جَهِلْتُمْ، وَعَلِّمِ الْجَاهِلَ مِمَّا عَلِمْتَ. عَظُمَ الْعَالِمُ لِعِلْمِهِ، وَدَعَّ مَنَازَعَتَهُ؛ وَصَغُرَ الْجَاهِلُ لِجَهْلِهِ، وَلَا تَطْرُدُهُ وَلَكِنْ قَرِّبُهُ وَعَلِّمُهُ.^٢

١ - البحار ٣ / ١٣٦.

٢ - تحف العقول / ٢٩٠.

الفصل الخامس عشر

منهج اكتساب المعرفة والعلم

الكتاب

- ١ أولم يروا كيف يُبدئُ اللهُ الخلقَ ثم يُعيدُه؟ إنَّ ذلكَ على اللهِ يسيرٌ * قُلْ :
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ؟ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ،
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *^١
- ٢ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا، وَمَا هِيَ مِنْ فُرُوجٍ؟ *
وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا، وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ؟ *
تَبَصَّرَةٌ وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ * وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ
وَحَبًّا الْحَصِيدِ * وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ * رِزْقًا لِلْعِبَادِ، وَأَحْيَيْنَا بِهِ
بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ *^٢
- ٣ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ؟ * وَإِلَى
الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ؟ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ؟ *^٣
- ٤ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ، فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا؟

١ - سورة العنكبوت (٢٩) : ١٩ - ٢٠.

٢ - سورة ق (٥٠) : ٦ - ١١.

٣ - سورة الفاشية (٨٨) : ١٧ - ٢٠.

- فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ * ١
- ٥ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلُوكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ، وَسَخَّرَ لَكُمْ الْإِنهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ، وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * ٢
- ٦ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ، مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلَّوَامِنَهُ لِحِمَا طَرِيبًا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا، وَتَرَى الْفُلُوكَ مَوَاجِرَ فِيهِ، وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ، وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَايِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ، وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا، لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟ * وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا، إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ، وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * ٣
- ٧ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ، قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ، فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا، نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا، وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ، وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ، وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ، مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ، انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * ٤

١ - سورة الحج (٢٢): ٤٦.

٢ - سورة ابراهيم (١٤): ٣٢ - ٣٣

٣ - سورة النحل (١٦): ١٣ - ٢١.

٤ - سورة الانعام (٦): ٩٧ - ٩٩.

٨ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ، آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ * وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ . آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعَدَ اللَّهُ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ؟ *^١

٩ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، يَمْشُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ *^٢

١٠ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ، إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ : رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، قَالَ : أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ، قَالَ إِبْرَاهِيمُ : فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ ! فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *^٣

١١ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ، لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا، مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ، فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ؟ *^٤

١٢ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ ، وَالْقُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ، وَوَمَسِكَ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بَازِنَةً؟ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ * وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ، ثُمَّ يُحْيِيكُمْ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ *^٥

١٣ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا *^٦

١ - سورة الجاثية (٤٥) : ٣ - ٦ .

٢ - سورة يوسف (١٢) : ١٠٥ .

٣ - سورة البقرة (٢) : ٢٥٨ .

٤ - سورة الملوك (٦٧) : ١ - ٣ .

٥ - سورة الحج (٢٢) : ٦٥ - ٦٦ .

٦ - سورة الكهف (١٨) : ٥٤ .

الفات نظر

هذا هو المنهج الذي رَسَمَهُ القرآنُ الكريمُ لكسبِ العلم، وطلبِ المعرفةِ وتكاملِ العقل، فُيْلِفَتْ العقولُ إلى التعمُّقِ في الكائناتِ من أرضيِّ وسماويِّ، نباتيِّ ومعدنيِّ، حيوانيِّ وإنسانيِّ. ثمَّ يَبْسُطُ الأمرَ في الحقائقِ الإنسانيَّةِ إلى الأحوالِ الروحيَّةِ والجسميَّةِ، والفرديةِ والاجتماعيَّةِ، والحاضرةِ والتاريخيَّةِ، وغير ذلك من النواميسِ الثابتةِ في التاريخِ والمجتمعاتِ البشريَّةِ، فيدعو إلى النظرِ في كلِّ ذلك بما أنَّها أعيانٌ خارجيَّةٌ، وحقائقٌ ملموسةٌ، ومظاهرٌ ساكنةٌ ناطقةٌ.

وبهذا المنهجِ القويمِ الحيِّ يُثِيرُ العقولَ وَيَشْحَذُ الأذهانَ وَيَشْرَحُ الصُّدُورَ. ولا يُرى في ذلك المنهجِ أيُّ رُكونٍ إلى البرهنةِ الذهنيةِ المُجردةِ من التجربةِ العينيةِ، كما فعله كثيرٌ من الفلاسفةِ القُدماءِ وكثيرٌ من فلاسفةِ الإسلامِ تَبَعاً لهم.

ومن هنا رَفَضَ القرآنُ الكريمُ ذلك الأسلوبَ التقليديَّ القائمَ على الذهنيَّاتِ الصُّرفةِ، وجاءَ بمنهجٍ خاصٍ، ومنطقيٍّ تجريبيٍّ كَشَّافٍ، وأسلوبٍ موقِّظٍ هادٍ، ومنهاجٍ خطيرٍ حيِّ كحياةِ الكونِ، وجارٍ كجريانِ الأنهارِ، ونابضٍ كما تَبْضُ الحياةُ.

وعلى هذا النهجِ تَسِيرُ تعاليمُ السُّنَّةِ والحديثِ كما يلي نموذجٍ منها، فراجع القرآنَ الكريمَ في ذلك المقصدِ المهمِّ وتأمَّلْهُ آيةً آيةً، ثمَّ راجِعِ السُّنَّةَ النبويَّةَ والحديثَ وأبوابَ المناظراتِ التي وَقَعَتْ من النبيِّ «ص» والأئمةِ «ع» مع أصحابِ المذاهبِ والأديانِ، في الخلقِ والتوحيدِ والفطرةِ والآياتِ الكونيَّةِ، وما تجدهُ في شرحِ الطبيعةِ ومظاهرها في كتبِ الحديثِ، وما جاءَ في طبيعياتِ «نهجِ البلاغةِ» وفي «توحيدِ المفضلِّ» و«حديثِ الإهليلجةِ» وغير ذلك.

الحديث

١ الامام علي «ع» - في صفة عَجِيبِ خَلْقِ أَصْنَافٍ مِنَ الْحَيَوَانَ: .. وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ. وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةَ، وَالْبَصَائِرَ مَدْخُولَةَ. أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ، كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ، وَاتَّقَنَ تَرْكِيبَهُ، وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ، وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشْرَ؟

أَنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا، وَلِطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلِحْظِ الْبَصَرِ وَلَا بِمُسْتَدْرِكِ الْفِكْرِ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا، وَصَبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا، تَنْقُلُ الْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا، تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا، وَفِي وَرْدِهَا لِصَدْرِهَا، مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا، مَرْزُوقَةٌ بِوَفْقِهَا، لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَانُ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدِّيَانُ، وَلَوْ فِي الصِّفَا الْيَابِسِ، وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ؛ وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا، وَفِي عُلوِّهَا وَسُفْلِهَا، وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَّاسِيفِ بَطْنِهَا، وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا، لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَبًا، وَلَقَيْتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَبًا؛ فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا، لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ، وَلَمْ يُعْنَهُ عَلَى خَلْقِهَا قَادِرٌ. وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ، لَدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ. وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ، وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ، وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ، فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ ١

٢ الامام علي «ع» - فِي خِلْقَةِ السَّمَاءِ وَالْكَوْنِ: .. وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ، وَالرِّيَّاحُ وَالْمَاءُ، فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ، وَالْمَاءِ

والحجر، واختلاف هذا الليل والنهار، وتفجر هذه البحار، وكثرة هذه الجبال، وطول هذه القلال، وتفرق هذه اللغات، والألسن المختلفة؛ فالويل لمن أنكر المقدر، وجحد المدبر. زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع، ولا لإختلاف صورهم صانع. ولم يلجأوا إلى حجة فيما ادعوا، ولا تحقيق لما ادعوا؛ وهل يكون بناء من غير بان، أو جناية من غير جان^١.

٣ الامام علي «ع» - في مختلف صور الأطيوار: .. فأقام من شواهد البيئات على لطيف صنعه، وعظيم قدرته، ما أنقادت له العقول معترفةً به، ومسلمةً له، ونعقت في أسماعنا دلائله على وحدانيته. وما ذراً من مختلف صور الأطيوار التي أسكنها أخاديد الأرض، وخروق فجاجها ورواسي أعلامها، من ذات أجنحة مختلفة، وهيئات متباينة، مصرفة في زمام التسخير، ومرفرفة بأجنيحتها في مخارِق الجو المنفسح، والفضاء المنفرج؛ كونها بعد إذ لم تكن، في عجائب صور ظاهرة^٢.

٤ الامام علي «ع» - في عجب خلق الطاووس: .. ومن أعجبها خلقاً، الطاووس الذي أقامه في أحكم تعديل، ونضد ألوانه في أحسن تنضيد، بجناح أشرج قصبه وذنب أطال مسحبه .. يختال بألوانه، ويميس بزيفانه .. أحيلك من ذلك على معاينة^٣.

٥ الامام علي «ع» - في بديع خلقه الخفاش: .. ومن لطائف صنعه، وعجائب حكمته، ما أرانا من غوامض الحكمة في هذه الخفافيش التي يقبضها الضياء الباسط لكل شيء ويبسطها الظلام القابض لكل حي. وكيف عشيبت أعينها عن أن تستمد من الشمس المضيئة نوراً تهتدي به في

١ - نهج البلاغة ٧٣٧: عبده ٢ / ١٤٠ - ١٤١.

٢ و ٣ - نهج البلاغة / ٥٣٠ - ٥٣٢: عبده ٢ / ٨٦ - ٨٨.

مذاهبها، وتصل بعلائية برهان الشمس الى معارفها. وردعها بتلاؤ ضيائها عن المضي في سُبُحات إشراقها، وأكَّنْها في مَكانِها عن الذَّهابِ في بَلَجِ اثْتِلاقِها، فَهِيَ مُسَدِّلةُ الجُفونِ بالنَّهارِ على أَحْداقِها، وجاعِلَةٌ اللّيلِ سِراجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ في التِّماسِ أرْزاقِها، فلا يَرُدُّ أبصارها إِسْدافُ ظِلْمَتِهِ، ولا تَمْتَنِعُ مِنَ المِضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجْنَتِهِ؛ فإذا أَلْقَتِ الشَّمْسُ قِناعَها، وَبَدَتْ أَوْضاحُ نَهارِها، ودَخَلَ مِنَ إِشراقِ نورِها على الضُّبابِ في وِجارِها، أَطْبَقَتِ الأَجْفانَ على ما قَبِها، وَتَبَلَّغَتْ بِما اِكْتَسَبَتْهُ مِنَ المَعاشِ في ظُلْمِ لَيالِها. فَسُبْحانَ مَنْ جَعَلَ اللّيلَ لَها نَهاراً وَمَعاشاً، والنَّهارَ سَكاناً وَقَراراً، وَجَعَلَ لَها أَجِنِحَةً مِنَ لَحْمِها تَعْرُجُ بِها عَندَ الحَاجَةِ الى الطَّيرانِ، كَأَنَّها شَظايا الآذانِ غَيرَ ذواتِ ريشٍ ولا قَصبِ، إِلاَّ أَنَّكَ تَرى مَواضِعَ العُروقِ بَينَهُ أَعلاماً؛ لَها جَناحانِ لَم يَرِقا فَيَنشَقَّا، وَلَم يَغْلُظا فَيَثُقُلَا. تَطيرُ وَوَلَدُها لا صِقُ بِها، لا جِيءُ إِلَيها، يَقَعُ إِذا وَقَعَتْ، وَيَرْتَفِعُ إِذا ارْتَفَعَتْ، لا يُفارِقُها حَتّى تَشَدَّ أركانُه، وَيَحْمِلُهُ لِلنَّهوضِ جَناحُه، وَيَعْرِفُ مَذاهِبَ عَيشِهِ وَمَصالِحَ نَفْسِهِ. فَسُبْحانَ البارِئِ لِكلِّ شَيءٍ على غَيرِ مِثالٍ خَلا مِنَ غَيرِهِ ..^١

٦ الامام الصادق «ع»: يا مفضل! تأمل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة، هل تجد فيها نقصاً عما فيه صلاحها؟ فمن اين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة؟ إلا من التدبير القائم في صغير الخلق وكبيره.

أنظر الى النمل واحتشادها في جمع القوت وإعداده، فإنك ترى الجماعة منها إذا نقلت الحب الى زبيتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره، بل للنمل في ذلك من الجِدِّ والتَّشميرِ ما لَيْسَ لِلناسِ مثله. أما تراهم يتعاونون على النقل كما يتعاونون الناس على العمل؟ ثم

الفصل الخامس عشر: منهج اكتساب المعرفة والعلم

يَعْمِدُونَ إِلَى الْحَبِّ فَيَقْطَعُونَهُ قِطْعًا، لِكَيْلَا يَنْبُتَ فَيَفْسُدَ عَلَيْهِمْ. فَإِنْ أَصَابَهُ
نَدَى أَخْرَجُوهُ فَنَشَرُوهُ حَتَّى يَجِفَّ. ثُمَّ لَا يَتَّخِذُ النَّمْلُ الزُّبَيْبَةَ إِلَّا فِي نَشْرٍ مِنَ
الْأَرْضِ، كَيْ لَا يَفِيضَ السَّيْلُ فَيُغْرِقَهَا. فَكُلُّ هَذَا مِنْهُ بِلَا عَقْلِ وَلَا رُؤْيَا، بَلْ
خَلَقَهُ خُلِقَ عَلَيْهَا لِمَصْلَحَةٍ، لُطْفًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.^١

الفصل السادس عشر

المنطلق الصحيح للمعرفة

الكتاب

- ١ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *^١
- ٢ قالوا: سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا، إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ *^٢
- ٣ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ..^٣

الحديث

- ١ النبی «ص»: یا ابن مسعود! مَنْ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ يُرِيدُ بِهِ الدُّنْيَا وَآثَرَ عَلَيْهِ حُبَّ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا، اسْتَوْجَبَ سُخْطَ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَكَانَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ، مَعَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، الَّذِينَ نَبَذُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

١ - سورة البقرة (٢): ٢٨٢.

٢ - سورة البقرة (٢): ٣٢.

٣ - سورة العنكبوت (٢٩): ٦٩.

- «فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ»^٢.
- ٢ الامام علي «ع»: .. اَيَّاكُمْ أَنْ تَطْلُبُوهُ لِخِصَالٍ أَرْبَعٍ: لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، أَوْ تُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ تُرَاوُوا بِهِ فِي الْمَجَالِسِ، أَوْ تَصْرِفُوا بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكُمْ لِلتَّرْوُسِ.^٣
- ٣ الامام الصادق «ع»: مَنْ تَعَلَّمَ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا، وَعَمِلَ لِلَّهِ، وَعَلَّمَ لِلَّهِ، دُعِيَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ عَظِيمًا؛ وَقِيلَ: تَعَلَّمَ لِلَّهِ، وَعَمِلَ لِلَّهِ، وَعَلَّمَ لِلَّهِ.^٤
- ٤ الامام علي «ع»: .. يَتَعَلَّمُ لِلتَّفَقُّهِ وَالسَّدَادِ.^٥

* ولعلَّ آيةَ البقرة وآيةَ المجاهدةِ وامثالهما، تُشيرُ الى علمِ السِّرِّ والباطنِ وطريقِ كسبه، وهو التَّقْوَى والمجاهدة . ولقد جاء في بعضِ ما روي عن الامامِ الصَّادِقِ «ع» قوله: «... اجْتَهِدْ فِي تَعَلُّمِ عِلْمِ السِّرِّ، فَإِنَّ بَرَكَتَهُ كَثِيرَةٌ .. وَمَنْ تَعَلَّمَ عِلْمَ الْعِلَانِيَةِ وَتَرَكَ عِلْمَ السِّرِّ يَهْلِكُ وَلَا يَسْعَدُ ..». وليس مجالنا هذا مُعدًّا لهذا الكلام .

١ - سورة البقرة (٢) : ٨٩.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٢٨.

٣ - الارشاد / ١١١.

٤ - امالي الطوسي ١ / ٤٤.

٥ - الكافي ٨ / ١٧٢.

الفصل السابع عشر

المعرفة واعماقها الوجدانية

الكتاب

- ١ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول، ترى أعينهم تفيض من الدمع، مما عرفوا من الحق، يقولون: ربنا آمنّا فاكْتَبْنَا مَعَ الشّاهِدِينَ *^١
- ٢ إنّ في ذلك لذكرى، لمن كان له قلب، أو ألقى السّمع، وهو شهيد *^٢
- ٣ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربّه؟ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبِهِمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، أولئك في ضلالٍ مُّبِينٍ *^٣
- ٤ أفلم يسيروا في الأرض، فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها، أو آذانٌ يسمعون بها، فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور *^٤
- ٥ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربّه، فأعرض عنها، ونسي ما قدّمت يدها، إنّنا جعلنا على قلوبهم أكنةً أنّ يفقهوه وفي آذانهم وقراً، وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذا أبداً *^٥

١ - سورة المائدة (٥) : ٨٣.

٢ - سورة ق (٥٠) : ٣٧.

٣ - سورة الزمر (٣٩) : ٢٢.

٤ - سورة الحج (٢٢) : ٤٦.

٥ - سورة الكهف (١٨) : ٥٧.

٦ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ، أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ، وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ، أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ*^١

٧ قَالَتِ الْأَعْرَابُ: آمَنَّا، قُلْ: لَمْ تَوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا: أَسْلَمْنَا، وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ، وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ*^٢

الحديث

١ النبي «ص»: العلمُ علمان: علمٌ على اللسان، فذلك حُجَّةٌ على ابنِ آدم؛ وعلمٌ في القلب، فذلك العلمُ النافع.^٣

٢ النبي «ص»: عَوَّدُوا قُلُوبَكُمْ الرَّقَّةَ، وَكَثَرُوا التَّفَكُّرُ.^٤

٣ الامام علي «ع»: مَنْ شَرَفَتْ نَفْسُهُ، كَثُرَتْ عَوَاطِفُهُ. مَنْ كَثُرَتْ عَوَاطِفُهُ، كَثُرَتْ مَعَارِفُهُ.^٥

١ - سورة المجادلة (٥٨) : ٢٢.

٢ - سورة الحجرات (٤٩) : ١٤.

٣ - البحار ٢ / ٣٣، عن «غوالي اللثالي».

٤ - البحار ٧٣ / ٨١، عن «كنز الفوائد».

٥ - غرر الحكم ٢٧٣.

- ٤ الامام الصادق «ع» : .. مَوْضِعُ الْعَقْلِ الدَّمَاغِ، وَالْقَسْوَةُ وَالرَّقَّةُ فِي الْقَلْبِ.^١
- ٥ الامام الباقر «ع» : .. وَأَسْتَجِلِبُ نَوْرَ الْقَلْبِ بِدَوَامِ الْحُزْنِ.^٢
- ٦ الامام الباقر «ع» : الْإِيْمَانُ ثَابِتٌ فِي الْقَلْبِ. وَالْيَقِيْنُ خَطَرَاتٌ، فَيُمِرُّ الْيَقِيْنُ بِالْقَلْبِ فَيَصِيْرُ كَأَنَّهُ زُبْرُ الْحَدِيدِ، وَيَخْرُجُ مِنْهُ فَيَصِيْرُ كَأَنَّهُ خِرْقَةٌ بِالْيَةِ.^٣
- ٧ الامام الصادق «ع» : إِزَالَةُ الْجِبَالِ أَهْوَنُ مِنْ إِزَالَةِ قَلْبٍ عَنْ مَوْضِعِهِ.^٤
- ٨ الامام الصادق «ع» : إَعْلَمْ يَا فُلَانُ! إِنَّ مَنزَلَةَ الْقَلْبِ مِنَ الْجَسَدِ، بِمَنزَلَةِ الْإِمَامِ مِنَ النَّاسِ الْوَاجِبِ الطَّاعَةَ عَلَيْهِمْ. أَلَا تَرَى أَنَّ جَمِيْعَ جَوَارِحِ الْجَسَدِ شَرْطٌ لِلْقَلْبِ وَتَرَاجِمَةٌ لَهُ، مُؤَدِّيَةٌ عَنْهُ..^٥
- ٩ الامام الكاظم «ع» : يَا هِشَامُ! إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي كِتَابِهِ: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ»^٦، يَعْنِي عَقْلٌ..^٧
- ١٠ الامام الباقر «ع» : .. لَا فِقْرَ كَفَقْرِ الْقَلْبِ.^٨
- ١١ الامام السجاد «ع» : .. أَشْعِرُ قَلْبِي الْإِزْدِجَارَ عَنْ قَبَائِحِ السَّيِّئَاتِ، وَفَوَاضِحِ الْحَوْبَاتِ.^٩

١ - تحف العقول / ٢٧٣.

٢ - تحف العقول / ٢٠٧.

٣ - البحار ٧٨ / ١٨٥ - ١٨٦.

٤ - تحف العقول / ٢٤٣.

٥ - علل الشرايع ١ / ١٠٣.

٦ - سورة ق (٥٠) : ٣٧.

٧ - الكافي ١ / ١٦.

٨ - تحف العقول / ٢٠٨.

٩ - الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ / ٣٤٩ (الدَّعَاءُ ٤٧).

- ١٢ الامام السجاد «ع»: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! وَفَرِّغْ قَلْبِي لِمَحَبَّتِكَ.. وَقَوِّهِ بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ.^١
- ١٣ الامام السجاد «ع»: .. وَاجْعَلْ هَوَايَ عِنْدَكَ ..^٢
- ١٤ الامام السجاد «ع»: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! .. وَأَشِعِّرْ قَلْبِي تَقْوَاكَ، وَاسْتَعْمِلْ بَدَنِي فِيمَا تَقْبَلُهُ مِنِّي، وَأَشْغَلْ بِطَاعَتِكَ نَفْسِي عَنْ كُلِّ مَا يَرِدُ عَلَيَّ حَتَّى لَا أَحِبَّ شَيْئًا مِنْ سُخْطِكَ، وَلَا أَسْخَطَ شَيْئًا مِنْ رِضَاكَ.. وَأَشْغَلْهُ (قَلْبِي) بِذِكْرِكَ، وَأَنْعَشْهُ بِخَوْفِكَ وَبِالْوَجَلِ مِنْكَ .. وَأَمِلْهُ إِلَى طَاعَتِكَ، وَاجْرِ بِهِ فِي أَحَبِّ السُّبُلِ إِلَيْكَ، وَذَلِّلْهُ بِالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَكَ أَيَّامَ حَيَاتِي كُلِّهَا.^٣
- ١٥ الامام السجاد «ع»: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! وَارْزُقْنِي الرَّغْبَةَ فِي الْعَمَلِ لَكَ لِآخِرَتِي حَتَّى أَعْرِفَ صِدْقَ ذَلِكَ مِنْ قَلْبِي، وَحَتَّى يَكُونَ الْغَالِبُ عَلَيَّ الزُّهْدُ فِي دُنْيَايَ، وَحَتَّى أَعْمَلَ الْحَسَنَاتِ شَوْقًا، وَأَمِّنَ مِنَ السَّيِّئَاتِ فَرَقًا وَخَوْفًا؛ وَهَبْ لِي نُورًا أَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ وَأَهْتَدِي بِهِ فِي الظُّلُمَاتِ، وَأُسْتَضِيءُ بِهِ مِنَ الشُّكِّ وَالشُّبُهَاتِ.^٤
- ١٦ الامام الباقر «ع»: .. أَيَّاكَ وَالْغَفْلَةَ! [ف]فِيهَا تَكُونُ قِسَاوَةُ الْقَلْبِ ..^٥
- ١٧ الامام الصادق «ع»: .. كَثْرَةُ النَّوْمِ يَتَوَلَّدُ مِنْ كَثْرَةِ الشَّرَابِ، وَكَثْرَةُ الشَّرَابِ يَتَوَلَّدُ مِنْ كَثْرَةِ الشُّبُعِ. وَهُمَا يُثْقِلَانِ النَّفْسَ عَنِ الطَّاعَةِ، وَيُقْسِيَانِ الْقَلْبَ عَنِ التَّفَكُّرِ وَالْخُشُوعِ.^٦

١ - الصحيفة السجادية / ١٤٦ (الدعاء ٢١).

٢ - الصحيفة السجادية / ١٤٩ (الدعاء ٢٢).

٣ - الصحيفة السجادية ١٤٥ - ١٤٦ (الدعاء ٢١).

٤ - الصحيفة السجادية / ١٥١ (الدعاء ٢٢).

٥ - تحف العقول / ٢٠٧.

٦ - البحار ٧٦ / ١٨٩.

١٨ الامام علي «ع» : لا تَرْتَابُوا فَتَشْكُوا .. ولا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتُدْهِنُوا، ولا تُدَاهِنُوا فِي الْحَقِّ فَتَخْسَرُوا!.. وَأَسْأَلُوا اللَّهَ الْيَقِينَ، وَأَرْغَبُوا إِلَيْهِ فِي الْعَافِيَةِ! وخَيْرُ مَا دَارَ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ ١.

١٩ النسي «ص» : شَرُّ الْعَمَى عَمَى الْقَلْبِ. ٢.

٢٠ الامام الباقر «ع» : الْقَلُوبُ ثَلَاثَةٌ: قَلْبٌ مَنكُوسٌ لَا يَعْتُرُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ، وَهُوَ قَلْبُ الْكَافِرِ؛ وَقَلْبٌ فِيهِ نَكْتَةٌ سَوْدَاءٌ فَالْخَيْرُ وَالشَّرُّ فِيهِ يَعْتَلِجَانِ، فَمَا كَانَ مِنْهُ أَقْوَى غَلَبَ عَلَيْهِ؛ وَقَلْبٌ مَفْتُوحٌ، فِيهِ مَصْبَاحٌ يَزْهَرُ وَلَا يَطْفَأُ نُورُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ وَهُوَ قَلْبُ الْمُؤْمِنِ. ٣.

* هذا الحديث يُشير إلى أَنَّ أَرْضِيَّةَ كُلِّ مِنَ الْخَيْرِ (نظراً وعملاً) أو الشَّرِّ (نظراً وعملاً)، إذا كانتْ أَقْوَى فِي الْقَلْبِ وَأَرْسَخَ، تَجْرُهُ إِلَى ذَلِكَ الْجَانِبِ وَتُطَوِّعُهُ لَهُ؛ فَعَلَى هَذَا يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُحَصِّنَ قَلْبَهُ ضِدَّ أَنْ تَظْهَرَ فِيهِ أَسْبَابُ الْفَسَادِ وَفِكْرَةُ الْقَبِيحِ، وَأَنْ يَجْهَدَ لِذَلِكَ كُلَّ الْجَهْدِ؛ وَأَنْ يَعْمَلَ عَلَى أَنْ تَتَرَسَّخَ فِيهِ بَوَاعِثُ الصَّالِحِ وَالْفَضِيلَةِ وَالْخَيْرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنْ يَجْهَدَ لِذَلِكَ كُلَّ الْجَهْدِ، وَأَنْ يَكُونَ مُرَاقِباً يَقْظاً فِي كُلِّ مِنَ الْجَانِبَيْنِ.

١ - البحار ٢ / ٥٤. عن «مجالس المفيد».

٢ - الاختصاص / ٣٣٩.

٣ - البحار ٧٠ / ٥١؛ معاني الاخبار ٢ / ٣٧٦.

الفصلُ الثامنُ عشر

المعرفة في مدارجها المتكاملة

الكتاب

- ١ وَكَذَلِكَ نُرِي اِبْرَاهِيمَ مَلَكَوَتَ السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضِ، وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ *^١
- ٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ، فَلَاتُكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ، وَجَعَلْنَاهُ هَدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ * وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ آئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا، لَمَّا صَبَرُوا، وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ *^٢
- ٣ وَفِي الْاَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ؟ *^٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: خَيْرُ مَا أُلْقِيَ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينُ.^٤

١ - سورة الانعام (٦) : ٧٥.
٢ - سورة السجدة (٣٢) : ٢٣ - ٢٤.
٣ - سورة الذاريات (٥١) : ٢٠ - ٢١.
٤ - البحار ٧٠ / ١٧٣.

- ٢ الامام علي «ع» : .. ما بَرِحَ اللهُ - عَزَّتْ آلاؤُهُ - فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَسْمَانِ الْفَتَرَاتِ، عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ؛ فَاسْتَضَبَحُوا بِنُورِ يَقْظَةٍ فِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ وَالْأَفْئِدَةِ، يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللَّهِ ..^١
- ٣ الامام الباقر «ع» : .. كَفَى بِالْيَقِينِ غِنًى.^٢
- ٤ الامام الباقر «ع» : .. لَا نُورَ كُنُورِ الْيَقِينِ.^٣
- ٥ الامام الصادق «ع» : .. طَلَبْتُ نُورَ الْقَلْبِ، فَوَجَدْتُهُ فِي التَّفَكُّرِ وَالْبُكَاءِ.^٤
- ٦ الامام الباقر «ع» - فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ»^٥، قَالَ: هُمُ الْأَيْمَةُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»: «إِتَّقِ فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ، لِقَوْلِ اللَّهِ: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ».^٦
- ٧ الامام الرضا «ع» - عَنِ آبَائِهِ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ «ص»: «الْمُؤْمِنُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»^٧.
- ٨ الامام علي «ع» : .. قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ، فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ: مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ، مِصْبَاحِ ظُلُمَاتٍ، كَشَافِ عَشَوَاتٍ، مِفْتَاحِ مُبْهَمَاتٍ، دَفَاعِ مَعْضَلَاتٍ، دَلِيلِ فَلَواتٍ، يَقُولُ فَيُفْهِمُ ..^٨

١ - نهج البلاغة / ٧٠٣: عبده ٢ / ٢٣٧.

٢ - الوسائل / ١ / ٦٢.

٣ - تحف العقول / ٢٠٨.

٤ - المستدرک / ٢ / ٣٥٧.

٥ - سورة الحجر (١٥): ٧٥.

٦ - بصائر الدرجات / ٣٥٧.

٧ - البحار ٦٧ / ٧٥، عن «العيون» ٢ / ٢٠٠: وفيه: «ما من مؤمن الا وله فراسة، ينظر بنور الله على قدر

ايمانه...»

٨ - نهج البلاغة / ٢١٠، عبده ١ / ١٥١.

الفصل الثامن عشر: المعرفة في مدارجها المتكاملة

٩ الامام الصادق «ع»: .. إَعْلَمَ أَنَّ الْعَمَلَ الدَّائِمَ الْقَلِيلَ عَلَى الْيَقِينِ، أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَمَلِ الْكَثِيرِ عَلَى غَيْرِ يَقِينٍ.^١

الفصلُ التاسعُ عشر

مظاهر المعرفة المتكاملة

أ - المثابرة والاقدام

الكتاب

- ١ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ، حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ، وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ *^١
- ٢ وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ، فَيُؤْمِنُوا بِهِ، فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *^٢
- ٣ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ، بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ شَدِيدًا، تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ *^٣

١ - سورة الانفال (٨) : ٦٥.

٢ - سورة الحج (٢٢) : ٥٤.

٣ - سورة الحشر (٥٩) : ١٣ - ١٤.

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: مَنْ لَمْ يُوقِنْ قَلْبُهُ، لَمْ يُطْعَهُ عَمَلُهُ.^١
- ٢ الامام علي «ع»: مَنْ يَسْتَيَقِنُ يَعْمَلُ جَاهِدًا.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: .. إِطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ، بَعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ ..^٣
- ٤ الامام الصادق «ع»: مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَلَهُ حَدٌّ. قِيلَ: فَمَا حَدُّ الْيَقِينِ؟ قَالَ: أَنْ لَا تَخَافَ شَيْئًا.^٤
- ٥ الامام علي «ع»: كُنْ مَوْقِنًا، تَكُنْ قَوِيًّا.^٥
- ٦ الامام الصادق «ع»: إِزَالَةُ الْجِبَالِ أَهْوَنُ مِنْ إِزَالَةِ قَلْبٍ عَنْ مَوْضِعِهِ.^٦
- ٧ الامام الصادق «ع»: إِعْمَلْ عَمَلًا مَنْ قَدْ عَايَنَ.^٧
- ٨ الامام علي «ع»: عَلَى قَدْرِ الرَّأْيِ تَكُونُ الْعَزِيمَةُ.^٨
- ٩ النبي «ص»: مَنْ يَعْرِفِ الْبَلَاءَ يَصْبِرُ عَلَيْهِ، وَمَنْ لَا يَعْرِفُهُ يُنْكِرُهُ.^٩
- ١٠ الامام علي «ع»: لَا يَصْبِرُ لِلْحَقِّ إِلَّا مَنْ عَرَفَ فَضْلَهُ.^{١٠}

١ - غرر الحكم / ٢٩٤.

٢ - غرر الحكم / ٢٦٩.

٣ - نهج البلاغة / ٩٣٥: عبده ٣ / ٦١ - ٦٢.

٤ - تحف العقول / ٢٦٦.

٥ - غرر الحكم / ٢٤٥.

٦ - تحف العقول / ٢٦٣.

٧ - مشكاة الانوار / ٤٦.

٨ - غرر الحكم / ٢١٥.

٩ - البحار / ٧١ / ٨٣.

١٠ - غرر الحكم / ٣٤٩.

١١ الامام علي «ع» : لا يَصْبِرُ على مُرِّ الحقِّ الا مَنْ أيقنَ بحلاوةِ عاقبته.^١

١٢ الامام الصادق «ع» : الصبرُ مِنَ اليقين.^٢

ب - التغلب على المشاكل

الكتاب

١ وما لنا أن لا نتوكلَ على الله وقد هدانا سُبُلنا؟ ولنصبرنَّ على ما آذيتُمونا،

وعلى الله فليَتَوَكَّلِ المتوَكِّلون *^٣

٢ قال له موسى : هل اتَّبِعكَ على أن تُعلِّمَنِي مِمَّا علِّمْتَ رُشدًا؟ * قال : إنَّكَ لَن

تَسْتَطِيعَ معيَ صبراً * وكيفَ تصبرُ على ما لم تُحِطْ بِهِ خُبراً؟ *^٤

الحديث

١ الامام علي «ع» : العِلْمُ حِرْزٌ.^٥

١ - غرر الحكم / ٣٥٣.

٢ - مشكاة الانوار / ٢٠.

٣ - سورة ابراهيم (١٤): ١٢.

٤ - سورة الكهف (١٨): ٦٦ - ٦٨.

٥ - غرر الحكم / ١٤.

٢ الامام علي «ع» : تَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ، كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِصِ وَالْبَلَاءِ .. فَانظُرُوا كَيْفَ كَانُوا، حَيْثُ كَانَتْ الْأَمْلاؤُ مُجْتَمِعَةً، وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً، وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَالْأَيْدِي مُتْرَادِفَةً، وَالسِّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً، أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِينَ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ؟ ١..

ج - الانتهاء الى العمل

- ١ الامام علي «ع» : كَمَالُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ ٢.
- ٢ الامام علي «ع» : مَا زَكَّى الْعِلْمُ بِمَثَلِ الْعَمَلِ بِهِ ٣.
- ٣ الامام علي «ع» : غَايَةُ الْعِلْمِ حُسْنُ الْعَمَلِ ٤.
- ٤ الامام علي «ع» : لَنْ يَصْفُو الْعَمَلُ حَتَّى يَصِحَّ الْعِلْمُ ٥.
- ٥ الامام الصادق «ع» - فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ٦»، قَالَ: يَعْمَلُونَ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يُثَابُونَ عَلَيْهِ ٧.

١ - نهج البلاغه / ٨٠٢ : عبده ٢ / ١٧٧.

٢ - غرر الحكم / ٢٤٩.

٣ - غرر الحكم / ٣٠٩.

٤ - غرر الحكم / ٢٢٢.

٥ - غرر الحكم / ٢٥٥.

٦ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٦٠.

٧ - البحار ٧٠ / ١٧٧، عن «المحاسن».

د - اليقظة الاجتماعية

- ١ الامام الصادق «ع» : العالمُ بِزَمَانِهِ لَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ اللَّوَابِسُ.^١
- ٢ الامام علي «ع» : مَنْ قَلَّتْ تَجْرِبَتُهُ خُدِعَ.^٢

هـ - التهيؤ لتهديب النفس

- ١ الامام علي «ع» : إِنْ قُلُوبَ الْجُهَّالِ تَسْتَفِرُّهَا الْأَطْمَاعُ، وَتَرْتَهِنُهَا الْمُنَى، وَتَسْتَعْلِقُهَا الْخَدَائِعُ.^٣
- ٢ الامام علي «ع» : كُلَّمَا زَادَ عِلْمُ الرَّجُلِ زَادَتْ عِنَايَتُهُ بِنَفْسِهِ، وَبَدَلَ فِي رِيَاضَتِهَا وَصَلَاحِهَا جَهْدَهُ.^٤
- ٣ الامام علي «ع» : مَنْ كَمَلَ عَقْلُهُ، اسْتَهَانَ بِالشَّهَوَاتِ.^٥
- ٤ الامام علي «ع» : .. الْعَقْلُ الْكَامِلُ قَاهِرُ الطَّبَعِ السُّوءِ..^٦
- ٥ الامام علي «ع» : الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ، وَالْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ.^٧

١ - تحف العقول / ٢٤١.

٢ - غرر الحكم / ٢٤٨.

٣ - الكافي / ١ / ٢٣.

٤ - غرر الحكم / ٢٤٨.

٥ - غرر الحكم / ٢٧٤.

٦ - البحار ٧٨ / ٦، عن «مطالب السؤل».

٧ - نهج البلاغة / ١٢٨٥ : عبده ٣ / ٢٥٥.

٦ الامام علي «ع»: بالعقل كمال النفس.^١

و- حسن الاداء

١ الامام الصادق «ع» - قيل له: ما البلاغة؟ فقال: مَنْ عَرَفَ شَيْئاً قَلَّ كَلَامُهُ فِيهِ؛
وإِنَّمَا سُمِّيَ الْبَلِيغُ لِأَنَّهُ يُبَلِّغُ^٢ حَاجَتَهُ بِأَهْوَنِ سَعِيهِ.^٣

١ - غرر الحكم / ١٤٨.

٢ - ولضبط هذه الكلمة بصورة «يُبَلِّغُ»، من الفعل المجرّد ايضاً وجه، ولكننا ضَبَطْنَاهَا فِي هَذِهِ الطَّبَعَةِ بصورة المزيد فيه، من باب «أَفْعَلُ»، تبعاً لضبطها في طبعة المُنَقَّحِ الفاضل على اكبر الغفاري.

٣ - تحف العقول / ٢٦٤؛ و ٣٥٩، من الطبعة المذكورة.

الفصلُ العَشرون

المعرفة والعلاقات الانسانية

الكتاب

١ .. تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ *^١

الحديث

١ الامام علي «ع» : .. وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةٌ، وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةٌ.^٢

٢ الامام الرضا «ع» : .. وَالْعِلْمُ أَجْمَعُ لِأَهْلِهِ مِنَ الْآبَاءِ.^٣

* يَتَّضِحُ مِنْ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ وَالْتَعَالِيمِ - الَّتِي جَاءَ نُمُوذَجُ

مِنْهَا - بِصُورَةٍ جَلِيَّةٍ، أَنَّ وَحْدَةَ النَّاسِ الشُّعُورِيَّةَ وَ نَهْضَاتِهِمْ

١ - سورة الحشر (٥٩) : ١٤.

٢ - نهج البلاغة / ٨٠٢ : عبده ٢ / ١٧٧.

٣ - عيون اخبار الرضا ٢ / ١٣١.

الفصل العشرون : المعرفة والعلاقات الانسانية

الاجتماعية، المنسجمة والبناءة، إنما هي رهينة المعرفة والوعي.
وأنَّ العلمَ والوعيَ والبصيرةَ والمعرفة، هي أمورٌ تحفظُ للناسِ
وحدتهم - بل تصنعُها - وتوصلُهم الى غاياتٍ سامية.
ولقد جاء في الفصل السابق ايضاً بعضُ ما يلقي ضوءاً على
هذا الموضوع.

الفصلُ الحادي والعشرون

المعرفة التجريبية

الكتاب

١ أفلم يسيروا في الأرضِ ، فتكون لهم قلوبٌ يعقلون بها، أو آذانٌ يسمعون بها؟ ..^١

* راجع لهذا المقصد: الفصل الخامس عشر، من هذا الباب ايضاً.

الحديث

- ١ النبي «ص»: مَنْ عَمِلَ بِمَا يَعْلَمُ، وَرَثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.^٢
- ٢ الامام علي «ع»: العقلُ غريزةٌ تزيدُ بالعلمِ والتَّجَارِبِ.^٣

١ - سورة الحج (٢٢) : ٤٦.

٢ - البحار ٤٠ / ١٢٨.

٣ - غرر الحكم / ٤٠.

- ٣ الامام علي «ع» : العقل عقْلان: عقل الطَّبْعِ ، وعقل التَّجْرِبَةِ؛ وكِلَاهُمَا يُؤَدِّي الى المَنفَعَةِ. والمَوْثُوقُ بِهِ صاحبُ العقلِ والدينِ. وَمَنْ فَاتَهُ العقلُ والمُرُوءَةُ، فَرَأْسُ مالِهِ المَعْصِيَةُ ..^١
- ٤ الامام علي «ع» : لَوْلَا التَّجَارِبُ عَمِيَّتِ المَذَاهِبُ.^٢
- ٥ الامام علي «ع» : فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ.^٣
- ٦ الامام الحسين «ع» : طُولُ التَّجَارِبِ زيادَةٌ فِي العَقْلِ.^٤
- ٧ الامام علي «ع» : العَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ.^٥
- ٨ الامام علي «ع» : العاقلُ مَنْ وَعَظَّتُهُ التَّجَارِبُ.^٦
- ٩ الامام علي «ع» : التَّجَارِبُ لَا تَنْقُضِي.^٧
- ١٠ الامام علي «ع» : كُلُّ مَعُونَةٍ تَحْتَاجُ الى التَّجَارِبِ.^٨
- ١١ الامام علي «ع» : مَنْ لَمْ يُجَرِّبِ الأُمُورَ خُدِعَ.^٩
- ١٢ الامام علي «ع» : .. فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا، وَوَعِظْتُمُ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ .. وَمَنْ لَمْ يَنْفَعُهُ اللهُ بالبَلَاءِ والتَّجَارِبِ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ

١ - البحار ٧٨ / ٦، عن «مطالب السؤل».

٢ - الارشاد / ١٤٣.

٣ - الكافي ٨ / ٢٢.

٤ - البحار ٧٨ / ١٢٨.

٥ - نهج البلاغة / ٩٣١؛ عبده ٣ / ٥٩.

٦ - تحف العقول / ٦٢.

٧ - غرر الحكم / ١٦.

٨ - البحار ٧٨ / ٧، عن «مطالب السؤل».

٩ - الارشاد / ١٤٢.

مِنَ الْعِظَةِ ١.

- ١٣ الامام علي «ع» : مِّنَ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجْرِيبَةِ. ٢
- ١٤ الامام الصادق «ع» : لَا يُلْسَعُ الْعَاقِلُ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ. ٣
- ١٥ الامام علي «ع» - مِّنَ وَصِيَّةِ كِتَابِهَا لِابْنِهِ الْحَسَنِ : .. فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ، وَيَشْتَغَلَ لُبُّكَ، لِتَسْتَقْبَلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجَرِبَتَهُ، فَتَكُونَ قَدْ كُفَيْتَ مَوْوَنَةَ الطَّلَبِ، وَعُوفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِيبَةِ، فَأَتَاكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ .. ٤
- ١٦ الامام علي «ع» : أَيُّهَا النَّاسُ ! إِنَّهُ قَدْ بَلَغَ بِكُمْ مَا قَدْ رَأَيْتُمْ بَعْدُوكُمْ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا آخِرُ نَفْسٍ، وَإِنَّ الْأُمُورَ إِذَا أَقْبَلَتْ أَعْتَبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا. ٥
- ١٧ الامام علي «ع» : إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا اشْتَبَهَتْ، أَعْتَبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا. ٦
- ١٨ الامام علي «ع» : إِسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ، فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ. ٧
- ١٩ الامام علي «ع» : .. إِنْ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعِبْرُ عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ، حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ .. ٨
- ٢٠ الامام علي «ع» : فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ. ٩

١ - نهج البلاغة / ٥٧٣ : عبده ٢ / ١١٥.

٢ - نهج البلاغة / ١١٨٢ : عبده ٣ / ٢٠١.

٣ - الاختصاص / ٢٣٨.

٤ - نهج البلاغة / ٩١٢ : عبده ٣ / ٤٦.

٥ - البحار ٨ / ٥٢٠ (من الطبعة القديمة - الكمباني).

٦ - نهج البلاغة / ١١١٨ : عبده ٣ / ١٦٦.

٧ - نهج البلاغة / ٩٣٥ : عبده ٣ / ٦١.

٨ - نهج البلاغة / ٦٦ : عبده ١ / ٤٢.

٩ - نهج البلاغة / ١١٨٣ : عبده ٣ / ٢٠٢.

الفصل الثاني والعشرون

تلازم المعرفة والعقيدة

الكتاب

- ١ لِكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ، يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ، وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ، وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ، وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا *^١
- ٢ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ، الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ، وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ *^٢
- ٣ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ، أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ، فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *^٣
- ٤ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ، قَائِمًا بِالْقِسْطِ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ *^٤

١ - سورة النساء (٤) : ١٦٢.

٢ - سورة سبأ (٣٤) : ٦.

٣ - سورة الحج (٢٢) : ٥٤.

٤ - سورة آل عمران (٣) : ١٨.

- ٥ هذا بصائر للناس وهدي ورحمة لقوم يوقنون *^١
- ٦ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم، هدي ورحمة لقوم يؤمنون *^٢
- ٧ فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء، إذا ولوا مدبرين * وما أنت بهاد العمي عن ضلالتهم، إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون *^٣
- ٨ أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين؟ *^٤
- ٩ ومنهم من يستمعون إليك، أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون؟ * ومنهم من ينظر إليك، أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون؟ *^٥

- ١ النبي «ص»: إنما يدرك الخير كله بالعقل، ولا دين لمن لا عقل له.^٦
- ٢ الامام الكاظم «ع»: يا هشام! إن لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة؛ فأما الظاهرة، فالرسل والأنبياء والأئمة - عليهم السلام - وأما الباطنة فالعقول.^٧
- ٣ الامام علي «ع»: ملاك الايمان، حسن الايقان.^٨

١ - سورة الجاثية (٤٥) : ٢٠.

٢ - سورة الاعراف (٧) : ٥٢.

٣ - سورة الروم (٣٠) : ٥٢ - ٥٣.

٤ - سورة الزخرف (٤٣) : ٤٠.

٥ - سورة يونس (١٠) : ٤٢ - ٤٣.

٦ - تحف العقول / ٤٤.

٧ - الكافي / ١ / ١٦.

٨ - غرر الحكم / ٣١٥.

- ٤ الامام الصادق «ع» : مَنْ كَانَ عَاقِلًا، كَانَ لَهُ دِينٌ ..^١
- ٥ الامام علي «ع» : .. بِالْإِيمَانِ يُعَمَّرُ الْعِلْمُ.^٢
- ٦ الامام الصادق «ع» - فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ: إِنَّ أَوَّلَ الْأُمُورِ وَمَبْدَأَهَا وَقُوَّتَهَا وَعِمَارَتَهَا الَّتِي لَا يُنْتَفَعُ بِشَيْءٍ إِلَّا بِهِ، الْعَقْلُ، الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ زِينَةً لَخَلْقِهِ وَنُورًا لَهُمْ؛ فَبِالْعَقْلِ عَرَفَ الْعِبَادُ خَالِقَهُمْ، وَأَنْتَهُمْ مَخْلُوقُونَ، وَأَنَّهُ الْمُدَبِّرُ لَهُمْ وَأَنْتَهُمْ الْمُدَبَّرُونَ، وَأَنَّهُ الْبَاقِي وَهُمْ الْفَانُونَ؛ وَإِسْتَدَلُّوا بِعُقُولِهِمْ عَلَى مَا رَأَوْا مِنْ خَلْقِهِ، وَمِنْ سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ، وَشَمْسِهِ وَقَمَرِهِ، وَلَيْلِهِ وَنَهَارِهِ، وَبِأَنَّ لَهُ وَلَهُمْ خَالِقًا وَمُدَبِّرًا لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزُولُ. وَعَرَفُوا بِهِ الْحَسَنَ مِنَ الْقَبِيحِ، وَأَنَّ الظُّلْمَةَ فِي الْجَهْلِ، وَأَنَّ النُّورَ فِي الْعِلْمِ؛ فَهَذَا مَا دَلَّاهُمْ عَلَيْهِ الْعَقْلُ.
- قِيلَ لَهُ: فَهَلْ يَكْتَفِي الْعِبَادُ بِالْعَقْلِ دُونَ غَيْرِهِ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَاقِلَ، لِدَلَالَةِ عَقْلِهِ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ قَوَامَهُ وَزِينَتَهُ وَهُدَايَتَهُ، عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ، وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّهُ. وَعَلِمَ أَنَّ لِخَالِقِهِ مَحَبَّةً، وَأَنَّ لَهُ كَرَاهِيَةً، وَأَنَّ لَهُ طَاعَةً، وَأَنَّ لَهُ مَعْصِيَةً، فَلَمْ يَجِدْ عَقْلَهُ يَدُلُّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ إِلَّا بِالْعِلْمِ وَطَلْبِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُنْتَفَعُ بِعَقْلِهِ إِنْ لَمْ يُصَبَّ ذَلِكَ بِعَلْمِهِ. فَوَجَبَ عَلَى الْعَاقِلِ طَلْبُ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، الَّذِي لَا قَوَامَ لَهُ إِلَّا بِهِ.^٣
- ٧ الامام علي «ع» : الْعَقْلُ رَسُولُ الْحَقِّ.^٤
- ٨ الامام الحسين «ع» : .. لَا يَكْمُلُ الْعَقْلُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ.^٥

١ - الكافي ١ / ١١ .

٢ - نهج البلاغة / ٤٨٨ : عبده ٢ / ٦٣ .

٣ - الكافي ١ / ٢٩ .

٤ - غرر الحكم / ١٥ .

٥ - البحار ٧٨ / ١٢٧ .

- ٩ الامام الكاظم «ع» : .. تَوَاضَعُ لِلْحَقِّ تَكُنْ أَعْقَلَ النَّاسِ.^١
- ١٠ الامام الكاظم «ع» : يا هِشَامُ! إِنَّهُ لَمْ يَخَفِ اللهُ مَنْ لَمْ يَعْقِلْ عَنِ اللهِ. وَمَنْ لَمْ يَعْقِلْ عَنِ اللهِ لَمْ يَعْقِدْ قَلْبَهُ عَلَى مَعْرِفَةٍ ثَابِتَةٍ يُبْصِرُهَا وَيَجِدُ حَقِيقَتَهَا فِي قَلْبِهِ.^٢
- ١١ الامام علي «ع» : طَلَبُ الْعِلْمِ أَفْضَلُ مِنَ الْعِبَادَةِ، قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنَ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^٣ ..^٤
- ١٢ الامام علي «ع» : اَصْلُ الْإِيمَانِ الْعِلْمُ.^٥
- ١٣ الامام علي «ع» : .. فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى، وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى. وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى، وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى، قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُ، وَعَرَفَ مَنَارَهُ، وَقَطَعَ غِمَارَهُ، وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثِقِهَا، وَمِنَ الْجِبَالِ بِأَمْتِنِهَا؛ فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ، مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ، وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ، مِصْبَاحِ ظُلُمَاتٍ، كَشَافِ عَشَوَاتٍ، مِفْتَاحِ مُبْهَمَاتٍ، دَفَّاعِ مُعْضَلَاتٍ، دَلِيلِ فَلَواتٍ، يَقُولُ فِيهِمْ، وَيَسْكُتُ فَيَسْلُمُ، قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ ..^٦
- ١٤ الامام الصادق «ع» : حُجَّةُ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ، النَّبِيُّ. وَالْحُجَّةُ فِيمَا بَيْنَ الْعِبَادِ وَبَيْنَ اللهِ، الْعَقْلُ.^٧
- ١٥ الامام الكاظم «ع» : يا هِشَامُ! مَا بَعَثَ أَنْبِيَاءَهُ وَرُسُلَهُ إِلَى عِبَادِهِ، إِلَّا لِيَعْقِلُوا عَنِ

١ - الكافي ١ / ١٦.

٢ - الكافي ١ / ١٨.

٣ - سورة فاطر (٣٥): ٢٨.

٤ و ٥ - البحار ٦٩ / ٨٠ - ٨١.

٦ - نهج البلاغة / ٢١٠: عبده ١ / ١٥٠ - ١٥١.

٧ - الكافي ١ / ٢٥.

الفصل الثلثي والعشرون : تلازم المعرفة والعقيدة

الله. فَأَحْسَنُهُمْ اسْتِجَابَةً أَحْسَنُهُمْ مَعْرِفَةً، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ أَحْسَنُهُمْ عَقْلاً،
وَأَكْمَلُهُمْ عَقْلاً أَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.^١

١٦ الامام الصادق ع: الْعَقْلُ دَلِيلُ الْمُؤْمِنِ.^٢

١ - الكافي ١ / ١٦.

٢ - الكافي ١ / ٢٥.

الفصل الثالث والعشرون

تلازم المعرفة والعمل

الكتاب

- ١ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ، وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟*^١
- ٢ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ*^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَهُوَ الْعِلْمُ الَّذِي يُضَادُّ الْعَمَلَ بِالْإِخْلَاصِ. وَأَعْلَمُ أَنَّ قَلِيلَ الْعِلْمِ يَحْتَاجُ إِلَى كَثِيرِ الْعَمَلِ، لِأَنَّ عِلْمَ سَاعَةٍ يُلْزِمُ صَاحِبَهُ اسْتِعْمَالَ طَوِيلِ عَمْرِهِ.^٣

١ - سورة البقرة (٢) : ٤٤.

٢ - سورة الحجر (١٥) : ٩٩.

٣ - البحار ٢ / ٣٢.

- ٢ الامام علي «ع»: كَفَى بِالْعَالِمِ جَهْلًا أَنْ يُنَافِيَ عِلْمَهُ عَمَلُهُ.^١
- ٣ الامام علي «ع»: تَعَلَّمُوا مَا شِئْتُمْ أَنْ تَعْمَلُوا، فَلَنْ يَنْفَعَكُمُ اللَّهُ بِالْعِلْمِ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهِ، لِأَنَّ الْعُلَمَاءَ هَمَّتُهُمُ الرَّعَايَةُ، وَالسُّفَهَاءَ هَمَّتُهُمُ الرَّوَايَةُ.^٢
- ٤ الامام الباقر «ع»: لَا يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ، وَلَا مَعْرِفَةٌ إِلَّا بِعَمَلٍ؛ وَمَنْ عَرَفَ دَلَّتْهُ مَعْرِفَتُهُ عَلَى الْعَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ فَلَا عَمَلَ لَهُ.^٣
- ٥ الامام الصادق «ع»: الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ، كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، لَا يَزِيدُهُ سُرْعَةَ السَّيْرِ إِلَّا بُعْدًا.^٤
- ٦ الامام السجاد «ع»: مَكْتُوبٌ فِي الْإِنْجِيلِ: لَا تَطْلُبُوا عِلْمَ مَا لَا تَعْمَلُونَ، وَلَمَّا عَمِلْتُمْ بِمَا عَلِمْتُمْ، فَإِنَّ الْعِلْمَ إِذَا لَمْ يُعْمَلْ بِهِ لَمْ يَزِدْ مِنْ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا.^٥
- ٧ عيسى المسيح «ع»: بِحَقِّ أَقْوَلٍ لَكُمْ: إِنَّ شَرَّ النَّاسِ لَرَجُلٌ عَالِمٌ آثَرَ دُنْيَاهُ عَلَى عِلْمِهِ، فَأَحَبَّهَا وَطَلَبَهَا وَجَهَدَ عَلَيْهَا، حَتَّى لَوْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ فِي حَيْرَةٍ لَفَعَلَ. وَمَاذَا يُغْنِي عَنِ الْأَعْمَى سِعَةُ نَوْرِ الشَّمْسِ وَهُوَ لَا يُبْصِرُهَا؟ كَذَلِكَ لَا يُغْنِي عَنِ الْعَالِمِ عِلْمُهُ إِذَا هُوَ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ.. فَاحْتَفِظُوا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْكَذِبَةِ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، مُنْكَسَوَارُ وَوَسِيهِمْ إِلَى الْأَرْضِ، يُزُورُونَ بِهِ الْخَطَايَا، يَرْمُقُونَ مِنْ تَحْتِ حَوَاجِبِهِمْ، كَمَا تَرْمُقُ الذَّنَابُ، وَقَوْلُهُمْ يُخَالِفُ فِعْلُهُمْ.^٦

١ - غرر الحكم / ٢٤٣.

٢ - عدة الداعي / ٦٨.

٣ - تحف العقول / ٢١٥.

٤ - الكافي / ١ / ٤٣.

٥ - البحار / ٢ / ٢٨، عن «تفسير علي بن ابراهيم القمي».

٦ - تحف العقول / ٣٧٥.

- ٨ الامام علي «ع» : المؤمنُ يَرغبُ فيما يَبقى، وَيزهدُ فيما يَفنى؛ يَمزجُ الحِلْمَ بالعلمِ، والعلمَ بالعملِ..^١
- ٩ الامام العسكري «ع» : لا يَعْرِفُ النُّعمَةَ إِلَّا الشَّاكِرُ، ولا يَشْكُرُ النُّعمَةَ إِلَّا العَارِفُ.^٢
- ١٠ الامام الصادق «ع» - عن آباءه، عن رسولِ الله «ص» : مَنْ عَمِلَ على غيرِ علمٍ، كانَ ما يُفْسِدُهُ أَكثَرَ ممَّا يُصْلِحُ.^٣
- ١١ الامام علي «ع» : .. فَالناظِرُ بالقلبِ، العَامِلُ بالبَصْرِ، يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ: أَعْمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ؟ فَإِنْ كانَ لَهُ مَضَى فِيهِ، وَإِنْ كانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ. فَإِنَّ العَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ على غيرِ طَرِيقٍ، فلا يَزِيدُهُ بَعْدَهُ عن الطَّرِيقِ الواضِحِ إِلَّا بَعْدًا مِنْ حاجَتِهِ. والعَامِلُ بالعلمِ كَالسَّائِرِ على الطَّرِيقِ الواضِحِ. فَلْيَنْظُرْ ناظِرٌ: أَسائِرٌ هُوَ أَمْ راجِعٌ.^٤
- ١٢ الامام الصادق «ع» : مَنْ هَجَمَ على امرٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ، جَدَعَ أَنْفَ نَفْسِهِ.^٥
- ١٣ الامام الصادق «ع» : مَنْ خافَ العاقِبَةَ تَثَبَّتَ فيما لا يَعْلَمُ.^٦
- ١٤ الامام علي «ع» : عَشْرَةٌ يَفْتِنُونَ أَنْفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ .. وَعالِمٌ غَيْرُ مُرِيدٍ لِلصَّلاحِ، وَمُرِيدٌ لِلصَّلاحِ وَلَيْسَ بِعَالِمٍ..^٧

١ - البحار ٧٨ / ٢٦، عن «مطالب السؤل».

٢ - البحار ٧٨ / ٣٧٨.

٣ - تحف العقول / ٣٩.

٤ - نهج البلاغة / ٤٨٠؛ عبده ٢ / ٥٨.

٥ و ٦ - تحف العقول / ٢٦٢.

٧ - الخصال ٢ / ٤٣٧.

- ١٥ الامام علي «ع»: لا يُرى الجاهلُ الا مُفْرِطاً او مُفَرِّطاً.^١
- ١٦ النبي «ص»: يا ابن مسعود! اذا عَمِلْتَ عَمَلًا فاعْمَلْ بعلمٍ وعقلٍ . وَايَاكَ وَأَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا بغيرِ تَدَبُّرٍ وعِلْمٍ ! فَإِنَّهُ - جَلُّ جلالُهُ - يَقولُ: «ولا تَكُونوا كَالتي نَقَضَتْ غَزْلَها مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً»^٢.
- ١٧ الامام علي «ع»: أَوْضَعُ العِلْمِ ما وَقَفَ على اللِّسانِ، وأَرْفَعُهُ ما ظَهَرَ في الجوارِحِ والاركان.^٣

١ - نهج البلاغة / ١١١٦؛ عبده ٣ / ١٦٥.

٢ - سورة النحل (١٦): ٩٢.

٣ - مكارم الاخلاق / ٥٣٨.

٤ - نهج البلاغة / ١١٢٧؛ عبده ٣ / ١٧٠.

الفصلُ الرَّابِعُ والعشرون

العملُ يُقيِّمُ بالمعرفة

الحديث

- ١ الامام الكاظم «ع»: يا هِشام! قليلُ العملِ مِنَ العالمِ مقبولٌ مُضَاعَفٌ، وكثيرُ العَمَلِ مِنَ أَهْلِ الهوى والجَهْلِ مَرْدُودٌ.^١
- ٢ الامام علي «ع»: سَكَّنُوا فِي أَنْفُسِكُمْ مَعْرِفَةً مَا تَعْبُدُونَ، حَتَّى يَنْفَعَكُم مَّا تُحَرِّكُونَ مِنَ الْجَوَارِحِ بِعِبَادَةٍ مَن تَعْرِفُونَ.^٢
- ٣ الامام علي «ع» - قَدْ سَمِعَ رَجُلًا مِنَ الْحَرُورِيَّةِ يَتَهَجَّدُ وَيَقْرَأُ، فَقَالَ: نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ.^٣
- ٤ الامام الصادق «ع»: إِعْلَمَنَّ أَنَّ الْعَمَلَ الدَّائِمَ الْقَلِيلَ عَلَى الْيَقِينِ، أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَمَلِ الْكَثِيرِ عَلَى غَيْرِ يَقِينٍ..^٤

١ - الكافي ١ / ١٧.

٢ - تحف العقول / ١٦٠.

٣ - نهج البلاغة / ١١٣٠؛ عبده ٣ / ١٧٢.

٤ - تحف العقول / ٢٦٤.

الفصل الرابع والعشرون : العمل يقيّم بالمعرفة

- ٥ الامام الصادق «ع» - قال سليمان الدّيلمي: قلتُ لأبي عبد الله الصادق «ع»:
فلانٌ من عبادتِهِ ودينِهِ وفضلِهِ. فقال: كيفَ عقلُهُ؟ قلتُ: لا أدري. فقال: إنَّ
الثَّوابَ على قَدْرِ العَقل.^١
- ٦ النبي «ص» - زيد بن علي، عن آبائه «ع»: قال رسولُ الله: «رَكَعَتَانِ
خَفِيفَتَانِ فِي [الـ] تَفَكُّرٍ، خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ».^٢
- ٧ الامام علي «ع»: المُتَعَبِّدُ بغيرِ علمٍ كحِمَارِ الطَّاحونَةِ، يَدُورُ وَلَا يَبْرَحُ مِنْ
مَكَانِهِ.^٣
- ٨ النبي «ص»: إنَّ العَبْدَ لِيُصَلِّي الصَّلَاةَ لَا يُكْتَبُ لَهُ سُدُسُهَا وَلَا عَشْرُهَا، وَإِنَّمَا
يُكْتَبُ لِلعَبْدِ مِنْ صَلَاتِهِ مَا عَقَلَ مِنْهَا.^٤

١ - الكافي ١ / ١٢.

٢ - ثواب الاعمال / ٦٨.

٣ - غرر الحكم / ٥٣؛ الاختصاص / ٢٣٨.

٤ - البحار / ٨٤ / ٢٨٩، عن «غوالي اللثالي».

الفصل الخامس والعشرون

نشر الفكر، طرقة واساليبه

أ - ايجاد الأرضية المناسبة

الكتاب

١ وأضرب لهم مثلاً، أصحاب القرية، إذا جاءها المرسلون * إذ أرسلنا إليهم اثنين، فكذبوهما، فعززنا بثالث، فقالوا: إنا إليكم مرسلون * قالوا: ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون * قالوا: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون * .. وجاء من أقصا المدينة رجل يسعى، قال: يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون * وما لي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون؟ *

٢ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل، وكنابه عالمين * إذ قال لآبيه وقومه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون؟ * قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين * قال: لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين * قالوا: أجتنا بالحق أم أنت من اللاعين؟ * قال: بل ربكم رب السماوات والارض، الذي فطرهن، وأنا

على ذلكم من الشاهدين * وتالله لا كيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين *^١

ب - الاقدام والمجاهبة

الكتاب

- ١ فقاتل في سبيل الله، لا تكلف الانفسك، وحرص المؤمنين ..^٢
- ٢ فجعلهم جذاذاً الا كبيراً لهم، لعلهم اليه يرجعون * قالوا : من فعل هذا بالهتنا، انه لمن الظالمين * قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم *^٣

ج - اسلوب الدعوة

الكتاب

- ١ ادع الى سبيل ربك بالحكمة، والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي احسن ..^٤

١ - سورة الانبياء (٢١) : ٥١ - ٥٧.

٢ - سورة النساء (٤) : ٨٤.

٣ - سورة الانبياء (٢١) : ٥٨ - ٦٠.

٤ - سورة النحل (١٦) : ١٢٥.

د - الدعوة الناجحة

الكتاب

- ١ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ ، إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ..^١
- ٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ *^٢

* راجع في ذلك : ابواب المناظرات في الحديث والسنة، حيث ترى أدلاء التوحيد كيف يدعون الناس إلى الحق، وكيف ينشرون فكرة الإيمان والصدق بأحسن طريق وأجمل ما يناسب الأفكار والأذهان والمجتمعات.

هـ- العمل الشخصي ودوره في نجاح الدعوة

الكتاب

- ١ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَقَالَ : إِنَّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟ *^٣

١ - سورة ابراهيم (١٤) : ٤.

٢ - سورة الشعراء (٢٤) : ١٩٣ - ١٩٥.

٣ - سورة فصلت (٤١) : ١٣.

٢ يا أيها الذين آمنوا، لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ؟ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ *^١

الحديث

- ١ النبي «ص»: يا أباذر! مَثَلُ الَّذِي يَدْعُو بِغَيْرِ عَمَلٍ ، كَمَثَلِ الَّذِي يَرْمِي بِغَيْرِ وَتَرٍ.^٢
- ٢ الامام الصادق «ع»: كُونُوا دُعَاةً لِلنَّاسِ بِغَيْرِ أَلْسِنَتِكُمْ، لِيَرَوْا مِنْكُمْ الْوَرَعَ وَالاجْتِهَادَ، وَالصَّلَاةَ وَالْخَيْرَ، فَإِنَّ ذَلِكَ دَاعِيَةٌ.^٣
- ٣ الامام الصادق «ع»: إِنَّ الْعَالِمَ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ، زَلَّتْ مَوْعِظَتُهُ عَنِ الْقُلُوبِ، كَمَا يَزُلُّ الْمَطَرُ عَنِ الصَّفَا.^٤

١ - سورة الصَّف (٦١) : ٢ - ٣.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٤٨.

٣ - الوسائل ١١ / ١٩٤.

٤ - مُنِيَةُ الْمُرِيد / ٤٨.

الفصلُ السادس والعشرون

معرفة النفس

الكتاب

- ١ سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ، وَفِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ..^١
- ٢ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ؟^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ، فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ.^٣
- ٢ النبي «ص» - دخل رجلٌ على رسولِ الله «ص» فقال: يا رسولَ الله! كيفَ الطَّرِيقُ إلى معرفةِ الحقِّ؟ فقال: «معرفةُ النفس».^٤

١ - سورة فصلت (٤١): ٥٣.

٢ - سورة الذاريات (٥١): ٢٠ - ٢١.

٣ - البحار ٢ / ٣٢.

٤ - البحار ٧٠ / ٧٢، عن «غوالي اللثالي».

- ٣ الامام علي «ع»: معرفة النفس أنفع المعارف.^١
- ٤ الامام الباقر «ع»: لا معرفة كمعرفتك بنفسك.^٢
- ٥ الامام علي «ع»: نظر النفس للنفس، العناية بصلاح النفس.^٣
- ٦ الامام علي «ع»: نال الفوز الأكبر، من ظفر بمعرفة النفس.^٤
- ٧ الامام علي «ع»: غاية المعرفة، أن يعرف المرء نفسه.^٥
- ٨ الامام علي «ع»: من عرف نفسه، فقد انتهى الى غاية كل معرفة وعلم.^٦
- ٩ الامام علي «ع»: العالم من عرف قدره. وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره.^٧
- ١٠ الامام علي «ع»: هلك امرؤ لم يعرف قدره.^٨
- ١١ الامام علي «ع»: معرفة المرء بعيوبه أنفع المعارف.^٩
- ١٢ الامام علي «ع»: جهل المرء بعيوبه من أكبر ذنوبه.^{١٠}
- ١٣ الامام علي «ع»: من أشد عيوب المرء أن تخفى عليه عيوبه.^{١١}

١ - غرر الحكم / ٣١٩.

٢ - تحف العقول / ٢٠٨.

٣ و ٤ - غرر الحكم / ٣٢٢.

٥ - غرر الحكم / ٢٢٢.

٦ - غرر الحكم / ٢٩٣.

٧ - نهج البلاغة / ٣٠٤؛ عبده ١ / ١٩٧.

٨ - نهج البلاغة / ١١٥٩؛ عبده ٣ / ١٨٩.

٩ - غرر الحكم / ٣١٨.

١٠ - الارشاد / ١٤٢.

١١ - غرر الحكم / ٣٠٢.

- ١٤ الامام علي «ع» : مَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ.^١
- ١٥ الامام علي «ع» : مَنِ جَهَلَ قَدْرَهُ جَهَلَ كُلَّ قَدْرٍ.^٢
- ١٦ الامام علي «ع» - مِنْ عَهْدِهِ إِلَى الْاِشْتِرَاءِ .. ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَابِكَ! قَوْلَ عَلِيٍّ أُمُورِكُمْ خَيْرُهُمْ .. (مَمَّن) لَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عَقَدَ عَلَيْكَ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ.^٣
- ١٧ الامام علي «ع» : أَكْرَمُ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ، وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْدُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا.^٤
- ١٨ الامام الباقر «ع» : سُدَّ سَبِيلَ الْعُجْبِ بِمَعْرِفَةِ النَّفْسِ.^٥
- ١٩ الامام الرضا «ع» : أَفْضَلُ الْعَقْلِ، مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ.^٦
- ٢٠ الامام الكاظم «ع» : لَيْسَ مِنْهُ مَنْ لَمْ يُحَاسِبْ نَفْسَهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ، فَإِنْ عَمِلَ حَسَنًا اسْتَزَادَ مِنْهُ، وَإِنْ عَمِلَ سَيِّئًا اسْتَغْفَرَ اللَّهُ مِنْهُ وَتَابَ إِلَيْهِ.^٧

* ومن الواضح، أنّ معرفة عيوب النفس أيضاً راجعة إلى معرفتها، وكذلك تهذيبها ومحاسبتها والمراقبة عليها.

١ - نهج البلاغة / ٩٣٦ : عبده ٣ / ٤٢.

٢ - غرر الحكم / ٢٩٠.

٣ - نهج البلاغة / ١٠١٥ : عبده ٣ / ١٠٩.

٤ - نهج البلاغة / ٩٢٩ : عبده ٣ / ٥٧.

٥ - تحف العقول / ٢٠٧.

٦ - البحار ٧٢ / ٣٥٢.

٧ - تحف العقول / ٢٩٢.

الفصل السابع والعشرون

معرفة الكون

الكتاب

- ١ الله الذي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى، يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، يُفَصِّلُ الْآيَاتِ، لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا، وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ، وَجَنَاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ، صِنَوَانٌ وَغَيْرُ صِنَوَانٍ، يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، وَنُفِضَ لِبَعْضِهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *
- ٢ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا، وَالْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ، وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ * وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ، وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ * وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَعَدْنَا خَزَائِنَهُ، وَمَا نُنزِّلُ لَهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ، فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُومَهُ، وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ *

١ - سورة الرعد (١٣) : ٢ - ٤ .

٢ - سورة الحجر (١٥) : ١٩ - ٢٢ .

الحديث

١ الامام علي «ع» : .. فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ لِيَسْتَأْذُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنَسِيَّ نِعْمَتِهِ .. وَيُرُوهُمْ الْآيَاتِ الْمُقَدَّرَةَ: مِنْ سَقْفِ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ ..^١

٢ الامام علي «ع» : .. لَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ الْقُدْرَةِ، وَجَسِيمِ النِّعْمَةِ، لَرَجَعُوا إِلَى الطَّرِيقِ، وَخَافُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ. وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عَلِيلَةٌ، وَالْبَصَائِرَ مَدْخُولَةٌ؛ أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ؟ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ! وَأَتَقَنَ تَرْكِيبَهُ! وَفَلَقَ لَهُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ! وَسَوَّى لَهُ الْعَظْمَ وَالْبَشَرَ! أَنْظُرُوا إِلَى النَّمْلَةِ! فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ الْبَصَرِ، وَلَا بِمُسْتَدْرِكِ الْفِكْرِ ..^٢

* راجع: الفصل الخامس عشر، من هذا الباب ايضاً.

١ - نهج البلاغة / ٣٣: عبده ١ / ١٧.

٢ - نهج البلاغة / ٧٣٦: عبده ٢ / ١٣٩.

الفصل الثامن والعشرون

معرفة الله تعالى

الكتاب

- ١ هذا بلاغ للناس ولينذروا به، وليعلموا أنما هو الله واحد، وليذكر أولوا الالباب *
- ٢ فاعلم أنه لا إله إلا الله ..
- ٣ أمّن خلق السماوات والارض، وأنزل لكم من السماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها، أإله مع الله؟ بل هم قوم يعدلون *
أمّن جعل الارض قراراً، وجعل خلالها أنهاراً، وجعل لها رواسي، وجعل بين البحرين حاجزاً، أإله مع الله؟ بل اكثرهم لا يعلمون * أمّن يبدؤا الخلق ثم يعيده، ومن يرزقكم من السماء والارض، أإله مع الله؟ قل : هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين *

١ - سورة ابراهيم (١٤) : ٥٢.

٢ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ١٩.

٣ - سورة النمل (٢٧) : ٦٠ - ٦١ و ٦٤.

الحديث

١ الامام علي «ع» : أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيدُه ..١

* الآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، إذ الأصل هي معرفة الله، فراجع في ذلك: الباب الثاني من هذا الكتاب، وغيره من مظان هذا الأصل.

ومن أهم المصادر الغزيرة للمعرفة التوحيدية، بما فيها من العمق والشمول والأبعاد، هي الأدعية المأثورة عن النبي «ص» والأوصياء «ع»، وخصوصاً ما جاء منها بهذا الصدد؛ فلا يدعها ولا يدع قراءتها والإمعان فيها واستقاء علم التوحيد منها، من يرتاد خالص العلم ولاحب الحقيقة.

الفصلُ التاسعُ والعشرون

معرفة الحجّة

أ - الحجّة الباطنة

١ - العقل

الكتاب

- ١ .. كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ، لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *^١
- ٢ .. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ *^٢
- ٣ .. إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ *^٣

* لقد وَرَدَتْ بهذا الصِّدِّقِ الْجَدْرِيِّ الهَامُّ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ، تُحَضِّضُ عَلَى الرُّكُونِ إِلَى الْعَقْلِ، وَاسْتِنْبَاطِ نَبْعِهِ، وَالتَّحَقُّقِ بِحَيَاتِهِ، وَاسْتِنْتَاجِهِ وَالِاسْتِفَادَةَ مِنْهُ أَشَدَّ تَحْضِيضٍ؛ وَتَنْدَدُ بِأَهْمَالِهِ، وَتَرْكِ

١ - سورة البقرة (٢) : ٢٤٢.

٢ - سورة الرعد (١٣) : ٤.

٣ - سورة الرعد (١٣) : ١٩؛ سورة الزمر (٣٩) : ٩.

الاصاخة الى دعوته، وعدم الانصهار بما يُرشدُ اليه اشد تنديد. وإن تلك الآيات لا ترى الاهتداء الصحيح والناضج - في الحقيقة والحياة والعمل - إلا باستعمال العقل والاخذ بهدأيته وتوجيهه. وهي التي تشدُّها الفطرة الواعية.

الحديث

- ١ النبي «ص»: ما عبداً لله بمثل العقل.^١
- ٢ النبي «ص»: ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل افضل من سهر الجاهل .. ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل .. ولا يبلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل ..^٢
- ٣ الامام علي «ع»: العقل رسول الحق.^٣
- ٤ الامام الصادق «ع»: حجة الله على العباد النبي. والحجة فيما بين العباد وبين الله العقل.^٤
- ٥ الامام الهادي «ع» - في جواب ما سأله عنه الاديب المعروف، ابن السكيت الاهوازي (ما الحجة على الخلق اليوم): العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدق، والكاذب على الله فيكذب.^٥

١ - سفينة البحار ٢ / ٢١٤.

٢ - الكافي ١ / ١٣.

٣ - غرر الحكم / ١٥.

٤ و ٥ - الكافي ١ / ٢٥.

٢- كيفية استعمال العقل والاستفادة منه

الكتاب

- ١ إنا أنزلنا قرآناً عربياً، لعلّكم تعقلون *^١
- ٢ إنا جعلناه قرآناً عربياً، لعلّكم تعقلون *^٢
- ٣ لقد أنزلنا إليكم كتاباً، فيه ذكركم، افلاتعقلون؟ *^٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: ما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه.^٤
- ٢ النبي «ص»: العلم أمام العقل.^٥
- ٣ الامام الكاظم «ع»: يا هشام! ما بعث الله انبياءه ورسله الى عباده الا ليَعقلوا عن الله؛ فاحسنهم استجابة احسنهم معرفة، واعلمهم بامر الله احسنهم عقلاً، واكلهم عقلاً ارفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

١ - سورة يوسف (١٢) : ٢.

٢ - سورة الزخرف (٤٣) : ٣.

٣ - سورة الانبياء (٢١) : ١٠.

٤ - الكافي ١ / ١٣.

٥ - تحف العقول / ٢٧. ويُمكن أن يُقرأ: «إمام العقل» .

يا هشام: إِنَّ لَهِ عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ: حُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ وَحُجَّةٌ بَاطِنَةٌ، فَامَّا الظَّاهِرَةُ فَالرَّسُلُ وَالْأَنْبِيَاءُ وَالْأَئِمَّةُ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - وَامَّا الْبَاطِنَةُ فَالْعُقُولُ.^١

٣ - العقل، صورة حقيقة

الكتاب

١ وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلا العالمون *^٢

الحديث

١ الامام الصادق «ع» - في جواب من قال له: ما العقل؟ قال: ما عُبدَ به الرَّحْمَانُ وَاكْتَسِبَ بِهِ الْجِنَانُ.^٣

٢ الامام الرضا «ع»: .. إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَقْلَ فَقَالَ لَهُ: «أَقْبِلْ» فَأَقْبَلَ، وَقَالَ لَهُ: «أَدْبِرْ» فَأَدْبَرَ؛ فَقَالَ: «وَعَزَّتِي وَجَلَالِي مَا خَلَقْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْكَ، أَوْ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ، بِكَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي».^٤

١ - الكافي ١ / ١٦.

٢ - سورة العنكبوت (٢٩) : ٣٤.

٣ - الكافي ١ / ١١.

٤ - الكافي ١ / ٢٨.

٤ - العقل واحتياجه الى حجّة الله والرجوع اليه

الكتاب

- ١ .. وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا..^١
- ٢ .. فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ، فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ..^٢
- ٣ .. فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ، إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: الذّكرُ أنا، والائمةُ اهلُ الذّكر.^٤
- ٢ الامام الباقر «ع» - في تفسير قوله تعالى: «فاسألوا اهل الذّكر ان كنتم لا تعلمون»: الذّكرُ القرآن.^٥ وآل رسول الله اهلُ الذّكر، وهم المسؤولون.^٦

١ - سورة الحشر (٥٩) : ٧.

٢ - سورة النساء (٤) : ٥٩.

٣ - سورة النحل (١٦) : ٤٣.

٤ - تفسير البرهان ٢ / ٣٦٩.

٥ - يُطْلَقُ الذِّكْرُ عَلَى «القرآن الكريم»، كما ورد في آياتٍ منه. وَيُسَمَّى الرَّسُولُ «ص» بِهِ أَيْضًا، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى، مِنْ سُورَةِ الطَّلَاقِ: «... قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ». وَجَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْإِمَامِ الصَّادِقِ «ع»: «الذِّكْرُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ مُحَمَّدٍ، وَنَحْنُ أَهْلُ الذِّكْرِ» - (تفسير البرهان ٢ / ٣٧٠).

٦ - تفسير البرهان ٢ / ٣٧٠.

- ٣ الامام الباقر «ع» : نحن اهل الذكر ونحن مسؤولون.^١
- ٤ الامام الصادق «ع» : نحن اهل الذكر ونحن المسؤولون.^٢
- ٥ الامام الصادق «ع» : لا يسعكم فيما نزل بكم مما لا تعلمون، إلا الكف عنه والتثبت والردُّ الى ائمة الهدى، حتى يحملوكم فيه على القصد ويجلوا عنكم العمى ويعرفوكم فيه الحق، قال الله - تبارك وتعالى - : «فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون».^٣
- ٦ الامام الرضا «ع» : نحن اهل الذكر ونحن المسؤولون.^٤
- ٧ الامام الكاظم «ع» : يا هشام! ان الله - تبارك وتعالى - اكمل للناس الحجج بالعقول، ونصر النبيين بالبيان .. انه لم يخف الله من لم يعقل عن الله. ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتة يبصرها ويجد حقيقتها في قلبه ..^٥

* راجع ايضاً: «الكافي»، كتاب الحجّة، «باب الاضطرار الى الحجّة» (١ / ١٦٨ - ١٧٤).

ايقاظ هام

هناك موضوع هام في صنع شخصية الانسان القرآني، يجب أن لا نغفل عنه. وهو أن التعقل الذي يدعو اليه القرآن ويستحث القرائح عليه، ليس إلا ما كان نابعاً من الفطرة الانسانية، تابعاً

١ و ٢ - تفسير البرهان ٢ / ٣٦٩.

٣ و ٤ - تفسير البرهان ٢ / ٣٧٠ و ٣٦٩.

٥ - الكافي ١ / ١٣ و ١٨.

الفصل التاسع والعشرون : معرفة الحجّة

للحُجّة الظاهرة، من الكتابِ والنبيِّ او الوصيِّ، حتى يَصْدُقَ على «الْمُتَعَقِّلِ» أَنَّهُ عَقَلَ عَنِ اللَّهِ وَعَنِ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ عَنْهُ، وَعَقَدَ قَلْبَهُ عَلَى مَعْرِفَةٍ ثَابِتَةٍ أَبْصَرَهَا وَوَجَدَ حَقِيقَتَهَا - كما مرَّ في التَّعْلِيمِ الكَاطِمِيِّ. فَالتَّعَقُّلُ الَّذِي يَعِمِدُ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ وَالْحَدِيثُ، هُوَ التَّعَقُّلُ الْقُرْآنِيُّ الْخَالِصُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ مُمْتَزِجاً بِمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَفَاهِيمِ وَالْآرَاءِ وَالْمِصْطَلَحَاتِ. وَهَذَا التَّعَقُّلُ يَسْتَمِيزُ عَنِ التَّعَقُّلِ الْفَلَسْفِيِّ أَوِ الْعِرْفَانِيِّ الصَّرْفِيِّ، أَوِ التَّعَقُّلِ الْقُرْآنِيِّ الْمُصْطَبِعِ بِصَبْغَتِهِمَا. وَأَنْ الْمَفَاهِيمَ وَالْآرَاءَ وَالْمِصْطَلَحَاتِ الْمُتَغَلِّغَةَ فِي الْإِسْلَامِ - فِي الْقُرُونِ الْأُولَى وَمَا بَعْدَهَا - أَمْرٌ، وَعِلْمُ الْقُرْآنِ وَحَقَائِقُهُ أَمْرٌ آخَرٌ. وَإِنَّ التَّرْتُّبَ الْقُرْآنِيَّ. وَإِنَّ مَعْرِفَةَ الْحَقَائِقِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهَا لَا تَتَسَنَّى إِلَّا بِالرَّكُونِ إِلَى حَاقِّ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ وَعِلْمِهِ وَالْإِخْذِ الْخَالِصِ مِنْ أَهْلِهِ وَحَمَلْتِهِ وَالتَّعَقُّلِ عَنْهُمْ، مِنْ غَيْرِ أَيِّ خَلْطٍ أَوْ تَمْزِجٍ أَوْ تَأْوِيلٍ. وَلَا يُسَهَّلُ الْخَطْبُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ مَا جَاءَ بِهِ قَدَمَاءُ فَلَاسِفَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي كِتَابِهِمْ أَوْ مَتَأَخَّرُوهُمْ، فَإِنَّ الْحَالَةَ وَاحِدَةٌ بَعْدَ الْوَعْيِ،^١ وَإِنْ سَاعَدَ الْمَتَأَخَّرِينَ بَيَانُهُمُ الْمَزْجِيُّ لِلْمِصْطَلَحَاتِ الْفَلَسْفِيَّةِ وَالْمَفَاهِيمِ الْعِرْفَانِيَّةِ وَتَأْوِيلُهُمُ الْمَوْسَعُ، عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْإِبْتِعَادِ عَنِ الْإِغْرَبِيَّةِ الصَّرْفَةِ وَلَا سِيَّما الْقَدِيمَةِ مِنْهَا؛ غَيْرَ أَنَّهُمْ تَبَنَوْا الْإِفْلَاطُونِيَّةَ الْحَدِيثَةَ فَحَصَلُوا عَلَى عِرْفَانٍ مُلْتَقَطٍ.

وهذا امرٌ يَعْرِفُهُ جَيِّدًا مَنْ وَقَفَ عَلَى تَوَارِيخِ تِلْكَ الْآرَاءِ وَالنَّظَرَاتِ وَمَنَاشئِهَا وَتَطَوُّرَاتِهَا، وَمَا وَقَعَ فِيهَا مِنَ الْإِقْتِبَاسِ وَالْخَلْطِ

١ - هناك صورٌ مِنَ الْوَعْيِ، غَيْرَ أَنَّا نَحْصُ بِالذِّكْرِ الْوَعْيِ التَّارِيخِيَّ لِتِلْكَ الْآرَاءِ وَالنَّظَرَاتِ وَالْمِصْطَلَحَاتِ - كما اشْرنا إِلَيْهِ فِي الْمَتْنِ أَيْضًا - وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمِصْطَلَحَاتِ الْفَلَسْفِيَّةِ وَالْعِرْفَانِيَّةِ، وَمَا كَانَ مِنْهَا فَيْثَاغُورِيًّا، أَوْ إِفْلَاطُونِيًّا، أَوْ أَرِسْطِيًّا، أَوْ أِفْلُوطِينِيًّا، أَوْ رَوَاقِيًّا، أَوْ غُنُوصِيًّا، أَوْ هِنْدِيًّا، أَوْ بُوذِيًّا، وَمَا إِلَى ذَلِكَ، وَارْجَاعَ كُلِّ مِنْهَا إِلَى أَصُولِهَا وَمَنَاشئِهَا الْمُتَقَدِّمَةِ عَلَى مَجِيءِ الْإِسْلَامِ وَنَزُولِ الْوَحْيِ الْمُحَمَّدِيِّ بِقُرُونٍ.

والتقريب والتأويل، وعلى أزمئة إبداء تلك الآراء وأمكنيتها
المختلفة، ومدائن أصحابها وتراجيمهم في تواريخ الأقدمين ومن اليهم.

٥ - العقل، الدليل والمقياس

الكتاب

١ أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها؟ ..^١

الحديث

- ١ النبي «ص»: العلم خليل المؤمن .. والعقل دليله ..^٢
- ٢ الامام الصادق «ع»: العقل دليل المؤمن.^٣
- ٣ الامام الصادق «ع» - محمد بن سليمان الديلمي، عن ابيه قال: قلت لابي
عبدالله «ع»: فلان من عبادته ودينه وفضله؟ فقال: «كيف عقله»؟ قلت: لا
أدري، فقال: «ان الثواب على قدر العقل».^٤

١ - سورة الحج (٢٢) : ٤٦.

٢ - تحف العقول / ٤٤.

٣ - الكافي ١ / ٢٥.

٤ - الكافي ١ / ١٢.

٤ الامام الباقر «ع» : إِنَّمَا يُدَاقُ اللهُ الْعِبَادَ فِي الْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى قَدْرِ مَا آتَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ فِي الدُّنْيَا.^١

* راجع ايضاً: «الكافي»، كتاب العقل والجهل (١ / ١٠ - ٢٩)، والفصلين الثالث والثاني والعشرين، من هذا الباب. وسنتكلم عن العقل ومسائله، في المنطق القرآني والحديثي (اي المنطق الاسلامي الخالص)، في الجزء الخاص بـ «الانسان»، من هذا الكتاب، إن شاء الله تعالى.

ب - الحجّة الظاهرة

١ - الانبياء

الكتاب

١ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ، وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ، لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ..^٢

٢ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ، وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْإِسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ، وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا * وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ

١ - الكافي ١ / ١١.

٢ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٥.

- نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ، وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا *رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ،
لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا *^١
٣ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ، أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ..^٢
٤ وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ، مَا نَتَّبِعُ بِهٖ فُؤَادَكَ ..^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : .. وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وُلْدِهِ أَنْبِيَاءَ، أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ
مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ .. فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ
أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْذِنُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجِّجُوا عَلَيْهِمْ
بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ الْآيَاتِ الْمُقَدَّرَةَ ..^٤
٢ الامام علي «ع» : بَعَثَ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى
خَلْقِهِ، لِيَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ؛ فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ
إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ.^٥

٢ - النَّبِيِّ الْأَعْظَمِ

- ١ - سورة النساء (٤) : ١٦٣ - ١٦٥ .
٢ - سورة فصلت (٤١) : ١٤ .
٣ - سورة هود (١١) : ١٢٠ .
٤ - نهج البلاغة / ٣٣ : عبده / ١ / ١٦ - ١٧ .
٥ - نهج البلاغة / ٤٣٧ : عبده / ٢ / ٣٦ .

الكتاب

- ١ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ، لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ *^١
- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ، إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ..^٢
- ٣ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ، عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ *^٣
- ٤ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ، وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ، وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا *^٤
- ٥ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ، لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ، وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا *^٥

الحديث

- ١ النبي «ص»: يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ شَابًا فِي الْعَرَبِ جَاءَ قَوْمَهُ بِأَفْضَلِ مِمَّا قَدْ جِئْتُكُمْ بِهِ، إِنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِخَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَدْعُوَكُمْ إِلَيْهِ.^٦

١ - سورة التوبة (٩) : ٣٣.

٢ - سورة الانفال (٨) : ٢٤.

٣ - سورة التوبة (٩) : ١٢٨.

٤ و ٥ - سورة الاحزاب (٣٣) : ٤٠ و ٢١.

٦ - الفدير ٢ / ٢٧٩.

٢ الامام علي «ع» : اشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالدين المشهور،
والعلم المأثور، والكتاب المسطور، والنور الساطع، والضياء اللامع،
والأمر الصادع، إزاحةً للشبهات، واحتجاجاً بالبينات، وتحذيراً بالآيات،
وتخويفاً بالمثلات. والناس في فتن انجذم فيها جبل الدين، وتزعزعت
سوازي اليقين، واختلف النجر، وتشتت الأمر، وضاق المخرج، وعمي
المصدر، فالهدى خامل، والعمى شامل^١.

٣ الامام علي «ع» : .. فبعث الله محمداً «ص»^٢ بالحق، ليخرج عباده من عبادة
الأوثان الى عبادته، ومن طاعة الشيطان الى طاعته، بقرآن قد بينه
وأحكامه، ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه^٣.

٣ - القرآن الكريم

الكتاب

١ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، ويُبشِّرُ المؤمنين الذين يعملون
الصالحات، أن لهم أجراً كبيراً*^٤

١ - نهج البلاغة / ٤٢ - ٤٣؛ عبده ١ / ٢٢ - ٢٣.

٢ - لعل الصلاة على النبي «ص»، خصوصاً بعد ذكر اسمه الشريف (محمد)، قد جاءت في كلام الامام
علي «ع» نفسه، بصورتها الكاملة: «صلى الله عليه وآله»، غير أننا - لرعاية الانسجام مع سائر
الموارد - نضع فيما ننقل عن الامام ايضاً (وعن سائر الائمة «ع»)، هذا الرمز: «ص»، ونقول: «إن
الله وملائكته يصلون على النبي، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً».

٣ - نهج البلاغة / ٤٤٦؛ عبده ٢ / ٤٠ - ٤١.

٤ - سورة الاسراء (١٧) : ٩.

الحديث

١ النبي «ص» : مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَظَنَّ أَنَّ أَحَدًا أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ، فَقَدْ حَقَّرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ وَعَظَّمَ مَا حَقَّرَ اللَّهُ !.

٢ الامام الصادق «ع» : لَقَدْ تَجَلَّى اللَّهُ لِخَلْقِهِ فِي كَلَامِهِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يُبْصِرُونَ.^٢

* راجع للوقوف على الآيات والأحاديث الواردة في عظمة القرآن وكيفية معرفته: الباب الخاص للقرآن الكريم، في هذا الكتاب، وهو الباب السادس، في الجزء الثاني.

٤- الإمام المعصوم

الكتاب

١ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ *^٣

٢ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ، وَرَسُولُهُ، وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ *^٤

١ - الوسائل ٤ / ٨٢٧.

٢ - البحار ٩٢ / ١٠٧، عن كتاب «اسرار الصلاة».

٣ - سورة المائدة (٥) : ٦٧.

٤ - سورة المائدة (٥) : ٥٥.

٣ أَلْيَوْمَ، أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ، وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي، وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِيناً * ١

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع» - عن آباءه، عن النبي «ص»: «إِنَّ أَيْمَتَكُمْ قَادَتُكُمْ إِلَى اللَّهِ، فَانظُرُوا بِمَنْ تَقْتَدُونَ فِي دِينِكُمْ وَصَلَاتِكُمْ.»^٢
- ٢ الامام الصادق «ع» - عن آباءه، عن رسول الله: «إِنَّ أَيْمَتَكُمْ وَفُدُّكُمْ إِلَى اللَّهِ، فَانظُرُوا مَنْ تُوفِدُونَ فِي دِينِكُمْ وَصَلَاتِكُمْ.»^٣
- ٣ الامام الباقر «ع»: «يَا أَبَا حَمَزَةَ! يَخْرُجُ أَحَدُكُمْ فَرَايِحَ فَيَطْلُبُ لِنَفْسِهِ دَلِيلًا. وَانْتَ بِطُرُقِ السَّمَاءِ أَجْهَلُ مِنْكَ بِطُرُقِ الْأَرْضِ، فَاطْلُبْ لِنَفْسِكَ دَلِيلًا.»^٤
- ٤ الامام الباقر «ع» - في قوله تعالى: «أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ»^٥، فقال: «ميت» لا يعرف شيئاً، و«نوراً يمشي به في الناس» إماماً يؤتمُّ به، «كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا»، قال: الذي لا يعرف الإمام.^٦

١- سورة المائدة (٥): ٣. ولقد ورد نزول الآيات المذكورة في «واقعة الغدير» وقضايا «الإمامة الكبرى».

في مصادر الفريقين ومسانيدهما المعتمدة، فراجع: «الغدير»، «عِبَقَاتُ الْأَنْوَارِ»، و«المراجعات».

٢ - البحار ٨٨ / ٩٩، عن «كمال الدين».

٣ - البحار ٨٨ / ٨٦: قرب الاسناد / ٥٢.

٤ - الكافي ١ / ١٨٤ - ١٨٥.

٥ - سورة الانعام (٦): ١٢٣.

٦ - الكافي ١ / ١٨٥.

- ٥ الامام الصادق «ع» - قال راوي الحديث: قلت: جُعِلْتُ فِدَاكَ، قوله: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لَقْمَانَ الْحِكْمَةَ..»؟ قال: أُوتِيَ معرفة إمام زمانه.^١
- ٦ الامام الباقر «ع»: مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ فَمَوْتُهُ مِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَلَا يُعْذَرُ النَّاسُ حَتَّى يَعْرِفُوا إِمَامَهُمْ. وَمَنْ مَاتَ وَهُوَ عَارِفٌ لِإِمَامِهِ لَا يَضُرُّهُ تَقَدُّمُ هَذَا الْأَمْرِ أَوْ تَأَخُّرُهُ. وَمَنْ مَاتَ عَارِفًا لِإِمَامِهِ كَانَ كَمَنْ هُوَ مَعَ الْقَائِمِ فِي فُسْطَاطِهِ.^٢
- ٧ الامام الباقر «ع» (او الصادق «ع»): لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مُؤْمِنًا حَتَّى يَعْرِفَ اللَّهَ، وَرَسُولَهُ، وَالْإِمَّةَ كُلَّهُمْ، وَإِمَامَ زَمَانِهِ، وَيُرَدُّ إِلَيْهِ وَيُسَلَّمُ لَهُ. ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ يَعْرِفُ الْآخِرَ وَهُوَ يَجْهَلُ الْأَوَّلَ؟^٣.

٥- نائب الامام المعصوم

راجع لمعرفة مَنْ يَخْلُفُ الْإِمَامَ وَيَنْوِبُ عَنْهُ وَيَكُونُ جَدِيرًا
بِالنِّيَابَةِ، وَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ، الْبَابُ الْخَاصُّ لِمَعْرِفَةِ الْعُلَمَاءِ وَأَصْنَافِهِمْ
مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَهُوَ الْبَابُ الثَّامِنُ، فِي الْجِزَاءِ الثَّانِي. وَلَا تَنْسَ
الامعان في «الاشارة» الهامّة التي جئنا بها في مُنْتَهَى النَّظَرِ إِلَيْهِ،
حَيْثُ تَدُلُّ الْقُرَاءَةُ الْأَعْيَاءَ عَلَى وَجْهَاتٍ نَظَرْنَا مِنْ تَلَكُمُ الْبُحُوثِ،
وَعَلَى أَنْتَا بُرَاءً مِنَ التَّحْيِيزِ الْفَارِغِ ..

١ - تفسير علي بن ابراهيم القمي / ١٦١.

٢ - البحار ٢٣ / ٧٧، عن «المحاسن».

٣ - الكافي ١ / ١٨٠.

الفصلُ الثلاثون

معرفة الناس

أ- الاحوال العامة

الكتاب

- ١ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل، لتعارفوا،
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ *^١
- ٢ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ، ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ
خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا، وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً، إِنَّ
فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ،
وَإِخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ *^٢

الحديث

١ - سورة الحجرات (٤٩) : ١٣.

٢ - سورة الروم (٣٠) : ٢٠ - ٢٢.

- ١ الامام علي «ع» : يا بُنَيَّ! إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلْعَاقِلِ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ فِي شَأْنِهِ، فَلْيَحْفَظْ لِسَانَهُ، وَلْيَعْرِفْ أَهْلَ زَمَانِهِ!
- ٢ الامام الرضا «ع» : قال ابو جعفر «ع» : في حكمة آل داود : ينبغي للمسلم أن يكون مالكا لنفسه، مُقبلاً على شأنه، عارفاً باهل زمانه.^٢

ب- معرفة اهل الحق بالحق

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : إِنَّ دِينَ اللَّهِ لَا يُعْرَفُ بِالرِّجَالِ، بَلْ بِآيَةِ الْحَقِّ؛ فَأَعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَهُ. يَا حَارِثُ! إِنَّ الْحَقَّ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَالصَّادِعُ بِهِ مُجَاهِدٌ..^٣
- ٢ الامام علي «ع» : .. إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ، فَحَرَّتْ! إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ أَهْلَهُ، وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ..^٤

ج- معرفة الناس بالاختبار

الحديث

-
- ١ - امالي الطوسي ١ / ١٤٦.
 - ٢ - الكافي ٢ / ٢٢٤.
 - ٣ - البحار ٦٨ / ١٢٠، عن كتاب «بشارة المصطفى».
 - ٤ - نهج البلاغة / ١٢١٣؛ عبده ٣ / ٢١٦.

- ١ الامام علي «ع» : لا يُعَرَفُ النَّاسُ إِلَّا بِالِاخْتِبَارِ.^١
- ٢ الامام الحسن «ع» - لِبَعْضِ وُلْدِهِ: يَا بُنَيَّ! لَا تُؤَاخِرِ أَحَدًا حَتَّى تَعْرِفَ مَوَارِدَهُ وَمَصَادِرَهُ؛ فَإِذَا اسْتَنْبَطْتَ الْخُبْرَةَ، وَرَضَيْتَ الْعِشْرَةَ، فَآخِهِ عَلَى إِقَالَةِ الْعَثْرَةِ وَالْمَوَاسَاةِ فِي الْعُسْرَةِ.^٢
- ٣ الامام علي «ع» : مَنْ اتَّخَذَ أَخًا بَعْدَ حُسْنِ الْإِخْتِبَارِ، دَامَتْ صُحْبَتُهُ وَتَأَكَّدَتْ مَوَدَّتُهُ.^٣
- ٤ الامام علي «ع» : مَنْ لَمْ يُقَدِّمْ فِي اتِّخَاذِ الْإِخْوَانِ الْإِخْتِبَارَ، دَفَعَهُ الْإِغْتِرَارُ إِلَى صُحْبَةِ الْفَجَّارِ.^٤
- ٥ الامام علي «ع» - مِنْ عَهْدِهِ لِلِاشْتِرِ النَّخَعِيِّ: .. ثُمَّ لَا يَكُنْ اخْتِيَارُكَ أَيَاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَأَسْتِنَامَتِكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ، فَإِنَّ الرَّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ الْوَلَاةِ بِتَصْنُعِهِمْ، وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ. وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْأَمَانَةِ شَيْءٌ. وَلَكِنْ اخْتَبِرْهُمْ بِمَا وُلُّوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ، فَاعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَمَا كَانَ فِي الْعَامَّةِ أَثْرًا، وَأَعْرِفِهِمْ بِالْأَمَانَةِ وَجْهًا، فَإِنَّ ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلَّهِ، وَلِمَنْ وُلِّيتَ أَمْرَهُ..^٥
- ٦ الامام الجواد «ع» : مَنْ انْقَادَ إِلَى الطُّمَّانِينَةِ قَبْلَ الْخُبْرَةِ، فَقَدْ عَرَضَ نَفْسَهُ لِلِهَلَاكَةِ، وَلِلْعَاقِبَةِ الْمُتَعَبَةِ..^٦
- ٧ الامام الصادق «ع» : إِذَا كَانَ الزَّمَانُ زَمَانَ جَوْرِ، وَأَهْلُهُ أَهْلَ غَدْرِ، فَالطُّمَّانِينَةُ

١ - البحار ٧٨ / ١٠، عن «مطالب السؤل».

٢ - البحار ٧٨ / ١٠٥ - ١٠٦.

٣ و ٤ - غرر الحكم / ٢٩٢.

٥ - نهج البلاغة / ١٠١٥؛ عبده ٣ / ١٠٩.

٦ - البحار ٧٨ / ٣٦٤.

الى كلِّ أحدٍ عَجَزٌ.^١

- ٨ الامام علي «ع» : مَنْ جَهَلَ النَّاسَ، اسْتَنَامَ إِلَيْهِمْ.^٢
- ٩ الامام علي «ع» : أَخْبِرْ تَقْلَهُ.^٣
- ١٠ الامام العسكري «ع» : أَلْوَحْشَةُ مِنَ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ الْفِطْنَةِ بِهِمْ.^٤
- ١١ الامام الصادق «ع» : ثَلَاثٌ مِنْ عِلَامَاتِ الْمُؤْمِنِ: عِلْمُهُ بِاللَّهِ، وَمَنْ يُحِبُّ، وَمَنْ يُبْغِضُ.^٥
- ١٢ الامام الكاظم «ع» : إِذَا كَانَ الْجَوْرُ أَغْلَبَ مِنَ الْحَقِّ، لَمْ يَحِلَّ لِأَحَدٍ أَنْ يَظُنَّ بِأَحَدٍ خَيْرًا، حَتَّى يَعْرِفَ ذَلِكَ مِنْهُ.^٦

١ - تحف العقول / ٢٦٢.

٢ - غرر الحكم / ٢٧٤.

٣ - نهج البلاغة / ١٢٨٩؛ عبده ٣ / ٢٥٧.

٤ - البحار ٧٠ / ١١١، عن «عُدَّة الدّاعي».

٥ - الكافي ٢ / ١٢٦.

٦ - تحف العقول / ٣٠٢.

الفصل الحادي والثلاثون

معرفة العدو، انواعه، قدراته ومكائده، والمعاملة معه

الكتاب

- ١ .. فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ *^١
- ٢ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ، فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى
الظَّالِمِينَ *^٢
- ٣ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ، فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ
لِلْكَافِرِينَ *^٣
- ٤ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَّهَا إِيَّاهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ
عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ .. *^٤
- ٥ .. إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا *^٥
- ٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ، تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ، وَقَدْ

١ و ٢ - سورة البقرة (٢): ١٩٤ و ١٩٣.

٣ - سورة البقرة (٢): ٩٨.

٤ - سورة التوبة (٩): ١١٤.

٥ - سورة النساء (٤): ١٠١.

- كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ..^١
- ٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ، وَإِنْ تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *^٢
- ٨ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ، أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ، إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ *^٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: .. أَلَا وَإِنَّ أَعْقَلَ النَّاسِ، عَبْدٌ عَرَفَ رَبَّهُ فَأَطَاعَهُ، وَعَرَفَ عَدُوَّهُ فَعَصَاهُ ..^٤
- ٢ الامام علي «ع»: لَا تَسْتَصْغِرَنَّ عَدُوًّا وَإِنْ ضَعُفَ.^٥
- ٣ الامام علي «ع»: لَا تُعَامِلْ مَنْ لَا تُقَدِّرُ عَلَى الْإِنْتِصَافِ مِنْهُ.^٦
- ٤ الامام علي «ع»: لَا تُؤْمِنْ عَدُوًّا وَإِنْ شَكَرَ.^٧
- ٥ الامام علي «ع»: لَا تَغْتَرَّنَّ بِمُجَامَلَةِ الْعَدُوِّ، فَإِنَّهُ كَالْمَاءِ، وَإِنْ أُطِيلَ إِسْخَانُهُ بِالنَّارِ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ إِطْفَائِهَا.^٨
- ٦ الامام علي «ع»: آفَةُ الْقَوِيِّ، اسْتِضْعَافُ الْخَصْمِ.^٩

١ - سورة الْمُتَجِنَّة (٦٠) : ١ .

٢ - سورة التَّغَابُن (٦٤) : ١٤ .

٣ - سورة يَس (٣٦) : ٦٠ .

٤ - البحار ٧٧ / ١٧٩، عن كتاب «اعلام الدين».

٥ و ٦ - غرر الحكم / ٣٣٣ و ٣٣٢

٧ و ٨ و ٩ - غرر الحكم / ٣٣٣ و ٣٣٦ و ١٣٦ .

- ٧ الامام علي «ع» : الواحدُ مِنَ الأعداءِ كثيرٌ.^١
- ٨ الامام العسكري «ع» : اضعفُ الأعداءِ كيداً، مَنْ أظهرَ عداوتَهُ.^٢
- ٩ الامام علي «ع» : مَنْ استعانَ بِعدُوهِ على حاجتِهِ، ازدادَ بُعداً مِنْهَا.^٣
- ١٠ الامام علي «ع» : اكبرُ الأعداءِ أخفاهم مكيدهً.^٤
- ١١ الامام علي «ع» - مِنْ عَهْدِهِ للأشتر النَّخعي : .. ولا تَدْفَعَنَّ صَلِحاً دَعَاكَ اليه عَدُوَّكَ لله فيه رِضاً ، فَإِنَّ في الصُّلْحِ دَعَةً لِحُنُودِكَ، وراحةً مِنْ هُمُومِكَ، وَأَمناً لِبِلَادِكَ؛ وَلَكِنِ الحَذَرَ كُلَّ الحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بعدَ صَلِحِهِ، فَإِنَّ العَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ، وَاتَّهَمْ في ذَلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ.^٥

١ - غرر الحكم / ٢٥.

٢ - البحار ٧٨ / ٣٧٧، عن «الدرة الباهرة».

٣ - غرر الحكم / ٢٩٤.

٤ - مستدرک نهج البلاغة / ١٥٧.

٥ - نهج البلاغة / ١٠٢٧؛ عبده ٣ / ١١٧.

الفصل الثاني والثلاثون

معرفة البليات واثرها في تكامل الانسان

الكتاب

- ١ وكيف تَصْبِرُ على ما لم تُحِطْ به خُبْرًا؟ *^١
- ٢ ومالنا أن لا نتوكل على الله وقد هدانا سُبُلنا، ولنصبرن على ما آذيتُمونا، و
على الله فليتوكل المتوكلون *^٢

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع»: قال رسول الله «ص»: مَنْ يَعْرِفِ الْبَلَاءَ يَصْبِرُ عَلَيْهِ، وَمَنْ
لا يَعْرِفُهُ يُنْكِرُهُ.^٣
- ٢ الامام علي «ع»: لا يَصْبِرُ لِلْحَقِّ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُ فَضْلَهُ.^٤

١ - سورة الكهف (١٨) : ٤٨.

٢ - سورة ابراهيم (١٤) : ١٢.

٣ - امالي الصدوق / ٤٣٩.

٤ - غرر الحكم / ٣٤٩.

الفصل الثالث والثلاثون

معرفة الزّمان والأيّام وحوادثها وتحولاتها

الكتاب

- ١ .. وتلك الايّام نُدأولها بينَ النَّاسِ ، وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ ..^١
- ٢ فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ الْإِثْمَ الْإِثْمَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ؟ قُلْ : فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ *^٢
- ٣ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ : أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَذَكَرَهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ *^٣

الحديث

١ - سورة آل عمران (٣) : ١٤٠.

٢ - سورة يونس (١٠) : ١٠٢.

٣ - سورة ابراهيم (١٤) : ٥.

- ١ الامام علي «ع» : مَنْ عَرَفَ الْآيَّامَ، لَمْ يَغْفُلْ عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ.^١
- ٢ الامام علي «ع» : مَنْ فَهِمَ مَوَاعِظَ الزَّمَانِ، لَمْ يَسْكُنْ إِلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِالْآيَّامِ.^٢
- ٣ الامام علي «ع» : لَمْ يَعْقِلْ مَوَاعِظَ الزَّمَانِ، مَنْ سَكَنَ إِلَى حُسْنِ الظَّنِّ بِالْآيَّامِ.^٣
- ٤ الامام علي «ع» : مَنْ اِعْتَبَرَ بِالْغَيْرِ، لَمْ يَثِقْ بِمَسَالِمَةِ الزَّمَانِ.^٤
- ٥ الامام علي «ع» : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ لُؤْمَ ظَفْرِ الْآيَّامِ، لَمْ يَحْتَرِسْ مِنْ سَطَوَاتِ الدَّهْرِ، وَلَمْ يَتَحَفَّظْ مِنْ فَلَاتِ الزَّلَلِ، وَلَمْ يَتَعَاطَمْهُ ذَنْبٌ وَإِنْ عَظُمَ.^٥
- ٦ الامام علي «ع» : أَعْرِفُ النَّاسَ بِالزَّمَانِ، مَنْ لَمْ يَتَعَجَّبْ مِنْ أَحْدَاثِهِ.^٦
- ٧ الامام الصادق «ع» : فِي حِكْمَةِ آلِ دَاوُدَ : عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِزَمَانِهِ، مُقْبِلًا عَلَى شَأْنِهِ، حَافِظًا لَلِسَانِهِ.^٧
- ٨ الامام علي «ع» : لَا بُدَّ لِلْعَاقِلِ مِنْ ثَلَاثَ : أَنْ يَنْظُرَ فِي شَأْنِهِ، وَيَحْفَظَ لِسَانَهُ، وَيَعْرِفَ زَمَانَهُ.^٨

١ - الكافي ٨ / ٢٣ .

٢ - غرر الحكم / ٢٩٢ .

٣ و ٤ - غرر الحكم / ٢٥٩ و ٢٨٥ .

٥ - البحار ٧١ / ٣٤٢ . عن «كنز الفوائد» .

٦ - غرر الحكم / ٩٥ .

٧ - الكافي ٢ / ١١٦ .

٨ - تحف العقول / ١١٤ ؛ مستدرک نهج البلاغة / ١٥٩ .

الفصلُ الرَّابِعُ والثَّلَاثُونَ

معرفة النواميس التاريخية

الكتاب

- ١ أَو لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ؟ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا، وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ *^١
- ٢ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا، وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ، فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ *^٢
- ٣ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ، فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ، فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ؟ *^٣
- ٤ قُلْ : سِيرُوا فِي الْأَرْضِ، فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ *^٤

١ - سورة الروم (٣٠) : ٩.

٢ - سورة الاعراف (٧) : ١٠١.

٣ - سورة آل عمران (٣) : ١٣٧.

٤ - سورة النمل (٢٧) : ٦٩.

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع» : إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، عَنْ عَلِيِّ «ع» : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ «ص» قَالَ : .. وَأَغْفَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَتَّعِظْ بِتَغْيِيرِ الدُّنْيَا مِنْ حَالِهَا إِلَى حَالِهَا .. وَأَعْلَمُ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ.^١
- ٢ الامام علي «ع» : .. لَوْ أُعْتَبِرْتَ بِمَا مَضَى، حَفِظْتَ مَا بَقِيَ.^٢
- ٣ الامام علي «ع» : الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمٍ: عَلَى الصَّبْرِ، وَالْيَقِينِ، وَالْعَدْلِ، وَالْجِهَادِ. وَالْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ: عَلَى تَبَصُّرَةِ الْفِطْنَةِ، وَتَأَوُّلِ الْحِكْمَةِ، وَمَوْعِظَةِ الْعِبْرَةِ، وَسُنَّةِ الْأَوَّلِينَ. فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي الْفِطْنَةِ، تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ. وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ الْحِكْمَةُ، عَرَفَ الْعِبْرَةَ. وَمَنْ عَرَفَ الْعِبْرَةَ، فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي الْأَوَّلِينَ.^٣
- ٤ الامام علي «ع» : .. وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأَمْرِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثَلَاتِ، بِسُوءِ الْأَفْعَالِ، وَذَمِيمِ الْأَعْمَالِ؛ فَتَذَكَّرُوا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ، وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ. فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالِيهِمْ، فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتْ الْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ، وَزَاخَتْ الْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، وَمُدَّتِ الْعَافِيَةُ فِيهِ عَلَيْهِمْ، وَأَنْقَادَتْ النِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتْ الْكِرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلُهُمْ: مِنَ الْإِجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ، وَاللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ، وَالتَّحَاضُّ عَلَيْهَا، وَالتَّوَاصِي بِهَا. وَاجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ، وَأَوْهَنَ مُنْتَهُمَ: مِنْ تَضَاعُنِ الْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ الصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ النُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ الْأَيْدِي. وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ الْمَاضِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ

١ - البحار ٧٧ / ١١٢ .

٢ - نهج البلاغة / ٩٨١ : عبده ٣ / ٨٨ .

٣ - نهج البلاغة / ١٠٩٩ - ١١٠٠ : عبده ٣ / ١٥٧ .

كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ التَّمْحِصِ وَالْبَلَاءِ؟ أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ الْخَلَائِقِ أَعْبَاءً،
وَأَجْهَدَ الْعِبَادِ بَلَاءً، وَأَضْيَقَ أَهْلَ الدُّنْيَا حَالًا؟ اتَّخَذَتْهُمْ الْفِرَاعِنَةُ عَبِيدًا،
فَسَامُوهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمْ الْمُرَارَ، فَلَمْ تَبْرَحِ الْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ
الْهَلَكَةِ وَقَهْرِ الْغَلْبَةِ، لَا يَجِدُونَ حِيلَةً فِي امْتِنَاعٍ وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ، حَتَّى
إِذَا رَأَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَدَّ الصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَالِاحْتِمَالَ
لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ، جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَائِقِ الْبَلَاءِ فَرْجًا، فَأَبْدَلَهُمُ الْعِزَّ مَكَانَ
الذُّلِّ، وَالْأَمْنَ مَكَانَ الْخَوْفِ؛ فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا، وَأَيْمَةً أَعْلَامًا. وَقَدْ بَلَغَتْ
الْكَرَامَةُ مِنَ اللَّهِ لَهُمْ، مَا لَمْ تَذْهَبِ الْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ.

فَانظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ الْأَمْلاءُ مُجْتَمِعَةً، وَالْأَهْوَاءُ مُؤْتَلِفَةً،
وَالْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَالْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً، وَالسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَالْبَصَائِرُ نَافِذَةً،
وَالْعَزَائِمُ وَاحِدَةً؟! أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِينَ؟ وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ
الْعَالَمِينَ؟ فَانظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ، حِينَ وَقَعَتِ الْفُرْقَةُ،
وَتَشْتَتَّتِ الْأَلْفَةُ، وَاخْتَلَفَتِ الْكَلِمَةُ وَالْأَفِيدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا
مُتَحَارِبِينَ، قَدْ خَلَعَ اللَّهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كِرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ، وَبَقِيَ
قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ، عِبْرَةً لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنْكُمْ.^١

٥ الامام علي «ع»: أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ! .. وَأَعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ!
وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ! وَسِرُّ فِي دِيَارِهِمْ وَأَثَارِهِمْ،
فَانظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا، وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا..^٢

١ - نهج البلاغة / ٨٠١ - ٨٠٣: عبده ٢ / ١٧٥ - ١٧٧.

٢ - نهج البلاغة / ٩٠٩ - ٩١٠: عبده ٣ / ٤٤.

الفصل الخامس والثلاثون

عواقب الامور والنظر فيها

الكتاب

- ١ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَانْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً، وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ، أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ *^١
- ٢ .. وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ *^٢
- ٣ .. وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى *^٣

الحديث

- ١ الامام الباقر «ع»: قال رسول الله «ص»: .. إِذَا هَمَمْتَ بِأَمْرٍ فَتَدَبَّرْ عَاقِبَتَهُ، فَإِنَّ يَكُ خَيْرًا وَرُشْدًا فَاتَّبِعْهُ، وَإِنْ يَكُ غِيًّا فَدَعْهُ.^٤

١ - سورة الرعد (١٣) : ٢٢.

٢ - سورة الاعراف (٧) : ١٢٨ : سورة القصص (٢٨) : ٨٣.

٣ - سورة طه (٢٠) : ١٣٢.

٤ - البحار ٧٧ / ١٣٠، عن «المحاسن».

- ٢ الامام علي «ع» : المؤمنون هم الذين عرفوا ما امامهم.^١
- ٣ الامام علي «ع» - فيما كتب الى امراء الخراج: اما بعد! فانه من لم يحذر ما هو صائر اليه، لم يقدم لنفسه ولم يحرزها. ومن اتبع هواه وانقاد له فيما لم يعرف نفع عاقبته، عما قليل ليصبحن من النادمين.^٢
- ٤ الامام علي «ع» - لولده الحسين «ع» : .. ومن تورط في الامور بغير نظر في العواقب، فقد تعرض للنوائب..^٣
- ٥ الامام علي «ع» : الفكر في الامر - قبل ملبسته - يؤمن الزلل.^٤
- ٦ الامام الصادق «ع» : .. قف عند كل امر، حتى تعرف مدخله من مخرجه قبل - ان تقع فيه فتندم.^٥
- ٧ الامام الصادق «ع» : ان صاحب الدين فكر، فعلته السكينة، واستكان فتواضع .. وابصر العاقبة، فامن الندامة..^٦
- ٨ الامام الصادق «ع» : ليس بحازم من لم ينظر في العواقب . والنظر في العواقب، تلقيح للقلوب.^٧

١ - البحار ٧٨ / ٢٥، عن «مطالب السؤل».

٢ - البحار ٧٥ / ٣٥٥، عن كتاب «صفين»، لنصر بن مزاحم المنقري.

٣ - تحف العقول / ٦٦.

٤ - غرر الحكم / ٤٧.

٥ - تحف العقول / ٢٢٤.

٦ - البحار ٢ / ٥٣، عن «مجالس المفيد».

٧ - البحار ٧٢ / ١٩٧، عن «امالي الطوسي».

الفصل السادس والثلاثون

معرفة المنطلق العملي

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: مَنْ جَهَلَ مَوْضِعَ قَدَمِهِ زَلَّ.^١
- ٢ الامام علي «ع» - قِيلَ لَهُ: صِفْ لَنَا الْعَاقِلَ، فَقَالَ: هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ. فَقِيلَ: فَصِفْ لَنَا الْجَاهِلَ، فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: كُنْ كَالطَّبِيبِ الرَّفِيقِ الَّذِي يَدْعُ الدَّوَاءَ بِحَيْثُ يَنْفَعُ.^٣
- ٤ الامام الصادق «ع»: كَانَ الْمَسِيحُ «ع» يَقُولُ: .. فَكَذَلِكَ لَا تُحَدِّثُوا بِالْحِكْمَةِ غَيْرَ أَهْلِهَا فَتَجْهَلُوا، وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَأْتُمُوا. وَلْيَكُنْ أَحَدُكُمْ بِمَنْزِلَةِ الطَّبِيبِ الْمُدَاوِي، إِنْ رَأَى مَوْضِعاً لِذَوَائِهِ، وَإِلَّا أَمْسَكَ.^٤
- ٥ الامام علي «ع»: لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ، وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ. سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ. وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرِ مِنْهُ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَعَ بِكَ مَطِيئَةً

١ - غرر الحكم / ٢٦٨.

٢ - نهج البلاغة / ١١٩١: عبده ٣ / ٢٠٥.

٣ - البحار ٢ / ٥٣.

٤ - الوسائل ١١ / ٤٠١.

اللجاج! إِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصَّلَةِ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللُّطْفِ وَالْمُقَارَبَةِ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَدَلِ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُو، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ، وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ. لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتُعَادِي صَدِيقَكَ! وَأَمْحِضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً..^١

٦ الامام الحسين «ع»: لَا تَتَكَلَّمَنَّ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ! فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْوِزَرَ. وَلَا تَتَكَلَّمَنَّ فِيمَا يَعْنِيكَ حَتَّى تَرَى لِلْكَلامِ مَوْضِعًا؛ فَرُبَّ مُتَكَلِّمٍ قَدْ تَكَلَّمَ بِالْحَقِّ فَعِيبَ..^٢

٧ الامام الصادق «ع»: إِسْمَعُوا مِنِّي كَلَامًا هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مِنَ الدُّهْمِ الْمَوْقَفَةِ: لَا يَتَكَلَّمُ أَحَدُكُمْ بِمَا لَا يَعْنِيهِ، وَلْيَدْعُ كَثِيرًا مِنَ الْكَلَامِ فِيمَا يَعْنِيهِ، حَتَّى يَجِدَ لَهُ مَوْضِعًا؛ فَرُبَّ مُتَكَلِّمٍ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَنَى عَلَى نَفْسِهِ بِكَلَامِهِ. وَلَا يُمَارِئَنَّ أَحَدُكُمْ سَفِيهَاً وَلَا حَلِيمًا! فَإِنَّهُ مَنْ مَارَى حَلِيمًا أَقْصَاهُ، وَمَنْ مَارَى سَفِيهَاً أَرْدَاهُ. وَادْكُرُوا أَخَاكُمْ إِذَا غَابَ عَنْكُمْ، بِأَحْسَنِ مَا تُحِبُّونَ أَنْ تُذَكِّرُوا بِهِ إِذَا غَبْتُمْ عَنْهُ. وَاعْمَلُوا عَمَلَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُجَازِي بِالْإِحْسَانِ، مَا خُوذَ بِالْإِجْرَامِ.^٣

٨ الامام الصادق «ع»: يَا مُفْضَلُ بْنُ عُمَرَ! إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ إِلَى خَيْرٍ يَصِيرُ الرَّجُلُ أَوْ إِلَى شَرٍّ، فَانظُرْ أَيْنَ يَضَعُ مَعْرُوفَهُ. فَإِنْ كَانَ يَضَعُ مَعْرُوفَهُ عِنْدَ أَهْلِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَصِيرُ إِلَى خَيْرٍ. وَإِنْ كَانَ يَضَعُ مَعْرُوفَهُ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ.^٤

١ - نهج البلاغة / ٩٣٢ - ٩٣٣: عبده ٣ / ٥٩ - ٦٠.

٢ - البحار ٧٨ / ١٢٧، عن «كنز الفوائد».

٣ - امالي الطوسي ١ / ٢٢٨ - ٢٢٩.

٤ - الوافي ٣ (م) ٦ / ٦٤.

الفصل السادس والثلاثون : معرفة المنطلق العملي

- ٩ الامام علي «ع» : العاقلُ مَنْ أَحْسَنَ صَنَائِعَهُ، وَوَضَعَ سَعِيَهُ فِي مَوَاضِعِهِ.^١
- ١٠ الامام الصادق «ع» : مَنْ وَضَعَ حُبَّهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْقَطِيعَةِ.^٢
- ١١ الامام علي «ع» : قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكًا، إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا.^٣

١ - غرر الحكم / ٤٢ .

٢ - البحار ٧٤ / ١٨٧، عن «المحاسن».

٣ - نهج البلاغة / ٩٣٦؛ عبده ٣ / ٦٢ .

الفصل السابع والثلاثون

الإعداد الفكري لمراحل المعرفة

الكتاب

- ١ فلما جنَّ عليه الليلُ رأى كوكباً قال : هذا ربي، فلما أفل قال : لا أحبُّ الآفلين * فلما رأى القمرَ بازغاً قال : هذا ربي، فلما أفل قال : لئن لم يهْدني ربي لأكوننَّ من القومِ الضالِّين * فلما رأى الشمسَ بازغةً قال : هذا ربي، هذا أكبرُ، فلما أفلت قال : يا قومِ إني بريءٌ مما تُشركون * إني ووجهتُ وجهي للذي فطرَ السَّمواتِ والأرضِ، حنيفاً، وما أنا من المشركين *^١
- ٢ وما أرسلنا من رسولٍ إلاّ بلسانِ قومِهِ، لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ..^٢
- ٣ ولا تُجادِلوا أهلَ الكتابِ إلاّ بالتي هي أحسنُ، إلاّ الذين ظَلَموا مِنْهُمْ، وقُولُوا : آمنا بالذي أنزلَ إلينا وأنزلَ إليكم وإلهنا وإلهكم واحدٌ ونحنُ لَهُ مُسْلِمُونَ *^٣

١ - سورة الانعام (٦) : ٧٦ - ٧٩.

٢ - سورة ابراهيم (١٤) : ٤.

٣ - سورة العنكبوت (٢٩) : ٤٦.

الحديث

- ١ النبي «ص»: إنا أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلّم الناس بِقَدْرِ عُقُولِهِمْ .. أمرني رَبِّي بِمُدَارَاةِ النَّاسِ، كَمَا أَمَرْنَا بِإِقَامَةِ الْفَرَائِضِ.^١
- ٢ الامام الرضا «ع» - قال راوي الحديث: دَخَلْتُ مَعَ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَلَيَّ الرَّضَا «ع»، فَشَكَيْتُ إِلَيْهِ مَا يَلْقَى مِنْ أَصْحَابِهِ مِنَ الْوَقِيعَةِ، فَقَالَ الرَّضَا «ع»: ذَارِهِمْ فَإِنَّ عُقُولَهُمْ لَا تَبْلُغُ.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ؟ حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ وَأَمْسِكُوا عَمَّا يُنْكُرُونَ.^٣
- ٤ الامام الصادق «ع»: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «ع»: حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ! وَلَا تَحْمَلُوهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ، فَتَغْرُونَهُمْ بِنَا.^٤
- ٥ الامام الصادق «ع»: يَا عَبْدَ الْعَزِيزِ! إِنَّ الْإِيمَانَ عَشْرُ دَرَجَاتٍ بِمَنْزِلَةِ السُّلْمِ، يُصْعَدُ مِنْهُ مِرْقَاةٌ بَعْدَ مِرْقَاةٍ. فَلَا يَقُولَنَّ صَاحِبُ الْإِثْنَيْنِ لَصَاحِبِ الْوَاحِدِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْعَاشِرِ. فَلَا تُسْقِطْ مَنْ هُوَ دُونَكَ، فَيُسْقِطَكَ مَنْ هُوَ فَوْقَكَ. وَإِذَا رَأَيْتَ مَنْ هُوَ أَسْفَلُ مِنْكَ بِدَرَجَةٍ فَارْفَعْهُ إِلَيْكَ بِرِفْقٍ! وَلَا تَحْمَلَنَّ عَلَيْهِ مَا لَا يُطِيقُ فَتَكْسِرَهُ، فَإِنَّ مَنْ كَسَرَ مُؤْمِنًا فَعَلَيْهِ جَبْرُهُ.^٥
- ٦ الامام الباقر «ع»: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَنَازِلٍ، مِنْهُمْ عَلَى وَاحِدَةٍ، وَمِنْهُمْ عَلَى اثْنَتَيْنِ، وَمِنْهُمْ عَلَى ثَلَاثٍ، وَمِنْهُمْ عَلَى أَرْبَعٍ، وَمِنْهُمْ عَلَى خَمْسٍ، وَمِنْهُمْ

١ - البحار ٢ / ٤٩.

٢ - رجال الكشي / ٤٨٨.

٣ و ٤ - الغيبة، للنعماني / ٣٤ - ٣٥.

٥ - الكافي ٢ / ٤٥.

على سِتٍّ، ومنهم على سَبْعٍ. فلو ذَهَبَتْ تُحْمِلُ على صاحبِ الواحدةِ ثُنْتَيْنِ لم يَقُوْ، وعلى صاحبِ الثُّنْتَيْنِ ثلاثاً لم يَقُوْ، وعلى صاحبِ الثلاثِ أربعاً لم يَقُوْ، وعلى صاحبِ الأربعِ خمساً لم يَقُوْ، وعلى صاحبِ الخمسِ سِتّاً لم يَقُوْ، وعلى صاحبِ السِّتِّ سَبْعاً لم يَقُوْ، وعلى هذه الدَّرَجَاتِ.^١

٧ الامام علي «ع»: يا حُذِيْفَةَ! لا تُحَدِّثِ النَّاسَ بما لا يَعْلَمُونَ، فَيَطْغَوْا وَيَكْفُرُوا. إِنَّ مِنَ الْعِلْمِ صَعْباً شَدِيداً مَحْمِلُهُ، لو حَمَلْتَهُ الْجِبَالُ عَجَزَتْ عَنْ حَمَلِهِ. إِنَّ عِلْمَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ يُسْتَنْكَرُ وَيُبْطَلُ وَتُقْتَلُ رُوَاتُهُ وَيُسَاءُ إِلَى مَنْ يَتْلُوهُ، بَغِيّاً وَحَسِداً، لِمَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ عِتْرَةَ الْوَصِيِّ وَصِيِّ النَّبِيِّ «ص».^٢

٨ الامام الصادق «ع»: يا عَبْدَ الْعَالِي! إِنَّ أَحْتِمَالَ أَمْرِنَا لَيْسَ مَعْرِفَتُهُ وَقَبُولُهُ، إِنَّ أَحْتِمَالَ أَمْرِنَا هُوَ صَوْنُهُ وَسُتْرَتُهُ عَمَّنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ. فَاقْرَأْهُمْ السَّلَامَ وَرَحْمَةَ اللهِ (يعني الشيعة) وَقُلْ: قَالَ لَكُمْ: رَحِمَ اللهُ عَبْدًا اسْتَجَرَ مَوَدَّةَ النَّاسِ إِلَى نَفْسِهِ وَاللِّينَا، بَأَنَّ يُظْهَرَ لَهُمْ مَا يَعْرِفُونَ، وَيَكْفَى عَنْهُمْ مَا يُنْكِرُونَ.^٣

١ - الكافي ٢ / ٤٥.

٢ - البحار ٢ / ٧٨، عن كتاب «الغيبة»، للنعماني.

٣ - الغيبة، للنعماني / ٢٤ - ٣٥.

الفصل الثامن والثلاثون

الحرية الفكرية وطلب الصائب من الآراء

الكتاب

- ١ .. فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ *^١
- ٢ لا إكراه في الدين، قَدَتَّبِينَ الرَّشْدَ مِنَ الْغَيِّ، فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، لَا انْفِصَامَ لَهَا، وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: مَنْ اسْتَقْبَلَ وُجُوهَ الْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ الْخَطَأِ.^٣
- ٢ الامام علي «ع»: الظَّفَرُ بِالْحَزْمِ، وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ، وَالرَّأْيُ بِتَحْصِينِ

١ - سورة الزمر (٣٩): ١٧ - ١٨.

٢ - سورة البقرة (٢): ٢٥٦.

٣ - نهج البلاغة / ١١٦٩: عبده ٣ / ١٩٣.

الأسرار.^١

- ٣ الامام علي «ع» : الرَّأْيُ مَعَ الْأَنَاةِ. وَبِئْسَ الظَّهِيْرُ، الرَّأْيُ الفَطِيْر.^٢
- ٤ الامام علي «ع» : إِضْرِبُوا بَعْضَ الرَّأْيِ بِبَعْضٍ يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الصَّوَابُ. إِمخَضُوا الرَّأْيَ مَخْضَ السَّقَاءِ.^٣
- ٥ الامام علي «ع» : أُضْمُ آراءَ الرِّجَالِ، وَاخْتَرْتُ أَقْرَبَهَا إِلَى الصَّوَابِ، وَأَبْعَدَهَا عَنِ الْإِرْتِيَابِ.^٤
- ٦ الامام علي «ع» - النَّبِيُّ «ص» (من خطابِ الله تعالى له، ليلةَ المعراج):... يا أَحْمَدُ! إِسْتَعْمِلْ عَقْلَكَ قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ، فَمَنْ اسْتَعْمَلَ عَقْلَهُ لَا يَخْطَأُ وَلَا يَطْفَى.^٥
- ٧ الامام الصادق «ع» : .. إِنَّمَا يَهْلِكُ النَّاسُ لِإِنَّهُمْ لَا يَسْأَلُونَ.^٦

١ - نهج البلاغة / ١١١٠ : عبده ٣ / ١٦٣.

٢ - مستدرک نهج البلاغة / ١٨٧.

٣ - غرر الحكم / ٧١.

٤ - مستدرک نهج البلاغة / ١٥٢.

٥ - ارشاد القلوب / ٢٨٥.

٦ - الكافي ١ / ٤٠.

الفصلُ التاسع والثلاثون

المعرفة عن طريق الاضداد

أ - الاضداد

الحديث

١ الامام علي «ع»: اِعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرُّشْدَ، حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَرَكَهُ. وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الْكِتَابِ، حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَقَضَهُ. وَلَنْ تَمَسَّ كَوَابِهِ، حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي نَبَذَهُ.. وَلَنْ تَعْرِفُوا الضَّلَالَةَ، حَتَّى تَعْرِفُوا الْهُدَى. وَلَنْ تَعْرِفُوا التَّقْوَى، حَتَّى تَعْرِفُوا الَّذِي تَعَدَّى..^١

٢ الامام علي «ع»: إِنَّمَا يُعْرَفُ قَدْرُ النِّعَمِ بِمُقَاسَاةِ ضِدِّهَا.^٢

ب - المضادة مع الشيء للجهل به

١ - نهج البلاغة / ٤٥٠: عبده ٢ / ٤٣: الكافي ٨ / ٣٩٠.

٢ - غرر الحكم / ١٣٤.

الكتاب

١ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ..^١

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا.^٢
- ٢ الامام الباقر «ع» - عن آباءه، عن امير المؤمنين: .. فَمَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ..».^٣

١ - سورة يونس (١٠) : ٣٩.

٢ - نهج البلاغة / ١١٦٨ : عبده ٣ / ١٩٣.

٣ - البحار ١٠٤ / ٣٧٠.

الفصلُ الرابعون

معرفة الشيء بالخروج من اطاره

الحديث

١ الامام علي «ع»: إنما حُضَّ على المُشاوَرَة، لأنَّ رأيَ المُشيرِ صِرْفٌ، ورأيَ المُستشيرِ مشوبٌ بالهوى.^١

* إن الانسانَ المُستشير، مُتَلَبِّسٌ بالامرِ والعملِ الذي يستشيرُ فيه، وفكره مشغولٌ به، وربما يهوى ذلك العملَ ويحبُّ ان يَمْضِيَ فيه، لذلك فإنَّ رأيُه فيه ليس بذلك الرَّأيِ الخالصِ من شوائب الرّغبة والحبِّ والنظرة الايجابية، بل هو مُقَيَّدٌ باطار ذهنِيته واحساسه ورغْبته، فلا يتسنى له ان يتحرَّرَ من هذا الاطار؛ لاجل ذلك فإنَّ «رأيَ المُستشيرِ مشوبٌ بالهوى».

وامَّا المُشيرُ فهو على العكس من هذه كَلِّها، فله رأيٌ صائبٌ خالص، لانه خارجٌ من جو الامر والعمل الذي استشير فيه، وليس له جنوحٌ او حبٌّ او رغبةٌ، كما هو حال المُستشير؛ فمن الممكن له ان يُفكِّرَ في الامر تفكيراً مُجانِباً للهوى والعاطفة، فيأتي برأيٍ راشدٍ

يُقَارَبُ الصَّوَابُ، او هُوَ الصَّوَابُ؛ وِلا جِل ذلِكَ فَإِنَّ «رَأْيَ المُشِيرِ
صِرْفٌ».

وهذا كُلُّهُ حَضُّ عَلَى الشُّورَى وَالاسْتِشَارَةَ وَضَرْبِ الآرَاءِ
بِعِضِّهَا بِيَعِضٍ، وَتَأَكِيدُ عَلَى اهِمِّيَّةِ هَذَا العَمَلِ الكَبِيرَةِ.

٢ الامام الحسن «ع»: تُجْهَلُ النِّعَمُ ما أَقَامَتْ، فَإِذا وَلَّتْ عُرِفَتْ.^١

٣ الامام الصادق «ع»: مَنْ زَهَدَ فِي الدُّنْيَا أَثْبَتَ اللهُ الحِكْمَةَ فِي قَلْبِهِ، وَأَنْطَقَ بِهَا
لِسَانَهُ، وَبَصَّرَهُ عِيُوبَ الدُّنْيَا - دَاءَها وَدَوَاءَها - وَأَخْرَجَهُ مِنَ الدُّنْيَا سَالِمًا إِلَى
دَارِ السَّلَامِ.^٢

٤ الامام علي «ع»: إِزْهَدَ فِي الدُّنْيَا، يُبَصِّرُكَ اللهُ عَوْرَاتِها.^٣

١ - البحار ٧٨ / ١١٥، عن «اعلام الدين».

٢ - الكافي ٢ / ١٢٨.

٣ - نهج البلاغة / ١٢٧٢: عبده ٣ / ٢٤٨.

الفصلُ الحادي والاربعون

موانع المعرفة

أ - الحواجز النفسية (طابع تهذيب النفس في المعرفة)

الكتاب

- ١ واتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ..^١
- ٢ .. وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ..^٢
- ٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ، يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ..^٣

الحديث

-
- ١ - سورة البقرة (٢) : ٢٨٢.
 - ٢ - سورة الجمعة (٦٢) : ٢.
 - ٣ - سورة الحديد (٥٧) : ٢٨.

- ١ الامام علي «ع» : مَنْ لَمْ يُهَذِّبْ نَفْسَهُ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْعَقْلِ.^١
- ٢ النسي «ص» : مَا عُبدَ اللهُ بِمِثْلِ الْعَقْلِ. وَمَاتَمَّ عَقْلُ امْرِئٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهِ عَشْرُ خِصَالٍ : الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ، يَسْتَقِلُّ كَثِيرَ الْخَيْرِ مِنْ عِنْدِهِ، وَيَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الْخَيْرِ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَا يَتَّبِعُ لِطُلَّابِ الْحَوَائِجِ، وَلَا يَسْأَمُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ طَوْلَ عُمَرِهِ..^٢
- ٣ الامام علي «ع» : يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَحْتَرِسَ مِنْ سُكْرِ الْمَالِ ، وَسُكْرِ الْقُدْرَةِ، وَسُكْرِ الْعِلْمِ ، وَسُكْرِ الْمَدْحِ، وَسُكْرِ الشَّبَابِ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ ذَلِكَ رِياحاً خَبِيثَةً، تَسْلُبُ الْعَقْلَ، وَتَسْتَخِفُّ الْوَقَارَ.^٣

ب - الهوى

الكتاب

- ١ فَإِنَّ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ، فَأَعْلَمَ أَنَّهَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ، وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بغير هُدًى مِنَ اللَّهِ؟ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ *^٤
- ٢ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ، أَوَّخْتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنَ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ؟ *^٥

١ - غرر الحكم / ٢٩٣.

٢ - البحار ٦٩ / ٣٩٥ : الخصال ٢ / ٤٣٣ - مع اختلاف يسير.

٣ - غرر الحكم / ٣٥٦.

٤ - سورة القصص (٢٨) : ٥٠.

٥ - سورة الجاثية (٤٥) : ٢٣.

٣ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ، كَمَنْ زُيِّنَ لِلنَّاسِ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ * .. اولئك الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ *^١

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : عَدُوُّ الْعَقْلِ الْهَوَى.^٢
- ٢ الامام علي «ع» : كَمِ مِنْ عَقْلِ أُسِيرٍ، عِنْدَ هَوَى أَمِيرٍ.^٣
- ٣ الامام علي «ع» : الْهَوَى شَرِيكُ الْعَمَى.^٤

ج - الحبّ الاعمى

الكتاب

١ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى، فَأَخَذْتَهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ *^٥

١ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ١٤ و ١٦ .

٢ - البحار ٧٨ / ١٢ .

٣ - نهج البلاغة / ١١٨٢ : عبده ٣ / ٢٠١ .

٤ - نهج البلاغة / ٩٣٦ : عبده ٣ / ٦٢ .

٥ - سورة فصلت (٤١) : ١٧ .

٢ وعاداً وثمودَ وقد تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ، وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ، فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ، وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ *^١

الحديث

- ١ النبي «ص»: حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُعْمِي وَيُصِمُّ.^٢
- ٢ الامام علي «ع»: عَيْنُ الْمُحِبِّ عَمِيَّةٌ عَنِ مَعَايِبِ الْمَحْبُوبِ، وَأُذُنُهُ صَمَاءٌ عَنِ قُبْحِ مَسَاوِيهِ.^٣
- ٣ الامام علي «ع»: مَنْ عَشِقَ شَيْئًا أَعَشَى بَصَرَهُ، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ. فَهُوَ يَنْظُرُ بَعِينٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ، قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسَهُ. فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا وَلِمَنْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا: حَيْثَمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا، وَحَيْثَمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا، لَا يَنْزَجِرُ مِنَ اللَّهِ بِزَاجِرٍ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ..^٤
- ٤ الامام علي «ع»: لَا عَقْلَ مَعَ شَهْوَةٍ.^٥
- ٥ الامام علي «ع»: لِحُبِّ الدُّنْيَا صَمَّتِ الْأَسْمَاعُ عَنِ سَمَاعِ الْحِكْمَةِ، وَعَمِيَّتِ الْقُلُوبُ عَنِ نُورِ الْبَصِيرَةِ.^٦

١ - سورة العنكبوت (٢٩) : ٣٨.

٢ - البحار ٧٧ / ١٦٥، عن «غوالي اللثالي».

٣ - غرر الحكم / ٢٢٠.

٤ - نهج البلاغة / ٣٣٠: عبده ١ / ٢١١.

٥ - غرر الحكم / ٣٤٥.

٦ - غرر الحكم / ٢٥٢.

٦ الامام الصادق «ع» : كَتَبَ اميرُ المؤمنين «ع» الى بعضِ اصحابه يعظه: ..
فَارْفَضِ الدُّنْيَا! فَإِنَّ حُبَّ الدُّنْيَا يُعْمِي وَيُصِمُّ وَيُبِكِّمُ وَيُذِلُّ الرَّقَابَ.^١

د - العجب والكبرياء

الكتاب

- ١ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ، إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ،
مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ، فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ*^٢
- ٢ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ، فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
مُجْرِمِينَ؟*^٣
- ٣ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا، لَا تَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ..^٤
- ٤ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ، ظُلْمًا وَعُلُوًّا، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ؟*^٥

الحديث

-
- ١ - الكافي ٢ / ١٣٦.
 - ٢ - سورة غافر (٤٠) : ٥٦.
 - ٣ - سورة الجاثية (٤٥) : ٣١.
 - ٤ - سورة الاعراف (٧) : ٤٠.
 - ٥ - سورة النمل (٢٧) : ١٤.

- ١ الامام الرضا «ع» - عن الامام علي: حَسْبُكَ مِنَ الْجَهْلِ أَنْ تُعْجِبَ بِعِلْمِكَ.^١
- ٢ الامام علي «ع»: مَنْ أَعْجَبَتْهُ آرَأُوهُ، غَلَبَتْهُ أَعْدَاؤُهُ.^٢
- ٣ الامام الصادق «ع»: الْعُجْبُ صَارِفٌ عَنِ طَلَبِ الْعِلْمِ، دَاعٍ إِلَى الْغَمَطِ وَالْجَهْلِ.^٣
- ٤ الامام علي «ع»: .. لَا وَحْدَةَ أَوْ حَشٌّ مِنَ الْعُجْبِ.^٤
- ٥ الامام الصادق «ع»: لَا جَهْلَ أَضْرُّ مِنَ الْعُجْبِ.^٥
- ٦ الامام الصادق «ع»: مَنْ لَا يَعْرِفُ لِأَحَدٍ الْفَضْلَ، فَهُوَ الْمُعْجَبُ بِرَأْيِهِ.^٦
- ٧ الامام الهادي «ع»: مَنْ رَضِيَ عَنِ نَفْسِهِ، كَثُرَ السَّخِطُونَ عَلَيْهِ.^٧
- ٨ الامام علي «ع»: الْعُجْبُ يُفْسِدُ الْعَقْلَ.^٨
- ٩ الامام علي «ع»: مَنْ أَعْجَبَ بِفِعْلِهِ، أُصِيبَ بِعَقْلِهِ.^٩
- ١٠ الامام علي «ع»: .. يَا بُنَيَّ! إِعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ، وَأَفَةُ الْأَلْبَابِ.^{١٠}
- ١١ الامام علي «ع»: عُجِبُ الْمَرءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ.^{١١}
- ١٢ الامام الصادق «ع» - عن الامام علي: أَعْجَابُ الْمَرءِ بِنَفْسِهِ، دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ

١ - الوسائل ١ / ٧٩.

٢ - غرر الحكم / ٢٧٣.

٣ - المستدرک ١ / ١٧.

٤ - نهج البلاغة / ١١٣٩؛ عبده ٣ / ١٧٧.

٥ و ٦ - البحار ٧٢ / ٣١٥ - ٣١٦.

٨ و ٩ - غرر الحكم / ١٩ و ٢٧٧ - ٢٧٨.

١٠ - نهج البلاغة / ٩٢١؛ عبده ٣ / ٥١.

١١ - نهج البلاغة / ١١٨٢؛ عبده ٣ / ٢٠١.

عَقْلِهِ.^١

١٣ الامام علي «ع» : أَوَّلُ إِعْجَابِ الْمَرْءِ فَسَادُ عَقْلِهِ.^٢

هـ - الطَّمَع

الحديث

١ الامام علي «ع» : أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ، تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ.^٣

٢ الامام الكاظم «ع» : يَا هِشَامُ! إِيَّاكَ وَالطَّمَعَ .. فَإِنَّ الطَّمَعَ مِفْتَاحُ الذُّلِّ،
وَإِخْتِلَاسُ الْعَقْلِ ، وَإِخْتِلَاقُ الْمُرُوءَاتِ، وَتَدْنِيسُ الْعِرْضِ ، وَالذَّهَابُ
بِالْعِلْمِ.^٤

و - الغضب

الحديث

١ - الوسائل / ١ / ٧٥.

٢ - تحف العقول / ١٥٢.

٣ - نهج البلاغة / ١١٨٤؛ عبده ٣ / ٢٠٢.

٤ - تحف العقول / ٢٩٤.

١ الامام علي «ع» : غير مُنتَفِعٍ بِالْحِكْمَةِ، عَقْلٌ مَغْلُوبٌ بِالْغَضَبِ وَالشَّهْوَةِ.^١

ز - المجهود

الكتاب

- ١ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ، ظُلْمًا وَعُلُوًّا..^٢
- ٢ .. فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ، إِذْ كَانُوا يَجْحَدُوا بِآيَاتِ اللَّهِ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ *^٣

الحديث

١ الامام علي «ع» : اللَّجَاجَةُ تَسُلُّ الرَّأْيَ.^٤

ح - الاماني

١ - غرر الحكم / ٢٢٣.

٢ - سورة النمل (٢٧) : ١٤.

٣ - سورة الاحقاف (٤٦) : ٢٦.

٤ - نهج البلاغة / ١١٧٠؛ عبده ٣ / ١٩٤.

الكتاب

- ١ يُنَادُونَهُمْ : أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ قَالُوا : بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ، حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ، وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ*١

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : الاماني تُعمي أَعْيِنَ البصائر.٢

ط - الإكراه

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالَاً وَإِدْبَاراً، فَأُتَوْهَا مِنْ قَبْلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ.٣

ي - الرّواسب الفكرية

١ - سورة الحديد (٥٧) : ١٤.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٢١ : عبده ٣ / ٢٢٠.

٣ - نهج البلاغة / ١١٧٥ : عبده ٣ / ١٩٧.

الكتاب

- ١ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ، وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ *^١
- ٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ ، قَالُوا : حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أُولَئِكَ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ؟ *^٢
- ٣ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ : اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، قَالُوا : بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ، أُولَئِكَ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ؟ *^٣
- ٤ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ ، قَالُوا : مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ ، وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ *^٤

يا - تقليد الآباء والبيئات

الكتاب

- ١ قُلْ : يَا أَهْلَ الْكِتَابِ ، لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ ، وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيراً وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ *^٥

١ - سورة غافر (٤٠) : ٨٣.

٢ - سورة المائدة (٥) : ١٠٤.

٣ - سورة البقرة (٢) : ١٧٠.

٤ - سورة القصص (٢٨) : ٣٦.

٥ - سورة المائدة (٥) : ٧٧.

٢ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ اِبْرَاهِيمَ * اِذْ قَالَ لِاَبِيهِ وَقَوْمِهِ : مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا : نَعْبُدُ
اصْنَامًا فَانظُرْ لَهَا عَاقِبِينَ * قَالَ : هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ اِذْ تَدْعُونَ * اَوْ يَنْفَعُونَكُمْ اَوْ
يَضُرُّونَ * قَالُوا : بَلْ وَجَدْنَا اَبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ *^١

٣ بَلْ قَالُوا : اِنَّا وَجَدْنَا اَبَاءَنَا عَلَى اُمَّةٍ وَاِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا
ارْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ، اَلَا قَالُ مُتْرَفُوهَا : اِنَّا وَجَدْنَا اَبَاءَنَا عَلَى اُمَّةٍ
وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ * قَالَ : اُولَئِكَ جِئْتُكُمْ بِاَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ اَبَاءَكُمْ؟
قَالُوا : اِنَّا بِمَا اُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ *^٢

يب - الاستبداد والتفرد بالرأي

الكتاب

- ١ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا، وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ *^٣
- ٢ وَقَالُوا : قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ، وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ، وَمَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ
حِجَابٌ، فَأَعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ *^٤

الحديث

-
- ١ - سورة الشعراء (٢٦) : ٦٩ - ٧٤.
 - ٢ - سورة الزخرف (٤٣) : ٢٢ - ٢٤.
 - ٣ - سورة الاعراف (٧) : ١٩٨.
 - ٤ - سورة فصلت (٤١) : ٥.

- ١ الامام علي «ع» : لا رأيَ لِمَن انْفَرَدَ بِرَأْيِهِ.^١
- ٢ الامام علي «ع» : مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرَّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا.^٢
- ٣ الامام علي «ع» : العاقِلُ مَنِ اتَّهَمَ رَأْيَهُ، وَلَمْ يَتَّقِ بِكُلِّ مَا تُسَوَّلُ لَهُ نَفْسُهُ.^٣
- ٤ الامام علي «ع» : كَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا، أَنْ يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ.^٤
- ٥ الامام علي «ع» : كَفَى بِالْمَرْءِ غُرُورًا، أَنْ يَتَّقِ بِكُلِّ مَا تُسَوَّلُ لَهُ نَفْسُهُ.^٥
- ٦ الامام علي «ع» : مَنِ اسْتَغْنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ.^٦
- ٧ الامام علي «ع» : لا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقَ مِنَ الْمَشَاوِرَةِ.^٧
- ٨ الامام علي «ع» : قَدْ خَاطَرَ مَنِ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ.^٨

* و لعلَّ في هذا التأكيدِ البالغِ من الامام عليّ «ع» على المشاورةِ والمشاركةِ في عقولِ الرجالِ والخبراءِ، دليلاً كبيراً على اهميةِ هذا الامرِ للمتصدِّين للمناصبِ القياديةِ والحكوميةِ، فإنَّ قضاياها تَخْتَلِفُ عن القضايا الفرديةِ اختلافاً عظيماً.

١ - البحار ٧٥ / ١٠٥، عن «كنز الفوائد».

٢ - نهج البلاغة / ١١٦٥؛ عبده ٣ / ١٩٢.

٣ - غرر الحكم / ٤٤.

٤ و ٥ - غرر الحكم / ٢٤٣.

٦ - الكافي ٨ / ١٩.

٧ - نهج البلاغة / ١١٣٩؛ عبده ٣ / ١٧٧.

٨ - نهج البلاغة / ١١٨١؛ عبده ٣ / ٢٠١.

الفصل الثاني والاربعون

الشورى والاستشارة

الكتاب

- ١ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ، فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ، فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ*^١
- ٢ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ*^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: «إِسْتَرْشِدُوا الْعَاقِلَ وَلَا تَعْصُوهُ، فَتَنْدُمُوا»^٣.

١ - سورة آل عمران (٣) : ١٥٩.

٢ - سورة الشورى (٤٢) : ٣٨.

٣ - امالي الطوسي ١ / ١٥٢.

- ٢ الامام الصادق «ع» - عن أبيه: قيل لرسولِ الله «ص»: مَا الْحَزْمُ؟ قَالَ: مُشَاوَرَةُ ذَوِي الرَّأْيِ وَاتِّبَاعُهُمْ.^١
- ٣ الامام علي «ع»: حَقُّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُضِيفَ إِلَى رَأْيِهِ رَأْيَ الْعُقَلَاءِ، وَيُضْمَّ إِلَى عِلْمِهِ عُلُومَ الْحُكَمَاءِ.^٢
- ٤ الامام علي «ع»: مَنْ شَاوَرَ ذَوِي الْأَلْبَابِ، دُلَّ عَلَى الصَّوَابِ.^٣
- ٥ الامام علي «ع»: مَا اسْتَنْبَطَ الصَّوَابُ بِمِثْلِ الْمُشَاوَرَةِ.^٤
- ٦ الامام علي «ع»: لَا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ.^٥
- ٧ الامام علي «ع»: الْإِسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهَدَايَةِ، وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ.^٦
- ٨ الامام الصادق «ع» - عن الامامِ علي: مَا عَطِبَ امْرُؤٌ اسْتَشَارَ.^٧
- ٩ الامام علي «ع»: مَا ضَلَّ مَنْ اسْتَرْشَدَ وَلَا حَارَ مَنْ اسْتَشَارَ. الْحَازِمُ لَا يَسْتَبِدُّ بِرَأْيِهِ.^٨
- ١٠ الامام الصادق «ع» - عن الفضيل قال: اسْتَشَارَنِي أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَرَّةً فِي أَمْرٍ فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللَّهُ! مِثْلِي يُشِيرُ عَلَى مِثْلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا اسْتَشِيرَ بِكَ.^٩

١ - البحار ٧٥ / ١٠٠، عن «المحاسن».

٢ - غرر الحكم / ١٦٩.

٣ - الارشاد / ١٤٢.

٤ - غرر الحكم / ٣٠٨.

٥ - نهج البلاغة / ١١١٢؛ عبده ٣ / ١٦٤.

٦ - نهج البلاغة / ١١٨١؛ عبده ٣ / ١٠٢.

٧ - تحف العقول / ١٥٣.

٨ - البحار ٧٨ / ١٣، عن «مطالب السؤل».

٩ - البحار ٧٥ / ١٠١، عن «المحاسن».

١١ الامام الصادق «ع» : لَنْ يَهْلِكَ أَمْرٌ عَلَى الْمَشُورَةِ.^١

الفات نظر

لقد وردت في احاديث ائمة الدين والعقل المعصومين «ع» و
- تعاليمهم - اضافة الى الآيات القرآنية الصريحة، الواردة في الحض
على الشورى والاستشارة والترغيب فيهما - تأكيدات منبهة
وحوافز موقظة بصد هذا الامر العظيم، يعنى: الاستشارة والتماس
الآراء وغربلتها. فنحن نجد بهذا الصدد تعابير متنوعة ذات ايقاع
حاسم:

- ١ - «مَنْ جَهَلَ وُجُوهَ الآرَاءِ أَعْيَتْهُ الْحِيلُ».^٢
 - ٢ - «إِضْرِبُوا بَعْضَ الرَّأْيِ بَبَعْضٍ، يَتَوَلَّدُ مِنْهُ الصَّوَابُ».^٣
 - ٣ - «لَا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ».^٤
 - ٤ - «مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ، وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي
عُقُولِهَا».^٥
 - ٥ - «مَنْ اسْتَغْنَى بِعَقْلِهِ زَلَّ».^٦
- وإن هذه البيانات والتعاليم والتعابير إنما جاءت - كما سلفت
الإشارة إليه - للتأكيد الجاد على ذلك الامر المصيرى، وهو التماس
الآراء و ضرب بعضها ببعض ليتولد الصواب منها، ولاسيما في
المسائل والقضايا المتعلقة بالمجتمع، والاقتصاد، والسياسة،

١ - البحار ٧٥ / ١٠١.

٢ - غرر الحكم / ٢٤٨.

٣ - غرر الحكم / ٧١.

٤ - نهج البلاغة / ١١١٢ : عبده ٣ / ١٤٤.

٥ - نهج البلاغة / ١١٤٥ : عبده ٣ / ١٩٢.

٦ - الكافي ٨ / ١٩.

والادارة، والثقافة، والدفاع؛ وكذلك وَرَدَتْ لِلتَّحْذِيرِ عَنِ الاستبدادِ والتفرد بالرأي، في اتّخاذِ القرارِ والعمل.

وَمِنَ الواجبِ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّهُ قَلَّمَا يَنْتَظِمُ امْرَأُوعَمَلُ ذَوَاهِمِيَّةٍ، انتظاماً مطلوباً، بلااستشارة. إِنَّ الاستشارة - على ما جاء في التعاليم - امرٌ لازمٌ بِنَاءِ يَصُونُ مِنَ الوقوعِ فِي الأخطاءِ والأضرارِ وَمِنَ السَّقُوطِ والانهيار. وَإِنَّ لزومَ رعايَةِ هذا الامرِ إِنَّمَا يَتَأَكَّدُ لِرُؤَاةِ المجتمعِ ومديره ومسؤوليه، ولعلماءِ الدين، بل هو واجبٌ قطعيٌّ على الجميع، لا مَحِيدٌ عنه ولا بدل منه.

وَإِنَّ كُلَّ انسانٍ - فِي أَيِّ مرتبةٍ كان - لا يستغني عن الاستشارة والتماسِ الآراءِ والاستمتاعِ بعقولِ الآخرين وتجارِبِهِمْ وخُبْرَاتِهِمْ. وقد يجب أحياناً الرُّجُوعُ إلى اشخاصٍ اولجنةٍ صالحَةٍ امينة، مُتَفَتِّحَةٍ الفكر، واسعةِ الافق، خبيرةٍ بصيرة .. فإيُّ انسانٍ يكون مستغنياً عن هذا الامر؟ مَعَ أَنَّا نَشَاهِدُ أَنَّ المعصوم - وهو المستغني عن كلِّ هذه الامور حقيقةً - يَتَذَكَّرُ وَيَسْتَشِيرُ - تعليماً لنا وتربيةً - وَيُثَبِّتُ لهذا العملِ قيمته، وَيَرى للآخرين حقَّ إبداءِ الرَّأْيِ، وَيُنَادِي مُعلنًا بقبولِ الرَّأْيِ المُصِيبِ: «... وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَ فِي حَقِّي قِيلَ لِي، وَلَا التَّماسِ إِعْظَامِ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مِنِ اسْتِثْقَالِ الحَقِّ أَنْ يُقالَ لَهُ، اوِالعدلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كانَ العملُ بهما أَثْقَلَ عَلَيْهِ؛ فَلاتَكْفُوا عَن مَقالَةٍ بِحَقِّي، ولا مَشُورَةٍ بَعْدَلٍ»^١.

وَإِنَّ العقلَ السَّليمَ يَحْكُمُ ايضاً بأنَّ الانسانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ لا يكتفي برأيه الشخصي، بل عليه أَنْ يَسْتفيدَ مِنَ العقولِ والآراءِ والالبابِ و البصائرِ و الاختصاصاتِ والتجارب. وَإِنَّ الانسانَ - غيرَ المُستَبَدِّ وغيرَ المُعْجَبِ بِنَفْسِهِ ورأيه - يَقْبَلُ هذا الحكمَ الَّذِي

الفصل الثاني والاربعون : الشورى والاستشارة

تطابق عليه الشرع والعقل ويعمل بمقتضاه.
راجع بهذا الصدد ايضاً: الفصول، السادس، والثامن
والثلاثين، والاربعين، والحادي والاربعين، من هذا الباب.
ومن المسلم به، أنّ للاستشارة والاشارة آداباً و اخلاقاً،
ينبغي أن تُسمى: «اخلاق الاستشارة و آدابها». ومن المتيقن أنّ
رعاية تلك الأخلاق والآداب واجبة على كل من المستشار
والمشير. ولقد جاءت نماذج منها في الفصول، الثالث والاربعين، و
الرابع والاربعين، والسادس والاربعين، من هذا الباب، فراجع.

الفصل الثالث والاربعون

رعاية الحكمة في الاستشارة

الحديث

- ١ النبي «ص»: يا علي! لا تُشاورَنَّ جَبَانًا، فَإِنَّهُ يُضَيِّقُ عَلَيْكَ الْمَخْرَجَ. وَلَا تُشاورَنَّ الْبَخِيلَ، فَإِنَّهُ يُقْصِرُ بِكَ عَنْ غَايَتِكَ. وَلَا تُشاورَنَّ حَرِيصًا، فَإِنَّهُ يُزِينُ لَكَ شَرَهَا. وَأَعْلَمَ يَا عَلِي! أَنَّ الْجُبْنَ وَالْبُخْلَ وَالْحِرْصَ غَرِيزَةٌ وَاحِدَةٌ يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.^١
- ٢ الامام علي «ع»: .. لَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعْدُكَ الْفَقْرَ، وَلَا جَبَانًا يُضَعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ، وَلَا حَرِيصًا يُزِينُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ.^٢
- ٣ الامام الصادق «ع»: شاورُ فِي أُمُورِكَ مِمَّا يَقْتَضِي الدِّينَ، مَنْ فِيهِ خَمْسُ خِصَالٍ: عَقْلٍ، وَحِلْمٍ، وَتَجَرِبَةٍ، وَنُصْحٍ، وَتَقْوَى.^٣
- ٤ الامام الصادق «ع»: لَا تَكُونَنَّ أَوَّلَ مُشِيرٍ، وَإِيَّاكَ وَالرَّأْيَ الْفَطِيرَ، وَتَجَنَّبْ

١ - الخصال ١ / ١٠٢.

٢ - نهج البلاغة / ٩٩٨: عبده ٣ / ٩٧.

٣ - البحار ٧٥ / ١٠٣، عن «مصباح الشريعة».

الفصل الثالث والاربعون : رعاية الحكمة في الاستشارة

ارْتِجَالَ الْكَلَامِ، وَلَا تُشِرْ عَلَى مُسْتَبِدِّ بَرَائِهِ، وَلَا عَلَى وَغْدٍ، وَلَا عَلَى مُتَلَوِّنٍ،
وَلَا عَلَى لَجُوجٍ . وَخَفِ اللَّهَ فِي مُوَافَقَةِ هَوَى الْمُسْتَشِيرِ؛ فَإِنَّ التِّمَّاسَ
مُوَافَقَتِهِ لُؤْمٌ، وَسُوءَ الْاسْتِمَاعِ مِنْهُ خِيَانَةٌ.^١

٥ الامام علي «ع» : مُشَاوَرَةُ الْجَاهِلِ الْمُسْفِقِ خَطْرٌ.^٢

٦ الامام الصادق «ع» : شَاوِرْ فِي أَمْرِكَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.^٣

٧ الامام علي «ع» : إِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ، إِلَّا مَنْ جُرِّبَتْ بِكَمَالِ عَقْلٍ.^٤

* تقوم الشخصية النسوية على اساس العاطفة والاحساس
في الاعم الاغلب؛ وواضح ان اتباع ماتدعو اليه العاطفة
والاحساس - فيما ينبغي الاستشارة فيه - سبب للضياع والخسران.
من هنا يلزم من استشير النساء ان يرجع الى اللواتي ضبطن
احاسيسهن وركنن الى المنطق وجربن بكمال العقل.
وهذا يجري بوجه في مشاورة الرجال ايضاً، لانه لا تصح
مشاورة كل رجل من الرجال، الا من عرف بالعقل والتقوى
والشجاعة والسخاء والتجربة والامانة والعلم والنصح - كما سلف
في التعاليم السابقة .

١ - البحار ٧٥ / ١٠٤، عن «الدرة الباهرة».

٢ - غرر الحكم / ٣١٩.

٣ - البحار ٧٥ / ٩٨، عن «الخصال».

٤ - البحار ١٠٣ / ٢٥٣، عن «كنز الفوائد».

الفصل الرابع والاربعون

النصيحة في الاستشارة

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: اِنْصَحْ لِمَنْ اسْتَشَارَكَ.^١
- ٢ الامام الصادق «ع»: قَالَ لِقَمَانُ لِابْنِهِ: إِذَا سَافَرْتَ مَعَ قَوْمٍ ، فَأَكْثِرِ اسْتِشَارَتَكَ إِيَّاهُمْ فِي أَمْرِكَ وَأُمُورِهِمْ .. وَإِذَا اسْتَشْهَدُوكَ عَلَى الْحَقِّ ، فَاشْهَدْ لَهُمْ . وَاجْهَدْ رَأْيَكَ لَهُمْ إِذَا اسْتَشَارُوكَ . ثُمَّ لَا تَعَزِّمْ حَتَّى تَثْبِتَ وَتَنْظُرَ ، وَلَا تُجِبْ فِي مَشُورَةٍ حَتَّى تَقُومَ فِيهَا وَتَقْعُدَ ، وَتَنَامَ وَتَأْكُلَ وَتُصَلِّيَ ، وَأَنْتَ مُسْتَعْمِلُ فِكْرِكَ وَحِكْمَتِكَ فِي مَشُورَتِهِ . فَإِنَّ مَنْ لَمْ يُمَحِّضِ النَّصِيحَةَ لِمَنْ اسْتَشَارَهُ ، سَلَبَهُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - رَأْيَهُ وَنَزَعَ اللَّهُ عَنْهُ الْأَمَانَةَ ..^٢
- ٣ الامام الصادق «ع» - عن النبي «ص»: مُشَاوَرَةُ الْعَاقِلِ النَّاصِحِ ، يُمْنٌ وَرُشْدٌ وَتَوْفِيقٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، فَإِذَا أَسَارَ عَلَيْكَ النَّاصِحُ الْعَاقِلُ فَايَّاكَ وَالْخِلَافَ ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْعَطَبَ.^٣

١ - المستدرک ٢ / ٦٦ .

٢ - الکافی ٨ / ٣٤٨ .

٣ - البحار ٩١ / ٢٥٤ .

الفصل الرابع والاربعون : النصيحة في الاستشارة

٤ الامام علي «ع» : أَمَا بَعْدُ، فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ، الْعَالِمِ الْمُجْرَبِ،
تُورِثُ الْحَيْرَةَ وَتُعْقِبُ النَّدَامَةَ.^١

٥ الامام الكاظم «ع» : يَا هِشَامُ! مُجَالَسَةُ أَهْلِ الدِّينِ شَرَفُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ،
وَمُشَاوَرَةُ الْعَاقِلِ النَّاصِحِ يُمْنٌ وَبِرْكَةٌ وَرُشْدٌ وَتَوْفِيقٌ مِنَ اللَّهِ. فَإِذَا أَسَارَ
عَلَيْكَ الْعَاقِلُ النَّاصِحُ، فَإِيَّاكَ وَالْخِلَافَ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْعَطَبَ.^٢

٦ الامام الصادق «ع» : إِسْتَشِيرِ الْعَاقِلَ مِنَ الرِّجَالِ فَإِنَّهُ لَا يَأْمُرُ إِلَّا بِخَيْرٍ. وَإِيَّاكَ
وَالْخِلَافَ، فَإِنَّ خِلَافَ الْوَرِعِ الْعَاقِلِ مَفْسَدَةٌ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا.^٣

١ - نهج البلاغة / ١١٦ : عبده ١ / ٨١.

٢ - تحف العقول / ٢٩٣.

٣ - البحار ٧٥ / ١٠١، عن «المحاسن».

الفصل الخامس والاربعون

النقد واكتمال المعرفة به

الكتاب

١ وإذا قيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ، أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ، فَحَسِبُهُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ * ١

الحديث

١ الامام علي «ع»: لِيَكُنْ آثَرُ النَّاسِ إِلَيْكَ، مَنْ أَهْدَى إِلَيْكَ رُشْدَكَ، وَكَشَفَ لَكَ عَنْ مَعَايِبِكَ. ٢

٢ الامام الصادق «ع»: أَحَبُّ إِخْوَانِي إِلَيَّ، مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي. ٣

٣ الامام علي «ع»: مَنْ بَصَّرَكَ عَيْبِكَ، فَقَدْ نَصَحَكَ. ٤

١ - سورة البقرة (٢): ٢٠٦.

٢ - غرر الحكم / ٢٥٤.

٣ - المستدرک ٢ / ٦٣.

٤ - غرر الحكم / ٢٦٥.

- ٤ الامام الحسين «ع»: مَنْ أَحَبَّكَ نَهَاكَ، وَمَنْ أَبْغَضَكَ أَغْرَاكَ.^١
- ٥ الامام الكاظم «ع» - عن النبي «ص»: الْمَوْمِنُ مِرَاةٌ لِأَخِيهِ الْمَوْمِنِ.^٢
- ٦ الامام علي «ع»: إِنَّمَا يُسَمَّى الصَّدِيقُ صَدِيقًا، لِأَنَّهُ يَصْدُقُكَ فِي نَفْسِكَ وَمَعَايِبِكَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَاسْتَنِمَ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ صَدِيقٌ.^٣
- ٧ الامام علي «ع»: إِنَّمَا يُجِبُّكَ مَنْ لَا يَتَمَلَّقُكَ، وَيُثْنِي عَلَيْكَ مَنْ لَا يَسْمَعُكَ.^٤
- ٨ الامام الصادق «ع» - عن الامام علي: الْمُسْلِمُ مِرَاةٌ أَخِيهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْ أَخِيكُمْ هَفْوَةً، فَلَا تَكُونُوا عَلَيْهِ إِبَاءً، وَكُونُوا لَهُ كَنَفْسِهِ، وَأَرْشِدُوهُ وَانصَحُوا، وَتَرَفَّقُوا بِهِ.^٥

١ - البحار ٧٨ / ١٢٨.

٢ - نوادر الراوندي / ٨.

٣ و ٤ - غرر الحكم / ١٣٤.

٥ - البحار ١٠ / ٩٧: تحف العقول / ٧٧ - مع اختلاف.

الفصل السادس والاربعون

لا غش في النصيحة

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: مَنْ سَاتَرَ عَيْبَكَ، فَهُوَ عَدُوُّكَ.^١
- ٢ الامام الجواد «ع»: قَدْ عَادَاكَ مَنْ سَتَرَ عَنْكَ الرَّشِدَ، اتَّبَاعاً لِمَا تَهْوَاهُ.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: مَنْ سَاتَرَكَ عَيْبَكَ وَعَابَكَ فِي غَيْبِكَ، فَهُوَ الْعَدُوُّ، فَاحْذَرُهُ.^٣
- ٤ الامام علي «ع»: مَنْ مَدَحَكَ، فَقَدْ ذَبَحَكَ.^٤
- ٥ الامام علي «ع»: إِنَّمَا سُمِّيَ الْعَدُوُّ عَدُوًّا، لِأَنَّهُ يَعْذُو عَلَيْكَ. فَمَنْ دَاهَنَكَ فِي مَعَايِبِكَ فَهُوَ الْعَدُوُّ.^٥

١ - غرر الحكم / ٢٧٤.

٢ - البحار ٧٨ / ٣٦٤، عن «اعلام الدين».

٣ - غرر الحكم / ٢٨٦.

٤ - غرر الحكم / ٢٦٥ - ٢٦٦.

٥ - غرر الحكم / ١٣٤.

الفصل السابع والاربعون

قبول النقد

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: .. لا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَاً فِي حَقِّ قِيلَ لِي، وَلَا التِمَاسَ إعْظَامٍ لِنَفْسِي، فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثَقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ، كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ، فَلَا تَكُفُّوا عَن مَقَالَةٍ بِحَقِّ أَوْ مَشُورَةٍ بَعْدَلٍ ..^١
- ٢ الامام الهادي «ع» - إِنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ مَوَالِيهِ: عَاتِبْ فَلَانًا وَقُلْ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَرَادَ بَعِيدٍ خَيْرًا إِذَا عُوْتِبَ قَبْلَ.^٢
- ٣ الامام الجواد «ع»: الْمُؤْمِنُ يَحْتَاجُ إِلَى تَوْفِيقٍ مِنَ اللَّهِ، وَوَاعِظٍ مِنْ نَفْسِهِ، وَقَبُولٍ مِمَّنْ يَنْصَحُهُ.^٣

١ - نهج البلاغة / ٦٨٧: عبده ٢ / ٢٢٧.

٢ - المستدرک ٢ / ٦٣.

٣ - تحف العقول / ٣٣٧.

الفصل الثامن والاربعون

اليقظة

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: اليقظة نور.^١
- ٢ الامام الصادق «ع» - عن الامام علي: المؤمن يقظان، مترقب، خائف، ينتظر إحدى الحسينيين.^٢

* هذا التعبير: «إحدى الحسينيين»، مُستل من القرآن الكريم (سورة التوبة / ٥٢). قال الشيخ الطبرسي في تفسير الآية: «قل: هل ترَبُّون بنا إلا إحدى الحسينيين؟»: معناه هل تنتظرون لنا إلا إحدى الخصلتين الحميدتين، والنعمتين العظيمتين، أما الغلبة والغنيمة في العاجل، وأما الشهادة مع الثواب الدائم في الآجل».^٣
والمقصود من كلام الامام علي «ع»: «المؤمن .. ينتظر إحدى الحسينيين، أن المؤمن اليقظ المجاهد، يبلغ في حياته إلى إحدى

١ - غرر الحكم / ١٣.

٢ - البحار / ١٠ / ١١١.

٣ - مجمع البيان / ٥ / ٣٧.

الفصل الثامن والاربعون : اليقظة

الغائتين الغاليتين، إِمَّا تَحَقُّقِ أَهْدَافِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ الْمِثَالِيَّةِ، وَإِمَّا التَّضْحِيَّةِ بِنَفْسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْفَوْزِ بِلِقَائِهِ تَعَالَى . وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى : إِنْ الْمُؤْمِنَ الْمُجَاهِدُ يَفُوزُ إِمَّا بِحَيَاةٍ مِثَالِيَّةٍ وَإِمَّا بِمَوْتٍ مِثَالِي . وَهَذِهِ هِيَ قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ الْكَبِيرَةِ وَغَايَةُ الْحَيَاةِ السَّامِيَّةِ .

- ٣ الامام علي «ع» : الْحَازِمُ يَقْظَانُ^١.
- ٤ الامام علي «ع» : مَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ يَقْظَةٌ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَفْظَةٌ^٢.
- ٥ الامام علي «ع» : مَنْ لَمْ يَسْتَظْهِرْ بِالْيَقْظَةِ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْحَفْظَةِ^٣.

١ - غرر الحكم / ١٣ .

٢ - غرر الحكم / ٢٨٦ .

٣ - غرر الحكم / ٢٩٤ .

الفصلُ التاسعُ والاربعون

الكياسة والفهم

الحديث

- ١ النبي «ص»: «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِأَكْبَسِ الْكَيْسِيِّنَ وَاحْمَقِ الْحُمَقَاءِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: أَكْبَسُ الْكَيْسِيِّنَ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ. وَاحْمَقُ الْحُمَقَاءِ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهُ، وَتَمَنَّى عَلَيَّ اللَّهُ الْأَمَانِيَّ.^١
- ٢ الامام الصادق «ع» - في حديثِ جُنُودِ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ: .. الشَّهَامَةُ وَضُدُّهَا الْبَلَادَةُ، وَالْفَهْمُ وَضُدُّهَا الْغَبَاوَةُ، وَالْمَعْرِفَةُ وَضُدُّهَا الْإِنْكَارُ..^٢
- ٣ الامام علي «ع»: الْكَيْسِيُّ مَنْ أَحْيَى فِضَائِلَهُ، وَأَمَاتَ رِذَائِلَهُ، بِقَمْعِهِ شَهْوَتَهُ وَهَوَاهُ..^٣
- ٤ الامام علي «ع»: الْكَيْسِيُّ مَنْ قَصَرَ آمَالَهُ..^٤

١ - البحار ٧٠ / ٦٩ - ٧٠، عن «تفسير الامام العسكري».

٢ - الكافي ١ / ٢٢.

٣ - غرر الحكم / ٤٨١.

٤ - غرر الحكم / ١٩.

- ٥ الامام علي «ع» : لِلْكَيْسِ فِي كُلِّ شَيْءٍ اتِّعَاضٌ.^١
- ٦ الامام الحسن «ع» : إِنَّ أَكْيَسَ الْكَيْسِ ، التَّقَى . وَأَحَمَقَ الْحُمَقِ ، الْفُجُورُ.^٢
- ٧ الامام علي «ع» - قال له زيد بن صوحان العبدي : .. فَأَيُّ النَّاسِ أَكْيَسُ؟ قَالَ : مَنْ أَبْصَرَ رُشْدَهُ مِنْ غَيْهِ ، فَمَالَ إِلَى رُشْدِهِ.^٣
- ٨ الامام علي «ع» : إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةَ الْأُكْيَاسِ ، عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجْزَةِ.^٤
- ٩ الامام علي «ع» : يَا هَمَّامُ ! الْمُؤْمِنُ هُوَ الْكَيْسُ الْفَطِنُ.^٥

١ - غرر الحكم / ٢٥٢ .

٢ - كشف الغمّة / ١ / ٥٧١ .

٣ - معاني الاخبار / ١٩٠ .

٤ - نهج البلاغة / ١٢٤٣ : عبده / ٣ / ٢٣٢ .

٥ - الكافي / ٢ / ٢٢٦ .

الفصلُ الخمسون

التَّجَنُّبُ عَنِ الْغَفْلَةِ

الكتاب

- ١ ولَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ، لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا، وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا، أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ، أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ *^١
- ٢ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا، وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا، وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ *^٢
- ٣ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ، لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً، وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ *^٣

الحديث

١ - سورة الاعراف (٧) : ١٧٩.

٢ - سورة يونس (١٠) : ٧ - ٨.

٣ - سورة يونس (١٠) : ٩٢.

- ١ الامام الصادق «ع» : إِيَّاكُمْ وَالْغَفْلَةَ! فَإِنَّهُ مَنْ غَفَلَ فَإِنَّمَا يَغْفُلُ عَنِ نَفْسِهِ. وَإِيَّاكُمْ وَالتَّهَاوُنَ بِأَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ مَنْ تَهَاوَنَ بِأَمْرِ اللَّهِ أَهَانَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.^١
- ٢ الامام علي «ع» : أَحْذَرُوا الْغَفْلَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ فَسَادِ الْحِسِّ.^٢
- ٣ الامام علي «ع» : الْغَفْلَةُ فَقْدٌ.^٣
- ٤ الامام علي «ع» : الْغَفْلَةُ أَضْرُّ الْأَعْدَاءِ.^٤
- ٥ الامام علي «ع» : الْغَافِلُ وَسَنَانٌ، الْغَفْلَةُ غُرُورٌ.^٥
- ٦ الامام علي «ع» : مَنْ نَامَ عَنِ عَدُوِّهِ، نَبَّهَتْهُ الْمَكَائِدُ.^٦
- ٧ الامام علي «ع» : وَيَحِ النَّائِمِ، مَا أَخْسَرَهُ! قَصَرَ عَمَلُهُ، وَقَلَّ أَجْرُهُ.^٧
- ٨ الامام السجاد «ع» : .. نَبَّهْنِي مِنْ رَقْدَةِ الْغَافِلِينَ، وَسِنَّةِ الْمُسْرِفِينَ، وَنَعْسَةِ الْمَخْذُولِينَ .. وَلَا تَرْمِ بِي رَمِي مَنْ سَقَطَ مِنْ عَيْنِ رِعَايَتِكَ، وَمَنْ اشْتَمَلَ عَلَيْهِ الْخِزْيُ مِنْ عِنْدِكَ، بَلْ خُذْ بِيَدِي مِنْ سَقَطَةِ الْمُتَرَدِّينَ، وَوَهْلَةِ الْمُتَعَسِّفِينَ، وَزَلَّةِ الْمَغْرُورِينَ، وَوَرَطَةِ الْهَالِكِينَ.^٨

١ - ثواب الاعمال / ٢٤٢.

٢ - غرر الحكم / ٧٢.

٣ و ٤ و ٥ - غرر الحكم / ١٣ و ٢٠.

٦ و ٧ - غرر الحكم / ٢٨٤ و ٣٢٥.

٨ - الصَّحِيفَةُ السَّجَّادِيَّةُ / ٣٤٦ و ٣٤٨ (الدعاء ٤٧).

نظرة الى الباب

يَجِدُ القَارِئُ الكَرِيمُ، هَذَا العُنْوَانَ فِي آخِرِ كُلِّ بَابٍ، مِنْ أَبْوَابِ هَذَا الكِتَابِ. وَالمَقْصُودُ أَنْ نُقَدِّمَ إِلَى القَارِئِ - وَلَوْ بِصُورَةٍ مُقْتَضِبَةٍ - مَا تُعْطِيهِ المَوَادُّ الوَارِدَةُ فِي صُلْبِ البَابِ، مِنْ التَّفْكِيرِ وَالتَّوْجِيهِ، وَأَنْ نُلْقِيَ ضَوْءًا عَلَى جَوَانِبٍ مِنْ تِلْكَ المَعْطِيَاتِ.

وَلِلْقَارِئِ الكَرِيمِ، أَنْ يُسَايِرَنَا فِي هَذِهِ الخُطْوَةَ أَيْضًا، بَاحْتِئَامًا عَمَّا اسْتَوْحَيْنَاهُ فِي البَابِ، مِنْ مَسَائِلَ وَاسْتِنْبَاطَاتٍ. فَإِنَّا لَمْ نَقْصُدْ أَنْ نَجْعَلَ مَا فَهَمْنَاهُ مِنَ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فِي المَسَائِلِ المَطْرُوحَةِ، مِلَاكًا بَاتًا لِلْقَارِئِ لَا يَعُدُّهُ، فَإِنَّ الحَقَائِقَ الَّتِي جَاءَتْ فِي الكِتَابِ وَالحَدِيثِ، هِيَ حَقَائِقُ إلهِيَّةٌ إِسْلَامِيَّةٌ، تَتَعَلَّقُ بِالْأُمَّةِ جَمْعًا، بَلْ بِالبَشَرِيَّةِ كُلِّهَا. فَلِلْعُلَمَاءِ أَنْ يَسْرَحُوا فِيهَا أَنْظَارَهُمْ وَيُجِيلُوا فِيهَا أَفْكَارَهُمْ وَعُقُولَهُمْ، غَيْرَ أَنَّنَا - بِمَا عَالَجْنَا المَوَاضِعَ فِي التَّفْكِيرِ وَالعَرَضِ - نَجِدُ أَنْفُسَنَا قَدْ أَنْسَتْ بِتِلْكَ المَفَاهِيمِ وَالتَّعَالِيمِ، وَأَخَذَتْ مِنْهَا قَبَسَاتٍ وَأَنْوَارًا، انْعَكَسَتْ فِي ذَهْنِنَا، فِي البُرْهَةِ بَعْدَ البُرْهَةِ، فَقَصَدْنَا أَنْ تَكُونَ هَذِهِ القَبَسَاتُ فِي مُتَنَاوَلِ القَارِئِ الكَرِيمِ.

إشارة

يَجِبُ أَنْ نَذْكَرَ - قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ - أَنَّ جَمِيعَ مَا جَاءَ فِي الكِتَابِ، خِلَالَ أَبْوَابِهِ وَفُصُولِهِ، يَرَسُمُ نَظْرَةَ الإِسْلَامِ العِلْمِيَّةِ، فِي الإِنْسَانِ وَالكُونِ، وَيُشْرِحُ بوضوحٍ عِلْمِيَّةً التَّصَوُّرَ الإِسْلَامِيَّ (الإِيدِيُولُوجِيَّةَ الإِسْلَامِيَّةَ)، وَأَنَّ الإِسْلَامَ يَنْظُرُ إِلَى الإِنْسَانِ، وَإِلَى التَّارِيخِ، وَإِلَى المَجْتَمَعِ، وَإِلَى العَدَالَةِ، وَإِلَى العِلْمِ، وَإِلَى الأخْلَاقِ، وَإِلَى الإِقْتِصَادِ، وَإِلَى الثَّرَوَاتِ التَّقْدِيمِيَّةِ وَالنَّهْضَاتِ البِنَاءِ وَالحَرَكَاتِ التَّحْرِيرِيَّةِ، وَإِلَى الرِّفَاهِ، وَإِلَى السَّعَادَةِ، وَإِلَى سَائِرِ

الحقائق والمسائل، نظرة علمية، مُبْتَنِيَةً عَلَى الْوَاقِعِ وَالذَّلِيلِ.
وَإِلَيْكَ نَظَرْتَنَا إِلَى جُمْلَةٍ مِنْ مَوَاضِعِ هَذَا الْبَابِ:

١ - المعرفة، أهميتها واصالتها: جَعَلْنَا بَابَ الْمَعْرِفَةِ، أَوَّلَ أَبْوَابِ الْكِتَابِ وَفَاتِحَةَ تَوَجِيهَاتِهِ وَتَعَالِيمِهِ، كَمَا هِيَ كَذَلِكَ فِي الْإِسْلَامِ، فَالَّذِي يُدْرِكُ مِنْ التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ - بِأَدَىءِ ذِي بَدْءٍ - أَنَّ أَهَمَّ الْأُسُسِ وَالْمَرَاكِلِ، فِي تَرْبِيَةِ الْإِنْسَانِ وَتَكَامُلِهِ وَصَيْرُورَتِهِ، هِيَ الْمَعْرِفَةُ. وَهَنَّاكَ مَوَاقِفُ خَاصَّةٌ فِي تِلْكَ التَّعَالِيمِ تُرْشِدُنَا إِلَى ذَلِكَ الْأَصْلِ الْجَذْرِيِّ الْمُهِّمِ. وَإِلَيْكَ نَبْذَةُ مِنْهَا:
١ - الْمَعْرِفَةُ مِلاكَ كُلِّ حَرَكَةٍ وَعَمَلٍ، لِأَنَّ كُلَّ حَرَكَةٍ وَعَمَلٍ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مُبْتَنِيًّا عَلَى الْمَعْرِفَةِ وَالْعِلْمِ، بِأَنْ يُبْتَدَأَ بِالْمَعْرِفَةِ وَيُخْتَمَ بِهَا. فَمَا لَا يَكُونُ كَذَلِكَ لَا مِلاكَ لَهُ وَلَا قِيَمَةَ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «مَا مِنْ حَرَكَةٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَاجٌ فِيهَا إِلَى مَعْرِفَةٍ»^١.

٢ - الْمَعْرِفَةُ وَالْعِلْمُ، مِقْيَاسُ قِيَمَةِ الْإِنْسَانِ.

٣ - الْمَعْرِفَةُ لِلْإِنْسَانِ كَالْحَيَاةِ لَهُ، لِأَنَّهَا مَنْشَأُ الْحَيَاةِ الْإِنْسَانِيَّةِ فِي الْإِنْسَانِ. وَهِيَ الْحَيَاةُ الْحَقِيقِيَّةُ، لَا الْحَيَاةُ الْجَسْمِيَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ.
٤ - الْمَعْرِفَةُ أَفْضَلُ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ وَالْقُرْبَاتِ، حَتَّى إِنْ قِيَمَةَ كُلِّ عِبَادَةٍ وَقُرْبَةٍ، إِنَّمَا تُنَاطُ بِمَبْلَغِ مَعْرِفَةِ الْعَامِلِ وَالْعَابِدِ.

٢ - طَلِبِ الْعِلْمِ: لِأَجْلِ مَا ذَكَرَ، مِنْ أَهْمِيَّةِ الْمَعْرِفَةِ وَالْوَعْيِ، نَرَى الْإِسْلَامَ يُؤَكِّدُ عَلَى طَلْبِ الْعِلْمِ أَشَدَّ التَّأَكِيدِ، بَلْ يَجْعَلُهُ فَرَضًا عَلَى كُلِّ أَحَدٍ وَيَرْفَعُ مَنْزِلَةَ طَلْبِ الْعِلْمِ إِلَى مُسْتَوَى الْجِهَادِ وَبَدْلِ الدَّمِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَقُولُ: «أَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِخَوْضِ اللَّجَجِ وَشَقِّ الْمُهْجِ»^٢.

١ - تحف العقول / ١١٩.

٢ - البحار / ٧٨ / ٢٧٧.

٣ - تنشيط العقل وأهمية أعماله : هناك أفعال وأعمال للإنسان يُنَاطُ بها بقاء نوعه وإدامة حياته. وهي أفعال تصدر منه بسياقٍ طبيعي وتوجد بدافع غريزيٍّ فعالٍ. وهذه الدوافع الغريزيَّة، حاکمةٌ على شعور الإنسان ونزعاته، دافعةٌ له نحو ما تقتضيه. وهي التي تجعل الحياة كَسِيلٍ هادِرٍ دَفَاقٍ، وتضمنُ البقاء بصورةٍ ضروريَّة، وتحملُ الإنسانَ على أن يسعى ويجد. ولذلك نرى الإنسان يُعالجُ المشاقَّ والمكابدِ لحفظِ حياته وإدامتها. وإلى ذلك يُشيرُ التعليمُ:

الحديث

١ الامام الصادق «ع» : فَكَّرِيَا مُفَضَّل! فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي جُعِلَتْ فِي الْإِنْسَانِ، مِنْ الطَّعْمِ وَالنُّومِ وَالْجِمَاعِ وَمَا دُبِّرَ فِيهَا. فَإِنَّهُ جُعِلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي الطَّبَاعِ نَفْسِهِ مُحَرِّكٌ يَقْتَضِيهِ وَيَسْتَحِثُّ بِهِ. فَالْجُوعُ يَقْتَضِي الطَّعْمَ الَّذِي بِهِ حَيَاةُ الْبَدَنِ وَقَوَامُهُ. وَالكَرَى تَقْتَضِي النُّومَ الَّذِي فِيهِ رَاحَةُ الْبَدَنِ وَإِجْمَامُ قَوَاهِ. وَالشَّبَقُ يَقْتَضِي الْجِمَاعَ الَّذِي فِيهِ دَوَامُ النَّسْلِ وَبِقَاؤُهُ. وَلَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ إِنَّمَا يَصِيرُ إِلَى أَكْلِ الطَّعَامِ لِمَعْرِفَتِهِ بِحَاجَةِ بَدَنِهِ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَجِدْ مِنْ طِبَاعِهِ شَيْئًا يَضْطَرُّهُ إِلَى ذَلِكَ، كَانَ خَلِيقًا أَنْ يَتَوَانَى عَنْهُ أحيانًا، بِالثَّقَلِ وَالْكَسَلِ حَتَّى يَنْحَلَّ بَدَنُهُ فِيهِلِكَ..

فَانظُرْ كَيْفَ جُعِلَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَفْعَالِ الَّتِي بِهَا قَوَامُ الْإِنْسَانِ وَصَلَاحُهُ مُحَرِّكٌ مِنْ نَفْسِ الطَّبَعِ، يُحَرِّكُهُ لِذَلِكَ وَيَحْدُوهُ عَلَيْهِ..١

وَلِلْحَيَوَانِ أَيْضًا غَرَائِزُ تَصْدُرُ مِنْهَا أفعالٌ. وهي تَخْتَلِفُ فِي أَنْوَاعِ

الحيوان، وبها يَتَمَيَّزُ بعضها عن بعض . فلقد جعلَ اللهُ تعالى لِكُلِّ نوعٍ مِنْ أنواعِ الحيوانِ غرائزَ خاصَّةً وطبائعَ تَمْتازُ بها، بالإضافة إلى الغرائزِ العامَّةِ المشتركةِ الموجودةِ في كُلِّ حيوانٍ.

وهناك لِلإنسانِ نوعٌ آخَرُ مِنَ الفِعلِ، يُنبَعثُ مِنَ المَعْرِفَةِ والعِلْمِ لا مِنَ الطَّبَعِ والغَرِيزَةِ. والذي يَدْفَعُ الإنسانَ إلى هذا النوعِ مِنَ الفِعلِ، ليسَ إلَّا فِهمه ومَعْرِفته الحاصِلَةَ له .. ولقد أُعْطِيَ الإنسانُ الأجهِزَةَ اللّازِمَةَ لهذا النوعِ مِنَ الفِعلِ، وهي العَقْلُ والقُدْرَةُ والإخْتِيارُ، فهو يَقْدِرُ على أن يَعْرِفَ شيئاً ويُدْرِكُهُ، ثم يُوجِدُهُ باخْتِيارٍ منه. فالإنسانُ إذاً غيرُ محصورٍ في إطارِ الغريزةِ والطَّبَعِ كالحيوانِ.

وأهميَّةُ الإنسانِ وكرامَتُهُ الخاصَّةُ به، وقيمتُهُ الإنسانيَّةُ، تتجلى بهذا النوعِ مِنَ الفِعلِ، أي الفِعلِ الإرادِيّ، لأنَّهُ يَشْتَمِلُ على الحَرَكَاتِ البِناءِةِ، والتَّحوُّلاتِ التَّكاملِيَّةِ، الَّتِي تَظْهَرُ في حياةِ الإنسانِ، في المَجْتَمَعِ والتَّاريخِ، وتَصيرُ سَبباً لأن تَمْتازَ الحياةُ الإنسانيَّةُ عن الحياةِ الحيوانيَّةِ. إذاً فَلِلإنسانِ حَيَاتانِ: حياةٌ حيوانيَّةٌ غريزيَّةٌ، يَشْتَرِكُ فيها مَعَ سائِرِ الحيواناتِ؛ وحياةٌ إنسانيَّةٌ عقلائيَّةٌ، يَرْتَفِعُ بها إلى مقامِ الإنسانِ والمَنْزِلَةِ الإنسانيَّةِ.

وَمِنْ هنا نَنْتَهِي إلى أن الإنسانَ يَعْمَلُ عَمَلًا يَخْتارُهُ؛ وإنَّما يَخْتارُ العَمَلَ وَيُحَسِّنُ الإخْتِيارَ، على حَسَبِ عَقْلِهِ ومَعْرِفَتِهِ، فَمَنْ ضاقَ نِطاقُ عَقْلِهِ، أو لَمْ يُحَسِّنِ اخْتِيارَهُ، ضاقَ نِطاقُ عَمَلِهِ وانجازاته. وَمَنْ وَسِعَ نِطاقُ عَقْلِهِ، وَسِعَ نِطاقُ اَعْمالِهِ وانجازاته الصالحة، كما قال الإمامُ عَلِيُّ «ع»: «الإنسانُ بعقلِهِ»^١، ولذَلِكَ عُدَّ: «فَقَدُ العَقْلُ فَقَدَ الحَيَاةَ»^٢.

فالإنسانُ إنسانٌ بمَعارِفِهِ وإدراكاتِهِ لا بغرائزِهِ. وهو بغرائزِهِ حيوانٌ.

١ - غرر الحكم / ١٤.

٢ - الكافي / ١ / ٢٧.

فالمائز الرئيسي للإنسان هو العقل والوعي والأعمال الصادرة عنهما. وبتلك الأعمال يتسنى له أن يطور التاريخ، ويبني المجتمع، ويملأ الحياة على هدى الاهداف الكريمة، وأن يهيمن على الغرائز الشخصية والاجتماعية، ويغير الظروف باتجاه الخير والحكمة والصلاح. وإذا وفق الإنسان لذلك، يتاح له أن يغير مسيرة كثير من الأشياء، إلى جهة ما يدرکه ويريدہ ويختاره. ويدخل في ذلك إخضاع الغرائز - كما هو معلوم - فإن الغرائز والميول لا يمكن إعدامها، ولكن يمكن توجيهها إلى نحو الحكمة والخير. وكذلك يمكن للإنسان أن يطور كثيراً من السنن الاجتماعية والبيئية تطويراً عالياً. فاتضح بما ألمحنا إليه، أهمية المعرفة والوعي، وهما لا يحصلان إلا بالعقل وبأعماله.

٤ - التفكير وأهميته : لا يجد الباحث - في مجال التربية والتعليم - في سائر الأديان والأنظمة الاجتماعية وفيما رسمه الإنسان خلال تاريخه الطويل، ذاك الذي جاء في الاسلام، من إجلال التفكير والحث عليه. فلقد جعل الاسلام «فكرة ساعة خيراً من عبادة سنة»^١، وعد «التفكير حياة قلب البصير»^٢.

إن الإنسان يحتاج لتنمية جوارحه وقواه البدنية إلى التغذية والرياضة، غير أن هناك أمراً، هو أهم وأعظم، وهو أساس الحياة الإنسانية للإنسان - كما أشير إليه - وليس ذلك إلا تنمية القوى الباطنة والمشاعر القلبية، فيجب عليه أن يسعى لذلك كل السعي، وأن يجتهد لذلك كل الاجتهاد.^٣

١ - البحار ٧١ / ٣٢٦.

٢ - الكافي ١ / ٢٥.

٣ - وهذا اعق واعمق مما يسمى بالتربية العقلية. في «علم التربية». من حيث ارتباطه بالقلب ومشاعره وأحاسيسه.

والتَّغْيِيرُ المذكورة لا تحصلُ إلاّ بإعمالِ الفِكرِ وتدريبه، وبالرياضةِ الباطنيةِ والمداومةِ عليها. فالتفكيرُ أمرٌ حياتيٌّ للإنسان، وسببٌ لِرشدِ عقلِهِ ونُموهِ، وذريعةٌ لأن يتَمَتَّعَ بلذِّهِ الخبراتِ.

وبذلك يَنْتَقِلُ الإنسانُ بإستعداداتِهِ مِنْ مَرَحَلَةِ القوَّةِ إلى مَرَحَلَةِ الفِعْلِيَّةِ، التي هي الأساسُ في الإِستِنتاجِ المُتَوَخَّيِّ مِنَ الإنسانِ في حياتِهِ على هذا الكوكبِ.

والتَّفَكُّرُ دائماً قَبَسٌ مُنيرٌ، وشُعْلَةٌ وَهَّاجَةٌ، تُنيرُ سبيلَ الإنسانِ في الحياتينِ: الأولى والأخرى. وهو الدليلُ المُرشِدُ الذي يَهْدِي الإنسانَ إلى رُفَعِ مشاكِلِهِ، ودَفَعِ مَعاضِلِهِ، وحَلِّ مَسائِلِهِ، وإِزاحةِ العِراقيلِ عن مَسرَبِهِ، وهو مِفْتاحُ كُلِّ بَرَكةٍ وخَيْرٍ، وهو مِرْآةٌ صافيةٌ.

٥ - التوجيه الاستذكاري^١: إنَّ في الحياةِ الإنسانيةِ مُوجِباتٍ واسباباً تُصدُّ الإنسانَ عن طَلَبِ المعرفةِ أو النَيْلِ منها، أو تَعْمَلُ لأن تَتَضاعَلَ المعرفةُ الحاصلةُ له، ولأنَّ تَقَعَّ تحتِ سِتارٍ مِنَ الغَفْلَةِ والذُّهولِ. وهذه الأسبابُ مُختلِفةٌ ومُنوعَةٌ جدًّا، منها النسيانُ، والعُجبُ، والإِستِكبارُ، والهوى، والحُبُّ الأعمى، والوقوعُ تحتِ سيطرةِ العاداتِ والأعرافِ، والطَّعنُ في السَّنِّ، وقِلَّةُ المُبالاةِ بأمرِ الحياةِ الفكريةِ والقلبيةِ، والإِخلادُ إلى الأرضِ وإلى المُتَمَعِّ الدنيويَّةِ والحُظوظِ الجسميَّةِ والمُلائماتِ الطبيعيَّةِ.

ومن تلكِ الأسبابِ المُشارِ إليها، المُلابساتُ البيئيَّةُ، والتقاليدُ الباطلةُ الشائعةُ، والدَّعاياتُ الفارِغةُ المُضلِّلةُ، والثَّقافاتُ الزائفةُ، والمقاييسُ التافهةُ؛ ومنها عدمُ الحرِّيَّةِ في التفكيرِ والتثقيفِ؛ ومنها ذُبوعُ الفَسادِ والإنحلالِ الخُلقيِّ .. وهذه كُلُّها وأمثالُها تَمْنَعُ مِنَ طَلَبِ المعرفةِ

١ - لم نقصد بهذا التعبير ما جاء في فلسفة افلاطون عيناً.

الصَّحِيحَةَ، وتدريبِ النَّفْسِ عَلَيْهَا وتركيزِهَا، وتُعْرِقُ سَبِيلَ الْإِنْسَانِ إِلَى التَّكَامُلِ ..

أَضْفُ إِلَى ذَلِكَ كُلَّهُ، أَنَّ الْإِنْسَانَ دَائِمُ التَّطَوُّرِ وَالصِّيُورَةِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُوَاطِبَ عَلَى أَنْ يَنْتَقِلَ إِلَى حَالَةٍ أَفْضَلِ، وَأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الصِّيُورَةُ فِي جِهَةِ التَّوَعِيَةِ وَالاسْتِلْهَامِ مِنْ جَمِيعِ مَا يُمْتُّ إِلَى الْإِنْسَانِ بِوَشِيحِ صَلَةٍ. فَلِأَجْلِ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ، عَمَدَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ إِلَى إِيقَاطِ النُّفُوسِ، وَحَمَلِهَا عَلَى أَنْ تَتَدَبَّرَ وَتَتَأَمَّلَ، حَتَّى تَسْتَذَكِرَ الْحَقَّ وَالْخَيْرَ، فَتَعْرِفَهُمَا وَتَرْكَنَ إِلَيْهِمَا. وَهُنَاكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُنَبِّهُ الْإِنْسَانَ وَتُوجِدُ فِي نَفْسِهِ الْيَقِظَةَ، وَتُجَنِّبُهُ عَنِ الْغَفْلَةِ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَنْ يَتَذَكَّرَ وَيَتَعَقَّلَ، حَتَّى يَكْشِفَ عَنِ مِرَاةِ نَفْسِهِ سِتَارَ الْغَفْلَةِ، وَيُزِيحَ عَنْهَا غُبَارَ الْحَوَاجِزِ الطَّبِيعِيَّةِ، لِيَتَسَنَّى لَهُ دَرَكُ الْوَاقِعِ الْحَقِّ، وَفِقَهُ الْفِطْرَةَ وَالْحَقِيقَةَ.

٦- الجهالة والجهل : من المعلوم ، أن الجهل أضر ما يواجهه الإنسان، فإن الإنسان الجاهل لا يعرف نفسه ولا حقوقه، ولا ينتبه لقيمه باعتباره إنساناً، فلا يتأحمق له أن يوصل نفسه إلى الكمال الإنساني. وكذلك لا يعرف سائر الناس - حق المعرفة - ولا يعرف حقوقهم، ولا يعرف الحياة وغاياتها، ولا يعرف مقدره وحظه في الحياتين. فهذا الإنسان الجاهل يتلف أيام عمره كأعبث ما يكون - مع ما يبقى عليه من الوزر - إذ لا يعرف الخير فيتبعه، ولا الشر فيجتنبه، ولا يهتدي لأن يعلم أسباب سعادته وحظه، ولا يجد سبيلاً لتوعية نفسه، حتى يفهم غايات الحياة. فالإنسان الجاهل لا يزيد على أن يكون كورة في أيدي الحوادث والعوايب، تلعب بها كيفما تشاء. لأجل ذلك قد أنكر الإسلام الجهل والجهالة أشد إنكار، وعدهما مضادين للشخصية الإنسانية، وكافحهما أشد كفاح، وطردهما أعنف طرد.

٧- فهم الدين وإدراكه : قبول الدين - باعتباره أمراً بسيطاً - من غير فهمه والتفقه في ابعاده ورسوخ مفاهيمه في النفس لايفيد بصورة جدية.. ولأجل ذلك يُقال: إعتقادٌ لِسَانِيّ وإعتقادٌ قَلْبِيّ. فالإعتقادُ المُطَوَّرُ البِنَاءُ، هو الَّذِي يَرْتَسِخُ فِي النَّفْسِ، وَيَتَرَكِّزُ فِي المَشَاعِرِ، وَيُطَوِّرُ الحَرَكَاتِ والأَفْعَالَ، حَتَّى الأَفْعَالَ القَلْبِيَّة. وهذا النوعُ من الإعتقاد، هو الَّذِي يَسْتَلزِمُ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ المَبْدَأِ الحَقِّ، فَيَدْفَعُ الإنسانَ لِأَن يُصَحِّحَ أَعْمَالَهُ الشَّخْصِيَّةَ ولأنَّ يَجْتَنِبَ الحِيَادَ وَيَتَّخِذُ فِي القَضَايَا الإِجْتِمَاعِيَّةَ والمسائلِ البَشَرِيَّةِ والحَوَادِثِ الوَاقِعَةِ، مَوْقِفاً حَاسِماً، من غير أن يَعْرِفَ المُهَادَنَةَ والتَّوَانِي.

وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ هَذَا الإِيْمَانَ لَا يَحْصُلُ إِلا إِذَا كَانَ عَن فَهْمٍ وَاجْتِهَادٍ وَتَفْقُهٍ - بِالمَعْنَى الصَّحِيحِ الجَامِعِ لِكَلِمَةِ التَّفْقُه - ولأجل ذلك يَقُولُ الإِمَامُ الصَّادِقُ «ع»: «لَيْتَ السَّيِّطُ عَلَى رُؤُوسِ أَصْحَابِي حَتَّى يَتَفَقَّهُوا فِي الحَلَالِ والحَرَامِ». نَعَم: الدِّينُ تَوَامُ المَعْرِفَةِ والعَمَلِ، فَلَا فَائِدَةَ فِيهِ إِذَا لَمْ يُفْهَمَ حَقَّ الفَهْمِ. والدِّينُ إِنَّمَا يَكُونُ مُصْلِحاً لِلإنْسَانِ، وَمُطَوِّراً لِلمَجْتَمَعِ، إِذَا فَهِمَ وَوَعِيَ، لَا إِذَا كَانَ لَعْقاً عَلَى اللُّسَانِ.

٨ - ضرورة تعميم المعرفة : قد أكد الإسلام على بث العلم والمعرفة، ودعا إلى نشرهما بين الأفراد والمجتمعات، لأن رفع مستوى إدراك العامة وتوعيتهم إنما يتوقف على ذلك. فالإسلام يفرض على كل واحد أن يقوم بتعليم غيره، وأن يخرج الناس - بقدر ما يمكنه - من ظلمات الجهل إلى أنوار العلم. أضف إلى ذلك أن قيمة العلم في الإسلام يتوقف على إيجابيته وكونه نوراً يضيء للناس وينير سبيلهم. ولأجل ذلك يعد كتمان مذبذباً، والتأبي عن تعليمه منهيّاً. فعلى العالم أن لا يدع الجهال

يَعِيشُونَ الْجَهْلَ، بَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَبْتَ عِلْمُهُ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَنْ يَنْشُرَهُ فِي
الْمُجْتَمَعِ، لِيَمَلَأَ نُورَ الْعِلْمِ جَمِيعَ آفَاقِ الْأَرْضِ.

راجع بهذا الصدد: الباب الثامن، في الجزء الثاني أيضاً.

٩- النافع من البصائر والعلوم : مِنْ خِصَائِصِ الْمَعْرِفَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، النَّظْرُ
إِلَى الْوَاقِعِ الْحَقِّ، وَالْإِعْتِدَادُ بِمَا يُوجِبُ السَّعَادَةَ وَالْكَمَالَ فِي الْحَيَاتَيْنِ.
وَلِذَلِكَ نَرَى أَنَّ التَّعَالِيمَ الْإِسْلَامِيَّةَ تُؤَكِّدُ عَلَى كَسْبِ الْبَصَائِرِ الْهَادِيَةِ
وَالْعُلُومِ النَّاجِعَةِ الضَّرُورِيَّةِ لِتَحْسِينِ هَذِهِ الْحَيَاةِ وَالتَّمَتُّعِ مِنْ حَقَائِقِهَا
وَوَاقِعِيَّاتِهَا وَمِنَ الظُّوَاهِرِ الطَّبِيعِيَّةِ وَمَوَاهِبِ الْوُجُودِ. وَكَذَلِكَ تُؤَكِّدُ عَلَى طَلَبِ
الْعُلُومِ النَّاجِعَةِ لِلْحَيَاةِ الْأَبَدِيَّةِ، وَمَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ النَّافِعَةِ لِتَحْسِينِ تِلْكَ
الْحَيَاةِ الْكُبْرَى، لِيَحْيَا الْإِنْسَانُ هُنَاكَ حَيَاةً طَيِّبَةً مُطْمَئِنَّةً.

فَلذَلِكَ تَفْرُضُ تِلْكَ التَّعَالِيمُ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعْرِفَةَ الْمَبْدِأِ وَكَيْفِيَّةِ الْبَدْءِ،
وَمَعْرِفَةَ الْمَعَادِ وَكَيْفِيَّةِ الْعُودِ، وَمَعْرِفَةَ الْوَاجِبَاتِ وَالْوِظَائِفِ الْفَرْدِيَّةِ وَالْعَائِلِيَّةِ
وَالْإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ، وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِمَّا يُفِيدُ لِلْحَيَاةِ الْأُولَى الْبَائِدَةِ،
وَالْآخَرَى الْخَالِدَةِ .

وَمِنْ هُنَا يُعَلِّمُ أَنَّ هُنَاكَ عُلُومًا لَا تَمَسُّ سَعَادَةَ الْإِنْسَانِ بِصَلَةٍ وَلَا يَسْتَلْزِمُ
الْجَهْلُ بِهَا تَأْخُرًا أَوْ شِقَاوَةً، بَلْ رُبَّمَا يَكُونُ فِي كَسْبِ بَعْضِهَا ضَرَرٌ وَمَتْعَسَةٌ.
فَهَذِهِ الْمَعْلُومَاتُ لَا يُهْمُ الْمُسْلِمَ طَلَبُهَا وَصَرْفُ الْعُمْرِ لَهَا، بَلْ نُهِيَ عَنْهَا فِي
كَثِيرٍ مِنَ الْمَوَارِدِ.

١٠- الانسان ومعارفه المحدودة : الْعَالَمُ - بِجَمِيعِ جِهَاتِهِ الْكَثِيرَةِ وَأَبْعَادِهِ
الْوَاسِعَةِ - مِنَ الذَّرَّةِ الصَّغِيرَةِ، إِلَى الْمَجْرَّاتِ الْعَظِيمَةِ الْهَائِلَةِ، وَغَيْرِهَا مِنْ
الْعَوَالِمِ الْكُونِيَّةِ، مَمْلُوءٌ مِنْ ظُوَاهِرٍ وَحَقَائِقَ وَأَسْرَارٍ كَبِيرَةٍ، وَرَمُوزٍ لَا نِهَائِيَّةِ،
و.. مِمَّا وَجَدَ فِي فَوَاصِلِ زَمَانِيَّةٍ بَعِيدَةٍ وَقَرِيبَةٍ، وَهَكَذَا دَوَالِيكَ . وَالْإِنْسَانُ لَا

يُمَثَّلُ - أمام هذا المحيط الكبير - إلا قِطْرَةً صَغِيرَةً مَحْدُودَةً بِزَمَانِهِ الْخَاصِّ وَبَيْنَتِهِ وَجَسَمِهِ وَعَقْلِيَّاتِهِ، وَحَسِّيَّاتِهِ الْنَاقِصَةَ، وَمُلَابَسَاتِهِ الشَّخْصِيَّةَ فِي التَّفْهَمِ وَالْوَعْيِ، وَتَقَالِيدِهِ الرَّاسِخَةَ، وَمُجْتَمَعِهِ الْمَحْدُودِ .
وَلَأَجْلِ ذَلِكَ كُلِّهِ، فَإِنَّ وَعْيَهُ لِلْعَالَمِ الْفَسِيحِ وَحَقَائِقِهِ لَا يَكُونُ وَعْيًا شَامِلًا مُسْتَوْعِبًا، بَلْ هُوَ وَعْيٌ مَشُوبٌ بِمَا تَفْرُضُهُ تِلْكَ الْمُلَابَسَاتُ وَالْحُدُودُ .
وَمِمَّا يُؤَكِّدُ مَحْدُودِيَّةَ الْمَعْرِفَةِ الْبَشَرِيَّةِ، وَضَيْقَ نِطَاقِهَا، تِلْكَ الصَّلَةُ الْحَكِيمَةُ بَيْنَ جَمِيعِ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ وَارْتِبَاطُ بَعْضِهَا بِبَعْضٍ كَشِيِّءٍ وَاحِدٍ .
وَهَذِهِ الْكَيْفِيَّةُ تُوجِبُ أَنْ يَكُونَ الْعِلْمُ الَّذِي يَصِلُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ عِلْمًا نَاقِصًا، فَإِنَّا إِذَا عَلِمْنَا عِدَّةَ أَشْيَاءٍ - أَوْ أَكْثَرَ - لَمْ نَعْرِفْ بِذَلِكَ كُلَّ الْعَالَمِ وَأَجْزَائِهِ، وَكَيْفِيَّةَ وَجُودِ الْكَوْنِ وَمِيكَانِيكِيَّتِهِ، وَمَاهِيَّةَ التَّرَابُطِ الْوَاقِعِ بَيْنَ تِلْكَ الْأَجْزَاءِ الْمُتَرَابِطَةِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَالَمَ وَأَجْزَاءَهُ وَاقِعَةٌ تَحْتَ نِظَامٍ مُتَرَابِطٍ وَاحِدٍ، وَهِيَ تَعْمَلُ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ ذَلِكَ النِّظَامُ الْوَحْدَانِيُّ الْحَاكِمُ عَلَى الْكُلِّ . وَحَيْثُ لَا سَبِيلَ لَنَا إِلَى مَعْرِفَةِ كُلِّ الْعَالَمِ وَمَا فِيهِ، لَا يَكُونُ عِلْمُنَا بِبَعْضِ الْأَشْيَاءِ - وَإِنْ بَلَغَ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ - كَشْفًا كَامِلًا ..

وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ النِّظَرِيَّاتِ الْبَاتَّةَ الَّتِي يُبْدِيهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ أَوْ الْمُتَعَلِّمِينَ فِي حَقُولِ الْعِلْمِ الْمُخْتَلِفَةِ، بِاسْمِ الْعِلْمِ وَالتَّجْرِبَةِ، وَيُرَوِّجُونَهَا بِذَلِكَ الْعُنْوَانِ (العلم)، لَا تَعْدُو - عِنْدَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى عَظَمَةِ الْعَالَمِ وَأَجْزَائِهِ الْالْأَنْهَائِيَّةِ، وَأَسْرَارِهِ الْعَمِيقَةِ، وَالتَّرَابُطِ الْقَائِمِ بَيْنَ أَجْزَائِهِ، وَصِلَةِ قَوَانِينِهَا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ - أَنْ تَكُونَ بِمَنْزِلَةِ أَحْكَامِ ابْتِدَائِيَّةٍ سَازِجَةٍ .
وَنَنْتَقِلُ مِمَّا ذَكَرْنَا، إِلَى أَنَّ حَوَاسَّ الْإِنْسَانِ الْمَحْدُودَةَ الضَّيِّقَةَ وَمَا يُدْرِكُهَا، لَا تُغْنِيهِ عَنِ طَلَبِ الْعِلْمِ الْخَارِجِ عَنِ الْحَسِّ، فَلَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ أَبَدًا مُسْتَغْنِيًّا عَنِ الْمَعْرِفَةِ الْعَقْلِيَّةِ . وَيُؤَكِّدُ هَذَا الْأَمْرَ مَا جِئْنَا بِهِ فِي فَصْلِ «مَحْدُودِيَّةِ الْحَسِّ وَضُرُورَةِ الْمَعْرِفَةِ الْعَقْلِيَّةِ» .

١١ - المعرفة، كقيمتها ومراتبها : المعرفة إنما تُعدُّ ذات قيمة، في منهج التربية الإسلامية، إذا كانت نوراً وبصيرةً. وهي المعرفة القاطعة المُتبلورة التي لها خاصية الإنارة، تُنيرُ السبيل وتُعينُ الموقف وتُحدِّدُ للإنسان الغاية الكريمة للحياة. وهذه المعرفة يُعبَّرُ عنها بالنور (الله وليُّ الذين آمنوا، يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ). وهي - إذا حَصَلَتْ - كَيْفِيَّةٌ جَوْهَرِيَّةٌ أَصِيلَةٌ، تُلازِمُ الإنسانَ مُلازِمَةً البَصْرِ، تُريهِ الطَّرِيقَ، وتُنقِذُهُ مِنَ العَمَى والانحطاط.

وهذه المعرفة، معرفةٌ إيديولوجيةٌ قاطعةٌ، لها مِنَ التَّبْيِينِ والتَّوْجِيهِ ما يَجْعَلُهَا تُعَايِشُ العَمَلَ والإقْدَامَ، وتُلازِمُ النِّشَاطَ والرِّسَالِيَّةَ، فَتَعْمُ جَوَانِبَ الحَيَاةِ وَأَبْعَادَهَا كُلَّهَا، وَتَجْعَلُ جَمِيعَ أَعْمَالِ الإنسانِ وَتُرُوكِهِ هَادِفَةً إِلَى تِلْكَ الغَايَةِ العَظِيمَةِ المَنْشُودَةِ مِنَ الحَيَاةِ، فَيَنْقَلِبُ بِهَا الإنسانُ إِلَى عَضْوِ نَائِبِهِ، خَيْرٍ، نَشِيطٍ، رِسَالِيٍّ، نَافِعٍ لِلْمَجْتَمَعِ الَّذِي يَعْيشُ فِيهِ.

ففي هذا المنهج، لا يكونُ المقياسُ الصَّحِيحُ لِتَقْيِيمِ الأشياءِ وَتَمْيِيزِ قِيَمِهَا وَاعتباراتها إلا المعرفة. فكم من أشياء وظواهر واعتبارات يُعُدُّها الناسُ غاليةً، وما هي بغالية؛ وكم من أشياء وظواهر واعتبارات يُعُدُّها الناسُ رخيصةً، وما هي برخيصة. فالمقياسُ الصَّحِيحُ لِلتَّمْيِيزِ بَيْنَ الغَالِيِ والرَّخِيسِ، فِي كُلِّ شَيْءٍ، هُوَ العِلْمُ الحَقِيقِيُّ والمَعْرِفَةُ الصَّادِقَةُ، فَبِهِمَا يُعْرَفُ الغَالِيِ والرَّخِيسُ، وَبِهِمَا يُمَيِّزُ بَيْنَ الزَّائِفِ والصَّحِيحِ.

١٢ - منهج اكتساب المعرفة والعلم : غَرَضُنَا مِنْ هَذَا الفَصْلِ، أَنْ نُوقِفَ القَارِئَ الكَرِيمَ، عَلَى المَنْهَجِ الَّذِي عَرَضَهُ الإسلامُ لِكَسْبِ المَعْرِفَةِ وَطَلَبِ العِلْمِ. وَهُوَ الَّذِي يُعْبَرُ عَنْهُ بِالمِتَدَوَّلُوجِيَّةِ، أَوْ عِلْمِ المَنْهَجِ.

إنَّ الإسلامَ يَدْعُو إِلَى مَعْرِفَةِ الإنسانِ وَالكَوْنِ، بِمَنْهَجِهِ الخَاصِّ. وَهُوَ التَّعَمُّقُ فِي العَيْنِيَّاتِ الخَارِجِيَّةِ وَالظُّوَاهِرِ المَحْسُوسَةِ، وَفِي الطَّبِيعَةِ وَالإنسانِ، وَفِي المَجْتَمَعِ والتَّارِيخِ، وَالْفَحْصُ عَنْ حَيَاةِ الإنسانِ وَجَوَانِبِهِ

الوجودية، حالاً وماضياً، ومستقبلاً ومآلاً .
وميزة هذا المنهج الرئيسية، المُختصةُ به، هي التأكيدُ على معرفة
أية ظاهرةٍ من الظواهر، أو أي موضوعٍ من المواضيع، في ظروفها
الوجودية، ومدارها الطبيعي، وكيانها الواقعي، في حال الفعلية والوجود
والتطور، وفي حين الترابطِ مع سائر الظواهر والمواضيع، من دون أن ننظر
إليهما نظراً تجريدياً أو ذهنياً يفصلانها عن سائر الكائنات. ففي ذلك
المنهج لا يُدعى إلى تفهم النواميس الطبيعية أو التاريخية، بصورة مُنغزلة
عن ظروفها الوجودية وملابساتها العينية.

ولأجل ذلك تتقدم التعاليم الإسلامية إلى ذكر الظواهر الطبيعية
وإلفات الأنظار إليها، وإلى إدراك الحوادث التاريخية الواقعية، مع ما
يكتنفها مما له دخلٌ في فهم تلك الحوادث وربط بعضها ببعض . كل ذلك
ليبعث الناظر على معرفة واعية للكائنات، واستيعاب لتلك القوانين
الجارية في التاريخ.

وعلى هذا الأساس، نرى القرآن الكريم - في نظرية مُعينة - صورةً
متبلورة من الحقائق والواقعات، ولوحة حية من عناصر الحياة الإنسانية،
ومجموعة واحدة مترابطة الأجزاء، كمثل الكائنات الخارجية.

ويتضح لنا من هذا المبحث أمر آخر، له أهميته التربوية العميقة. وهو
أن المواضيع المطروحة في نطاق التعاليم القرآنية والإسلامية، ترمي -
كسائر الكائنات التي هي في خدمة الإنسان ومسخرة له - إلى عون
الإنسان وخدمته، من جهة التوعية والتوجيه. وبعبارة ثانية: إن العلم
والثقافة، في النطاق المذكور، يهدفان إلى رسالة شاملة، تمت بالإنسان
وبتوجيهه، توجيهاً إيديولوجياً؛ فانظر إلى هذه الآية الكريمة: «ومن كل
شيء خلقنا زوجين، لعلكم تذكرون»، فإنها تشير إلى أصل علمي عظيم،

وهو «الزوجية الكونية». والغاية من ذكر هذا الأصل ليست إلا توعية الإنسان وتثقيفه وإعانتة في سيره إلى الله تعالى: «لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ». وهكذا سائر المواضيع الواردة في القرآن الكريم حول الطبيعة، والإنسان، والحياة، والسياسة، والمجتمع، والأحكام والحقوق، والتاريخ، فإنها كلها ترمي إلى تلك الغاية المذكورة، كما في قول الله تعالى: «لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب»^١، حيث يُصرح بأن الغاية من ذكر القصص، توعية الإنسان ودعوته إلى الاعتبار.

وهذه كلها من الخواص الجوهرية لإيدولوجية كاملة. ومن هنا نفهم أن المعرفة الحاصلة بالمنهج القرآني، معرفة حية متطورة متجاوبة مع الحياة وحركتها؛ ويتمكن الإنسان في حقل هذه المعرفة أن يساير الحقائق العينية والكائنات اللانهائية، وأن يتربى في رحم الحياة وبطن الكون فيتولد ثانياً، إنساناً بصيراً إلهياً كاملاً. وهذه مرتبة تلازم فعلية جميع الاستعدادات الإنسانية.

ويقابل هذا المنهج، ما نراه في المدارس الفلسفية - التي تسربت إلى الفكر الإسلامي أيضاً ومثلت دوراً في تحريف تعاليمه وسننه - فإنها تعمد، بصدد معرفة الشيء، إلى تعيين الجنس والفصل وغير ذلك من القوالب الذهنية، مما يوجب تجريد الشيء عن غيره وقطعه عن سائر ما يكتنفه في الوجود والكون. وهذه معرفة ناقصة، تخالف المنهج القرآني وتبتعد عنه - كما سلف القول. فما وقع في الفكر الإسلامي من امتزاج المسائل الفلسفية، والمناهج الإغريقية، والمباني العرفانية، والافلاطونية الحديثة، بالتعاليم القرآنية والحديثة وخلطها بها، قد أدى إلى شوب المنهجين وامتزاجهما. وهذا الأمر الحادث قد صار سبباً لأن تتحول المعرفة الموضوعية الإيدولوجية البناءة - التي يفرضها القرآن، ويؤكد

١ - سورة يوسف (١٢): ١١١.

نظرة الى الباب

عليها - إلى معرفة جافة ذهنية متبددة، لا تنتهي إلى ما يهدف إليه القرآن الكريم من تكوين الفرد والمجتمع . وبالتأمل فيما ذكرنا، بصدد التعريف بالمنهج القرآني، يُعلم امتياز هذا المنهج على سائر المناهج المعاصرة أيضاً.

١٣ - المنطلق الصحيح للمعرفة : يجب أن يكون للمعرفة والعلم وطلبهما نقطة انطلاق صحيحة عالية، ومقصد فاضل، ووجهة خالصة إلهية حتى يكونا وسيلة وذريعة إلى خير الإنسان ونفعه، ورفاه في حياته، وتحكيم صلاته بالله وبالناس، لا أن يتخذ أسلماً للتفرغ ونيل الحظوظ واستغلال الناس واستثمارهم. فالمعرفة الحققة القيمة، هي التي تكتسب ذريعة لرضا الله، لا لرضا النفس وأهوائها، وإشباع حظوظها التي تتوقف على المعرفة والعلم . وعلى هذا نجد كثيراً من المعارف البشرية وعلومها اليوم، خارجاً عن هذا النطاق، حيث لم يُطلب لذلك المقصد الفاضل، ولم يقع تحت رقابة دينية صالحة، فلم يستعمل لخير الإنسان، بل استعمل لاستعباده واستغلاله وجر المتعسبة إليه. ومن ذلك علوم أنتجت وسائل التخريب والتعذيب وإفناء البشرية وهدم البلاد وغير ذلك مما وقع بأيدي المتسلطين والجبابرة الطغاة.

١٤ - المعرفة واعماقها الوجدانية : إن وعي الانسان ومعرفته، ينبغي أن يكونا على صلة بالعاطفة والإحساس وإنسجام معهما، حتى يتسنى له أن يدرك بعقله، وأن يسعى بقلبه، فيمزج ما يدركه ويفهمه بما يحسه ويحبه. وبذلك يبتعد عن التفهم الجاف والدرك القشري الجامد. والعقل ومدركاته إنما تسيطر على الوجود الإنساني وتصير باعثة ومحركة له نحو الأعمال إذا كانت مرتبطة بالقلب. فما نراه في أحوال الأفراد والجماعات المؤمنة، من الإقدامات الباهظة، والأعمال الكبيرة، والتضحيات اللامعة، إنما تتأتى من هذه الجهة.

أضف إلى ذلك ما مرّ في الفصل، من أهمية الأحوال القلبية، في بناء الإنسان وتعالیه.

١٥- المعرفة في مدارجها ومعارجها: من المعلوم أن المعرفة التي تحصل للإنسان إنما تحصل له تدريجياً، ولأجل ذلك قد أكدوا على تواصل الطلب، حتى يصل الإنسان بذلك إلى اقصى مراتب المعرفة الممكنة له. وهذا التدرج أمر لازم للخلق والطبيعة، وموافق للحكمة والتدبير، كما أشارت إليه الأحاديث^١. وليعلم أن المعرفة على قسمين: فطرية مطبوعة، واكتسابية مسموعة وتجريبية.

والمطبوعة تتزايد وتتكامل بالعلم والتجارب، وبالصلاة بالحقائق الخارجية، وبالتدبر في آيات الله تعالى وإمعان النظر في الآفاق والأنفس. فهذه الوسائل تتكامل قوى الإنسان وتخرج استعداداته إلى الفعلية. وهذه المعرفة الفطرية لها وجوه: منها معرفة الله تعالى واتخاذ الطريق إليه. ومنها معرفة النفس صلاحها وتمييز خيرات النفس من شرورها (فألهمها فجورها وتقواها)^٢. ومنها معرفة الحق والباطل، والخطوط الهادفة الى الخير والصلاح والسعادة والفوز (أنا هديناه السبيل...^٣).

والذي يُستفاد من الآيات والأحاديث (التي تدعو الإنسان إلى معرفة الطبيعة والعالم، وتنظر إلى هذه المعرفة نظرتين: نظرة إستقلالية، ونظرة آلية مقدّمية، من جهة كونها طريقاً ومقدّمة لمعرفة الله تعالى)، أن المدرسة الإسلامية لا تعتقد بإمكانية هذه المعرفة فحسب، بل ترى أنها هي المصدر

١ - راجع: «توحيد المفضل».

٢ - سورة الشمس (٩١): ٨.

٣ - سورة الذر (٧٦): ٣.

العظيم للمعرفة مُطلقاً. ومن المعارفِ العَظيمةِ التي يُؤكِّدُ عليها لأهميتها معرفةُ النفسِ الإنسانيَّةِ بأبعادها المختلفةِ، ومعرفةُ الباطنِ الإنسانيِّ وعوالمه الفَسيحةِ (وفي الأرضِ آياتٌ للمُوقنين وفي أنفسكم .. ١)، ومنها معرفةُ التاريخِ وسيرِه وسُننه، ومنها معرفةُ الأَقومِ والمُجتمعاتِ (فسيروا في الأرضِ فانظروا .. ٢).

راجعُ بهذا الصَّدَدِ أيضاً: الفصلُ الخامسُ عشر، من هذا الباب.

١٦ - المعرفة المتكاملة ومظاهرها: إنَّ لِلْمَعْرِفَةِ المتكاملةِ التي نَضَجَتْ وامتزجتْ بالنفسِ الإنسانيَّةِ، آثاراً ونتائجَ قد ذكرنا جملةً منها في الكتاب. وهذه الآثارُ نتائجُ طبيعيَّةٌ لتلك المعرفةِ الجوهريةِ الأصيلَّةِ، بحيثُ لا تُوجدُ إلاَّ مُستتبعَةً لتلكمُ الآثارِ التي أشرنا إليها، من الإقدامِ، والعملِ، وبناءِ النفسِ، وتطويرِ المُجتمعِ تطويراً فاضلاً، والغلبةِ على المشاكِلِ و..

١٧ - المعرفة التجريبية: كُلُّما نَكسِبُ عِلْماً يَجِبُ أن نَعْمَلَ بِهِ، وأن نُخرِجَهُ مِنَ المَجالِ الذهنِيِّ إلى المَجالِ العينيِّ، فَإِنَّ المَعْلوماتِ الذهنِيَّةَ تَصْطَدِمُ بالواقِعاتِ العينيَّةِ، في مَرَحَلَةِ العَمَلِ، وتَحْصُلُ من هذا الإصْطدامِ معرفةٌ جديدةٌ هي التجربة.

وهذه التجربة تُنتِجُ عِلْماً جديداً يَسْتَلزِمُ العَمَلَ بِهِ، فالعِلْمُ والعَمَلُ يَتَفَاعَلانِ دائماً؛ فالمعرفةُ العِلْمِيَّةُ تَتَبَدَّلُ حينَ العَمَلِ إلى معرفةٍ عينيَّةٍ، يَعْلَمُ الإنسانُ بِها أَمْكانِيَّةَ الأمرِ وكِيفِيَّتَهُ وَصُورَهُ. وهذا العِلْمُ الحاصِلُ بالعَمَلِ يَسْتَلزِمُ عِلْماً آخَرَ وهكذا. وهذا الأمرُ يَسْتَمِرُّ على الدَّوامِ، في المَقولاتِ

١ - سورة الذاريات (٥١): ٢٠ - ٢١.

٢ - سورة آل عمران (٣): ١٣٧؛ سورة الانعام (٦): ١١؛ سورة النحل (١٦): ٣٦؛ سورة

النمل (٢٧): ٦٩؛ سورة العنكبوت (٢٩): ٢٠؛ سورة الروم (٣٠): ٤٢.

الخاصة للتجربة.

١٨ - تلازم المعرفة والعقيدة: من الواضح أن الدين والمعرفة متلازمان. لأن المعرفة إذا كانت صحيحة، وحاصلة من وجه صحيح، غير مشوبة بالضلال والجهل (وإن من الجهل ما يتسم باسم العلم زوراً، كما يشاهد في زماننا المعاصر)، لا يمكن أن تنفك عن عقيدة وإيمان؛ فإن الإنسان إذا علم شيئاً وأيقن بصحته يؤمن به. فالإيمان أمر يحصل بعد المعرفة والعلم. وإذا كان الإيمان حاصلًا على غير هذا الوجه، لا يكون جازماً موجهاً. وعلى ضوء هذا نرى أن الإسلام قد كرر الدعوة إلى التفكير والتعقل وإلى تبني الأصول الدينية تبنياً اجتهادياً - وهو التبني العقلي الشخصي المستقل - ولا يعتقد بصحة التقليد فيها. وكذلك الفروع الدينية، فإنها أيضاً تكون اجتهادية في أصولها وكلياتها، يعني يجب أن يأتي بها الإنسان المسلم بعد أن عقلها وعقل مغزاها؛ فالتقليد يرجع إلى صور الأعمال الفرعية وجزئياتها، لا إلى أصلها والإتيان بها.

١٩ - تلازم المعرفة والعمل: كذلك نرى المعرفة لا تنفك عن الإقدام والعمل بل هما متلازمان، لأن الإنسان إذا وضع لديه أمر فعلمه وأيقن به، يقدم لتحقيقه وينهض في سبيله. فالمعرفة التي لا تلازم حركة واتجاهاً ليست معرفة حقيقية، بل هي أمر مشوب مبهم يوجب التوقف والترديد.

٢٠ - العمل يقيم بالمعرفة: العمل المنبعث عن المعرفة هو العمل القيم المنتج، قد صدر عن العامل بعد المعرفة والبصيرة. وهذا يوجب أن يكون الإنسان قد سبر غور العمل قبلاً وأمعن النظر في جوانبه. والعمل بهذا الوصف يقع متقناً، صحيحاً، منتجاً. فالحق أن الأعمال لا تكون ذات قيمة حقيقية إلا بمقدار ما يصاحبها من معرفة العامل، ووعيه، وصحة اتجاهه،

ويقينيه وُصُودِهِ فِي ذَلِكَ الْإِتِّجَاهِ. وَأَمَّا الْأَعْمَالُ الَّتِي تَصُدُّرُ عَنْ حَرَكَةٍ عَمِيَاءَ، فَلَا تَكُونُ سَدِيدَةً، مُنْتِجَةً، وَلَا تَدُومُ وَلَا تُوجِبُ خَيْرًا وَاسْتِمْرَارًا، بِصُورَةٍ جَدِيدَةٍ.

٢١- نشر الفكر، طرقة واساليبه : يَجِبُ عَلَى مَنْ يَرُومُ أَنْ يَنْشُرَ مَبْدَأً وَيَبُتَّ فِكْرَةً بَيْنَ النَّاسِ مِنْ أَجْلِ الْعَمَلِ بِهَا، أَنْ يَكُونَ عَلَى إِحَاطَةٍ بِمَعْرِفَةِ النَّفُوسِ وَخِصَائِصِهَا، وَمَعْرِفَةِ الْمُجْتَمَعِ وَخَوَاصِّهِ، حَتَّى يَتَسَنَّى لَهُ أَنْ يَفْهَمَ الْأَرْضِيَّاتِ الْمُنَاسِبَةَ وَالظُّرُوفَ الْبَيْئَةَ السَّائِدَةَ، وَأَنْ يُقَدِّرَ جَمِيعَ الْإِمْكَانِيَّاتِ الْمَوْجُودَةِ لِتَنْفِيزِ الْفِكْرَةِ فِي الْأَفْرَادِ وَالْمُجْتَمَعِ. وَهَذَا أَمْرٌ ضَرُورِيٌّ يُخَلُّ إِهْمَالُهُ بِالْفِكْرَةِ وَبَثُّهَا وَتَطْبِيقِهَا.

فَإِذَا كَانَتْ فِكْرَةٌ، فِي بَيْئَةٍ، غَرِيبَةً عَنِ الْأَذْهَانِ بَعِيدَةً عَنِ التَّصَوُّرَاتِ وَالْعُقُولِ، غَيْرَ مُلَائِمَةٍ لِمَسَلِّمَاتِ النَّاسِ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ، تُطْرَحُ أَوَّلًا بِصُورَةٍ هَادِئَةٍ، أَوْ بِشَكْلِ يَسْتَرَعِي الْأَنْظَارِ، حَتَّى تَشُقَّ طَرِيقًا إِلَى ذَهْنِيَّةِ الْمُجْتَمَعِ وَتَسْتَأْنِسَ بِهَا الْأَفْكَارَ، وَتُنَاحَ لَهَا أَرْضِيَّةَ الْقَبُولِ وَالْعَمَلِ بِهَا.

وهذه الطريقة قد سلكها الأنبياء «ع»، في نشر الأصول وبث الدعوة. ولقد حكى ذلك عنهم القرآن الكريم. واليك مقاطع موجهة من ذلك. فمنها ما نقرأه في حكاية إبراهيم الخليل «ع» :

إِنَّ قَوْمَ إِبْرَاهِيمَ «ع» كَانُوا يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ وَيُقَدِّسُونَهَا، وَلَا يَخْطُرُ بِبَالٍ أَيْ مِنْهُمْ أَنَّ تِلْكَ الْأَصْنَامَ صُورٌ وَأَحْجَارٌ يُمَكِّنُ أَنْ تُحَطَّمُ أَوْ تُكَادَ. فَاقْتَضَتْ تِلْكَ الْأَرْضِيَّةُ أَنْ يَسْتَرَعِيَ أَنْظَارَهُمْ إِلَى هَذَا التَّصَوُّرِ الْمُفَاجِيءِ بِهُدُوءٍ، وَأَنْ يَكُونَ هَذَا الْإِسْتِرْعَاءُ الْهَادِيءُ مَصْحُوبًا بِجَزْمٍ وَجِدِّيَّةٍ، فَابْتَدَأَ بِهَذَا الْقَوْلِ: «تَاللَّهِ لَا أَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ...».

ومن هنا ما نقرأه في حكاية رُسُلِ عيسى «ع»، حيثُ أُرْسِلَ إِلَى أَنْطَاكِيَّةِ رَسُولَيْنِ، لِيُبَلِّغَا الدَّعْوَةَ وَيُهَيِّئَا الْأَفْكَارَ لِقَبُولِ الدِّينِ .. ثُمَّ عَزَّزَا بِرَسُولٍ ثَالِثٍ لِتَكْمِيلِ الدَّعْوَةِ. وَالرَّسُولَانِ الْأَوَّلَانِ وَإِنْ كُذِّبَا، غَيْرَ أَنَّهُمَا قَدْ أَلْقِيَا

فِكْرَةَ الدِّينِ وَهَيِّئَا الأَرْضِيَّةَ لَهُ وَشَقَّا طَرِيقًا قَدْ سَلَكَهُ الرَّسُولُ الثَّالِثُ.
وهناك أمرٌ آخرٌ مهمٌّ، يجبُ أن نُلْفِتَ إليه الأفكارَ والعقولَ - ولا سيَّما
أفكارَ العلماءِ والمبْلِغينَ والدُّعاةِ - وهو بَثُّ الفِكْرَةِ بِالْعَمَلِ بِهَا. وذلكَ لأنَّ
لِسَانَ الْعَمَلِ أَنْطَقُ وَأَنْفِذُ مِنْ لِسَانِ الْقَوْلِ. أَضِفْ إِلَى ذَلِكَ أَنَّ الفِكْرَةَ
وَالدُّعْوَةَ الْمُتَجَلِّئَتَيْنِ فِي الْعَمَلِ، لهُمَا تَأْثِيرٌ قَاطِعٌ خَاصٌّ وَاسِعٌ.

وَبَثُّ الفِكْرَةِ وَالدُّعْوَةَ بِالْعَمَلِ وَالإِقْدَامَ لَهُ وَجِهَانٌ: أَحَدُهُمَا الْعَمَلُ
الْفَرْدِيُّ. وَهُوَ أَنْ يَبْدَأَ الْإِنْسَانُ بِنَفْسِهِ، فَيَبْنِيهَا وَيَجْعَلُهَا نَمُودَجًا عَمَلِيًّا لِمَا
يَدْعُو إِلَيْهِ. وَالوَجْهُ الثَّانِي، الْعَمَلُ الْجَمَاعِيُّ، وَهُوَ يَعْمِدُ إِلَى تَفْهَمِ الأَرْضِيَّاتِ
الْمُنَاسِبَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي البِيئَةِ، فَيَطُورُهَا إِلَى جِهَةٍ تَنْتَهِي إِلَى تَحَقُّقِ الدُّعْوَةِ
وَالفِكْرَةِ. وَعَلَى أَيِّ حَالٍ، فَإِنَّ الْعَمَلَ بِتَعَالِيمِ آيَةِ فِكْرَةٍ وَدَعْوَةٍ، مِنْ أَقْوَى
الْأَسْبَابِ لِنَشْرِ تِلْكَ الدُّعْوَةِ وَالفِكْرَةِ وَتَعَالِيمِهَا، كَمَا نَرَاهَا فِي وَقْعَةِ
عَاشُورَاءَ. فَإِنَّ هَذِهِ الْوَقْعَةَ فَصَلُّ مِنَ الْعَمَلِ الْكَبِيرِ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَبْثُ فِكْرَةَ
الدَّفَاعِ عَنِ الْعَدَالَةِ وَالْحَقِّ، عَلَى الدَّوَامِ ..

٢٢- معرفة النفس : الشَّرْطُ الأَوَّلُ لِإِنْبَاءِ النَّفْسِ وَتَهْذِيبِهَا وَتَكْمِيلِهَا
هُوَ مَعْرِفَتُهَا، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْرِفْ نَفْسَهُ بِقِيَمِهَا الْوَجُودِيَّةِ، وَمَوَاهِبِهَا
الْعَالِيَةِ، وَاسْتِعْدَادَاتِهَا الْبَاطِنَةَ، لَمْ يَسَعْ لِتَرْبِيَّتِهَا وَتَقْوِيَّتِهَا وَإِبْرَازِهَا إِلَى
مَرَحَلَةِ الْفَعْلِيَّةِ، وَلَمْ يَجْتَهِدْ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِهَا، حَيْثُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَسْعَى
لِشَيْءٍ إِلَّا بِمَقْدَارٍ مَا يَعْرِفُ مِنْ ذَلِكَ الشَّيْءِ وَمِنْ قِيَمِهِ.

وعلى هذا، فَكَمْ وَكَمْ مِنْ مَوَاهِبَ وَقُدْرَاتٍ وَاسْتِعْدَادَاتٍ لَمْ تُمَدَّ إِلَيْهَا
كَفٌّ، وَلَمْ تَحْضَلْ مِنْهَا فَائِدَةٌ، لِأَنَّهَا لَمْ تُعْرَفْ وَلَمْ تُكْشَفْ، فَبَقِيَتْ فِي زَوَايَا
الْمَجْهُولِ، وَعُدِمَتْ تَدْرِيجًا.

وَلِمَعْرِفَةِ النَّفْسِ مَرَاحِلٌ وَمَرَاتِبٌ، فَبَعْدَ مَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ مَعْرِفَةً
عِلْمِيَّةً، يَنْبَغِي أَنْ يَعْرِفَهَا مَعْرِفَةً تَجْرِبِيَّةً وَمَعْرِفَةً عَمَلِيَّةً، بِمَعْنَى أَنْ يَعْرِفَ أَوْلًا

وجود النفس المستقلة ومباينتها للجسد، ثم يعرف قدراته للعمل وقابليّاته لمواجهة الواقع، وفي مراحل المزاولة للأعمال. وهذه معرفة عظيمة الفوائد، تُعين الإنسان على أن يجبر نواقص ذاته بقدر الإمكان. وأهمية هذا الأمر غير خافية على أي نابه بصير. ولا يقع عمل على وجهه، إن لم يكن العامل عارفاً باستعداداته ومقدوراته للمزاولة، ولذلك يقول الإمام عليّ «ع»:

«هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ»^٢.

ولمعرفة النفس فوائد قيمة تكاملية، فردية وإجتماعية، نُشيرُ إلى جملة منها:

١ - معرفة عيوبها. وهي الخطوة الأولى لإصلاح النفس وتهذيبها.
٢ - معرفة قابليّاتها وإمكانياتها. وغيرُ خافٍ ما لهذه المعرفة من الأهمية، في القضايا الشخصية والاجتماعية - كما أشرنا إليه - ولقد أضرَّ الجهلُ بالنفس وقدراتها وقابليّاتها كثيراً من الناس، حيث لم يعرفوا مواهبهم المودعة فيهم فخسروها، ولم يعرفوا حدّهم أو حدود عملهم، فتجاوزوا أطوارهم، فضاعوا وأضاعوا ..

٣ - معرفة فضائلها. وهذه المعرفة إذا حصلت (أي معرفة الفضائل الإنسانية والحقائق الحياتية والمعارج الأخلاقية)، تدفع الإنسان لأن يسعى لكسب الفضائل والمعالي، ولأن يُخرج نفسه من المرتبة الحيوانية وخواصها، إلى المرتبة الإنسانية وخواصها.

٤ - معرفة سائر الناس ومراتبهم. من عرف حقيقة النفس الإنسانية يعرف أفراد الإنسان وقيّمهم وخصوصيّاتهم، وما يكون فيهم من كمالٍ أو

١ - معرفة النفس بالتجربة ومشاهدتها مستقلة عن الجسد ممكنة. وقد أشار إليها والي طرقها الفلاسفة والعلماء الاعاظم في محالها، كما في «الإشارات»، و«حكمة الإشراق»، و«القبسات»، وفي «بيان الفرقان» ١ / ٦٢ - ٦٣.
٢ - نهج البلاغة / ١١٥٩: عبده ٣ / ١٨٩.

نقص. وهذه المعرفة توجب أن يجتهد الإنسان في سبيل بني نوعه، وأن يستفيد من كمال كمالهم، وأن يزيح نقص ناقصهم، وأن يؤثر الناس على نفسه. وعلى العكس من هذا من لا يعرف قيمة نفسه بما هو إنسان، فإنه لا يعرف قيمة الناس، ولا يعرف قيمة الإنسان والإنسانية، فيبدو كل شيء في نظره بلا قيمة وبلا أهمية، فيحسب الحياة بلا غاية، وترخص في نظره قيمة الوجود والمواهب.. وهذا كما يقول الإمام علي «ع»: «من جهل قدره، جهل كل قدر». والجهل بكل قدر، مبدأ لظهور الفلسفات الملحدة والمتشائمة. فمعرفة النفس الإنسانية بما لديها من مواهب، وبما انطوت عليه من شؤون، تستدعي إكبار «الإنسان» وإجلال المجتمعات.

٥- معرفة الله تعالى. من أعظم فوائد معرفة النفس وأهمها وأكبرها، أنها أحسن وسيلة وأتم سبب لمعرفة الله تعالى. وذلك من طريقين:
أ- أن معرفة النفس، بما أنها ظاهرة طبيعية كاملة، والإطلاع عليها باعتبار أنها موجود جامع للغرائب والمواهب، توجب معرفة بارئها ومبدعها، ولا سيما إذا حصل الإشراف على عظام الصفات والمواهب الكامنة في النفس الإنسانية - والإنسان خليفة الله في الأرض - وغرائب ما في سره الباطني من عظم وآيات.

ب- لما كانت النفس الإنسانية جوهرية إلهية، ونفخة ربانية، وهي من عالم الأمر، وهي المرأة المتجلية فيها الصفات الرحمانية، فمن المعلوم أن الإنسان إذا عرف نفسه بهذه الصورة، تنجلي أمامه طرق السير الباطني والعلم الواقعي، ويخلص من الخيالات والأوهام التي يظننها الناس - حتى كثير من العلماء والمفكرين - علماً. ويصل إلى مرتبة صادقة من المعرفة والعلم، فيعرف الله تعالى، ويرى حقائق العوالم الكونية، ويكشف

٢٣ - معرفة الله تعالى : لَقَدْ وَصَلْنَا إِلَى قِمَّةِ الْهَرَمِ ، وَغَايَةِ الْأَمْرِ ، وَذُرُوقِ السَّنَامِ ، وَكَمَالِ الْمَبْتَغَى ، فَإِنَّ جَمِيعَ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ ، وَعَامَّةَ الْحَرَكَاتِ وَالْأَغْرَاضِ تَنْتَهِي إِلَى هَذَا الْمَقْصِدِ الْأَسْنَى وَالْغَايَةِ الْقُصْوَى ، يَعْنِي مَعْرِفَةَ اللَّهِ تَعَالَى . وَهِيَ أَعْلَى الْمَعَارِفِ وَأَوْلَى الْكَمَالَاتِ وَأَخْرَاهَا ، وَسَبَبُ السَّعَادَةِ الْوَحِيدِ ، وَغَايَةُ الْخَلْقِ ، وَحِكْمَةُ كُلِّ مَا يَتَكَوَّنُ فِي الْكَائِنَاتِ .

لَقَدْ أَشْرْنَا فِي فَصْلِ «مَحْدُودِيَّةِ الْحَسِّ» ، إِلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ يُدْرِكُ بِحَوَاسِّهِ ظَوَاهِرَ الْأَشْيَاءِ ، وَأَمَّا مَعْرِفَةُ الْحَقَائِقِ وَدَرْكُهَا وَتَفْهَمُ الْعِلَلِ وَالرُّوَاطِ وَالْقَوَانِينِ الْكَلِيَّةِ الْحَاكِمَةِ عَلَى الْكَائِنَاتِ ، فَلَيْسَتْ إِلَّا مِنَ الْعَقْلِ . وَدَوْرُ الْحَوَاسِّ لِكَسْبِ الْمَعْرِفَةِ لَا يَكُونُ إِلَّا كَأَدَاةٍ يَسْتَعْمِلُهَا الْعَقْلُ لِأَغْرَاضِهِ .

والمعرفة العقلية إنما تتيسر من طُرُقٍ ، مِنْهَا كَشْفُ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَجَوْهَرِهِ وَأَصْلِهِ وَخَوَاصِّهِ ، بِسَبَبِ مَعْرِفَةِ آثَارِهِ وَأَيَاتِهِ . وَفِي هَذَا الْمَقَامِ نَرَى الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُقَدِّمُ بِالْعَالَمِ وَجَمِيعِ مَا فِيهِ ، وَيَفْرُضُهُ كَمَجْمُوعَةٍ مِنْ آيَاتٍ تَدُلُّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَخَطُوطٍ يُقْرَأُ بِهَا وَجُودُ اللَّهِ وَصِفَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ وَآثَارُهُ ؛ وَيَدْعُو الْأَفْكَارَ وَالْعُقُولَ وَالْقُلُوبَ إِلَى التَّأَمُّلِ فِيهَا وَسَبْرِ أَغْوَارِهَا حَتَّى تَنْتَهِيَ مِنْهَا إِلَى ذِي الْآيَاتِ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْخَالِقِ الْحَقِّ .

وبهذا الطريق، أي التأمل في الآيات والكائنات بالوعي العقلي، تكتمل المعرفة الفطرية وتتعمق أيضاً. فإن هذا التأمل والوعي يفتحان عين البصيرة وبصر القلب. ولذلك يذم القرآن الكريم والحديث الشريف من لا يعي هذا الجانب، ومن لا يستعمل عقله، ولا يفتح عين بصيرته:

١ وكَأَيِّنُ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يُمْرُونَ عَلَيْهَا، وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * ١

الحديث

١ الامام الكاظم «ع»: يا هِشَامُ بْنَ الْحَكَمِ! إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَكَمَلَ لِلنَّاسِ الْحُجَجَ بِالْعُقُولِ، وَأَفْضَى إِلَيْهِم بِالْبَيَانِ، وَدَلَّهَم عَلَى رُبُوبِيَّتِهِ بِالْأَدِلَّةِ، فَقَالَ: «وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ * إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» إِلَى قَوْلِهِ: «لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ٢. يَا هِشَامُ! قَدْ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى مَعْرِفَتِهِ، بِأَنَّ لَهُمْ مُدَبَّرًا فَقَالَ: «وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ٣، وَقَالَ: «حَم * وَالكِتَابِ الْمُبِين * إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» ٤، وَقَالَ: «وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا، وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا، إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ٥.. ٦

٢ الامام الصادق «ع»: .. كَذَلِكَ عَايَنَتِ الْعَيْنُ اخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، دَائِبَيْنِ، جَدِيدَيْنِ، لَا يَبْلِيَانِ فِي طَوْلِ كَرَّهُمَا، وَلَا يَتَغَيَّرَانِ لِكثْرَةِ اخْتِلَافِهِمَا، وَلَا يَنْقُصَانِ عَنْ حَالِهِمَا، النَّهَارُ فِي نَوْرِهِ وَضِيائِهِ، وَاللَّيْلُ فِي سَوَادِهِ وَظَلْمَتِهِ، يَلْجُ أَحَدُهُمَا فِي الْآخَرِ، حَتَّى يَنْتَهِيَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى غَايَةِ مَحْدُودَةٍ مَعْرُوفَةٍ

١ - سورة يوسف (١٢): ١٠٥.

٢ - سورة البقرة (٢): ١٦٣ - ١٦٤.

٣ - سورة النحل (١٦): ١٢.

٤ - سورة الزخرف (٤٣): ١ - ٣.

٥ - سورة الروم (٣٠): ٢٤.

٦ - تحف العقول / ٢٨٣.

في الطُّول والقِصْر، على مرتبةٍ واحدةٍ ومَجْرَى واحدٍ، مَعَ سكونٍ مَن يَسْكُنُ في الليل، وانتشارٍ مَن يَنْتَشِرُ في الليل، وانتشارٍ مَن يَنْتَشِرُ في النهار، وسكونٍ مَن يَسْكُنُ في النهار؛ ثُمَّ الحَرُّ والبرْدُ، وحُلُولُ أحدهما بعقبِ الآخر، حتَّى يَكُونَ الحَرُّ بَرْدًا والبرْدُ حَرًّا في وقتِه وإبَانِه. فكلُّ هذا مِمَّا يَسْتَدِلُّ بِهِ القلبُ على الرَّبِّ - سُبْحَانَهُ وتَعَالَى - فَعَرَفَ القلبُ بعقلِه، أن مَن دَبَّرَ هذه الأشياءَ، هو الواحدُ العزیزُ الحکیم، الَّذي لَمْ يَزَلْ ولا يَزَالُ، وأنَّه لو كانتْ في السَّمَاوَاتِ والأَرْضينَ آلهَةٌ مَعَهُ سُبْحَانَهُ، لَذَهَبَ كُلُّ آلِهٍ بما خَلَقَ، ولَعَلَّا بعضهم على بعضٍ، ولَفَسَدَ كُلُّ واحدٍ منهم على صاحبه. وكذلك سَمِعَتِ الأذُنُ ما أَنْزَلَ المُدَبِّرُ مِنَ الكُتُبِ، تصديقاً لِمَا أَدْرَكَتُهُ القُلُوبُ بعقولِها وتوفيقِ الله إياها، وما قالَهُ مَن عَرَفَهُ كُنْهَ مَعْرِفَتِه، بلا وِلْدٍ ولا صَاحِبَةٍ ولا شريكِ، فَأَدَّتِ الأذُنُ ما سَمِعَتْ مِنَ اللِّسانِ بمقالةِ الأنبياءِ إلى القلبِ. ١

وَمِنَ المَعْلُومِ أَنَّ المَعْرِفَةَ الحِسيَّةَ، هِيَ مُقَدِّمَةٌ لا سَتِنْتاجِ عَقْلِيٍّ، لِأَنَّ المَحْسُوسَ إِذَا كانَ أَثْرًا فَهُوَ يَدُلُّنا على وجودِ مُؤَثِّرٍ لَهُ. فالانْتِهاءُ مِنَ الأَثْرِ إلى المُؤَثِّرِ، مِنَ الخِواصِّ العَقْلِيَّةِ، وَهُوَ أَعْلَى رَتبةً مِنَ الحِواصِّ ومُدْرَكَاتِها.

وأكثرُ ما يَعْلَمُهُ الإنسانُ وَيَعْرِفُهُ إِنَّمَا هو مِنَ هذا القبيلِ، كما يُشيرُ إليه المَعصومُ «ع» :

الحديث

١ الامام الصادق «ع» : .. وَأَعْجَبُ مِنْهُمْ جَمِيعاً، المُعْطَلَةُ الَّذِينَ رَأَوْا أَن يُدْرَكَ

بالحسّ ما لا يُدرِكُ بالعقل، فلَمَّا أُعَوِّزَهُمْ ذلكَ خَرَجُوا إلى الجُحودِ والتَّكذيبِ، فقالوا: وَلِمَ لا يُدرِكُ بالعقل؟ قيلَ: لانه فوقَ مرتبَةِ العقلِ، كما لا يُدرِكُ البَصْرُ ما هو فوقَ مرتبَتِهِ. فَإِنَّكَ لو رَأَيْتَ حَجْرًا يَرْتَفِعُ في الهَوَاءِ، عَلِمْتَ أَنَّ رَامِيًا رَمَى بِهِ، فَلَيْسَ هَذَا العِلْمُ مِنْ قِبَلِ البَصْرِ، بل مِنْ قِبَلِ العقلِ، لِأَنَّ العقلَ هو الَّذِي يُمَيِّزُهُ، فَيَعْلَمُ أَنَّ الحَجْرَ لا يَذْهَبُ عُلُوًّا مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ. أَفَلَا تَرَى كَيْفَ وَقَفَ البَصْرُ على حَدِّهِ فلم يَتَجَاوِزْهُ؟ فَكذلكَ يَقِفُ العقلُ على حَدِّهِ مِنْ مَعْرِفَةِ الخَالِقِ فلا يَعْدُوهُ، وَلَكِنْ يَعْقِلُهُ بعقلٍ أَقْرَأَنَّ فِيهِ نَفْسًا ولم يُعَايِنِهَا ولم يُدرِكْهَا بِحَاسَّةٍ مِنَ الحَوَاسِّ. وعلى حَسَبِ هذا أَيْضًا نَقُولُ: إِنَّ العَقْلَ يَعْرِفُ الخَالِقَ مِنْ جِهَةٍ تُوجِبُ عَلَيْهِ الاقْرَارَ، ولا يَعْرِفُهُ بما يُوجِبُ لَهُ الإِحاطَةَ بِصِفَتِهِ. فَإِنْ قالوا: فَكَيْفَ يُكَلِّفُ العَبْدُ الضَّعِيفُ مَعْرِفَتَهُ بالعقلِ اللطيفِ ولا يُحِيطُ بِهِ؟ قيلَ لَهُمْ: إِنَّمَا كَلَّفَ العِبَادُ مِنْ ذلكَ ما في طاقَتِهِمْ أَنْ يَبْلُغُوهُ، وهو أَنْ يُوقِنُوا بِهِ، وَيَقِفُوا عِنْدَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ، ولم يُكَلِّفُوا الإِحاطَةَ بِصِفَتِهِ..^١

٢ الامام الصادق «ع»: أَخْبَرَنِي عَنْ هَذِهِ الإِهْلِيَّةِ^٢! أَتَقَرُّ أَنَّهَا خَرَجَتْ مِنْ شَجَرَةٍ أَوْ تَقُولُ: إِنَّهَا هَكَذَا وَجِدْتُ؟ قال: لا بَلْ مِنْ شَجَرَةٍ خَرَجَتْ. قلتُ: فَهَلْ أَدْرَكَتْ حَوَاسُّكَ الخَمْسُ ما غَابَ عِنْدَكَ مِنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ؟ قال: لا. قلتُ: فما أراكَ إلَّا قد أَقْرَرْتَ بِوُجُودِ شَجَرَةٍ لَمْ تُدرِكْهَا حَوَاسُّكَ..^٣

وهذه طُرُقٌ مُناسِبَةٌ لإيقافِ الأذهانِ على مَحْدودِيَّةِ الحَوَاسِّ
وَضُرُورَةِ المَعْرِفَةِ العَقْلِيَّةِ لِطَلْبِ العِلْمِ الحَقِيقِيِّ.

١ - البحار ٣ / ١٤٦ - ١٤٧.

٢ - هذا كلام قاله الامام الصادق «ع» للطبيب الهندي الذي كان يُناظر الامامَ وبياحته.

٣ - البحار ٣ / ١٥٦.

والذي نَسْتَفِيدُهُ مِنْ هَذِهِ الْمَسَائِلِ وَالْأُمُورِ، أَنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا يُلَائِمُهُ
وَطَرِيقًا يُؤَدِّي إِلَيْهِ وَأَدَاةً تُنَاسِبُهُ. وَكُلُّ مَا نُرِيدُ أَنْ نَعْرِفَهُ - مِنَ الْوُجُودِ أَوْ
الْمَوْجُودِ أَوْ مَبْدَأِ الْوُجُودِ - لَا يَخْرُجُ عَنْ هَذَا الْأَصْلِ. فَلَا بُدَّ لَنَا أَنْ نَصْطَفِيَ
لِلْوُصُولِ إِلَى مَعْرِفَةِ أَيِّ شَيْءٍ ذَرِيعَةً مُتَلَائِمَةً مَعَهُ، مُوَصَّلَةً إِلَى مَعْرِفَتِهِ. فَإِذَا
كَانَ الشَّيْءُ مُتَرَفِّعًا عَنِ الْإِحَاطَةِ، غَيْرَ خَاضِعٍ لِلْحَوَاسِّ وَالْمَشَاعِرِ، لَا بُدَّ مِنْ
أَنْ نَسْلُكَ لِمَعْرِفَتِهِ طَرِيقًا آخَرَ، وَهُوَ طَرِيقُ الْمَعْرِفَةِ بِآيَاتِهِ وَأَثَارِهِ، وَهِيَ
الْمَعْرِفَةُ الْعَقْلِيَّةُ، الَّتِي تَتَحَوَّلُ فِي مَرَاتِبِ كَمَالِهَا إِلَى الْمَعْرِفَةِ الْقَلْبِيَّةِ، وَالْعِلْمِ
الْجَازِمِ.

الامام الرضا «ع»: .. أما المعرفة فوجه ذلك وبيانه .. إنك تذكر الحروف، إذا
لم ترد بها غير نفسها ذكرتها فرداً فقلت: ا، ب، ت، ث، ج، ح، خ، حتى تأتي
على آخرها، فلم تجد لها معنى غير أنفسها. فإذا ألفتها وجمعت منها
أحرفاً، وجعلتها اسماً وصفة لمعنى ما طلبت وجه ما عيّنت، كانت دليلاً
على معانيها، داعية إلى الموصوف بها، أفهمته؟ قال: نعم. قال الرضا «ع»: ..
وأعلم أنه لا يكون صفة لغير موصوف، ولا اسم لغير معنى، ولا حد
لغير محدود. والصفات والأسماء تدل على الكمال والوجود، ولا تدل على
الإحاطة، كما تدل الحدود التي هي التريب والتثليث والتسديس، لأن الله
عز وجل تدرك معرفته بالصفات والأسماء، ولا تدرك بالتحديد بالطول
والعرض والقلة والكثرة واللون والوزن وما أشبه ذلك؛ وليس يحل بالله -
جل وتقدس - شيء من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم أنفسهم، بالضرورة
التي ذكرنا. ولكن يدل على الله عز وجل بصفاته، ويدرك بأسمائه،

١ - وهي ان الاسماء والصفات في حق الله تعالى لا تدل على الاحاطة والحد، بل على الكمال
والوجود واتصاف الله بها وتحققها في ذاته - سبحانه و تعالى.

وَيُسْتَدَلُّ عَلَيْهِ بِخَلْقِهِ، حَتَّى لَا يَحْتَاجَ فِي ذَلِكَ الطَّالِبُ الْمُرْتَادُ إِلَى رُؤْيَةِ عَيْنٍ، وَلَا اسْتِمَاعِ أُذُنٍ، وَلَا لَمَسِ كَفٍّ، وَلَا إِحَاطَةِ بِقَلْبٍ..^١

٢٤ - معرفة البلى واثرها في تكامل الانسان : إنما يُوطَّنُ الإنسانُ نفسه لِقَبُولِ أَمْرٍ وَتَحْمَلِ مَشَقَّةٍ، بِالنَّسْبَةِ إِلَى مَا يَعْرِفُ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ وَتِلْكَ الْمَشَقَّةِ، وَمَا فِيهِمَا مِنْ فَوَائِدٍ وَنَتَائِجٍ. وَتَدْخُلُ فِي هَذِهِ الْمَقُولَةِ، الْبَلَايَا وَالضَّرَّاءُ وَالْبَأْسَاءُ وَالْفَوَادِحُ وَالْخُطُوبُ. فَإِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ تِلْكَ الْأُمُورَ وَمَنَاسِئِهَا وَمَا يَتَّبِعُهَا وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى كَيْفِيَّةِ مُوَاجَهَتِهَا، مَعْرِفَةً وَاعِيَةً، يُهَيِّئُ نَفْسَهُ لِأَنْ يُوَاجِهَهَا أَحْسَنَ مُوَاجَهَةٍ وَأَنْ يَتَحَمَّلَهَا أَجْمَلَ تَحْمَلٍ.

وهذه المعرفةُ كَيْفِيَّةٌ مَصِيرِيَّةٌ فِي الْأَشْخَاصِ ، تَظْهَرُ آثَارُهَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْإِتِّجَاهَاتِ وَقَضَايَا الْحَيَاةِ. فَمِنْ ذَلِكَ مَا نَجِدُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ! حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ، إِنْ يُكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ. وَإِنْ يُكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا، مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا، بَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ»^٢. فَالآيَةُ الْكَرِيمَةُ تُرَسِّمُ أَمَامَنَا صَفَيْنِ:

صَفًّا مُؤْمِنًا هَادِفًا لَهُ اتِّجَاهٌ بَيِّنٌ، وَغَايَةٌ مَعْلُومَةٌ، وَفِقْهُ وَمَعْرِفَةٌ بِمَا يَطْلُبُهُ وَيَغْزُو لَهُ. وَهَذَا الصَّفُّ صَابِرٌ أَمَامَ الْخُطُوبِ طَبْعًا، قَائِمٌ عَلَى السَّاقِ فِي مُوَاجَهَةِ الْعَدُوِّ، وَفِي مُعَالَجَةِ الْحَرْبِ.

وَصَفًّا كَافِرًا غَيْرَ هَادِفٍ حَيْرَانَ، فَاقِدًا لِفَقْهِ أَوْ مَعْرِفَةٍ تَسْتَلْزِمُ اتِّجَاهًا صَامِدًا، فَلَا يَصْبِرُ أَمَامَ الْأُمُورِ الصَّعَابِ وَالْحَوَادِثِ الْبَاهِظَةِ فَيَنْهَزِمُ. فَصَحِيحٌ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الصَّفَّ الثَّانِيَّ إِنَّمَا يَنْهَزِمُ لِفَقْدِهِ الْبَصِيرَةَ وَلِجَهْلِهِ بِالْغَايَاتِ وَعَدَمِ فَقْهِهِ وَمَعْرِفَتِهِ، وَالصَّفُّ الْأَوَّلُ إِنَّمَا يَغْلِبُ لِمَا يَحْمِلُهُ مِنْ

١ - عيون اخبار الرضا ١ / ١٧٤ - ١٧٥؛ مُسْنَدُ الرَّضَا ٢ / ٨٩، لِلشَّيْخِ عَزِيزِ اللَّهِ الْعَطَّارِ دِي الْخَبُوشَانِي

- من منشورات مكتبة الصدوق، طهران.

٢ - سورة الانفال (٨) : ٦٥.

البصيرة والعلم ولمعرفته بنتائج ما يواجهه من المشاكل؛ فأهله يحملون بصائرهم على أسيافهم - كما قال الامام علي بن ابي طالب «ع»!

٢٥- معرفة الزمان : .. من المعلوم ما لمعرفة الزمان والأيام واختبارها من الأهمية، فالإنسان البصير النابه، هو الذي لا يتعجب من صروف الدهر وتغيرات الأيام. غير أننا قصدنا بهذه النظرة أن نشير إلى مفهوم من الزمان، يُستفاد من الآيات والأحاديث، وليس هو الزمان الفلسفي أو الفلكي، بل الزمان النسبي^٢. وهو الذي يقع ظرفاً للحوادث والأحوال والأعمال، مع ملاحظة صلته بما يقع فيه، ويُقاس بالنسبة إلى الإنسان وحياته وأعماله وسيره في سبيل التكامل أو الانحطاط في هذا العالم، وإلى سائر التحولات الاجتماعية والتاريخية. فالمراد بالزمان هنا، هو الأمور الزمانية، منتسبة إلى ظروفها الزمانية، إنتساباً بحسب الكم والكيف.

جاء في الحديث النبوي الشريف: «الليل والنهار مطّيان»^٣. وهذا تعبير عن الزمان من جهة صلته بالإنسان وكيفية استفادة الإنسان منه، ومن جهة الدور الذي يمكن أن يلعبه الظرف الزماني لحركة الإنسان التكاملية ولعروجه إلى الله تعالى.

ومن المعلوم أن الميزان للزمان الطبيعي الفلكي، هو الزمان نفسه، لأن سائر الظواهر الطبيعية تُقاس به. ولكن الميزان لهذا الزمان الذي نبحث عنه، هو أعمال الإنسان وأطوار حياته المختلفة، الفردية أو الاجتماعية، في حال صلتهما بالسُنن الاجتماعية والدينية والتاريخية. فلنا زمانان: زمان فلكي، وزمان نسبي - فيما اصطَلَحنا عليه -

١ - نهج البلاغة / ٤٦٠؛ عبده ٢ / ٤٨.

٢ - ويمكن ان نُعبّر عنه بـ«الزمان الاعمالي»، اي: زمان الاعمال التي صدرت من الانسان.

٣ - الخصال / ٦٨.

وللإنسان بحسبهما عمران: عُمرٌ يُقَدَّرُ بالزَّمانِ الأوَّلِ، وهو الأيَّامُ التي عاشها الإنسان على الأرض. وعُمرٌ يُقَدَّرُ بالزَّمانِ الاخير، وهو مقدارُ ما وُفِّقَ فيه الإنسانُ لِعَمَلٍ، خيرٍ أو شرٍّ. وحقيقةُ العُمرُ هو العُمرُ الثاني. وهو الحياةُ العقليةُ الإِتجاهيةُ لِكُلِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ. والمجتمعات من هذه الجهة كالأفراد، فإنَّ لها عُمرًا طبيعيًّا وعُمرًا نسبيًّا، بالمعنى الذي ذكرناه. فقد يُمكنُ أن يَمُرَّ على مجتمعٍ قرنٌ من الزَّمانِ بحسابِ الفلك، لا يُعادِلُ سنةً بمقياسِ الزَّمانِ النسبي، وبالعكس.

وَمِنَ الواضحِ أنَّ الزَّمانَ النسبيَّ هو قطعةٌ مِنَ الزَّمانِ الطبيعيِّ، فيُحكَّمُ عليه بأحكامِهِ. وَمِنَ أحكامِ الزَّمانِ تحوُّلهُ الدَّائم، وكذلك التَّاريخُ والمُجتمعُ، فإنَّهما أيضًا مُتحوِّلان، يَسيرانِ في عَرَصاتِ التَّغْيِيرِ والصَّيرورة، بِنِسَبٍ مُختلِفةٍ في السَّرعَةِ والبُطُوءِ. فعلى هذا الأصل، يَجِبُ على الإنسانِ أن يكونَ مُسائراً لزمانِهِ وتحوُّلاتِهِ فِكْراً وإقْداماً، مُراقباً لميزانيَّةِ تلكَ التحوُّلاتِ، حتى يَتَسَنَّى لَهُ أن يَحْفَظَ صِلَتَهُ بِالزَّمانِ وبالمُجتمعِ، وأن يَسيرَ في رَكْبِ التَّحوُّلِ مَعَ السَّائرين، مِن غيرِ أن يَنْكُصَ أو يَتَقَهَّرَ، اذ الإنسانُ لا يكونُ عُضواً نافِعاً لمُجتمعِهِ، وأُمَّتِهِ، ووطنِهِ، ودينِهِ، إلا بتلكَ الصُّورة، وإلاَّ فينقَطِعُ عن زمانِهِ وأهلِ زمانِهِ، ويتأخَّرُ عن الرُّكْبِ الحضاريِّ، ويفقدُ نتائجَ الحياةِ الإِجتماعيةِ، وكذلك يفقدُ رسالَتَهُ في تطويرِ القضايا البشريَّةِ، بقدرِ ما يُمكنُهُ ويتيسَّرُ لَهُ.

٢٦- معرفة النواميس التاريخية واثرها: لقد جاء في القرآن الكريم نماذج كثيرة من قصص الماضين، مع إلماح إلى علل الحوادث وربط الوقائع. ومن خلال ذلك نرى أن القرآن قد دعا الناس إلى التفكير في سوابق الحياة البشرية على الأرض، وإلى التأمل فيما جرى على الغابرين من الأحداث والعبر. ولم تكن دعوة القرآن تلك إلا لتفهيم التاريخ - بما هو ظرف للحوادث - ولمعرفة السنن التاريخية، والإطلاع على أن الذي جرى

في السابقين لماذا جرى وكيف جرى.
وهذا التفهّم والمعرفة والإطلاع، يُشجّع الإنسان - ولا سيما الإنسان،
الهادف - وينشّطه للإتجاهات الخيرة، والحركات الفعّالة في سبيل الحق
والعدل والمُجتمع.

وكان الأنبياء «ع»، يعملون لحماية الحق ونشر العدل وإصلاح
المُجتمعات، مُعتمدين على تلك السنن التاريخية، لأنهم كانوا على علمٍ
قاطع بتلك السنن الجارية في التاريخ، وهي سنن الله التي جعلها وقدرها،
بحسابٍ دقيقٍ رصين، منوطٍ بالعلية والمعلولية. ومن تلك السنن أن الحق
غالب لا محالة والعاقبة للمتقين. نعم، إن الأنبياء وأوصياءهم كانوا يقومون
بأكبر النهضات والحركات التغييرية، ويعلمون من بدء الأمر أنهم غالبون.
وكان من برامجهم الوقوف بجانب المستضعفين والمحرومين في كفاحٍ
متواصل. وكانوا يضعفون الباطل ويقوّون الحق بمزاولة، ليشقوا الطريق
إلى الفوز والنجاح. فالعلم بتلك السنن من أقوى العوامل لتقوية النفوس
وتشجيع الشعوب، في سبيل النهضات التحريرية والحركات الانقلاية
الشاملة.

٢٧- معرفة المنطلق العملي: لكل عمل وإقدامٍ موقعية خاصة به، وهي
الأرضية المناسبة له، والزمان الذي إذا وقع العمل فيه وقع ناضجاً مثمرًا.
وعلى من يريد العمل والاقدام أن يعرف تلك الأرضية وذلك الزمان، فإن
النتيجة المترتبة على أي عملٍ تناط بتلك المعرفة. وجملة كثيرة من
الأعمال التي لم تنجح ولم تنتج نتيجةها المطلوبة، هي التي لم يؤت بها في
أزمانها - على الأغلب - ولم تراعى أرضياتها الملائمة لها. فمعرفة المنطلق
العملي لها تأثيرها الأساسي البناء، في كل عملٍ وإقدامٍ، صغيرٍ أو كبيرٍ،
حتى في أداء كلمة وقول.

٢٨- الاعداد الفكري لمراحل المعرفة : لقد أشرنا آنفاً إلى أهمية الأرضيات المناسبة لكل إقدام وعمل وتأثيرها. ومن الأعمال الاجتماعية نشر الفكر والمعرفة في الناس. وهذا العمل أيضاً يجب أن يقع في أرضية مناسبة له. ومن شرائط النجاح في هذا الفعل أن يُراعى التلاؤم بين ذهنيات الأفراد والمراحل المختلفة للفكرة والمعرفة. فهناك فكرة تزيد على العقول وتكبر، وهناك فكرة ضئيلة لا تستوعب المجتمع، ولا أثر لها في تثقيف الناس وترقية أفكارهم. فتجب رعاية الموازنة بين هذه الأمور حتى تحصل النتائج المنشودة.

ومما يجب على صاحب الدعوة الحقّة، هو أن يخاطب الناس ويعالج البيئة، حتى يقف على استعدادات النفوس فيستخرج دفائن عقولهم ويكتشف معادنهام الوجودية الإنسانية. ومن هنا جاء التأكيد على أن تكون الدعوة بلسان القوم - كما في الكتاب الكريم - وهذا اللسان ليس منحصراً في اللسان اللغوي، بل يعم اللسان الفكري والعقلي والثقافي، ولسان البيئة ولسان العصر والنسل. وهذا أمر مهم قد راعاه الأنبياء وأوصياؤهم، فيما سلف من الزمان. ويلاحظ - مع الأسف - أن قسماً من العلماء - وهم يدعون وراثه الانبياء - لا يراعون في كثير من المجالات، هذه الركيزة البناءة المنتجة، مما سبب عقم الدعوة.

٢٩ - الحرية الفكرية وطلب الصائب من الآراء: لقد جاء في التعاليم الإسلامية شيء كثير، من الدعوة إلى إجمالية الرأي، وإستقبال وجوه الآراء، وضم آراء ذوي الرأي بعضها إلى بعض، وضرب بعضها ببعض، وإعمال الأناة والتروي في اصطفاء رأي أو أخذ في عمل، والسؤال عن أهل النظر والخبر، والمشاركة في عقول الناس بمشاورتهم و.. وعد الإستبداد بالرأي هلاكة^١.

١ - قال الامام علي بن ابي طالب «ع»: «مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ» - (نهج البلاغة / ١١٦٥: عبده ٣ / ١٩٢).

وَكُلُّ ذَلِكَ يُدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَدْعُو إِلَى تَقْيِيدِ الْفِكْرِ وَحَبْسِهِ، فِي نِطَاقٍ خَاصٍّ، حِزْبِيٍّ أَوْ مَدْرَسِيٍّ أَوْ غَيْرِهِ، بَلْ يَقُولُ: «فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، أُولَئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ»^١. ويقول الامام علي بن أبي طالب «ع»: «مَنْ شَاوَرَ الرَّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا»^٢. وبذلك يتسنى للإنسان أن يسبر غور المذاهب والآراء، ثم يتبع الأحسن منها، اتباعاً حُرّاً، «لا إكراه في الدين، قد تبين الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...»^٣. وبما أن هذا الطريق يسلك بالإنسان إلى تحقيق الحق وتفهمه، فهو يوجب أن يكون المسلم في تبنيه الإسلام على بصيرة ووعي. غير أن هذا الأمر يطلب من الإنسان أن يكون ذالِباً وتمييزاً، حتى يُمَيِّزَ الصَّحِيحَ مِنَ الزَّائِفِ، وَالْفَاتِرَ مِنَ النَّاضِجِ، وَحَتَّى لَا يَكُونَ مُقَلِّداً جامداً، وَحَتَّى لَا تَكُونَ الْآرَاءُ وَالرَّجَالُ وَأَسْمَاؤُهُمْ مُهَيِّمَةً عَلَيْهِ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ يَدْعُو إِلَى التَّبَعِيَّةِ الْعَمِيَاءِ.

وَمِنْ فَوَائِدِ اجْتَالَةِ الرَّأْيِ وَمُشَاوَرَةِ الْعُقُولِ، أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ يُؤَدِّي إِلَى تَوْسِيعِ الثَّقَافَةِ فِي الْمُجْتَمَعِ، وَإِلَى تَقْوِيَةِ الْأَذْهَانِ، وَرَفْعِ مُسْتَوَى الْإِدْرَاكِ وَالْوَعْيِ.

٣٠- موانع المعرفة وإزاحتها: إن الإسلام سعى - أشد السعي - لأن يخرج جميع قوى الإنسان واستعداداته إلى مرحلة الفعلية، ولأن يثير للناس دفاين العقول - على حد تعبير مولانا أمير المؤمنين «ع»^٤ - ويجعلها في طريق الصيرورة والتكامل.

ولأجل هذا المقصد الأسنى، لا يكتفي بإزاحة العراقيل الخارجية -

١ - سورة الزمر (٣٩): ١٧ - ١٨.

٢ - نهج البلاغة / ١١٦٥: عبده ٣ / ١٩٢.

٣ - سورة البقرة (٢): ٢٥٦.

٤ - نهج البلاغة / ٣٣: عبده ١ / ١٧.

من إجتماعية واقتصادية وسياسية - عن مسير الإنسان وحركته، بل يهتم
بازاحة العراقيل الباطنية أيضاً. وهي العراقيل النفسية والخلقية التي تسدُّ
سبيل الإنسان وتصدُّه عن سيره التكاملي وصيرورته الإنسانية، وتمنع من
تبلور قواه ومواهبه. فالإسلام قد رسم برامج بناءة ومناهج تعليمية، لتنظيم
أبعاد الوجود الإنساني، الروحية والجسمية، حتى تتاح له تلك الحركة
المنشودة إلى الغاية القصوى.

ولقد ذكرنا في هذا الفصل من الباب (الفصل الحادي والاربعين)،
عدة من تلك العراقيل والموانع.

منها: ذمائم الأخلاق، فإنها تمنع من الوعي الصادق والفهم
الصحيح. فمن لم يعمد لتهديب أخلاقه وتزكية نفسه، لا يدرك الحقائق
إدراكاً صحيحاً، وإذا أدرك شيئاً لم ينتفع به انتفاعاً صحيحاً، بل يجعل
مفهوماته ومعلوماته ذريعة للشروع لا للخيرات.

ومنها: الحُب، وهو الذي يعمي ويصم. فالإنسان إذا أحب شيئاً عمي
عن رؤية عيوبه. وهذا مانع كبير لسبر الغور ومعرفة الأمر.

ومنها: العجب، فإن المعجب بنفسه وبرأيه وبعقله، لا يقبل الحق إذا
كان مخالفاً لنظره، ولا يعترف بخطأه إذا أخطأ، ولا يخضع للسؤال عما لا
يعلم عن يعلم. وهذا الإنسان يتفرد برأيه فيسقط.

ومن موانع المعرفة، الركائز الذهنية والتقاليد الباطلة السائدة في
المجتمع، فإنها أيضاً تمنع من المعرفة غير المشوبة. وكذلك سائر ما
ذكرناه.

فينبغي لطالب المعرفة والكمال، ولمن يؤم الوعي ويقصد تثقيف
ذاته، وتعليم نفسه، وتربية عقله، وإحياء قلبه، أن يجتنب كل ما يمنع من ذلك
المقصد الناصع.

البابُ الثَّانِي

الباب الثاني : العقيدة والايمان ؛ وفيه فصول:

الفصلُ الأوّل

اهمية العقيدة

الكتاب

- ١ قَالَتِ الْاَعْرَابُ : آمَنَّا، قُل : لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا : اَسْلَمْنَا، وَلَمَّا يَدْخُلِ الْاِيْمَانُ فِي قُلُوْبِكُمْ ..^١
- ٢ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ، مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوْبُهُمْ ..^٢
- ٣ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوْبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ، اَلَا بِذِكْرِ «اللَّهِ» تَطْمَئِنُّ الْقُلُوْبُ *^٣

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع» : لو أَنَّ الْعِبَادَ وَصَفُوا الْحَقَّ، وَعَمِلُوا بِهِ، وَلَمْ يَعْقِدْ قُلُوْبُهُمْ

١ - سورة الحجرات (٤٩) : ١٤.

٢ - سورة المائدة (٥) : ٤١.

٣ - سورة الرعد (١٣) : ٢٨.

على أنه الحق، ما انتفعوا^١.

الفات نظر

الإيمان هَرَمٌ وَقِمَّةٌ، قَاعِدَتُهُ الْعَقِيدَةُ. وَالْهَرَمُ هُوَ الْعَمَلُ الْقَائِمُ عَلَى تِلْكَ الْقَاعِدَةِ (الْعَقِيدَةُ الْقَلْبِيَّةُ). وَالْقَلْبُ هُنَا، مَجْمُوعُ الْعَاطِفَةِ وَالْعَقْلِ. وَالنَتِيجَةُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْسَاقُ إِلَى الْعَمَلِ وَيَصْمُدُّ إِلَيْهِ، بِعَقْلِهِ وَعَاطِفَتِهِ، أَي بِكُلِّ وَجُودِهِ. وَهَذَا هُوَ نَقْطَةُ الْغَرَضِ، مِنْ التَّرْبِيَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

الفصلُ الثاني

العقيدة الكبرى، الايمان بالله تعالى

الكتاب

- ١ وَالْعَصْرَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا..^١
- ٢ وَبَشَرِ الَّذِينَ آمَنُوا..^٢
- ٣ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا، لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ..^٣
- ٤ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ..^٤
- ٥ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، آمِنُوا بِاللَّهِ..^٥
- ٦ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ، فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ،
وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا *^٦

١ - سورة العصر (١٠٣) : ١ - ٢.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٥.

٣ - سورة البقرة (٢) : ١٠٣.

٤ - سورة آل عمران (٣) : ٥٧.

٥ - سورة النساء (٤) : ١٣٦.

٦ - سورة النساء (٤) : ١٧٥.

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : المرءُ بايمانه.^١
- ٢ الامام الباقر «ع» (او الصادق «ع») - في قولِ الله عزَّ وجلَّ: «صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً»،^٢ قَالَ: الصِّبْغَةُ هِيَ الْإِسْلَامُ. وَقَالَ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِطَاغُوتٍ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى»،^٣ هِيَ الْإِيمَانُ.^٤
- ٣ الامام علي «ع» : الْمَغْبُوتُ مَنْ فَسَدَ دِينُهُ.^٥
- ٤ الامام علي «ع» : يَا كُمْيلُ ! إِنَّهُ (الْإِيمَانُ) مُسْتَقِرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ. فَأَحْذَرُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُسْتَوْدَعِينَ؛ وَإِنَّمَا يَسْتَحِقُّ أَنْ تَكُونَ مُسْتَقِرًّا، إِذَا لَزِمْتَ الْجَادَّةَ الْوَاضِحَةَ، الَّتِي لَا تُخْرِجُكَ إِلَى عِوَجٍ، وَلَا تُزِيلُكَ عَنْ مَنْهَجٍ.^٦

١ - غرر الحكم / ١٥ .

٢ - سورة البقرة (٢) : ١٣٨ .

٣ - سورة البقرة (٢) : ٢٥٦ .

٤ - الكافي ٢ / ١٤ .

٥ - غرر الحكم / ٢٨ .

٦ - تحف العقول / ١٢١ .

الفصل الثالث

الايان، عقيدة وعمل

الكتاب

- ١ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ ..^١
- ٢ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ، فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى *^٢
- ٣ وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى، إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ..^٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: الأيمانُ عَقْدٌ بِالْقَلْبِ، وَنُطْقٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ.^٤

١ - سورة البروج (٨٥) : ١١.

٢ - سورة طه (٢٠) : ٧٥.

٣ - سورة سبأ (٣٤) : ٣٧.

٤ - امالي الطوسي ٢ / ٦٤.

- ٢ الامام الصادق «ع» - عن النبي «ص»: الأيمان قولٌ وعَمَلٌ، أخوانٍ شَرِيكَانٍ.^١
- ٣ الامام علي «ع»: الأيمانُ والعَمَلُ أخوانٌ توأمان، ورفيقانٍ لا يَفْتَرِقان. لا يَقْبَلُ اللهُ أحدهما إلا بصاحبه.^٢
- ٤ الامام علي «ع» - سُئِلَ عنه: الأيمانُ قولٌ وعَمَلٌ أم قولٌ بلا عَمَلٍ؟ فقال: الأيمانُ تصديقٌ بالجنان، وإقرارٌ باللسان، وعَمَلٌ بالأركان. وهو عَمَلٌ كُلُّهُ..^٣
- ٥ الامام الصادق «ع» - في قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: «وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيْمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»،^٤ قال: كُفْرُهُمْ بِهِ، تَرْكُ الْعَمَلِ بِالَّذِي أَقْرَأُوا بِهِ.^٥
- ٦ الامام الصادق «ع» - قال له راوي الحديث: أَلَا تُخْبِرُنِي عَنِ الْإِيْمَانِ، أَقَوْلٌ هُوَ وَعَمَلٌ، أَمْ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ؟ فقال «ع»: الأيمانُ عَمَلٌ كُلُّهُ، والقولُ بعضُ ذلكَ العَمَلِ، بفرضٍ مِنَ اللهِ بَيَّنَّ فِي كِتَابِهِ.^٦
- ٧ الامام الصادق «ع»: الإيمان لا يكونُ إلا بعملٍ، والعملُ منه؛ ولا يَثْبُتُ الإيمانُ إلا بعملٍ.^٧
- ٨ الامام الرضا «ع» - عن آبائِهِ، عن امير المؤمنين، عن رسولِ اللهِ «ص»: :

١ - قُرْبُ الْإِسْنادِ / ١٩.

٢ - غُررُ الْحَكَمِ / ٥٥.

٣ - الْمُسْتَدْرَكُ ٢ / ٢٧١.

٤ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ (٥) : ٥.

٥ - الْمُسْتَدْرَكُ ٢ / ٢٧٤.

٦ - الْكَافِي ٢ / ٣٤.

٧ - الْوَسَائِلُ ٦ / ١٢٧.

الايمان قولٌ مَقُولٌ، وَعَمَلٌ مَعْمُولٌ، وَعِرْفَانٌ بِالْعُقُولِ.^١

٩ الامام الصادق «ع» : لَيْسَ الْاِيْمَانُ بِالتَّحَلِّيِّ، وَلَا بِالتَّمَنِّيِّ، وَلَكِنَّ الْاِيْمَانَ مَا خَلَصَ فِي الْقُلُوبِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ.^٢

الفات نظر

هَذَا الْأَصْلُ (اي : «إِنَّ الْإِيْمَانَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعَمَلٍ» وَ «إِنَّ الْإِيْمَانَ عَمَلٌ كُلُّهُ» وَ «إِنَّ الْإِيْمَانَ عَمَلٌ مَعْمُولٌ» وَ «إِنَّ الْإِيْمَانَ مَا صَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ»)، مَوْضُوعٌ هَامٌّ، وَمَقْصَدُ تَرْبَوِيٍّ رَفِيعٍ، فِي النِّظَامِ الْقُرْآنِيِّ.

فِرَاجِعْ لِدَلِكِ: الْبَابُ الثَّلَاثِ، مِنْ هَذَا الْكِتَابِ أَيْضًا. وَهُوَ بَابُ «الْعَمَلِ» وَأَهْيَتِهِ وَأَصَالَتِهِ.

١ - البحار ٦٩ / ٦٨، عن «مجالس المفيد».

٢ - تحف العقول / ٢٧٢.

الفصل الرابع

التوحيد والشرك

الكتاب

- ١ قل : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * ١
- ٢ قل : يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواءٍ بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله، ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً آرباباً من دون الله .. ٢
- ٣ حنفاء لله غير مشركين به، ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكانٍ سحيقٍ * ٣
- ٤ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً، يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ، والَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ .. ٤
- ٥ وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله، قل : تمتعوا فإن مصيركم الى النار * ٥
- ٦ اجعل الآلهة إلهاً واحداً، إن هذا لشيءٌ عجابٌ؟! * ٦

١ - سورة الاخلاص (١١٢) : ١.

٢ - سورة آل عمران (٣) : ٦٤.

٣ - سورة الحج (٢٢) : ٣١.

٤ - سورة البقرة (٢) : ١٦٥.

٥ - سورة ابراهيم (١٤) : ٣٠.

٦ - سورة ص (٣٨) : ٥.

- ٧ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا، فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا، لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * مُنِيبِينَ إِلَيْهِ، وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ * مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ، وَكَانُوا شِيعًا، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ *^١
- ٨ يَا صَاحِبِي السَّجْنَ، أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ؟ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ؟ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ، أَمَرَ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ، ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ *^٢
- ٩ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ، وَعَصَوْا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا إِنْ عَادَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ، أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قَوْمِ هُودٍ *^٣
- ١٠ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالِكُمْ، فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *^٤
- ١١ فَقَالُوا: أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ؟ * فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ *^٥
- ١٢ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا، وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ، لَهُمُ الْبُشْرَى، فَبَشِّرْ عِبَادَ *^٦

١ - سورة الروم (٣٠) : ٣٠ - ٣٢.

٢ - سورة يوسف (١٢) : ٣٩ - ٤٠.

٣ - سورة هود (١١) : ٥٩ - ٦٠.

٤ - سورة الاعراف (٧) : ١٩٤.

٥ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٤٧ - ٤٨.

٦ - سورة الزمر (٣٩) : ١٧.

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : .. اِحْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمُ عَنْ عِبَادَتِهِ.^١
- ٢ السيدة فاطمة «ع» : .. فَفَرَضَ اللهُ الْاِيْمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشَّرِكِ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيْهَاً لَكُمْ مِنَ الْكِبْرِ..^٢
- ٣ الامام الصادق «ع» - في قوله تعالى: «اتَّخَذُوا اَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ»،^٣ فَقَالَ: اَمَّا وَاللهُ مَا دَعَوْهُمْ اِلَى عِبَادَةِ اَنْفُسِهِمْ، وَلَوْ دَعَوْهُمْ اِلَى عِبَادَةِ اَنْفُسِهِمْ مَا اَجَابُوهُمْ، وَلَكِنْ اَحْلَوْا لَهُمْ حَرَاماً، وَحَرَّمُوا عَلَيْهِمْ حَلَالاً؛ فَعَبَدُوهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.^٤

* لقد جاء في هذا الحديث تعليمٌ بِنَاءٍ لِلشَّخْصِيَّةِ الْاِنْسَانِيَّةِ، حَيْثُ يُشِيرُ اِلَى اَنَّ اِتِّبَاعَ اَيِّ قَانُونٍ هُوَ بِمَنْزِلَةِ التَّعَبُّدِ لِذَلِكَ الْقَانُونِ. فَعَلَى اَسَاسِ هَذَا التَّعْلِيمِ، كُلُّ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَوَانِيْنَ غَيْرَ الْاِلَهِيَّةِ يَكُونُ عَابِداً وَخَاضِعاً لِغَيْرِ اللهِ وَهَذَا شَرِكٌ؛ حَتَّى اِنْ اِتِّبَاعَ عُلَمَاءِ الدِّيْنِ يَكُونُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ اَيْضاً، اِنْ جَاؤُوا بِحُكْمٍ يُغَايِرُ اِحْكَامَ اللهِ تَعَالَى. فَالآيَةُ الْقُرْآنِيَّةُ وَشَرْحُ الْاِمَامِ الصَّادِقِ لَهَا، تُشِيرَانِ اِلَى هَذَا الْمَغْزَى الرَّفِيعِ.

- ٤ الامام الصادق «ع» : اِنَّ اللهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - اَعْطَى مُحَمَّدًا «ص» شَرَائِعَ نُوْحٍ وَاِبْرَاهِيْمَ وَمُوْسَى وَعِيْسَى «ع» : التَّوْحِيْدَ وَالْاِخْلَاصَ، وَخَلَعَ الْاَنْدَادَ،

١ - نهج البلاغة / ٣٣: عبده ١ / ١٧.

٢ - كشف الغمة / ١ / ٤٨٣.

٣ - سورة التوبة (٩): ٣١.

٤ - البحار / ٢ / ٩٨، عن «المحاسن».

والفِطْرَةَ الحَنِيفِيَّةَ السَّمْحَةَ، وَلَا رُهبَانِيَّةَ وَلَا سِيَاحَةَ، أَحَلَّ فِيهَا الطَّيِّبَاتِ، وَحَرَّمَ فِيهَا الخَبَائِثَ، وَوَضَعَ عَنْهُمْ إِصْرَهُمِ والأَغْلَالَ التي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ..

٥ الامام الرضا «ع» - فيما نقله فضل بن شاذان: .. فَإِنْ قَالَ: أَخْبِرْنِي عَنِ الأَذَانِ لِمَ أَمَرُوا بِهِ؟ قِيلَ: لِعِلَلٍ كَثِيرَةٍ .. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَلِمَ لَمْ يُجْعَلْ بَدَلُ التَّهْلِيلِ التَّسْبِيحُ أَوْ التَّحْمِيدُ وَاسْمُ اللَّهِ فِي آخِرِهِمَا؟^٢ قِيلَ: لِأَنَّ التَّهْلِيلَ هُوَ إِقْرَارُ اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّوْحِيدِ، وَخَلَعَ الأَنْدَادِ مِنْ دُونِ اللَّهِ. وَهُوَ أَوَّلُ الأِيْمَانِ وَأَعْظَمُ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ.^٣

٦ الامام علي «ع»: «أَمَّا بَعْدُ! فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا «ص» بِالْحَقِّ، لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ عِبَادِهِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ عُهُودِ عِبَادِهِ إِلَى عُهُودِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ عِبَادِهِ إِلَى طَاعَتِهِ، وَمِنْ وِلَايَةِ عِبَادِهِ إِلَى وِلَايَتِهِ.^٤

٧ الامام الباقر «ع» - كَتَبَ فِي رِسَالَةٍ إِلَى بَعْضِ خُلَفَاءِ بَنِي أُمِيَّةٍ: .. وَمِنْ ذَلِكَ مَا ضَيَّعَ الجِهَادَ الَّذِي فَضَّلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الأَعْمَالِ .. وَأَوَّلُ ذَلِكَ الدُّعَاءُ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ طَاعَةِ العِبَادِ، وَإِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ مِنْ عِبَادَةِ العِبَادِ، وَإِلَى وِلَايَةِ اللَّهِ مِنْ وِلَايَةِ العِبَادِ .. وَليْسَ الدُّعَاءُ مِنْ طَاعَةِ عِبْدٍ إِلَى طَاعَةِ عِبْدٍ مِثْلَهُ ..^٥

٨ الامام السجاد «ع»: «اللَّهُمَّ وَقُوِّ بِذَلِكَ مِحَالِ أَهْلِ الإِسْلَامِ، وَحَصِّنْ بِهِ دِيَارَهُمْ! .. حَتَّى لَا يُعْبَدَ فِي بَقَاعِ الأَرْضِ غَيْرُكَ، وَلَا تُعْفَرَ لِحَدٍّ مِنْهُمْ جَبْهَةٌ دُونَكَ.»^٦

١ - الكافي ٢ / ١٧ .

٢ - اي الأذان والاقامة.

٣ - عيون اخبار الرضا ٢ / ١٠٦ .

٤ - الكافي ٨ / ٣٨٦ .

٥ - الوافي ٢ (م ٩) / ٨ .

٦ - الصحيفة السجادية / ١٨٣ (الدعاء ٢٧) .

الفصل الخامس

دور الايمان في الاتجاهات الاجتماعية

أ- الايمان بحكومة الله وشجب الطاغوت

الكتاب

١ .. فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ، فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى،
لَأَنْفِصَامَ لَهَا..^١

ب - صلة الايمان بالمجتمع

الحديث

١ الامام الباقر «ع»: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»: مَنْ فَارَقَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ، فَقَدْ
خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ. قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا جَمَاعَةُ الْمُسْلِمِينَ؟

١ - سورة البقرة (٢): ٢٥٦.

- قال: جماعة اهل الحق وإن قلّوا.^١
- ٢ الامام الصادق «ع»: مَنْ خَلَعَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ قَدَرَ شَيْبًا، خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِيمَانِ مِنْ عُنُقِهِ.^٢
- ٣ النبي «ص» - قال لقوم: لَتَحْضُرَنَّ الْمَسْجِدَ، أَوَّلًا حَرَقَنَّ عَلَيْكُمْ مَنَازِلَكُمْ!^٣
- ٤ الامام الصادق «ع»: إِنْ قَوْمًا جَلَسُوا عَنْ حُضُورِ الْجَمَاعَةِ، فَهَمَّ رَسُولُ اللَّهِ «ص» أَنْ يُشْعَلَ النَّارَ فِي دُورِهِمْ، حَتَّى خَرَجُوا وَحَضَرُوا الْجَمَاعَةَ مَعَ الْمُسْلِمِينَ.^٤
- ٥ الامام الكاظم «ع»: ثَلَاثُ مُوبِقَاتٍ: نَكْتُ الصَّفْقَةَ، وَتَرَكُ السُّنَّةَ، وَفِرَاقُ الْجَمَاعَةِ.^٥
- ٦ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عن النبي «ص»: لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ فِي الْمَسْجِدِ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، إِلَّا مِنْ عِلَّةٍ.^٦
- ٧ النبي «ص»: إِذَا سُئِلْتَ عَمَّنْ لَا يَشْهَدُ الْجَمَاعَةَ فَقُلْ: لَا أَعْرِفُهُ.^٧
- ٨ النبي «ص»: جَاءَنِي جِبْرَائِيلُ فَقَالَ لِي: يَا أَحْمَدُ! الْإِسْلَامُ عَشْرَةُ أَشْهُمٍ، وَقَدْ خَابَ مَنْ لَا سَهْمَ لَهُ فِيهَا. أَوَّلُهَا شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَهِيَ الْكَلِمَةُ.. وَالتَّاسِعَةُ، الْجَمَاعَةُ، وَهِيَ الْأَلْفَةُ..^٨

١ - امالي الصدوق / ٢٩٧.

٢ و ٣ - الوسائل ٥ / ٣٧٧ و ٣٧٦.

٤ - المستدرک ١ / ٤٨٩.

٥ - البحار ٢ / ٢٦٦، عن «المحاسن».

٦ - الوسائل ٥ / ٣٧٧.

٧ - المستدرک ١ / ٤٨٩.

٨ - الوسائل ١ / ١٤.

- ٩ النبي «ص» : جَمَاعَةٌ أُمَّتِي أَهْلُ الْحَقِّ، وَإِنْ قَلُّوا.^١
- ١٠ الامام علي «ع» : .. فَإَيَّاكُمْ وَالتَّلَوْنَ فِي دِينِ اللَّهِ! فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكَرَّهُونَ مِنْ الْحَقِّ، خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ. وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا، مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ..^٢
- ١١ الامام علي «ع» : .. أَمَّا الْفُرْقَةُ، فَأَهْلُ الْبَاطِلِ وَإِنْ كَثُرُوا. وَأَمَّا الْجَمَاعَةُ، فَأَهْلُ الْحَقِّ وَإِنْ قَلُّوا.^٣

ج- اثر الايمان في التنمية الطبيعيّة والاجتماعيّة

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : قلت: اللهم لا تُحَوِّجْنِي إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» : «يَا عَلِيُّ! لَا تَقُولَنَّ هَكَذَا، فَلَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَهُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى النَّاسِ».. فقلتُ: كَيْفَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: قُلْ: «اللَّهُمَّ لَا تُحَوِّجْنِي إِلَى شِرَارِ خَلْقِكَ».^٤
- ٢ الامام السجاد «ع» - قَالَ بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ: اللَّهُمَّ أَغْنِنِي عَنْ خَلْقِكَ. فَقَالَ لَيْسَ هَكَذَا، إِنَّمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ، وَلَكِنْ قُلْ: «اللَّهُمَّ أَغْنِنِي عَنْ شِرَارِ خَلْقِكَ».^٥

١ - تحف العقول / ٤٠.

٢ - نهج البلاغة ٥٧٥ - ٥٧٦: عبده ٢ / ١١٦.

٣ - تحف العقول / ١٥٠.

٤ - البحار ٩٣ / ٣٢٥.

٥ - تحف العقول / ٢٠٠ - ٢٠١.

٣ الامام الصادق «ع» : .. إِنَّهُ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنَ النَّاسِ. إِنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَغْنِي عَنِ النَّاسِ حَيَاتَهُ، وَالنَّاسُ لَا بُدَّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ.^١

٤ الامام الصادق «ع» - قال أبو عبيدة: ادْعُ اللهَ لِي أَنْ لَا يَجْعَلَ رِزْقِي عَلَى أَيْدِي الْعِبَادِ! فَقَالَ: أَبِي اللهُ عَلَيْكَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، وَلَكِنْ ادْعُ اللهُ: أَنْ يَجْعَلَ رِزْقَكَ عَلَى أَيْدِي خِيَارِ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُ مِنْ السَّعَادَةِ، وَلَا يَجْعَلُهُ عَلَى أَيْدِي شِرَارِ خَلْقِهِ، فَإِنَّهُ مِنَ الشَّقَاوَةِ.^٢

د - الايمان ووحدة المجتمع العقيدي

الكتاب

- ١ يا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا، إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ * وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ *^٣
- ٢ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ *^٤
- ٣ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ *^٥

١ - الوسائل ٨ / ٣٩٩.

٢ - تحف العقول / ٢٦٦.

٣ - سورة المؤمنون (٢٣) : ٥١ - ٥٢.

٤ - سورة الانبياء (٢١) : ٩٢.

٥ - سورة الانفال (٨) : ٢٥.

الحديث

١ الامام الصادق «ع» : .. مَنْ كَانَ خَاضِعًا فِي السِّرِّ، كَانَ حَسَنَ الْمُعَاشِرَةِ فِي الْعَلَانِيَةِ. فَعَاشِرِ الْخَلْقِ لِلَّهِ! وَلَا تَعَاشِرْهُمْ لِنَصِيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَلِطَلْبِ الْجَاهِ وَالرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ .. وَاجْعَلْ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ الْآبِ، وَالْأَصْغَرَ بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ، وَالْمِثْلَ بِمَنْزِلَةِ الْإِخِ. وَلَا تَدْعُ مَا تَعْمَلُهُ يَقِينًا مِنْ نَفْسِكَ بِمَا تَشْكُ فِيهِ مِنْ غَيْرِكَ! وَكُنْ رَفِيقًا فِي أَمْرِكَ بِالْمَعْرُوفِ، شَفِيقًا فِي نَهْيِكَ عَنِ الْمُنْكَرِ! وَلَا تَدْعِ النَّصِيْحَةَ فِي كُلِّ حَالٍ! قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» .. وَلَا يَحْمِلَنَّكَ رُؤْيُهُمْ إِلَى الْمُدَاهَنَةِ عَلَى الْحَقِّ! فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ الْعَظِيمُ ..^٢

٢ الامام السجاد «ع» - من رسالته في الحقوق، المعروفة: .. وَحَقُّ أَهْلِ مِلَّتِكَ إِضْمَارُ السَّلَامَةِ وَالرَّحْمَةِ لَهُمْ، وَالرَّفْقُ بِمُسِيئِهِمْ، وَتَأْلُفُهُمْ، وَاسْتِصْلَاحُهُمْ، وَشُكْرُ مُحْسِنِهِمْ، وَكَفُّ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَتُحِبُّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَتَكْرَهُ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَأَنْ تَكُونَ شِيُوْخُهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَبِيكَ، وَشَبَابُهُمْ بِمَنْزِلَةِ إِخْوَتِكَ، وَعَجَائِزُهُمْ بِمَنْزِلَةِ أُمَّكَ، وَالصَّغَارُ بِمَنْزِلَةِ أَوْلَادِكَ.^٣

٣ الامام السجاد «ع» : يَا زُهْرِيُّ! وَمَا عَلَيْكَ أَنْ تَجْعَلَ الْمُسْلِمِينَ مِنْكَ بِمَنْزِلَةِ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَتَجْعَلَ كَبِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، وَتَجْعَلَ صَغِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، وَتَجْعَلَ تَرَبُّكَ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَخِيكَ. فَأَيُّ هَؤُلَاءِ تُحِبُّ أَنْ تُظْلِمَ؟ وَأَيُّ هَؤُلَاءِ تُحِبُّ أَنْ تَدْعُوَ عَلَيْهِ؟ وَأَيُّ هَؤُلَاءِ تُحِبُّ أَنْ تَهْتِكَ سِتْرَهُ؟..^٤

١ - سورة البقرة (٢) : ٨٣.

٢ - البحار ٧٤ / ١٦٠.

٣ - الخصال ٢ / ٥٧٠: تحف العقول / ١٩٥ - مع اختلاف.

٤ - البحار ٧١ / ٢٣٠، عن «تفسير الامام العسكري».

- ٤ الامام الصادق «ع» - سُئِلَ عَنْ قِسْمَةِ بَيْتِ الْمَالِ فَقَالَ: اَهْلُ الْاِسْلَامِ هُمْ اَبْنَاءُ الْاِسْلَامِ، اُسْوَى بَيْنَهُمْ فِي الْعَطَاءِ، وَفَضَائِلُهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ. اَحْمِلُهُمْ كَبْنِي رَجُلٍ وَاحِدٍ، لَا يُفْضَلُ اَحَدٌ مِنْهُمْ لِفَضْلِهِ وَصَلَاحِهِ فِي الْمِيرَاثِ عَلَى آخَرٍ ضَعِيفٍ مَنْقُوصٍ ..^١
- ٥ الامام الصادق «ع» : الْمُؤْمِنُ اَخُو الْمُؤْمِنِ، كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، اِنْ اَشْتَكَى شَبَابًا مِنْهُ وَجَدَ اَلَمَ ذَلِكَ فِي سَائِرِ جَسَدِهِ.^٢
- ٦ الامام الباقر «ع» : الْمُؤْمِنُونَ فِي تَبَارُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاظِفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، اِذَا اَشْتَكَى تَدَاعَى لَهُ سَائِرُهُ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى.^٣
- ٧ الامام الصادق «ع» : .. لَا وَاللَّهِ! لَا يَكُونُ [الْمُؤْمِنُ] مُؤْمِنًا اَبَدًا حَتَّى يَكُونَ لِاَخِيهِ مِثْلَ الْجَسَدِ: اِذَا ضُرِبَ عَلَيْهِ عِرْقٌ وَاحِدٌ، تَدَاعَتْ لَهُ سَائِرُ عُرُوقِهِ.^٤
- ٨ النبي «ص» : لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، اَوْ لَيَسْلُطَنَّ اللَّهُ شِرَارَكُمْ عَلَى خِيَارِكُمْ، فَيَدْعُو خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ.^٥

الفات نظر

إن ترابط المجتمع العقيدى واتصال بعض اجزائه ببعض، ينتهي الى تحمّل الجميع مسؤولياتهم، وتسري آثار افعال الخير والشرّ التي تصدر من البعض الى الجميع؛ فلاجل ذلك يصبح من واجبهم أن يأمر كل واحد منهم الآخرين بالمعروف وينهاهم عن المنكر، بصورة حاسمة.

١ - الوافي ٢ / (٦ م) / ٢٩.

٢ - الكافي ٢ / ١٦٦.

٣ و ٤ و ٥ - البحار ٧٤ / ٢٣٤ و ٢٣٢؛ و ٩٣ / ٣٧٨. عن «فلاح السائل».

وهذه الرقابة الفعالة - الدينية الاجتماعية - اذا عُدَّت في حياة الناس، واحتلت اللامسؤولية مكان المسؤولية والالتزام، يفسح المجال للاهواء أن تسود وتشتري، وللمساوي أن تظهر وتسيطر، وللعصاة والمسيئين والاشرار أن يحتلوا موقعا مؤثرا على حياة الناس وشؤونهم. واذا آل الأمر الى هذا المآل، فمهما دعا الابرار والصالحون الله لأن يُنجي المجتمع ويخلص الناس فلا يُستجاب دعاؤهم، لأنهم قد فرطوا في الامرين العظيمين المحيين المنجيين : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهم بانفسهم قد صاروا سببا لسيطرة الشر واستيلاء الاشرار.

٩ الامام الباقر «ع» : أوحى الله الى شعيب النبي «ع» : إني مُعَذِّبُ مِنْ قَوْمِكَ مِئَةَ أَلْفٍ، اربعين ألفاً من شرارهم وستين ألفاً من خيارهم. فقال: يا رب! هؤلاء الأشرار، فما بال الاخيار! فأوحى الله عز وجل اليه: «داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي»^١.

هـ - التعاون التكاملي للفرد والمجتمع

الحديث

١ النبي «ص» : يا علي! المؤمن من آمنه المسلمون على أموالهم ودمائهم.

- والمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ.^١
- ٢ الامام الرضا «ع» - عن النبي «ص» : قيل: يا نبيّ الله! في المالِ حقٌ سوى الزكاة؟ قال: نعم، برُّ الرَّحِمِ إِذَا أَدْبَرَتْ، وَصِلَةُ الْجَارِ الْمُسْلِمِ؛ فما آمنَ بي مَنْ باتَ شَبَعَانَ وَجَارَهُ الْمُسْلِمُ جَائِعٌ. ثم قال: ما زالَ جبرئيلُ يُوصيني بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُهُ.^٢
- ٣ النبي «ص»: يا أبا ذرٍّ! أَيَّاكَ وَهَجْرَانَ أَخِيكَ، فَإِنَّ الْعَمَلَ لَا يُتَقَبَّلُ مَعَ الْهَجْرَانِ.^٣
- ٤ النبي «ص» - فيما رواه الإمام الصادق: مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ. وَمَنْ سَمِعَ رَجُلًا يُنَادِي: يَا لِلْمُسْلِمِينَ! فَلَمْ يُجِبْهُ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ.^٤
- ٥ النبي «ص»: حُرْمَةُ الْجَارِ عَلَى الْإِنْسَانِ كَحُرْمَةِ أُمِّهِ.^٥
- ٦ النبي «ص»: لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يَأْمَنَ جَارَهُ بِوَأْتِقَهُ.^٦
- ٧ النبي «ص»: مَا آمَنَ بِي مَنْ باتَ شَبَعَانَ وَجَارَهُ طَاوِي؛ مَا آمَنَ بِي مَنْ باتَ كَاسِيًا وَجَارَهُ عَارِي.^٧
- ٨ الامام علي «ع» - عن النبي «ص»: مَا خَانَ اللَّهُ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ زَكَاةِ مَالِهِ، إِلَّا مُشْرِكٌ بِاللَّهِ.^٨

١ - مكارم الاخلاق / ٥١٠.

٢ - الوسائل / ٦ / ٣٢.

٣ - مكارم الاخلاق / ٥٥٤.

٤ - الكافي / ٢ / ١٦٤.

٥ و ٦ - مكارم الاخلاق / ١٤٣.

٧ - المستدرک / ٢ / ٨٠.

٨ - المستدرک / ١ / ٥٠٩.

٩ الامام الرضا «ع» : إِنَّمَا جُعِلَتِ الْجَمَاعَةُ لِثَلَا يَكُونَ الْإِخْلَاصُ وَالتَّوْحِيدُ وَالْإِسْلَامُ وَالْعِبَادَةُ لِلَّهِ إِلَّا ظَاهِرًا مَكْشُوفًا مَشْهُورًا، لَأَنَّ فِي إِظْهَارِهِ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ لِلَّهِ وَحْدَهُ. وَلِيَكُونَ الْمُنَافِقُ وَالْمُسْتَخِفُّ مُؤَدِّيًا لِمَا أَقْرَبَ بِهِ بظاهر الاسلام والمراقبة. وَلِيَكُونَ شَهَادَاتُ النَّاسِ بِالْإِسْلَامِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ جَائِزَةً مُمَكِّنَةً، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْمُسَاعَدَةِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَالتَّجَرُّبِ عَنِ كَثِيرٍ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.^١

١٠ الامام الصادق «ع» : يَا ابْنَ جُنْدَبٍ! إِنَّ لِلشَّيْطَانِ مَصَائِدَ يَصْطَادُ بِهَا، فَتَحَامُوا شِبَاكَهُ وَمَصَائِدَهُ. قُلْتُ: يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَمَا هِيَ؟ قَالَ: أَمَّا مَصَائِدُهُ فَصَدُّ عَنْ بِرِّ الْإِخْوَانِ. وَأَمَّا شِبَاكُهُ فَنَوْمٌ عَنْ قِضَاءِ الصَّلَوَاتِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ. أَمَّا إِنَّهُ مَا يُعْبَدُ اللَّهُ بِمِثْلِ نَقْلِ الْأَقْدَامِ إِلَى بِرِّ الْأَخْوَانِ وَزِيَارَتِهِمْ .. يَا ابْنَ جُنْدَبٍ! الْمَاشِي فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَالسَّاعِي بَيْنَ الصِّفَا وَالْمَرَوَةِ، وَقَاضِي حَاجَتِهِ كَالْمُتَشَحِّطِ بِدَمِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَوْمَ بَدْرٍ وَأُحُدٍ..^٢

و- دور الايمان في الحركات البناءة للفرد والمجتمع

الحديث

١ النبي «ص» - عن عثمان بن مظعون، قال: قلتُ لرسولِ الله إنَّ نفسي تُحَدِّثُنِي بِالسِّيَاحَةِ وَأَنَّ الْحَقَّ بِالْجِبَالِ . فقال: يَا عِثْمَانَ! لَا تَفْعَلْ، فَإِنَّ

١ - عيون اخبار الرضا ٢ / ١٠٩ : الوسائل ٥ / ٣٧٢.

٢ - تحف العقول / ٢٢٢ - ٢٢٣.

سياحة أمتي الغزوة والجهاد^١.

٢ النبي «ص» - رُوِيَ عن ابن مسعود قال: كنت رديف رسول الله على حمار، فقال: .. أتدري مارهبانية أمتي؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: الهجرة، والصلاة، والصوم، والحج، والعمرة^٢.

٣ الامام علي «ع»: إن أفضل ما توَّسَّلَ به المُتَوَسِّلُونَ الى الله - سبحانه وتعالى - الايمان به وبرسوله، والجهاد في سبيله^٣..

٤ الامام علي «ع»: أما بعد! فإنَّ الجهادَ بابٌ من أبوابِ الجنة، فَتَحَهُ اللهُ لِخاصَّةِ اوليائه. وهو لباسُ التقوى، ودرعُ الله الحَـصِيـنةُ، وَجُنَّتْهُ الوثيقة؛ فَمَنْ تَرَكَهُ رغبةً عنه، ألبسهُ اللهُ ثوبَ الذلِّ، وشَمِلَهُ البلاءُ، ودِيَّتْ بالصِغارِ والقماءة، وضربَ على قلبه بالإسهاب، وأدبَلِ الحقُّ منه بتضييعِ الجهادِ، وسيمَ الخسفِ، ومُنِعَ النصفَ^٤.

* قال زيد بن علي بن الحسين «ع»، في قول الله عز وجل:

«ولباسُ التقوى..»^٥: لباسُ التقوى، السِّلَاحُ في سبيلِ الله^٦.

٥ الامام الصادق «ع» - عن آباءه، إنَّ النَّبِيَّ «ص» قال: فَوْقَ كُلِّ ذِي بَرٍّ، حَتَّى يُقْتَلَ في سبيلِ اللهِ، فَإِذَا قُتِلَ في سبيلِ اللهِ فَلَيْسَ فَوْقَهُ بَرٌّ^٧.

١ - الوسائل ١١ / ١٠.

٢ - مجمع البيان ٩ / ٢٤٣.

٣ - نهج البلاغة / ٣٣٨: عبده ١ / ٢١٥.

٤ - نهج البلاغة / ٩٤: عبده ١ / ٦٣.

٥ - سورة الاعراف (٧): ٦٢.

٦ - المستدرک ٢ / ٢٤٤.

٧ - الوسائل ١١ / ١٠.

٦ النبي «ص» - إِنَّ رَجُلًا اتَى جَبَلًا لِيَعْبُدَ اللَّهَ فِيهِ، فَجَاءَ بِهِ أَهْلُهُ إِلَى الرَّسُولِ «ص» فَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ وَقَالَ: إِنَّ صَبْرَ الْمُسْلِمِ فِي بَعْضِ مَوَاطِنِ الْجِهَادِ يَوْمًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَهُ مِنْ عِبَادَةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً.^١

٧ النبي «ص» - فِيمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ الصَّادِقُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، لِيُبْغِضَ الْمُؤْمِنَ الضَّعِيفَ الَّذِي لَا دِينَ لَهُ. فَقِيلَ لَهُ: وَمَا الْمُؤْمِنُ الَّذِي لَا دِينَ لَهُ؟ قَالَ: الَّذِي لَا يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ.^٢

٨ النبي «ص»: لَتَأْمُرَنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَيْنَنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ، أَوْ لَيَسْلُطَنَّ اللَّهُ شِرَارَكُمْ عَلَى خِيَارِكُمْ، فَيَدْعُو خِيَارَكُمْ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ.^٣

ز- الصلة التكاملية بين الفرد والانظمة الحاكمة

_الحديث

١ الامام الصادق «ع» - يَعْقُوبُ السَّرَاجُ قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ «ع»: تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ عَالِمٍ مِنْكُمْ حَيًّا ظَاهِرًا، تَفْرَعُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي حَلَالِهِمْ وَحَرَامِهِمْ؟ فَقَالَ: يَا بَايُوسُفَ لَا، إِنَّ ذَلِكَ لَبَيِّنٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا»^٤ عَدُوَّكُمْ مِمَّنْ يُخَالِفُكُمْ، «وَرَابِطُوا» إِمَامَكُمْ،

١ - المستدرک ٢ / ٢٤٥.

٢ - الوافي ٢ (م ٩) / ٢٩.

٣ - البحار ٩٣ / ٣٧٨، عن «فلاح السائل».

٤ - سورة آل عمران (٣) : ٢٠٠.

- «واتقوا الله» فيما يأمركم وفرض عليكم^١.
- ٢ الامام الصادق «ع» : قال الله - تبارك و تعالی - : «لَأُعَذِّبَنَّ كُلَّ رَعِيَّةٍ دَانَتْ بِإِمَامٍ لَيْسَ مِنْ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَتْ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا بَرَّةً تَقِيَّةً. وَلَأَغْفِرَنَّ عَنْ كُلِّ رَعِيَّةٍ دَانَتْ بِكُلِّ إِمَامٍ مِنْ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَتْ الرَّعِيَّةُ فِي أَعْمَالِهَا مُسِيئَةً». قلتُ: فَيَعْفُو عَنْ هَؤُلَاءِ وَيُعَذِّبُ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: نَعَمْ! إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ»^٢.
- ٣ الامام الصادق «ع» : .. لا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعِبَادِ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا، إِذَا تَوَلَّوْا الْإِمَامَ الْجَائِرَ الَّذِي لَيْسَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى^٣.
- ٤ الامام الباقر «ع» : إِنَّ مَنْ دَانَ اللَّهَ بِعِبَادَةٍ يَجْتَهِدُ فِيهَا نَفْسَهُ، بِلَا إِمَامٍ عَادِلٍ مِنَ اللَّهِ، فَإِنَّ سَعِيَهُ غَيْرُ مُشْكُورٍ، وَهُوَ ضَالٌّ مُتَحَيِّرٌ^٤.
- ٥ الامام الصادق «ع» : مَنْ أَقْرَبَ بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ فَهُوَ مُؤْمِنٌ: الْبِرَاءَةُ مِنَ الْجَبْتِ وَالطَّاغُوتِ، وَالْإِقْرَارُ بِالْوَلَايَةِ، وَ..^٥
- ٦ الامام الرضا «ع» - عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخَرَّاسَانِيِّ قَالَ: دَخَلَ رَجُلَانِ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرَّضَا «ع» بِخَرَّاسَانَ، فَسَأَلَاهُ عَنِ التَّقْصِيرِ^٦. فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: وَجَبَ عَلَيْكَ التَّقْصِيرُ لِأَنَّكَ قَصَدْتَنِي. وَقَالَ لِالْآخَرِ: وَجَبَ عَلَيْكَ التَّمَامُ لِأَنَّكَ قَصَدْتَ السُّلْطَانَ^٧.

١ - البحار ٢٣ / ٥١؛ عن «بصائر الدرجات».

٢ - تفسير العياشي ١ / ١٣٩.

٣ و ٤ - المستدرک ١ / ٢٠ - ٢١.

٥ - البحار ٦٥ / ١٩٣، عن كتاب «صفات الشيعة»: للشيخ الصدوق.

٦ - اي: قصر الصلاة في السفر.

٧ - الوافي ٢ (م ٥) / ٣٣.

الفات نظر

إنَّ الغرضَ الَّذِي ترمي اليه هذه الاحاديث وَيَسْتَهْدِفُهُ ذلك المضمونُ الكبيرُ الَّذِي جاءَ فيها، هو التَّنْسيبُ على اهميةِ الزَّعامَةِ الصَّالِحَةِ و تأثيرِها في اصلاحِ الاخلاقِ وتهذيبِ النفوسِ وتطويرِ المجتمعِ.

فالتَّعليمُ الصَّادِقِي - في الحديثِ الثاني - يُشيرُ الى أَنَّ الزَّعامَةَ اذا كانت صالحةً مُتَّبِعَةً لموازينِ العلمِ والدينِ، فانه سَيَصْلُحُ بها المجتمعُ المنحرفُ وَيَتَحَوَّلُ الى مجتمعٍ طاهرٍ صالحٍ بارٍّ يَتَمَتَّعُ بالاستقامةِ والنزاهةِ في الاعمالِ. كما أَنَّ الزَّعامَةَ المجانِبَةَ للعلمِ والدينِ تكونُ على العكسِ من هذا، حيثُ يَنْتَقِلُ بسببِها المجتمعُ الصَّالحِ الخَيْرِ - شيئاً فشيئاً - الى الفجورِ والفسادِ في الاخلاقِ والاعمالِ. وَإِنَّ استشهادَ الامامِ الصَّادِقِ بالآيةِ المذكورةِ، يبيِّنُ هذا الامرَ، يعنى أَنَّ المجتمعَ الانسانيَّ اذا كان تابِعاً لزعيمٍ معصومٍ منصوبٍ من الله، عاملاً على وفقِ ارشاداتِهِ وتعاليمِهِ، فَإِنَّ اللهَ سبحانه يُخْرِجُ ذلكَ المجتمعَ من ظلماتِ الفسادِ واللادينيةِ الى حياةٍ مُنَوَّرَةٍ بانوارِ الحقِ والعدلِ والفضيلةِ والصَّلاحِ. وان كان بخلافِ ذلك يكونُ الامرُ خلافاً لذلك. وهذا من اسرارِ الحُكْمِ الحَقِّ العظيمةِ والعجيبةِ، ومن آثارِ ولايةِ اهلِ الحقِ وزعامَةِ المعصومِ. وما جاء في عنوانِ هذا العقدِ (الصَّلةُ التكامليَّةُ بين الفردِ والانظمةِ الحاكمةِ)، فهو اشارةٌ الى نظامِ اوحكمٍ من ذاكِ القبيلِ، كما انكَ تَجِدُ الصَّلةَ التَّسافُليَّةَ والسلبيةَ بين الفردِ والانظمةِ الفاسدةِ.

والحديثُ السَّادِسُ، المرويُّ عن الامامِ ابي الحسنِ علي بن موسى الرضا «ع»، يحتوي على تعليمٍ عظيمٍ ايضاً، لَأَنَّهُ جاءَ فيه أَنَّ سَفَرَ مَنْ يَقْضُدُ السُّلْطَانَ الَّذِي لَيْسَ بِحَقِّ مَعْصِيَةٍ فَيَجِبُ اِتِّمَامُ

الفصل الخامس : دور الايمان في الاتجاهات الاجتماعية

الصلاة في هذا السفر. وهذا التعليم لا يوجد له نظير في العظمة والسمو، وفي ارسائه لقواعد العدل والفضيلة. والتعبير الذي جاء فيه يسترعي الانظار ايضاً، حيث يقول الامام الرضا «ع»: «لأنك قصدت السلطان...»، فيسمي الحاكم الباطل سلطاناً يطلب السلطة والاستيلاء، والحال أن الزعيم المعصوم الهادي، هو «رباني الأمة»، و معلم الانسانية، ومثال القداسة و الفضيلة والحنان، ونموذج القسط والعدل.

ح - الكيان الاجتماعي للمؤمن

الكتاب

١ إن ابراهيم كان أمةً قانتاً لله، حنيفاً، ولم يك من المشركين *^١

الحديث

- ١ النبي «ص»: المؤمن وحده حجة، والمؤمن وحده جماعة.^٢
- ٢ الامام الصادق «ع» - عن حماد السمندي، قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن

١ - سورة النحل (١٦) : ١٢٠.

٢ - من لا يحضره الفقيه / ١٠٣.

محمد «ع» : إني أدخل بلاد الشرك وإن من عندنا يقولون: إن ميتاً ثم حُشرت معهم. قال لي: يا حماد! إذا كنتَ ثم، تذكرُ أمرنا وتدعو إليه؟ قال: قلتُ: نعم. قال: فإذا كنتَ في هذه المُدن مُدني الإسلام، تذكرُ أمرنا وتدعو إليه؟ قال: قلتُ: لا. فقال لي: إنك إن تمتُ ثم تُحشر أمةً وحدك ويسعى نورك بين يديك.^١

ط - أثر التربية الدينية في التنمية الاجتماعية

الحديث

- ١ النبي «ص» - فيما رواه الامام الصادق، عن آباءه، من وصية النبي للامام علي بن أبي طالب: لا تعرب بعد الهجرة..^٢
- ٢ الامام الرضا «ع» - فيما نقله فضل بن شاذان: .. وحرّم التعرّب بعد الهجرة، للرجوع عن الدين، وترك المؤازرة للانبياء والحجج - عليهم السلام - وما في ذلك من الفساد، وإبطال حق كل ذي حق، لا لعلّة سكنى البدو. ولذلك لو عرف الرجل الدين كاملاً، لم يجرّله مساكنة اهل الجهل. والخوف عليه [أنه] لا يؤمن أن يقع منه ترك العلم، والدخول مع اهل الجهل، والتماذي في ذلك.^٣

١ - الوسائل ١١ / ٧٧.

٢ - الوسائل ١١ / ٧٥.

٣ - علل الشرايع ٢ / ٤٨١.

- ٣ الامام علي «ع» : .. خَيْرُ النَّاسِ فِي حَالًا، النَّمَطُ الْأَوْسَطُ فَالزَّمُوهُ، وَالزَّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ! فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ. وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ! فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ، كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذَّبِّ ..^١
- ٤ الامام علي «ع» : .. أُسْكِنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ، فَإِنَّهَا جَمَاعُ الْمُسْلِمِينَ.^٢
- ٥ النسي «ص» : يا علي! لَا تَسْكُنِ الرُّسْتَاقَ، فَإِنَّ شِيُوخَهُمْ جَهْلَةٌ، وَشَبَابَهُمْ عَرْمَةٌ، وَنِسْوَانَهُمْ كَشَفَةٌ، وَالْعَالِمَ بَيْنَهُمْ كَالجَيْفَةِ بَيْنَ الْكِلَابِ.^٣

ي - مظاهر التنمية الاجتماعية

الكتاب

- ١ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ، رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا، سُجَّدًا، يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا، سِيَمَا هُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ، لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا *^٤
- ٢ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ، وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ *^٥

١ - نهج البلاغة / ٣٩٢: عبده ٢ / ١١.

٢ - نهج البلاغة / ١٠٦٩: عبده ٣ / ١٤٣.

٣ - البحار ٧٦ / ١٥٦، عن «جامع الأخبار».

٤ - سورة الفتح (٤٨): ٢٩.

٥ - سورة الحجرات (٤٩): ١٠.

- ٣ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا..^١
- ٤ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ، يَقُولُونَ : رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص» : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَضَعُ اللَّهُ رَحْمَتَهُ إِلَّا عَلَى رَحِيمٍ .
قالوا: يا رسول الله كُلُّنَا نَرَحِمُ. قال: ليس بالذي يَرَحِمُ نَفْسَهُ خَاصَّةً، وَلَكِنِ الَّذِي يَرَحِمُ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً.^٣
- ٢ النبي «ص» : مُدَارَاةُ النَّاسِ نِصْفُ الْإِيمَانِ، وَالرَّفْقُ بِهِمْ نِصْفُ الْعَيْشِ.^٤
- ٣ الامام الصادق «ع» : لِكُلِّ شَيْءٍ شَيْءٌ يَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَرِيحُ إِلَى أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ، كَمَا يَسْتَرِيحُ الطَّيْرُ إِلَى شَكْلِهِ.^٥
- ٤ الامام الكاظم «ع» - عن آبَائِهِ، عن رسول الله «ص» : الْمُؤْمِنُ مِرَاةٌ لِأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ.^٦
- ٥ الامام السجاد «ع» - عن جَابِرِ بْنِ يَزِيدَ الْجُعْفِيِّ قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ

١ - سورة آل عمران (٣) : ١٠٣.

٢ - سورة الحشر (٥٩) : ١٠.

٣ - تنبيه الخواطر (مجموعة ورّام) ٢ / ١١.

٤ - تحف العقول / ٣٥.

٥ - البحار ٧٤ / ٢٣٤.

٦ - نوادر الراوندي / ٨ : ايضاً: الكافي ٢ / ١٦٦.

الحسين «ع»: يا ابن رسول الله! ما حق المؤمن على اخيه المؤمن؟ قال: يَفْرَحُ لِفَرَجِهِ إِذَا فَرِحَ، وَيَحْزَنُ إِذَا حَزِنَ، وَيُنْفِذُ أَمْرَهُ كُلَّهَا فَيُحْصِلُهَا، وَلَا يَغْتَمُّ لَشَيْءٍ مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ إِلَّا وَأَسَاءُ، حَتَّى يَجْرِيَانِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ..^١

٦ الامام الكاظم «ع»: من أتى الى أخيه مكروهاً فبأنفسه بدأ.^٢

٧ الامام الصادق «ع» - عن ابيه، عن آبائه: إن رسول الله «ص» قال: مَنْ صَلَّى بِقَوْمٍ فَأَخْتَصَّ نَفْسَهُ بِالدُّعَاءِ دُونَهُمْ، فَقَدْ خَانَهُمْ.^٣

٨ الامام الصادق «ع»: مَنْ قَدَّمَ أَرْبَعِينَ رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِهِ قَبْلَ أَنْ يَدْعُوَ لِنَفْسِهِ، اسْتُجِيبَ لَهُ فِيهِمْ وَفِي نَفْسِهِ.^٤

يا- الايثار والتكامل الاجتماعي

الكتاب

١ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ، يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ *^٥

١ - المستدرک ٢ / ٦٣.

٢ - البحار ٧٨ / ٣٣٣.

٣ - الوافي ٢ (م ٥) / ١٨٨.

٤ - مشكاة الأنوار / ٣٣٠.

٥ - سورة الحشر (٥٩) : ٠٩.

٢ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * ١

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : الأيثار، أعلى الايمان. ٢
- ٢ الامام علي «ع» : غاية المكارم، الايثار. ٣
- ٣ الامام الصادق «ع» : أرسل عثمان الى ابي ذرٍّ موليَّين له ومعهما مئتا دينارٍ، فقال لهما: انطلقا الى ابي ذرٍّ فقولوا له: ان عثمان يُقرئك السلام ويقول لك: هذه مئتا دينارٍ فاستعن بها على ما نابك. فقال ابوزر: هل اعطى أحداً من المسلمين مثل ما اعطاني؟ قالا: لا. قال: إنما أنا رجلٌ من المسلمين، يسعني ما يسع المسلمين. قالا له: إنه يقول هذا من صلب مالي، وبالله الذي لا إله إلا هو ما خالطها حرامٌ، ولا بعث بها اليك إلا من حلالٍ. فقال: لا حاجة لي فيها وقد أصبحتُ يومي هذا وأنا من أغنى الناس. فقالا له: عافاك الله وأصلحك، ما نرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً ممَّا يستمتع به. فقال: بلى تحت هذا الأكافِ الذي ترون رَغيفاً شعيراً، قد أتى عليهما أيامٌ، فما أصنع بهذه الدنانير؟ ٤

١ - سورة الدهر (٧٦) : ٨ - ١١.

٢ - غرر الحكم / ٢٢.

٣ - غرر الحكم / ٢٢٢.

٤ - البحار ٢٢ / ٣٩٨؛ «رجال الكشي» / ٢٧ - مع تغيير يسير.

- ٤ الامام علي «ع» : يا نُوفُ! .. شيعتي .. في أموالهم يتواسون، وفي الله يتبازلون. يا نُوفُ! درهمٌ ودرهمٌ، وثوبٌ وثوبٌ، والآ فلا.^١
- ٥ الامام الباقر «ع» : أيجيءُ أحدكم الى اخيه، فيدخلُ يده في كَيْسِهِ، فيأخذُ حاجته فلا يدفعه؟ فقلتُ: ما أعرفُ ذلك فينا. فقال ابو جعفر «ع» : فلا شيءَ إذاً. قلتُ: فالهلاك؟ فقال: إنَّ القومَ لم يُعطوا أحلامهم بعد.^٢
- ٦ الامام الصادق «ع» - عن سَمَاعَةَ بن مهران قال: سألتُ ابا عبدِالله «ع» عنِ الرَّجُلِ ليسَ عنده الا قوتُ يومِهِ، أيعطِفُ من عنده قوتُ يومِهِ على من ليسَ عنده شيءٌ ويعطِفُ من عنده قوتُ شهرٍ على من دونه، والسَّنةُ على نحوِ ذلك، أم ذلك كُلُّه الكفافُ الذي لا يُلامُ عليه؟ فقال: هو أمرٌ إنَّ أفضلكم فيه أحرصكم على الرَّغبةِ والأثرةِ على نفسه، فإنَّ الله تعالى يقول: «ويؤثرونَ على أنفسهم ولو كان بهم خصاصةً»^٣، والأمرُ الأخيرُ لا يُلامُ على الكفافِ. وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى. وَأَبْدَأُ بِمَنْ تَعُولُ.^٤
- ٧ الامام الباقر «ع» : أَحِبِّبْ أَخَاكَ الْمُسْلِمَ، وَأَحِبِّبْ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَأَكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وَإِذَا سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَلَا تَدَّخِرْ عَنْهُ خَيْرًا، فَإِنَّهُ لَا يَدَّخِرُهُ عَنْكَ. كُنْ لَهُ ظَهْرًا، فَإِنَّهُ لَكَ ظَهْرٌ. إِنْ غَابَ فَأَحْفَظْهُ فِي غَيْبَتِهِ، وَإِنْ شَهِدَ فَرُزَّهُ. وَأَجَلَّهُ وَأَكْرَمَهُ، فَإِنَّهُ مِنْكَ وَأَنْتَ مِنْهُ. وَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ عَاتِبًا فَلَا تُفَارِقْهُ، حَتَّى تَسَلَّ سَخِيمَتَهُ وَمَا فِي نَفْسِهِ. وَإِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ، فَأَحْمَدِ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَإِنْ ابْتُلِيَ فَأَعْضُدَّهُ وَتَمَحَّلْ لَهُ.^٥

١ - البحار ٦٨ / ١٩١، عن «كنز الفوائد».

٢ - الكافي ٢ / ١٧٤.

٣ - سورة الحشر (٥٩) : ٩.

٤ - الوافي ٢ / (٦ م) / ٥٧.

٥ - امالي الصدوق / ٢٨٨.

يب - تنمية المظاهر الانسانية العامة

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : أشعر قلبك الرحمة لجميع الناس والإحسان اليهم.^١
- ٢ الامام علي «ع» - لولده محمد - رضي الله عنه - يا بني! أحسن الى جميع الناس كما تحب أن يحسن إليك، وأرض لهم ما ترضاه لنفسك، واستقبح من نفسك ما تستقبحه من غيرك، وحسن خلقك مع الناس.^٢
- ٣ الامام علي «ع» - في العهد الاثري: .. فإنهم صنفان: إما أخ لك في الدين، وإما نظير لك في الخلق..^٣
- ٤ الامام الصادق «ع» : الناس سواء كأسنان المشط، والمرء كثير بأخيه، ولا خير في صحبة من لم ير لك مثل الذي يرى لنفسه.^٤
- ٥ الامام الصادق «ع» : قال الله عز وجل: «الخلق عيالي، فأحبهم إليّ أطفهم بهم، وأسعاهم في حوائجهم».^٥

ختام، في الحج واثره في التكامل الاجتماعي

١ - غرر الحكم / ٦٤.

٢ - مستدرک نهج البلاغة / ١٥٣.

٣ - نهج البلاغة / ٩٩٣: عبده ٣ / ٩٣.

٤ - تحف العقول / ٢٧١.

٥ - الكافي ٢ / ١٩٩.

الكتاب

- ١ جعلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قياماً للناسِ، والشَّهرَ الحرامَ والهدْيَ والقلائدَ، ذلكَ لتعلموا أنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما في السَّمَاوَاتِ وما في الأَرْضِ، وَأَنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *^١
- ٢ فيه آياتٌ بَيِّنَاتٌ، مَقَامُ اِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا، وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيلًا، وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ *^٢
- ٣ وَاِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا، وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ اِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، وَعَهِدْنَا اِلَى اِبْرَاهِيمَ وَاِسْمَاعِيلَ اَنْ : طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَاِذْ قَالَ اِبْرَاهِيمُ : رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَاَرْزُقْ اَهْلَهُ مِنْ الثَّمَرَاتِ، مَنْ اٰمَنَ مِنْهُمْ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، قَالَ : وَمَنْ كَفَرَ فَاُمَّتُهُ قَلِيْلًا، ثُمَّ اَضْرَبُوهُ اِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيْرُ *^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : .. وفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ .. جَعَلَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لِلْاِسْلَامِ عِلْمًا، وَلِلْعَائِدِينَ حَرَمًا ..^٤
- ٢ السيدة فاطمة «ع» : .. فَجَعَلَ اللهُ الْاِيْمَانَ تَطْهِيرًا لَكُمْ مِنَ الشُّرْكِ .. وَالْحَجَّ

١ - سورة المائدة (٥) : ٩٧ .
٢ - سورة آل عمران (٣) : ٩٧ .
٣ - سورة البقرة (٢) : ١٢٥ - ١٢٦ .
٤ - نهج البلاغة / ٤٠ : عبده ١ / ٢١ .

تشبيداً للدين ..^١

٣ الامام الصادق «ع» - عن اَبانِ بْنِ تَغْلِبٍ قال: قلتُ لابي عبدِالله «ع»: «جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحَرَامَ قِياماً للنَّاسِ»^٢؟ قال: جَعَلَهَا اللهُ لِدِينِهِمْ ومعايشِهِمْ.^٣

٤ الامام الصادق «ع»: لا يَزَالُ الدِّينُ قائِماً ما قامَتِ الكَعْبَةُ.^٤

٥ الامام الصادق «ع» - عن هِشامِ بْنِ الحَكَمِ قال: سَأَلْتُ ابا عبدِالله «ع» فقلتُ له: ما العِلَّةُ التي مِن أَجلِها كَلَّفَ اللهُ العِبادَ الحَجَّ والطَّوافَ بالبيتِ؟ فقال: إِنَّ اللهُ خَلَقَ الخَلقَ (الى أن قال) وأمرَهُم بما يَكُونُ مِن أمرِ الطَّاعَةِ في الدِّينِ ومَصَلَحَتِهِم مِن أمرِ دُنْيائِهِم، فَجَعَلَ فيهِ الاجْتِماعَ مِنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ لِيَتَعَارَفُوا .. ولو كان كلُّ قَوْمٍ إِنما يَتَكَلَّمُونَ على بِلادِهِم وما فيها، هَلَكُوا وخَرِبَتِ البِلادُ .. وَعَمِيَّتِ الأَخْبارُ ولم تَقِفُوا على ذلك. فَذلكَ عِلَّةُ الحَجِّ.^٥

الفات نظر

يُشيرُ هذا الحديثُ ونظائِرُهُ الى حِكْمَةِ الاجْتِماعِ في الحَجِّ، و يُنَوِّهُ بمَوْضوعِ هَامٍّ، وهو أَنَّ المسلمين اذا لم يُفِيضُوا الى اجْتِماعِ الحَجِّ العالَمِيِّ، اولم يَطْرَحُوا هُنالِكَ مَشاكِلَهُم ومَسائِلَهُم حتى يَطَّلِعَ عليها سائِرُ المسلمين، فإنَّهُم سوف يَفْقُدُونَ قُدْرَتِهِم وكيانَهُم، وَيُسَلَبُونَ ثِروَاتِهِم، وتَدَهْوُرُ قِيَمُهُم الرُّوحِيَّةُ والثَّقافِيَّةُ الى هُوَّةٍ الاَضْمَحلالِ.

و من المُؤسِفِ جَدًّا أَنَّ الامرَ يَقَعُ بهذه الصُّورة السَلْبِيَّةَ مُنذُ

١ - البحار ٨ / ١١٠ (طبعة الكمباني): كشف الغمة ١ / ٤٨٣ - مع اختلاف يسير.

٢ - سورة المائدة (٥): ٩٧.

٣ و ٤ و ٥ - الوسائل ٨ / ٤١ و ١٤ و ٩.

قرون، فلا يُستفادُ مِنَ الْحَجِّ واجتماعه الحافل العظيم بشكلٍ صالحٍ يُفيدُ الاسلامَ والمسلمين، وَيَعُضُدُ كيانَ اهلِ القبلة وعظمتهم. ولذلك فإنَّ المسلمين الحُجَّاجِ وإن كانوا يأتون بمناسكِ الْحَجِّ العباديةِ وَيُؤَدُّونها، لكنهم لا يُؤَدُّون مناسكَه الاجتماعيةِ والسياسيةِ والتنظيميةِ، فهي متروكةٌ مهجورة، ولا يُبرِّمجُ لها بَرْمَجَةٌ مبنيةٌ على الاصول. وإن تفرَّقَ المسلمون هذا وتَبَدَّدَ شملهم، وعدمِ اطلاعهم عن احوال اخوانهم وبلادهم وثقافتهم واقتصادهم ومشاكلهم، وسيطرةِ الاجانب المدمرةِ عليهم، ونفوذهم المبيدِ فيهم وفي حُكَّامهم، يرجعُ كثيرٌ منها الى سكوتِ المسلمين في الْحَجِّ وعدمِ اعتدادهم بالأبعادِ السياسيةِ والاجتماعيةِ والمِلِّيَّةِ التي تَسْتَهْدُ فيها هذه الفريضةُ الالهيةُ والانسانيةُ العظميةُ.

إن هذين الدمارَ والفسادَ اللذين يَسودانِ البلادَ الاسلاميةَ اليومَ وَيَحْكُمَانِ فيها، إِنَّمَا يَنْبَعَانِ مِنْ ذلك التفرُّقِ والتشتتِ وعدمِ الوقوفِ على احوالِ الآخرين وانكارِ المسؤوليةِ والالتزم، وإهمالِ علماء المسلمين جوانبَ هامةً من تعاليم الاسلام ومقرراته القويمة، وعدمِ ايقافِ الناسِ على تلكم الجوانب. وكذلك يَنْبَعُ الدمارُ والفسادُ المذكورانِ مِنَ الاستسلامِ والسكوتِ أمامَ الحُكَّامِ ومن مُدَاهَنَتِهِمْ، ومن المعلومِ أَنَّ كثيراً منهم انما استولوا على البلادِ الاسلاميةِ من غيرِ جدارةٍ واهليةٍ وحقٍّ، وفيهم عُملَاءٌ وخَوَنَةٌ وأُجْرَاءٌ غيرُ مُلتزمين، فهم غُرَبَاءٌ عن شرفِ الاسلام، وعزَّ المسلمين، وكيانِ الحقِّ، وقداسةِ القرآن، وحرمةِ الكعبةِ وعلوِّ شأنها.

٦ الامام الرضا «ع»: إِنَّمَا أَمْرُوا بِالْحَجِّ لِعَلَّةِ الْوِفَادَةِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَطَلَبِ الزِّيَادَةِ، وَالخُرُوجِ مِنْ كُلِّ مَا اقْتَرَفَ الْعَبْدُ، تَائِباً مِمَّا مَضَى، مُسْتَأْنِفاً لِمَا

يَسْتَقْبِلُ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ إِخْرَاجِ الْأَمْوَالِ، وَتَعَبِ الْأَبْدَانِ، وَالِإِسْتِغْثَالِ عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ، وَحَظْرِ النَّفْسِ عَنِ اللَّذَاتِ، شَاخِصًا فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، ثَابِتًا عَلَى ذَلِكَ، دَائِمًا مَعَ الْخُضُوعِ وَالِإِسْتِكَانَةِ وَالتَّذَلُّلِ، مَعَ مَا فِي ذَلِكَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنَ الْمَنَافِعِ لِجَمِيعِ مَنْ فِي شَرْقِ الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا، وَمَنْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، مِمَّنْ يَحُجُّ وَمِمَّنْ لَمْ يَحُجَّ، مِنْ بَيْنِ تَاجِرٍ وَجَالِبٍ وَبَائِعٍ وَمَشْتَرِيٍّ وَمُكَاسِبٍ وَمُسْكِينٍ وَمُكَارٍ وَفَقِيرٍ، وَقَضَاءِ حَوَائِجِ أَهْلِ الْأَطْرَافِ فِي الْمَوْضِعِ الْمُمْكِنِ لَهُمُ الْإِجْتِمَاعُ فِيهِ، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ التَّفَقُّهِ وَنَقْلِ أَخْبَارِ الْأَيْمَةِ - عَلَيْهِمُ السَّلَامُ - إِلَى كُلِّ صُقْعٍ وَنَاحِيَةٍ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «فَلَوْلَا نَفَرٌ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ، لَيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ»^١ و «لَيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ...»^٢.

٧ الامام الصادق «ع»: إِنَّ الشَّيْعَةَ لَوْ أَجْمَعُوا عَلَى تَرْكِ الصَّلَاةِ لَهَلَكُوا، وَلَوْ أَجْمَعُوا عَلَى تَرْكِ الزَّكَاةِ لَهَلَكُوا، وَلَوْ أَجْمَعُوا عَلَى تَرْكِ الْحَجِّ لَهَلَكُوا.^٣

٨ الامام الصادق «ع»: يَا فُلَانُ! أَقَلِّلِ النَّفَقَةَ فِي الْحَجِّ، تَنْشَطْ لِلْحَجِّ! وَلَا تُكَثِّرِ النَّفَقَةَ فِي الْحَجِّ فَتَمَلَّ الْحَجَّ!^٤

٩ الامام الصادق «ع» - قَالَ سَمَاعَةَ: سَأَلْتُهُ عَنْ رَجُلٍ لِي عَلَيْهِ مَالٌ فَغَابَ عَنِّي بِزَمَانٍ، فَرَأَيْتُهُ يَطُوفُ حَوْلَ الْكَعْبَةِ، أَفَأَتَقَاضَاهُ مَالِي؟ قَالَ: لَا، لَا تُسَلِّمْ عَلَيْهِ وَلَا تُرَوِّعُهُ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ.^٥

١ - سورة التوبة (٩) : ٢٢.

٢ - سورة الحج (٢٢) : ٢٨.

٣ و ٤ و ٥ - الوسائل ٨ / ٧، و ١٢ / ١، و ٨ / ١٠٥.

٦ - الوافي ٢ (م ٨) / ١٧.

نظرة الى الباب

إن الإيمان في فلسفة التربية الإسلامية، ليس هو مجرد قول وإقرار، بل هو إقرار وعمل، بل هو العمل الناشيء من العقيدة، كما جاء في التعاليم. فالإقرار باللسان ليس كل الإيمان. وإظهار الإيمان باللفظ ليس إيماناً بتمام معنى هذه الكلمة. فما جاء في الكتاب من جعل الإيمان والعمل بايين (الباب الثاني: العقيدة والإيمان - كما مر، والباب الثالث: العمل - كما يأتي)، ليس إلا مجرد تأليف وتبويب، لا تعيين وتأسيس. فيجب أن يؤخذ هذان البابان باباً واحداً في المعنى التربوي والمقصد التعليمي. وإليك الباب الثالث، بعد نظرنا إلى هذا الباب.

١ - الإيمان عقيدة وعمل: الإيمان عقيدة راسخة في النفس، مرتكزة في القلب. وله ركنان: ركن باطني قلبي، وركن ظاهري خارجي. فالعقيدة الراسخة قلبية، والعمل المترتب عليها عيني خارجي. وتجزئة الإيمان إلى ركنين لا تخلو عن تسامح، لأن الإيمان وإن كان ذا جزأين، ذهني وعيني - كما مر - غير أن واقع الإيمان حقيقة واحدة، وماهية بسيطة، وهو العقد القلبي الراسخ الصادق. وهو لا ينفك عن العمل، والعمل على طبقه لا ينفك عنه. والقلب هو مجموع العاطفة والعقل، فهو كجذر ينبت منه العمل والإقدام. فالإيمان هو الذي يطور أعمال الإنسان ويجعلها هادفة إلهية، ويغطي جميع نواحي الحياة الإنسانية، بحيث يصبح جميع صلوات الإنسان المؤمن صلوات إلهية، كصلته مع نفسه، وصلته مع الطبيعة، ومع الناس، ومع الحيوان، ومع المجتمع و ..

والمؤمن في ظل هذه العقيدة، ينظر إلى العالم نظراً توحيدياً، ويتصور الكون تصوراً إلهياً، ويسعى لحلّ ألغاز العالم الفلسفية ومشاكله العملية.

في ظلالِ هذا التصوّر. وستأتي الإشارةُ إلى هذا الموضوع، في البحثِ عن «ميزاتِ الإيديولوجيةِ الإلهيةِ».

ومن نتائجِ الإيمانِ أنه يُوجدُ عُلقةٌ عميقةٌ بينَ الإنسانِ وعَمَلِهِ. فالعملُ الصادرُ عنِ الإيمانِ يتَّصلُ بنفسِ الإنسانِ اتِّصَالاً وثيقاً، لأنَّه قد فعَلَهُ مَعَ إيمانهِ وبتَمَامِ وجودِهِ ومعَ حضورِ قلبِهِ. وحيثُ يصدرُ العملُ عنِ الإنسانِ المؤمنِ لأجلِ اللهِ تعالى، فيكونُ إلهياً، تصيرُ شخصيَّةُ المؤمنِ وإرادتهُ واتِّجاهاتهُ أيضاً إلهيةً، وتُصبغُ بصبغةِ إلهيةٍ. كما أنَّ العملَ الصادرَ عنِ الإنسانِ الفاقِدِ للعقيدةِ والإيمانِ، لا يتَّصلُ بذاتِ الإنسانِ ذلكَ الإِتِّصالَ، فلا يُؤثِّرُ في تطوِيرِ الشَّخصيَّةِ الإنسانيَّةِ ذلكَ التطويرِ.

٢- عقيدة التوحيد: هذه العقيدة تُنبعثُ مِنَ الإيمانِ باللهِ تعالى وبوحدانيتهِ، فتُعطي الإنسانَ نظرةً توحيديةً، ينظرُ بها إلى جميعِ الموجوداتِ والكائناتِ كمجموعةٍ واحدةٍ، ومنظومةٍ مرتبطةٍ كمالِ الإرتباطِ، ذاتِ جهةٍ واحدةٍ، وهي جهةُ الله - تعالى ذكره - وهذه العقيدةُ إذا كانتَ صحيحةً يقينيةً، تُسيطرُ على وجودِ الإنسانِ وتُوحدُ جميعَ أبعادهِ المختلفةِ، وتجعلُها مُتلاحمةً ومُتلائمةً، وتمنعُ عن تقسيمِ الشَّخصيَّةِ الإنسانيَّةِ وتلاشيها، ثمَّ يَنبَسِطُ نورُ هذه الوحدةِ والتلاحمِ على صِلاتِ الإنسانِ بحياتهِ وأعمالِهِ واتِّجاهاتِهِ عامَّةً.

٣- دور الإيمان (الاعتقاد التوحيدي) في الاتجاهات الاجتماعية: الإعتقادُ التَّوحيديُّ يُصوِّرُ المجتمعَ، في نظرِ المؤمنِ الموحِّدِ، كأُسرةٍ كبيرةٍ واحدةٍ، وكَهَيْئَةٍ إيديولوجيةٍ موحَّدةٍ. ومن هُنا يذهبُ هذا الإعتقادُ إذا سادَ المجتمعَ، بكلِّ ما هُنالكَ من نقصٍ وتعدُّ وإفراطٍ وتقصيرٍ، ويَبْطُلُ الأثرَةُ والتمييزُ والطَّبقيَّةُ، ويبني مِنَ النَّاسِ أُمَّةً وَسَطاً تقومُ على السُّنَنِ العادِلَةِ. ولأنَّ نُلقي ضوءاً على هذا الأصلِ نأتي بِأمثلةٍ مِنَ التَّعاليمِ الإسلاميَّةِ:

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: .. فَأَمَّا هَذَا الْفِيءُ، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فِيهِ أَثَرَةٌ. فَهُوَ مَالُ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ عِبَادُهُ الْمُسْلِمُونَ.^١
- ٢ الامام الصادق «ع» - في جوابٍ مَنْ سَأَلَهُ عَنِ مُسَاوَاةِ النَّاسِ: نَعَمْ، خَلَقَهُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ وَهُمْ عَبِيدُهُ.^٢
- ٣ الامام الرضا «ع» - عن عبد الله بن الصُّلْتِ، عن رجلٍ مِنْ أَهْلِ بَلْخِ قَالَ: كُنْتُ مَعَ الرَّضَا «ع» فِي سَفَرِهِ إِلَى خُرَاسَانَ، فَدَعَا يَوْمًا بِمَائِدَةٍ لَهُ، فَجَمَعَ عَلَيْهَا مَوَالِيَهُ مِنَ السُّودَانِ وَغَيْرِهِمْ. فَقُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! لَوْ عَزَلْتَ لِهَؤُلَاءِ مَائِدَةً؟ فَقَالَ: «مَهْ! إِنَّ الرَّبَّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَاحِدٌ، وَالْأُمَّمُ وَاحِدَةٌ، وَالْأَبَّ وَاحِدٌ، وَالْجَزَاءُ بِالْأَعْمَالِ».^٣

هذه التعاليمُ الرَّاقِيَةُ الْقِيَمَةُ وَأَمْثَالُهَا كَثِيرَةٌ فِي الْإِسْلَامِ، وَلَقَدْ جَاءَتْ شَذَرَاتٌ مِنْهَا فِي تَضَاعِيفِ الْكِتَابِ. وَهِيَ تُوقِفُ الْقَارِئَ عَلَى مَفْهُومِ الْإِيمَانِ «التَّوْحِيدِيِّ - الْإِجْتِمَاعِيِّ» وَحَصِيلَتِهِ، وَتُعَرِّفُهُ بِأَنَّ مُعَلِّمِي مَدْرَسَةِ التَّوْحِيدِ كَيْفَ أَبْطَلُوا التَّمْيِيزَ الْإِجْتِمَاعِيَّ وَالتَّحْيِيزَ الطَّبَقِيَّ بِهَذَا الْأَصْلِ التَّوْحِيدِيِّ: «خَلَقَهُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ». فَإِنَّهُمْ اسْتَدَلُّوا عَلَى تَسَاوِيِ الْأَفْرَادِ فِي الْحُقُوقِ بِتَسَاوِيِهِمْ فِي الْخَلْقِ، فَكَمَا أَنَّ لَهُمْ إِلَهًا وَاحِدًا فَكَذَلِكَ لَهُمْ حَقُوقٌ وَاحِدَةٌ، وَلَا مِيزَةَ لِأَحَدٍ عَلَى إِحَدٍ وَلَا لِطَبَقَةٍ عَلَى طَبَقَةٍ. وَمِنْ هُنَا نَجْزِمُ بِأَنَّ الْأَصْلَ الْأَسَاسِيَّ لِتَوْحِيدِ الطَّبَقَاتِ وَالصُّفُوفِ وَنَفْيِ الْأَثَرَةِ وَالتَّمْيِيزِ - نَفِيًّا

١ - البحار ٨ / ٣٩٤ (طبعة الكمباني).

٢ - الاحتجاج ٢ / ٨٣.

٣ - الكافي ٨ / ٢٣٠.

فعلياً بعيداً عن التّمويه - هو الاعتقاد التّوحيدي لا غير.
 وننتهي من هنا إلى دور الشّرك في الإتجاهات الإجتماعية، وذلك لأنّ
 للشّرك آثاراً تضادّ ما بيّناه من آثار الاعتقاد التّوحيدي. وهو يفسد تصوّر
 الإنسان عن العالم وعن النّاس وعن المجتمع، وينتهي إلى حطّ
 الشّخصية الإنسانيّة، وتضعيف الإرادة، وخلو القلب عن الإتجاهات
 الإلهية والنيّات الخالصة، وكذلك يُؤدّي إلى تضاول الصّلات الإجتماعية،
 وتكثّر الجهات وتشتت الإتجاهات: «تَحْسِبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى»^١.
 ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً^٢.
 ومن هنا يأتي المجتمع المشرك أسيراً بيد الأهواء والميول، محكوماً
 بحكم الطّبقيّة والتّمييز العنصري؛ وإن تَسرَّ ظاهراً بأسماءٍ خلاّيةٍ مُموّهةٍ،
 كالحرية والإشترائية وأمثالهما. فعلى هذا لا يمكن أن تُقلع جذور العُدوان
 والإستعمار عن مجتمعٍ، وأن يبلغ الإنسان إلى حقوقه وسعادته، إلاّ بسيادة
 الاعتقاد التّوحيدي الخالص. ولأجل ذلك نرى أن العقيدة المُشركة
 كانت في طول التاريخ ذريعةً للمُضادّة مع العقيدة التّوحيديّة، ووسيلةً
 لإزاحة آثارها الفرديّة والإجتماعيّة، التي تُعرقّل سبيل الإستعباد
 والإستعمار: «وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ»^٣. فسبيل الله هي سبيل
 العدالة والرّحمة والحقّ، وسبيل الأنداد هي سبيل العُدوان والظلم وإبقاء
 الإنسان تحت نير الإضطهاد.

٤ - الايمان بحكومة الله وشجب الطاغوت : لقد جاءت في الكتاب الكريم
 آيات تتكلّم عن الإيمان. هذه الآيات بعضها يُفسّر الإيمان وبعضها يشرح

١ - سورة الحشر (٥٩) : ١٤.

٢ - سورة الروم (٣٠) : ٣٢.

٣ - سورة ابراهيم (١٤) : ٣٠.

آثاره ونتائج. فمن تلك الآيات قوله تعالى: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ..»^١. والآية تُحدِّد أبعاد الإيمان الاجتماعيَّة، حيثُ تقول: إنَّ الإيمان بالله إنما يتحقَّق بعد شَجْبِ الطَّاغُوتِ ونفيه والكفْرِ به، وبعد ما تَجَسَّدَ له و شيجُ صِلَةٍ بالحكومة والحاكمية، فَشَجْبُ الطَّاغُوتِ هو شَجْبُ كُلِّ حاكمٍ يَتَغَلَّبُ على المجتمع من دون الله. فالإيمان بالله لا يتحقَّق إلاَّ مع الإيمان بحاكمية تُضادُّ الحاكمية الطَّاغوتية، وهي حكومة الله وحاكميته تعالى.

فالإيمان بالله تعالى هو اعتقادٌ فرديٌّ وإجتماعيٌّ وسياسيٌّ معاً، ولذلك نرى أنَّ الإيمان الصحيح يُباينُ الرهبانية والتَّصوفَ والتَّخَلِّيَ عن الوظائفِ والمسؤولياتِ الاجتماعيَّة والسياسية، لأنَّ الإيمان بالله وعبادته والجهادَ في سبيله في الخانقاهاتِ والأديرةِ والخَلواتِ والزَّوايا والبيع، ليسَ إيماناً بالله في قِبالِ الطَّاغُوتِ، وبعبارةٍ أُخرى: ليسَ إيماناً بالله وكفراً بالطَّاغُوتِ عَمَلًا، مع أنَّ هذا الإيمان الأخير، هو الإيمان الصحيح الكامل، الذي يدعو إليه القرآن الكريم، بل نرى أنَّه يُقدِّم الكفر بالطَّاغُوتِ (وهذا الكفر يستلزمُ المُجابَهةَ والقضاءَ على سلطانِ الطَّاغُوتِ وتصرفاته)، على الإيمان بالله تعالى: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ، فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ ..».

وهذا هو الذي قلناه من أنَّ الإيمان - بصورته الصحيحة المذكورة - يُوكِّدُ صِلَةَ الإنسانِ بالمجتمع، ويجعله مسؤولاً، قائماً بأكبرِ الوظائفِ وأثقلِ الأعباء، في سبيلِ الإنسانيَّة والمقاصدِ الخيرةِ والفاضلةِ. ومنَ المعلومِ أنَّ لكلِّ إنسانٍ مواهبَ فرديَّةَ ومواهبَ إجتماعيةَ. وهذه المواهبُ يتفاعلُ بعضها مع بعضٍ فتتكامل. وكثيرٌ من مواهبِ الإنسانِ الفرديَّةِ إنما يتبلورُ ويتكاملُ في حالاتِ صلاته بالمجتمعِ واشتراكه في

الأعمال والمَساعي الإِجتماعية. ولذلك يُعَدُّ الإنسانُ موجوداً إجتماعياً بالطبع. فالإنسانُ الذي يَسعى في مجتمَعٍ، يُعطي شيئاً ويأخذ أشياء، وبهذا الإعطاء والأخذ يَتَسَنَّى له طَلْبُ الكمال ونَيْلُه. فلا سبيلَ إلى الإستفادةِ من جميعِ المواهبِ الإنسانيةِّ وكلِّ ما للإنسانِ من إستعدادٍ وقابليَّة، في حالةِ التَّفردِ والإنعزال. وبما أنَّ الإسلامَ دينٌ فطريٌّ يَدْفَعُ الإنسانَ إلى كَسْبِ السَّعادة، وإخراجِ جميعِ استِعداداته إلى الفعلية، يَدعو إلى الإيِّمانِ الإِجتماعيِّ وقبولِ المسؤولياتِ الإِجتماعية ويؤكدُ على الإنخراطِ في سبيلِ المِجتمَع، ويمنعُ مِنَ الوَحْدَةِ والتَّفردِ. لأنَّ في ذاك السُّلوكِ تَتَلَاءَمُ أبعادُ الوجودِ الإنسانيِّ، وتَتَلاحَمُ الرَّغْبَةُ الفطريةُ والأحكامُ الشرعيةُ، فيَصِلُ الإنسانُ إلى أبعدِ غاياتِ السَّعادة، إذا سَلَكَ الطَّرِيقَ وَجَدَّ في السَّيرِ.

وفي ظلِّ هذه العقيدة، يَنْضُمُ الإنسانُ إلى المِجتمَعِ التَّوحيديِّ، فيكونُ عضواً فيه، تَنعَكِسُ عليه أحاسيسُ المِجتمَعِ فيَتَأَثَّرُ بها، كأنَّهُ حاسَّةٌ لمسٍ فيه، بل هو في الواقعِ حاسَّةٌ لِمَسِّ إِجتماعيةٍ تَتَأَثَّرُ بالمُضاعفاتِ، كما يَتَأَثَّرُ العَضُو الجَسديُّ. وَيَتَجَلَّى هذا المعنى في هذا المضمون الذي جاء في الاحاديث: «المؤمنون كأعضاء جسدٍ واحدٍ».

وبما أنَّ لِلْفردِ والمِجتمَعِ تأثيراً مُتقابلاً، نرى أنَّ فسادَ المِجتمَعِ يَمْنَعُ مِنَ تكاملِ الفردِ، وفسادَ الفردِ يَمْنَعُ مِنَ تكاملِ المِجتمَعِ. وبما أنَّ هذه الصِّلةَ القِيَّمةَ بينَ الفردِ والمِجتمَعِ، لها تأثيرٌ كبيرٌ في المصالحِ البشريَّةِ والقضايا التَّربويَّةِ، قد أكَّدَ الإسلامُ على مُراقبتها، وقد جَعَلَهَا مُؤثِّرةً في قبولِ العباداتِ وإجابةِ الدَّعواتِ.

٥- التعاون التكاملي للفرد والمِجتمَعِ : الشخصيةُ الإنسانيةُ إنما تنمو بما يَعْمَلُهُ الإنسانُ لله - تبارك وتعالى - وهذا يَعْمُ الأعمالَ الفرديةَ والإِجتماعيةَ. فالمقصودُ من تأثيرِ التَّعاونِ في تكاملِ الفردِ والمِجتمَعِ، أنَّ الإنسانَ

حينما يسعى لتطوير مجتمعه فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وينشر المعرفة والعلم، ويثبت اليقظة الإجتماعية بين الناس، ويدفع الظلم والظالم ويشجب المعتدي والجائر، إنما يبني - بكل ذلك - نفسه ويطورها. ولذلك عدّ الجهاد لباس التقوى، في لسان الأثر.

فصالح المجتمع وفساده يرتبطان بأعمال الفرد وتعالیه الخلقی والعملی أو تساقله. فالفرد في مسيره لتطوير مجتمعه ينمو، وفي هذا المسير تتسنى له تربية نفسه وترقيتها، وكبح جماح الميول النفسية، وتنمية القوى العقلية، والسير نحو الكمال المنشود. وهذا يصبح عكساً، إذا انزل الإنسان عن المجتمع، وألقى أعباء المسؤوليات عن عاتقه، فعندئذ يسقط حتى من جهة ما يرجع إلى معنوياته الباطنة. مثلاً إذا ترك الأمر بالمعروف لا تستجاب له دعوة. وإذا رأى جائعاً ولم يشبعه ذهب إيمانه: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره المسلم جائع»^١. وإذا انفصل عن المجتمع وترك التعاون والتعاقد، لا يقبل له عمل: «إن العمل لا يتقبل مع الهجران»^٢.

فبناءً على تلك الأصول واستلهاماً من تلك التعاليم، التي جاءت في الإسلام، وعرضت في هذا الكتاب باختصار، نرى أن الحركة الفعالة لبناء النفس وتنميتها وتهذيبها، لا تنفك عن الحركة الفعالة لبناء المجتمع وتطويره، وكذلك العكس.

٦- الكيان الاجتماعي للمؤمن : في ظل الإيمان الذي وصفناه - وهو الذي يتجه به الفرد إلى غاية إلهية، وموقف حاسم مكافح للطاغوت - يتيسر للإنسان أن يتمتع بتطور اجتماعي. وهذا التطور هو الذي يربي الفرد

١ - الوسائل ٦ / ٣٢.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٠١.

والمجتمع في آن واحد، ويبدل الفرد إلى جزءٍ متلاحمٍ بالأمة - كما مرّت الإشارةُ إليه - بل يجعله وحده أمةً وجماعةً. وبهذا الوصف يولد الإنسان مرةً أخرى، يُمكن أن نُعبّر عنها بولادةٍ إجتماعيةٍ. وبهذه الولادة والكيونة، يسعى لِخيرِ النَّاسِ، وَيَجْتَهِدُ لِتَحْقِيقِ الْغَايَاتِ الْخَيْرَةِ، وَيَتَحَمَّلُ الْمَسْئُولِيَّاتِ الضَّخْمَةَ الْمُسْتَوْحَاةَ مِمَّا يَعِيشُهُ مِنْ زَمَانٍ وَظُرُوفٍ وَمُلَابَسَاتٍ وَمُعْتَقَدَاتٍ. وَحِينَئِذٍ تَزْدَهْرُ مَسْئُولِيَّتُهُ وَرِسَالِيَّتُهُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ»^١.

٧ - الموقف الديني والتنمية الاجتماعية : من خواص الإيمان السالف الذكر، أنه يُخْرِجُ اسْتِعْدَادَاتِ الْإِنْسَانِ الْإِجْتِمَاعِيَّةَ إِلَى الْفِعْلِيَّةِ وَالظُّهُورِ، بَحِثٌ يَنْظُرُ الْإِنْسَانَ إِلَى الْمَجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ وَإِلَى الْحَيَاةِ وَقِيمِهَا نَظْرَةً وَسِعَةً إِلَهِيَّةً، فَتَبَدَّلُ لَدَيْهِ الْغَرَائِزُ مِنْ دَانِيهَا إِلَى عَالِيهَا، كَغَرِيزَةِ حُبِّ الذَّاتِ، حَيْثُ تَبَدَّلُ إِلَى حُبِّ الْغَيْرِ. فَهَذَا الْإِنْسَانُ يَحْسُ أَنْ نَفْسَهُ قَدْ انْدَكَّتْ فِي النُّفُوسِ، وَيَحْسُ حَيَاتَهُ وَلذَاتِهِ تَنْدَمِجُ فِي حَيَاةِ النَّاسِ وَلذَاتِهِمْ. فَيَلْتَذُّ إِذَا التَّذَوَا، وَيَنْعَمُ إِذَا نَعَمُوا. وَهَذَا مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ، مِنْ صَيْرُورَةِ الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِ الْمُوَحَّدِ حَاسَّةً لِمَسِّ اجْتِمَاعِيَّةٍ تَنْعَكِسُ عَلَيْهَا أَحَاسِيسُ الْمَجْتَمَعِ ..

٨ - الحج وأثره في التكامل الاجتماعي : الحجُّ موضوعٌ عظيمٌ، يَنْبَغِي أَنْ نَنْظُرَ إِلَيْهِ مِنْ جَوَانِبٍ مُتَعَدِّدَةٍ، نَظَرَاتٍ تَفْصِيلِيَّةٍ، غَيْرَ أَنَّ مَجَالَنَا هُنَا لَا يَسَعُ تِلْكَ التَّفَاصِيلَ، فَكَتَفِي بِحَدِيثٍ مُقْتَضِبٍ عَنْهُ، وَنِكُلُّ الْحَدِيثَ الْمَفْصَلَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ مِنَ الْكِتَابِ، بِإِذْنِ اللَّهِ:

الحجُّ مؤتمرٌ إسلاميٌّ عالميٌّ، تَظْهَرُ لِلْمُشْتَرِكِينَ فِيهِ فَائِدَتَانِ عَظِيمَتَانِ

في آن واحد: إنصهار الروح بالمثل العليا، والإنصهار بالقيم البشرية
المستفادة من اللقاء الأخوي لجميع شعوب الأرض. وهذا من منافع
الحجّ المشار إليها بقوله تعالى: «لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ»^١.

فالحاج يلتقي بأناسٍ كثيرين من مختلف الأقطار، فيُكسبه هذا اللقاء
تربيةً عالميّةً، فيُنظرُ إلى المسائل والقضايا نظرةً عالميّةً، ويفكرُ عالمياً،
ويرى نفسه وسائر الناسِ سواءً، فلا يعتني بالامتيازات الكاذبة كالجنسيّة
واللون والإقليم. وهذا يوجب أن يقترب من بني نوعه ويتصل بهم اتصالاً
مباشراً، فيرى نفسه مع السائرين كأعضاء أسرةٍ واحدة.

ومن هنا يندفع إلى أن يرى نفسه مسؤولاً أمام المشاكل البشرية،
وأن يفكر بمصالح أهل العالم عامّةً، وأن يسعى لحلّ معضلات الناس،
ولإسعاد الإنسان في مناطق الأرض كافةً.

ومن خواصّ هذا المؤتمر، أنه ليس على المستوى الرّسمي، لتمثيل
الحكومات والرؤساء والملوك، من الذين هم بعيدون في الحقيقة عن واقع
الناس؛ بل هو مؤتمر على مستوى الشعوب العالميّة: «وأذن في الناس
بالحجّ، يأتوك رجالاً، وعلى كلّ ضامرٍ، يأتين من كلّ فج عميق»^٢.

يأتون ويشكّلون باجتماعهم بحراً زاخراً، وكلُّ فردٍ منهم كقطرة في

ذلك المحيط الدّفاق ..

١ - سورة الحج (٢٢) : ٢٨.

٢ - سورة الحج (٢٢) : ٢٧.

البَابُ الثَّالِثُ

الفصلُ الأوّل

اهميّة العمل

الكتاب

- ١ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَن سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ
الْأَوْفَى *^١
- ٢ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ *^٢
- ٣ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ
الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا *^٣
- ٤ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا *^٤
- ٥ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُلْ: لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ، أَنتُمْ بَرِيءُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَإِنَّا بَرِيءٌ
مِّمَّا تَعْمَلُونَ *^٥
- ٦ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ، وَقُلْ: آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ

١ - سورة النجم (٥٣) : ٣٩ - ٤١.

٢ - سورة الانبياء (٢١) : ٩٤.

٣ - سورة النساء (٤) : ١٢٤.

٤ - سورة طه (٢٠) : ١١٢.

٥ - سورة يونس (١٠) : ٤١.

- مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ، اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ، لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ،
 لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ، اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَالِيهِ الْمَصِيرُ *^١
- ٧ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا، وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ *^٢
- ٨ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ يَمْهَدُونَ *^٣
- ٩ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ
 بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي
 الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ
 الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ
 وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ *^٤
- ١٠ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ
 مُؤْمِنٌ، فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ *^٥

* نريد هنا بالعملِ وأهميته وأصاليته، ما جاء في الشريعة
 الإسلامية، بتعابير متنوعة: من الحث على العمل، وجعله أصلاً من
 أهم الأصول للإنسان في هذه الحياة، ومن أهم الأصول التي دعا
 الى تحقيقها الدين. وهذا المقصود يدرك في دائرة النظام
 الإسلامي.

وبهذا النظر يدرك ما له من طابع جذري هام، وحكمة بناءة
 حيوية في صلة الانسان بنفسه، وبالله، وبالمجتمع، وبالتاريخ،

١ - سورة الشورى (٤٢) : ١٥.

٢ - سورة الانعام (٦) : ١٣٢.

٣ - سورة الروم (٣٠) : ٤٤.

٤ - سورة البقرة (٢) : ١٧٧.

٥ - سورة غافر (٤٠) : ٤٠.

وبالكون.

الحديث

- ١ النبي «ص» : .. فَإِنَّكُمْ الْيَوْمَ فِي دَارِ عَمَلٍ وَلَا حِسَابٍ، وَأَنْتُمْ غَدًا فِي دَارِ حِسَابٍ وَلَا عَمَلٍ.^١
- ٢ الامام علي «ع» : .. إِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٍ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٍ.^٢
- ٣ النبي «ص» : الْعَمَلُ كَنْزٌ، وَالدُّنْيَا مَعْدَنٌ ..^٣
- ٤ الامام علي «ع» : إِنِّي لَمِنَ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَاتِمٍ ، سِيَمَاهُمْ سِيَمَا الصَّادِقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ، عُمَارُ اللَّيْلِ ، وَمَنَارُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنْنَ اللَّهِ وَسُنْنَ رَسُولِهِ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ، وَلَا يَعْزُبُونَ، وَلَا يَغْلُونَ، وَلَا يُفْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْجَنَانِ، وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ.^٤
- ٥ الامام علي «ع» : .. أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ، وَغَدًا السَّبَاقُ .. أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامٍ أَمَلٍ ، مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمَلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ ، قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ ، فَقَدْ نَفَعَهُ عَمَلُهُ ، وَلَمْ يَضُرَّهُ أَجَلُهُ ..^٥
- ٦ الامام علي «ع» : .. قُولُوا الْحَقَّ تَعْرِفُوا بِهِ، وَاعْمَلُوا الْحَقَّ تَكُونُوا مِنْ

١ - الخصال ١ / ٥١ .

٢ - نهج البلاغة / ١٢٨ : عبده ١ / ٨٩ .

٣ - البحار ٧٧ / ١٨٣ ، عن «اعلام الدين» .

٤ - نهج البلاغة / ٨١٧ : عبده ٢ / ١٨٤ .

٥ - نهج البلاغة / ٩٨ : عبده ١ / ٦٧ .

أهله. ١

- ٧ الامام علي «ع» : في كلِّ وقتٍ عَمَلٌ. ٢
- ٨ الامام علي «ع» : ماضي يَوْمِك فائت، وآتية مُتَّهَمٌ، ووقتك مُغْتَنَمٌ، فبادِرْ فيه فرصة الامكان. ٥
- ٩ الامام الصادق «ع» : أتى رَجُلٌ الى رسولِ الله «ص» فقال: يا رسولَ الله! إنِّي جِئْتُ أُبَايِعُكَ على الاسلام. فقالَ لَهُ رسولُ الله «ص» (اِخْتِباراً لَهُ): على أن تَقْتُلَ أبَاكَ؟ فَقبَضَ الرَّجُلُ يَدَهُ وانصَرَفَ، ثُمَّ عادَ .. قال: نَعَمْ. فقالَ لَهُ رسولُ الله «ص»: إنَّ المؤمنَ يُرى يقينُهُ في عَمَلِهِ، والكافرَ يُرى إنكارُهُ في عَمَلِهِ. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، ما عَرَفُوا امرَهُم، فَاعتَبَرُوا إنكارَ الكافرين والمنافقين بأعمالِهِم الخبيثة. ٤
- ١٠ الامام الرضا «ع» - عن الباقر «ع» : .. لا يُنالُ ما عندَ الله إلا بالَعَمَلِ .. ٥
- ١١ الامام علي «ع» : المؤمنُ بِعَمَلِهِ. ٦
- ١٢ الامام علي «ع» : العَمَلُ رَفِيقُ الموقِن. ٧
- ١٣ الامام علي «ع» : المَرءُ لا يَصحِبُهُ إلا العَمَل. ٨

١ - البحار ٧٨ / ٩، عن «مطالب السؤل».

٢ - غرر الحكم / ٢٢٥.

٣ - غرر الحكم / ٣١٨.

٤ - مشكاة الانوار / ٣٨.

٥ - الوسائل ١ / ٦٩.

٦ - غرر الحكم / ١٤.

٧ - غرر الحكم / ٢٣.

٨ - غرر الحكم / ٢٣.

- ١٤ الامام الباقر «ع» : إِنَّ وِلَايَتَنَا لَا تُدْرِكُ إِلَّا بِالْعَمَلِ.^١
- ١٥ الامام الكاظم «ع» : يَا هِشَامُ! إِنَّ الْمَسِيحَ «ع» قَالَ لِلْحَوَارِيِّينَ ... بِحَقِّ اقْوُلْ لَكُمْ: إِنَّ النَّاسَ فِي الْحِكْمَةِ رَجُلَانِ: فَرَجُلٌ أَتَقَنَّهَا بِقَوْلِهِ، وَصَدَّقَهَا بِفِعْلِهِ. وَرَجُلٌ أَتَقَنَّهَا بِقَوْلِهِ، وَضَيَّعَهَا بِسَوْءِ فِعْلِهِ؛ فَشَتَّانَ بَيْنَهُمَا. فَطُوبَى لِلْعُلَمَاءِ بِالْفِعْلِ، وَوَيْلٌ لِلْعُلَمَاءِ بِالْقَوْلِ ..^٢
- ١٦ الامام الكاظم «ع» : يَا هِشَامُ! إِنَّ كُلَّ النَّاسِ يَبْصُرُ النُّجُومَ، وَلَكِنْ لَا يَهْتَدِي بِهَا إِلَّا مَنْ يَعْرِفُ مَجَارِيَهَا وَمَنَازِلَهَا. وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ تَدْرُسُونَ الْحِكْمَةَ، وَلَكِنْ لَا يَهْتَدِي بِهَا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِهَا.^٣
- ١٧ الامام علي «ع» : الْعِلْمُ يُرْشِدُكَ، وَالْعَمَلُ يَبْلُغُ بِكَ الْغَايَةَ.^٤

١ - البحار ٧٨ / ١٨٨، عن «اعلام الدين»؛ ايضاً: الكافي ٢ / ٧٥.

٢ و ٣ - تحف العقول / ٢٨٩.

٤ - غرر الحكم / ٥٣.

الفصل الثاني

بين الايمان والعمل

الكتاب

- ١ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ..^١
- ٢ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ *^٢
- ٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ *^٣
- ٤ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ..^٤
- ٥ قُلْ : إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ : تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ *^٥
- ٦ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّهِمْ، كَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَآتِهِمْ وَأَصْلَحَ بِأَلْفِهِمْ *^٦

١ - سورة العصر (١٠٣) : ١ - ٣.

٢ - سورة البينة (٩٨) : ٧.

٣ - سورة التين (٩٥) : ٤ - ٦.

٤ - سورة الشورى (٤٢) : ٢٦.

٥ - سورة سبأ (٣٤) : ٤٦.

٦ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٢.

- ٧ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ، فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى *^١
- ٨ وما أموالكم ولا اولادكم بالتي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى، إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا، فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا، وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ *^٢

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع» : أَلَا يُؤْمِنُ عَمَلٌ كُلُّهُ.^٣
- ٢ الامام الصادق «ع» : أَلَا يُؤْمِنُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَالْعَمَلُ مِنْهُ. وَلَا يَثْبُتُ إِلَّا بِعَمَلٍ.^٤
- ٣ الامام الصادق «ع» - قال ابو عمرو الزُّبَيْرِيُّ: قلت لابي عبدالله «ع»: أَيُّهَا الْعَالِمُ! أَخْبِرْنِي أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَا لَا يَقْبَلُ اللَّهُ شَيْئًا إِلَّا بِهِ. قُلْتُ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، أَعْلَى الْأَعْمَالِ دَرَجَةً، وَأَشْرَفُهَا مَنْزَلَةً، وَأَسْنَاهَا حَظًّا. قَالَ: قُلْتُ: أَلَا تُخْبِرُنِي عَنِ الْإِيمَانِ أَقْوَلٌ هُوَ وَعَمَلٌ، أَمْ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ؟ فَقَالَ: الْإِيمَانُ عَمَلٌ كُلُّهُ، وَالْقَوْلُ بَعْضُ ذَلِكَ الْعَمَلِ، بِفَرْضٍ مِنَ اللَّهِ بَيِّنٍ فِي كِتَابِهِ، وَاضِحٍ نُورُهُ^٥، ثَابِتَةٍ حُجَّتُهُ، يَشْهَدُ لَهُ بِهِ الْكِتَابُ وَيَدْعُوهُ إِلَيْهِ^٦. قَالَ: قُلْتُ: صِفْهُ لِي - جُعِلَتْ فِدَاكَ - حَتَّى

١ - سورة طه (٢٠) : ٧٥.

٢ - سورة سبأ (٣٤) : ٣٧.

٣ - الكافي ٢ / ٣٤.

٤ - الوسائل ٦ / ١٢٧.

٥ - اي: نور ذلك الفرض. وواضح وثابتة صفتان له.

٦ - اي: يشهد لكون الايمان عملاً، اوللعامل بذلك الفرض، ويدعو العامل اليه - كما في تعاليق «الكافي».

أفهمه. قال: الايمان حالات، ودرجات، وطبقات، ومنازل: فمنه التام المنتهي تمامه. ومنه الناقص البين نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه. قلت: إن الايمان ليتّم وينقص ويزيد؟ قال: نعم. قلت: كيف ذلك؟ قال: لأن الله - تبارك وتعالى - فرض الايمان على جوارح ابن آدم، وقسمه عليها، وفرقه فيها، فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الايمان بغير ما وكلت به أختها؛ فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم. وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وامره. ومنها عيناه اللتان يبصر بهما، وأذناه اللتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطن بهما، ورجلاه اللتان يمشي بهما، وفرجه الذي الباه من قبله، ولسانه الذي ينطق به، ورأسه الذي فيه وجهه. فليس من هذه جارحة إلا وقد وكلت من الايمان بغير ما وكلت به أختها، بفرض من الله - تبارك اسمه - ينطق به الكتاب لها، ويشهد به عليها.

فَفَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى السَّمْعِ، وَفَرَضَ عَلَى السَّمْعِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْعَيْنَيْنِ، وَفَرَضَ عَلَى الْعَيْنَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى اللِّسَانِ، وَفَرَضَ عَلَى اللِّسَانِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْيَدَيْنِ، وَفَرَضَ عَلَى الْيَدَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الرَّجْلَيْنِ، وَفَرَضَ عَلَى الرَّجْلَيْنِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْفَرْجِ، وَفَرَضَ عَلَى الْفَرْجِ غَيْرَ مَا فَرَضَ عَلَى الْوَجْهِ.

[أ - ايمان القلب وعمله]

فَأَمَّا مَا فَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ مِنَ الْإِيمَانِ، فَالْإِقْرَارُ وَالْمَعْرِفَةُ وَالْعَقْدُ وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيمُ بِأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، أَلَهًا وَاحِدًا لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ - صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ -

الفصل الثاني : بين الايمان والعمل

والاقرار بما جاء من عند الله من نبي او كتاب. فذلك ما فرض الله على القلب من الاقرار والمعرفة، وهو عمله، وهو قول الله عز وجل: «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا»^١ وقال: «أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ»^٢ وقال: «الَّذِينَ آمَنُوا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ»^٣ وقال: «إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ»^٤؛ فذلك ما فرض الله عز وجل على القلب، من الاقرار والمعرفة، وهو عمله، وهو رأس الايمان.

[ب - ايمان اللسان وعمله]

وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقد عليه وأقر به، قال الله - تبارك وتعالى - : «وقولوا للناس حسناً»^٥ وقال: «قولوا آمنا بالذي أنزل لنا وأنزل اليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون»^٦؛ فهذا ما فرض الله على اللسان، وهو عمله.

[ج - ايمان السمع وعمله]

وفرض على السمع أن يتنزّه عن الاستماع الى ما حرم الله، وأن

١ - سورة النحل (١٦) : ١٠٦.

٢ - سورة الرعد (١٣) : ٢٨.

٣ - سورة المائدة (٥) : ٤١، والآية هكذا: «من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم...»، فالضبط من سهو الناسخين.

٤ - سورة البقرة (٢) : ٢٨٤.

٥ - سورة البقرة (٢) : ٨٣.

٦ - سورة العنكبوت (٢٩) : ٤٦. ولقد وقع في المصدر، سهو من الناسخين في ضبط الآية.

يُعرضَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ مِمَّا نَهَى اللَّهُ عز وجل عنه، والاصغاءِ الى ما أسخطَ اللهُ عز وجل، فقال في ذلك: «وقد نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ»^١.

ثُمَّ اسْتَشْنَى اللَّهُ عز وجل مَوْضِعَ النِّسْيَانِ فقال: «وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ»^٢. وقال: «فَبَشِّرْ عِبَادَ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمُ أُولُو الْأَلْبَابِ»^٣. وقال عز وجل: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ»^٤ وقال: «وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ»^٥ وقال: «وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا»^٦ فهذا ما فَرَضَ اللَّهُ عَلَى السَّمْعِ مِنَ الْإِيمَانِ، أَنْ لَا يُصْغِيَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ، وَهُوَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ.

[د - إيمان البصر وعمله]

وَفَرَضَ عَلَى الْبَصَرِ أَنْ لَا يَنْظُرَ إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُعْرِضَ عَمَّا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ، مِمَّا لَا يَحِلُّ لَهُ، وَهُوَ عَمَلُهُ، وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ، فَقَالَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ»^٧ فَهَئِهِمْ

١ - سورة النساء (٤) : ١٤٠.

٢ - سورة الانعام (٦) : ٦٨.

٣ - سورة الزمر (٣٩) : ١٨.

٤ - سورة المؤمنون (٢٣) : ١ - ٤.

٥ - سورة القصص (٢٨) : ٥٥.

٦ - سورة الفرقان (٢٥) : ٧٢.

٧ - سورة النور (٢٤) : ٣٠.

الفصل الثاني : بين الايمان والعمل

أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى عَوْرَاتِهِمْ، وَأَنْ يَنْظُرَ الْمَرْءُ إِلَى فَرْجِ أَخِيهِ، وَيَحْفَظَ فَرْجَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ؛ وَقَالَ: «وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ»^١ مِنْ أَنْ تَنْظُرَ إِحْدَاهُنَّ إِلَى فَرْجِ أُخْتِهَا، وَتَحْفَظَ فَرْجَهَا مِنْ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا. وَقَالَ^٢: كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنْ حِفْظِ الْفَرْجِ فَهُوَ مِنَ الزَّانَا إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ، فَإِنَّهَا مِنَ النَّظْرِ. ثُمَّ نَظَّمَ مَا فَرَضَ عَلَى الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ فِي آيَةٍ أُخْرَى فَقَالَ: «وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ»،^٣ يَعْنِي بِالْجُلُودِ: الْفُرُوجَ وَالْأَفْخَادَ. وَقَالَ: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا»^٤؛ فَهَذَا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْعَيْنَيْنِ، مِنْ غَضِّ الْبَصْرِ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَهُوَ عَمَلُهُمَا، وَهُوَ مِنَ الْإِيمَانِ.

[هـ - إيمان اليد وعملها]

وَفَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْيَدَيْنِ أَنْ لَا يَبِطِشَ بِهِمَا إِلَى مَا حَرَّمَ اللَّهُ، وَأَنْ يَبِطِشَ بِهِمَا إِلَى مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَفَرَضَ عَلَيْهِمَا مِنَ الصَّدَقَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالطَّهْوَرِ لِلصَّلَاةِ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ»^٥. وَقَالَ: «فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ، حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ

١ - سورة النور (٢٤) : ٣١.

٢ - يعني: الامام الصادق «ع».

٣ - سورة فصلت (٤١) : ٢٢.

٤ - سورة الاسراء (١٧) : ٣٦.

٥ - سورة المائدة (٥) : ٦.

أوزارها»^١؛ فهذا ما فرض الله على اليدين، لأنَّ الضربَ من علاجِهما.

[و- ايمانُ الرَّجُلِ وعملُها]

وفرضَ على الرَّجُلَيْنِ أن لا يمشيَ بهما الى شيءٍ من معاصي الله، وفرضَ عليهما المشيَ الى ما يُرضي الله عز وجل فقال: «ولا تمشِ في الأرضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأرضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً»^٢ وقال: «واقصِدْ في مَشِيكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأصواتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ»^٣ وقال فيما شَهِدَتِ الأيدي والأرجُلُ على أنفسِهما وعلى أربابِهما، مِن تَضْيِيعِهما لِمَا أَمَرَ اللهُ عز وجل بِهِ وفرضَهُ عليهما: «اليومَ نَخِمْ على أفواهِهِم وتُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُم وتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»^٤؛ فهذا أيضاً ممَّا فرضَ اللهُ على اليدينِ وعلى الرَّجُلَيْنِ، وهو عَمَلُهُما، وهو مِن الايمان.

[ز- ايمانُ الوجهِ وعملُهُ]

وفرضَ على الوجهِ السُّجودَ لَهُ بالليلِ والنَّهارِ، في مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ فقال: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^٥؛ فهذه فريضةٌ جامعةٌ على الوجهِ واليدينِ والرَّجُلَيْنِ. وقال

١ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٤.

٢ - سورة الاسراء (١٧) : ٣٧.

٣ - سورة لقمان (٣١) : ١٩.

٤ - سورة يس (٣٦) : ٦٥.

٥ - سورة الحج (٢٢) : ٧٧.

الفصل الثاني : بين الايمان والعمل

في موضعٍ آخَرَ: «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»^١. وقال فيما فَرَضَ عَلَى الْجَوَارِحِ مِنَ الطَّهْوَرِ وَالصَّلَاةِ بِهَا، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا صَرَفَ نَبِيَّهُ «ص» إِلَى الْكَعْبَةِ عَنِ الْبَيْتِ الْمَقْدِسِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ»^٢. فَسَمَّى الصَّلَاةَ إِيمَانًا.

فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَافِظًا لِجَوَارِحِهِ، مُوفِّيًّا كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهَا، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَكْمِلًا لِإِيمَانِهِ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَمَنْ خَانَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، أَوْ تَعَدَّى مَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا، لَقِيَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ نَاقِصَ الْإِيمَانِ.

[ح - الايمان الافضل]

(قال راوي الحديث:) قلت: قد فهمتُ نُقْصَانَ الْإِيمَانِ وَتَمَامَهُ فَمِنْ أَيْنَ جَاءَتْ زِيَادَتُهُ؟ فَقَالَ: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ»^٣ وقال: «نَحْنُ نُقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى»^٤. وَلَوْ كَانَ كُلُّهُ وَاحِدًا لَا زِيَادَةَ فِيهِ وَلَا نُقْصَانَ، لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْهُمْ فَضْلٌ عَلَى الْآخَرِ، وَلَا سَتَوَاتٍ النَّعْمُ فِيهِ، وَلَا سَتَوَى النَّاسِ، وَبَطَلَ التَّفْضِيلُ. وَلَكِنْ بِتَمَامِ الْإِيمَانِ دَخَلَ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ، وَبِالزِّيَادَةِ فِي الْإِيمَانِ تَفَاضَلَ

١ - سورة الجن (٧٢) : ١٨.

٢ - سورة البقرة (٢) : ١٤٣.

٣ - سورة التوبة (٩) : ١٢٤ - ١٢٥.

٤ - سورة الكهف (١٨) : ١٣.

- المؤمنون بالدرجاتِ عندالله، وبالتقصانِ دَخَلَ الْمُفْرَطُونَ النَّارَ.^١
- ٤ الامام علي «ع» - سُئِلَ عَنْهُ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ أَمْ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ؟ فَقَالَ:
الْإِيمَانُ تَصَدِيقٌ بِالْجَنَانِ، وَاقْرَارٌ بِالْأَرْكَانِ. وَهُوَ عَمَلٌ كُلُّهُ..^٢
- ٥ الامام الصادق «ع» - قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمٍ: سَأَلْتُهُ عَنِ الْإِيمَانِ، فَقَالَ: شَهَادَةٌ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ [وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ]، وَالْإِقْرَارُ بِمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَمَا اسْتَقَرَّ
فِي الْقُلُوبِ مِنَ التَّصَدِيقِ بِذَلِكَ. قَالَ: قُلْتُ: الشَّهَادَةُ أَلَيْسَتْ عَمَلًا؟ قَالَ:
بَلَى. قُلْتُ: الْعَمَلُ مِنَ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: نَعَمْ، الْإِيمَانُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِعَمَلٍ،
وَالْعَمَلُ مِنْهُ. وَلَا يَثْبُتُ الْإِيمَانُ إِلَّا بِعَمَلٍ..^٣
- ٦ الامام الصادق «ع»: مَلْعُونٌ مَلْعُونٌ مَنْ قَالَ: الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ..^٤
- ٧ الامام الهادي «ع» - عَنْ آبَائِهِ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ «ص»:
يَا عَلِيُّ! أَكْتُبْ! فَقُلْتُ: مَا أَكْتُبُ؟ فَقَالَ: أَكْتُبُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.
الْإِيمَانُ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ، وَصَدَّقْتَهُ الْأَعْمَالُ؛ وَالْإِسْلَامُ مَا جَرَى عَلَى
اللِّسَانِ، وَحَلَّتْ بِهِ الْمُنَاكِحَةُ..^٥
- ٨ النبي «ص»: .. الْمَعَادُ مِضْمَارُ الْعَمَلِ..^٦
- ٩ الامام الرضا «ع»: .. إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ قَرَابَةٌ، وَلَا يُنَالُ وَلَايَةُ اللَّهِ إِلَّا
بِالطَّاعَةِ. وَلَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»: «لَبِنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: «أَيْتُونِي بِأَعْمَالِكُمْ

١ - الكافي ٢ / ٣٣ - ٣٧.

٢ - البحار ٦٩ / ٧٤.

٣ - الكافي ٢ / ٣٨.

٤ - البحار ٦٩ / ١٩، عن «كنز الفوائد».

٥ - البحار ٥٠ / ٢٠٨؛ وقريب منه ما في الكافي ٢ / ٢٦.

٦ - البحار ٧٧ / ١٨٣، عن «اعلام الدين».

الفصل الثاني : بين الايمان والعمل

لا بأحسابكم وأنسابكم. قَالَ اللهُ تَعَالَى: "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدِينَ" ^١، ^٢.

١٠ الامام علي «ع»: لَأَنْسَبَنَّ الْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسَبْهُ أَحَدٌ قَبْلِي، وَلَا يَنْسَبْهُ أَحَدٌ بَعْدِي: الْإِسْلَامُ هُوَ التَّسْلِيمُ، وَالتَّسْلِيمُ هُوَ التَّصَدِيقُ، وَالتَّصَدِيقُ هُوَ الْيَقِينُ، وَاليَقِينُ هُوَ الْأَدَاءُ، وَالْأَدَاءُ هُوَ الْعَمَلُ ^٣.

١ - سورة المؤمنون (٢٣): ١٠١ - ١٠٣.

٢ - عيون اخبار الرضا ٢ / ٢٣٥.

٣ - البحار ٦٨ / ٣٠٩؛ ايضا: الكافي ٢ / ٤٥ - مع اختلاف يسير.

الفصل الثالث

العمل، كيف، لا كم

أ - العمل الحسن

الكتاب

- ١ إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنُ عَمَلًا *^١
- ٢ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا، لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا *^٢
- ٣ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ، لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ..^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ.^٤

١ - سورة الكهف (١٨) : ٣٠.

٢ - سورة الكهف (١٨) : ٧.

٣ - سورة الملك (٦٧) : ٢.

٤ - نهج البلاغة / ١١٢٢ : عبده ٣ / ١٦٨.

الامام علي «ع» : النَّاسُ أَبْنَاءُ مَا يُحْسِنُونَ^١.

٢

* يعنى: كما أَنَّ النَّاسَ مَنْسُوبٌ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى أَبِي وَجَدٍ وَعِرْقٍ بِهِ يُعْرَفُ، فَإِنَّ الصَّنْعَةَ وَالْمِهْنَةَ وَالْعِلْمَ وَالِاخْتِصَاصَ، الَّتِي مَهَّرَ فِيهَا الْإِنْسَانَ وَتَعَلَّمَهَا جَيِّدًا وَأَحْسَنَ فَعَلَهَا، تُصْبِحُ لَهُ كَاصِلٍ وَأَبٍ وَعِرْقٍ أَيْضًا؛ وَالنَّاسُ كَمَا أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ آبَائِهِمْ وَبِهِمْ يُعْرَفُونَ، فَهَمَّ أَبْنَاءُ فَنُونِهِمْ وَصِنَائِعِهِمْ وَقِيمَتِهَا الْكَيْفِيَّةُ مِنْ حَيْثُ الْحَسَنُ وَالِاتِّقَانُ وَالْجُودَةُ، فَالِيهَا يُنْسَبُونَ وَبِهَا يُعْرَفُونَ فَيُقَالُ: طَبِيبٌ حَازِقٌ، أَوْ صَنَاعٌ مَاهِرٌ، أَوْ فَنَانٌ بَارِعٌ، أَوْ رِيَاضِيٌّ كَبِيرٌ، أَوْ مَدِيرٌ جَيِّدٌ، أَوْ كَاتِبٌ عَبْقَرِيٌّ، أَوْ مَهْنَدِسٌ نَابِعٌ، أَوْ فَلَاحٌ سَاعٍ.

وهذا الكلام من الامام علي بن ابي طالب «ع»، تأكيد بالغ على الاهمية الكيفية للعمل والحرفة والصناعة والفن ، يعنى ان القيمة الفعلية انما هي بالكيفية لا الكمية، فهو تأكيد على الاختصاصية واهميتها التي لا تقبل البدل.

الامام السجاد «ع» : .. وَأَعِنِّي عَلَى صَالِحِ النِّيَّةِ، وَمَرْضِيَّ الْقَوْلِ، وَمُسْتَحْسِنِ الْعَمَلِ^٢.

٣

الامام الصادق «ع» - في قولِ الله عَزَّ وَجَلَّ: «لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا^٣»، قَالَ: لَيْسَ يَعْنِي أَكْثَرَ عَمَلًا، وَلَكِنْ أَصْوَبَكُمْ عَمَلًا. وَإِنَّمَا الْإِصَابَةُ خَشْيَةُ اللَّهِ، وَالنِّيَّةُ الصَّادِقَةُ.. ثُمَّ قَالَ: الْإِبْقَاءُ عَلَى الْعَمَلِ حَتَّى يَخْلُصَ أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ. وَالْعَمَلُ الْخَالِصُ: الَّذِي لَا تُرِيدُ أَنْ يَحْمَدَكَ عَلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

٤

١ - الارشاد / ١٤٢.

٢ - الصحيفة السجادية / ٣٥٠ (الدعاء ٤٧).

٣ - سورة هود (١١) : ٧: سورة الملك (٦٧) : ٢.

وَالنِّيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِ . أَلَا وَإِنَّ النِّيَّةَ هِيَ الْعَمَلُ . ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ عَزَّ وَجَلَّ : « قُلْ :
كُلُّ يَعْمَلُ عَلَيَّ شَاكِلَتِهِ ^١ » ، يَعْنِي عَلَيَّ نِيَّتِهِ ^٢ .

ب - العمل مع التقوى

الكتاب

١ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ، أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؟ ^٣ ..

الحديث

١ النبي «ص» : يَا أَبَا ذَرٍّ! كُنْ بِالْعَمَلِ بِالتَّقْوَى أَشَدَّ اهْتِمَامًا مِنْكَ بِالْعَمَلِ، فَإِنَّهُ
لَا يَقِلُّ عَمَلٌ بِالتَّقْوَى. وَكَيْفَ يَقِلُّ عَمَلٌ يُتَقَبَلُ؟ ^٤ ..

٢ الامام علي «ع» : لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ التَّقْوَى. ^٥

١ - سورة الاسراء (١٧) : ٨٤ .

٢ - الكافي ٢ / ١٦ .

٣ - سورة التوبة (٩) : ١٠٩ .

٤ - مكارم الاخلاق / ٥٥٥ .

٥ - نهج البلاغة / ١١٢٩ : عبده ٣ / ١٧١ .

٣ الامام الصادق «ع» : أوصيك بتقوى الله، والورع، والاجتهاد؛ واعلم أنه لا ينتفع اجتهاداً لا ورع فيه.^١

ج - جوهر العمل

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : رَبُّ يَسِيرٍ أُنْمَى مِنْ كَثِيرٍ.^٢
- ٢ الامام علي «ع» : قَدْ يَنْمِي الْقَلِيلُ فَيَكْثُرُ، وَيَضْمَحِلُّ الْكَثِيرُ فَيَذْهَبُ.^٣
- ٣ الامام الصادق «ع» : يَا حُمْرَانُ! .. إِعْلَمْ أَنَّ الْعَمَلَ الدَّائِمَ الْقَلِيلَ عَلَى الْيَقِينِ أَفْضَلُ عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْعَمَلِ الْكَثِيرِ عَلَى غَيْرِ يَقِينٍ.^٤
- ٤ الامام علي «ع» : شَتَّانَ بَيْنَ عَمَلَيْنِ: عَمَلٍ تَذْهَبُ لَدُّهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَوْوَنَتُهُ وَيَبْقَى أَجْرُهُ.^٥

د - السداد في العمل

١ - الوسائل ١١ / ١٩٢ .
٢ - نهج البلاغة / ٩٣١ : عبده ٣ / ٥٩ .
٣ - البحار ٧٨ / ١٢ ، عن «مطالب السؤل» .
٤ - الاختصاص / ٢٢٢ .
٥ - نهج البلاغة / ١١٤٣ : عبده ٣ / ١٧٥ .

٥ الامام الصادق «ع» - عن النبي «ص» : سَلُوا اللَّهَ السَّدَادَ، وَسَلُّوهُ مَعَ السَّدَادِ
سَدَادَ الْعَمَلِ ١.

هـ - إحكام العمل

١ الامام الصادق «ع» : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» : إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ سَيَبْلِي وَيَصِلُ
الْبَلِيَّ إِلَيْهِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ عَبْدًا إِذَا عَمِلَ عَمَلًا أَحْكَمَهُ ٢.

* هذا الكلام من حديثٍ رواه عبدُ اللهِ بنُ سنان، عن الامام
ابي عبدالله جعفر الصادق «ع». واليك نبذةً منه: «أَتَيْ رَسُولُ
اللَّهِ «ص» فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ قَدِمَات. فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ وَقَامَ
اصحابه معه، فامر بغسلِ سعدٍ وهو قائم على عِضَادَةِ الباب، فَلَمَّا أَنْ
حُنْطَ وَكُفِنَ وَحُمِلَ عَلَى سَرِيرِهِ، تَبِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ «ص» بِلَا حِذَاءٍ وَلَا
رِدَاءٍ، ثُمَّ كَانَ يَأْخُذُ يَمَنَةَ السَّرِيرِ مَرَّةً وَيَسْرَةَ السَّرِيرِ مَرَّةً، حَتَّى انْتَهَى بِهِ
إِلَى الْقَبْرِ. فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» حَتَّى لَحَدَّهُ وَسَوَّى اللَّبِينَ عَلَيْهِ
وَجَعَلَ يَقُولُ: نَاوِلُونِي حَجْرًا، نَاوِلُونِي تَرَابًا رَطْبًا، يَسُدُّ بِهِ مَا بَيْنَ
اللَّبِينِ، فَلَمَّا أَنْ فَرَّغَ وَحَثَا التُّرَابَ عَلَيْهِ وَسَوَّى قَبْرَهُ، قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ «ص»: إِنِّي لَأَعْلَمُ ..

و - البعث على العمل

١ - المستدرك ١ / ٣٦٠.

٢ - امالي الصدوق / ٣٤٤.

الفصل الثالث : العمل، كيف، لا كم

- ١ الامام علي «ع»: أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ.^١
- ٢ الامام علي «ع»: إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَعْمَلَانِ فِيكَ، فَأَعْمَلْ فِيهِمَا..^٢

* راجع ايضاً: الفصلين : الرَّابِعَ والعشرين والخامسَ والعشرين، من هذا الباب .

١ - غرر الحكم / ١٢٠ .

٢ - نهج البلاغة / ١١٩٦؛ عبده ٣ / ٢٠٧ .

الفصلُ الرَّابِعُ

الطَّرِيقُ الوَسْطُ (الصُّورَةُ الطَّبِيعِيَّةُ لِلْعَمَلِ)

الكتاب

- ١ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ، وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ، فَتَقْعُدَ مَلُومًا
مَحْسُورًا*^١
- ٢ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا، لَمْ يُسْرِفُوا، وَلَمْ يَقْتُرُوا، وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا*^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا.^٣
- ٢ الامام علي «ع»: .. الْيَمِينُ وَالشَّمَالُ مَضَلَّةٌ، وَالطَّرِيقُ الْوَسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ،
عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَأَثَارُ النَّبُوءَةِ، وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ، وَالْيَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ ..^٤

١ - سورة الاسراء (١٧) : ٢٩ .

٢ - سورة الفرقان (٢٥) : ٦٧ .

٣ - البحار ٧٧ / ١٦٦ ، عن «غوالي اللثالي» .

٤ - نهج البلاغة / ٦٩ : عبده ١ / ٤٦ .

الفصل الخامس

الاقدام ينفي الخوف

الحديث

١ الامام علي «ع»: إذا هبتَ أمراً فقعَ فيه، فإنَّ شِدَّةَ تَوَقُّيهِ أعظمُ ممَّا تخافُ منه١.

١ - نهج البلاغة / ١١٦٩: عبده ٣ / ١٩٤.

الفصل السادس

تصفية العمل

الكتاب

- ١ وُقِلَ : رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ، وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ، وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا *^١
- ٢ وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *^٢
- ٣ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ، فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ..^٣
- ٤ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ *^٤
- ٥ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ؟ *^٥

١ - سورة الاسراء (١٧) : ٨٠.

٢ - سورة التوبة (٩) : ١٠٢.

٣ - سورة الزمر (٣٩) : ٢ - ٣.

٤ - سورة الصافات (٣٧) : ١٢٦ - ١٢٨.

٥ - سورة الصافات (٣٧) : ٧٣ - ٧٤.

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ أَشَدُّ مِنْ الْعَمَلِ.^١
- ٢ الامام علي «ع» : تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ خَيْرٌ مِنَ الْعَمَلِ.^٢
- ٣ الامام الصادق «ع» : الْإِبْقَاءُ عَلَى الْعَمَلِ حَتَّى يَخْلُصَ، أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ.^٣
- ٤ الامام علي «ع» : لَنْ يَصْفُوَ الْعَمَلُ حَتَّى يَصِحَّ الْعِلْمُ.^٤
- ٥ الامام علي «ع» : أَخْلَصُ تَنَلُ.^٥
- ٦ الامام الصادق «ع» - من حديث «جُنُودِ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ»: .. الْإِخْلَاصُ وَضِدُّهُ الشُّوبُ.^٦
- ٧ الامام السجاد «ع» : .. لَا تُحْبِطُ حَسَنَاتِي بِمَا يَشُوبُهَا مِنْ مَعْصِيَتِكَ.^٧
- ٨ الامام السجاد «ع» : أَللَّهُمَّ وَأَيُّمَا غَازٍ غَزَاهُمْ مِنْ أَهْلِ مِلَّتِكَ، أَوْ مُجَاهِدٍ جَاهَدَهُمْ مِنْ أَتْبَاعِ سُنَّتِكَ، لِيَكُونَ دِينُكَ الْأَعْلَى، وَحِزْبُكَ الْأَقْوَى، وَحَظُّكَ الْأَوْفَى، فَلَقِّهِ الْيُسْرَ .. وَسَدِّدْهُ فِي الْحُكْمِ، وَأَعْرِزْ عَنْهُ الرِّيَاءَ، وَخَلِّصْهُ مِنَ السُّمْعَةِ، وَاجْعَلْ فِكْرَهُ وَذِكْرَهُ وَظَعْنَهُ وَإِقَامَتَهُ فِيكَ وَلَكَ.^٨

١ - الكافي ٨ / ٢٤.

٢ - البحار ٧٨ / ٩٠، عن «كنز الفوائد».

٣ - الكافي ٢ / ١٦.

٤ - غرر الحكم / ٢٥٥.

٥ - غرر الحكم / ٦٠.

٦ - الكافي ١ / ٢٢.

٧ - الصحيفة السجادية / ٣٥٨ (الدعاء ٤٧).

٨ - الصحيفة السجادية / ١٨٧ (الدعاء ٢٧).

٩ النبي «ص» - عن ابي ذرّ الغفاري: قال رسولُ الله «ص»: إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً، وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِخْلَاصِ حَتَّى لَا يُحِبَّ أَنْ يُحَمَدَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عَمَلٍ لِلَّهِ.^١

الفصل السابع

استمرار العمل وإتمامه والاستقامة فيه

الكتاب

- ١ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا، فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *^١
- ٢ وَأَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ، لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا *^٢
- ٣ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ..^٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: الأمور بِتَمَامِهَا، وَالْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا.^٤
- ٢ الامام علي «ع»: قَلِيلٌ تَدْوُمٌ عَلَيْهِ، أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ.^٥

١ - سورة الاحقاف (٤٦): ١٣.

٢ - سورة الجن (٧٢): ١٦.

٣ - سورة الشورى (٤٢): ١٥.

٤ - البحار ٧٧ / ١٦٥، عن «غوالي اللثالي»: قرب الاسناد / ١٩.

٥ - نهج البلاغة / ١٢٢٢: عبده ٣ / ٢٢١.

٣ الامام الباقر «ع» : أَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَاوَمَ الْعَبْدُ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَلَّ^١.

٤ النبي «ص» - مِنْ خُطْبَةٍ أَلْقَاهَا بِثَنِيَّةِ الْوَدَاعِ، لَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى تَبُوكَ : .. الأَمْرُ إِلَى آخِرِهِ، وَمِلَاكُ الْعَمَلِ خَوَاتِيمُهُ^٢.

٥ عيسى المسيح «ع» - أَبُو فَرَوَةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: قَالَ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ: يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ! بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ، إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْبِنَاءَ بِأَسَاسِهِ، وَأَنَا لَا أَقُولُ لَكُمْ كَذَلِكَ. قَالُوا: فَمَاذَا تَقُولُ يَا رُوحَ اللَّهِ؟ قَالَ: بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ، إِنَّ آخِرَ حَجَرٍ يَضَعُهُ الْعَامِلُ هُوَ الْأَسَاسُ. قَالَ أَبُو فَرَوَةَ: إِنَّمَا إِرَادَ خَاتِمَةَ الْأَمْرِ^٣.

٦ الامام علي «ع» : تَمَامُ الْعَمَلِ اسْتِكْمَالُهُ^٤.

٧ الامام الباقر «ع» : الْإِبْقَاءُ عَلَى الْعَمَلِ، أَشَدُّ مِنَ الْعَمَلِ^٥.

٨ الامام علي «ع» : لَيْسَ فِي الْبَرَقِ الْخَاطِفِ مُسْتَمْتَعٌ لِمَنْ يَخْوِضُ فِي الظُّلْمَةِ^٦.

* يَقْصِدُ الْإِمَامُ بِهَذَا الْكَلَامِ، أَنَّ الْأَعْمَالَ الْمُنْقَطِعَةَ وَغَيْرَ الْمُسْتَمِرَّةِ، لَا تَتَرْتَّبُ عَلَيْهَا نَتِيجَةٌ وَلَا تَحْصُلُ مِنْهَا فَائِدَةٌ هَامَّةٌ.

١ - الوسائل ١ / ٧٠.

٢ - الاختصاص / ٣٣٩.

٣ - معاني الاخبار ٢ / ٣٣١.

٤ - غرر الحكم / ١٥٣.

٥ - الكافي ٢ / ٢٩٦.

٦ - الكافي ٨ / ٢٣.

الفصل الثامن

العمل، لا الأمل

الكتاب

- ١ ذَرُّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهُمُ الْأَمَلُ، فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ *^١
- ٢ يُنَادُونَهُمْ : أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ، حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ، وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : .. صار اولياء الله الى الاجر بالصبر، والى الأمل بالعمل.^٣
- ٢ الامام السجاد «ع» : .. وَلَمْ يُلْهِهِمُ الْأَمَلُ عَنِ الْعَمَلِ ..^٤

١ - سورة الحجر (١٥) : ٣.

٢ - سورة الحديد (٥٧) : ١٤.

٣ - تحف العقول / ١٥٧.

٤ - الصحيفة السجادية / ٢٦٨ (الدعاء ٤٢).

- ٣ الامام علي «ع» : يا هَمَّام! المؤمنُ هُوَ الكَيِّسُ الفَظِنُ .. دائماً نشاطُهُ، قريباً
أمله^١.
- ٤ الامام علي «ع» : نِعَمَ عَوْنُ العَمَلِ، قَصْرُ الأَمَلِ^٢.
- ٥ الامام علي «ع» : .. خُذْ بِالثَّقَةِ مِنَ العَمَلِ! وَايَاكَ وَالْاِغْتِرَارَ بِالْأَمَلِ! وَلَا تُدْخِلْ
عَلَيْكَ اليَوْمَ هَمَّ غَدٍ. يَكْفِي اليَوْمَ هَمُّهُ، وَغَدٌ دَاخِلٌ عَلَيْكَ بِشُغْلِهِ. إِنَّكَ إِنْ
حَمَلْتَ عَلَى اليَوْمِ هَمَّ غَدٍ زِدْتَ فِي حُزْنِكَ وَتَعَبِكَ وَتَكَلَّفْتَ أَنْ تَجْمَعَ فِي
يَوْمِكَ مَا يَكْفِيكَ أَيَّاماً، فَعَظُمَ الحُزْنُ، وَزَادَ الشُّغْلُ، وَاشْتَدَّ التَّعَبُ، وَضَعُفَ
العَمَلُ لِلْأَمَلِ. وَلَوْ أَخْلَيْتَ قَلْبَكَ مِنَ الأَمَلِ، لَجَدَدْتَ فِي العَمَلِ^٣.
- ٦ الامام علي «ع» : لَا تُكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الآخِرَةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ، وَيَرْجُو التَّوْبَةَ بِطَوْلِ
الأَمَلِ، يَقُولُ فِي الدُّنْيَا قَوْلَ الزَّاهِدِينَ، وَيَعْمَلُ فِيهَا عَمَلَ الرَّاغِبِينَ .. ثُمَّ
يُبَالِغُ فِي المَسْأَلَةِ حِينَ يَسْأَلُ، وَيُقَصِّرُ فِي العَمَلِ؛ فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ، وَمِنَ
العَمَلِ مُقِلٌّ، يَرْجُو نَفْعَ عَمَلٍ مَا لَمْ يَعْمَلْهُ^٤.
- ٧ الامام علي «ع» : مَنْ أَطَالَ الأَمَلَ، أَسَاءَ العَمَلَ^٥.
- ٨ الامام علي «ع» : مَنْ اتَّسَعَ أَمَلُهُ، قَصَرَ عَمَلُهُ^٦.

١ - الكافي ٢ / ٢٢٦، و ٢٣٠.

٢ - غرر الحكم / ٣٢٠.

٣ - البحار ٧٣ / ١١٢.

٤ - تحف العقول / ١١٠.

٥ - نهج البلاغة / ١١٠٣: عبده ٣ / ١٦٠.

٦ - الارشاد / ١٤٤.

الفصل التاسع

العمل طريق المعرفة

الكتاب

- ١ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ١..
- ٢ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ * ٢
- ٣ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ، لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.. ٣

الحديث

- ١ النبي «ص»: مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ، وَرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. ٤

١ - سورة البقرة (٢) : ٢٨٢.

٢ - سورة الحجر (١٥) : ٩٩.

٣ - سورة الطلاق (٦٥) : ١١.

٤ - البحار ٤٠ / ١٢٨.

- ٢ الامام علي «ع» : الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ.^١
- ٣ الامام علي «ع» : مَا عَلِمَ مَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِعِلْمِهِ.^٢
- ٤ الامام علي «ع» : مِلَاكُ الْعِلْمِ الْعَمَلُ بِهِ.^٣
- ٥ الامام علي «ع» : عَلِمُ الْمُؤْمِنِ فِي عَمَلِهِ.^٤
- ٦ الامام علي «ع» : الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ، فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ. وَالْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ، وَالْأَرْضُ تَحَلَّ عَنْهُ.^٥
- ٧ الامام الباقر «ع» : لَا يُقْبَلُ عَمَلٌ إِلَّا بِمَعْرِفَةٍ، وَلَا مَعْرِفَةٌ إِلَّا بِعَمَلٍ.^٦

١ - غرر الحكم / ١٥.

٢ - غرر الحكم / ٣٠٨.

٣ - غرر الحكم / ٣١٥.

٤ - غرر الحكم / ٢٢٠.

٥ - نهج البلاغة / ١٢٥٦؛ عبده ٣ / ٢٣٩.

٦ - تحف العقول / ٢١٥.

الفصلُ العاشرُ

العمل، ثمّ القول

الكتاب

- ١ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ، وَإِنَّكُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟ *^١
- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ؟ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ! *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: يا علي! لا خيرَ في قولٍ إلّا معَ الفعلِ.^٣
- ٢ النبي «ص»: يا ابنَ مسعود! فلا تكنَ ممَّن يُشَدِّدُ على الناسِ وَيُخَفِّفُ على

١ - سورة البقرة (٢): ٤٤.

٢ - سورة الصف (٦١): ٢ - ٣.

٣ - مكارم الاخلاق / ٥١٧.

- نفسه، يقولُ اللهُ تعالى: «لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ»^١.
- ٣ النبي «ص»: يا ابنَ مسعود! لا تكونَنَّ مِمَّنْ يَهْدِي النَّاسَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُهُمُ بِالْخَيْرِ، وَهُوَ غَافِلٌ عَنْهُ، يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: «اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ؟...»^٢.
- ٤ الامام الباقر «ع» - عن أبيه: .. ما أَكثَرَ الوصفَ وأقلَّ الفعلَ؟ إنَّ أهلَ الفعلِ قليلٌ! إنَّ أهلَ الفعلِ قليلٌ! ألا وإنا لنَعْرِفُ أهلَ الفعلِ والوصفِ معاً..^٣
- ٥ الامام الصادق «ع» - سأله الراوي عن هذه الآية: «اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ؟» فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى حَلْقِهِ قَالَ: كَالذَّابِحِ نَفْسَهُ.^٤
- ٦ الامام علي «ع»: .. يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاعِبِينَ .. يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي، وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي .. فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ وَمِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ ..^٥
- ٧ الامام الصادق «ع»: ما جَعَلَ اللهُ عز وجل بَسَطَ اللِّسَانِ وكَفَّ اليَدِ، وَلَكِنْ جَعَلَهُمَا يُبَسِّطَانِ مَعاً وَيُكْفَيَانِ مَعاً.^٦
- ٨ الامام علي «ع»: غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ، وَغَضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ.^٧
- ٩ الامام علي «ع»: لَنْ يُجِدِيَ الْقَوْلُ حَتَّى يَتَّصِلَ بِالْفِعْلِ.^٨

١ و ٢ - مكارم الاخلاق / ٥٣٨ و ٥٣٧.

٣ - الكافي / ٨ / ٢٢٧.

٤ - تفسير العياشي / ١ / ٤٣.

٥ - نهج البلاغة / ١١٦٠؛ عبده / ٣ / ١٨٩.

٦ - الوسائل / ١١ / ١٠٩.

٧ - البحار / ١ / ١٦٠، عن «كنز الفوائد».

٨ - غرر الحكم / ٢٥٥.

- ١٠ الامام علي «ع»: بِحُسْنِ الْعَمَلِ تُجْنَى ثَمَرَةُ الْعِلْمِ، لَا بِحُسْنِ الْقَوْلِ.^١
- ١١ الامام الكاظم «ع»: يَا هِشَامُ! .. الْمُؤْمِنُ قَلِيلُ الْكَلَامِ، كَثِيرُ الْعَمَلِ. وَالْمُنَافِقُ كَثِيرُ الْكَلَامِ، قَلِيلُ الْعَمَلِ.^٢
- ١٢ الامام علي «ع»: .. يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ، لَا يَدْعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أُمَّهَا، وَلَا مَظْنَةً إِلَّا قَصْدَهَا.^٣
- ١٣ الامام الصادق «ع» - قَالَ الْمَفْضَلُ بْنُ عَمْرِو: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ: بِمَ يُعْرَفُ النَّاجِي؟ فَقَالَ: مَنْ كَانَ فَعْلُهُ لِقَوْلِهِ مُوَافِقًا فَهُوَ نَاجٍ. وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فَعْلُهُ لِقَوْلِهِ مُوَافِقًا فَإِنَّمَا ذَلِكَ مُسْتَوْدَعٌ.^٤
- ١٤ الامام الصادق «ع»: إِنَّ الْحَسْرَةَ وَالنَّدَامَةَ وَالْوَيْلَ كُلَّهُ لِمَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِمَا أَبْصَرَ، وَمَنْ لَمْ يَدْرِ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ مُقِيمٌ، أَنْفَعُ هُوَ لَهُ أَمْ ضَرَّرَ؟ قَالَ (المفضل): قُلْتُ: فَبِمَا يُعْرَفُ النَّاجِي؟ قَالَ: مَنْ كَانَ فَعْلُهُ لِقَوْلِهِ مُوَافِقًا، فَاتَّبَتْ لَهُ الشَّهَادَةُ بِالنَّجَاةِ؛ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فَعْلُهُ لِقَوْلِهِ مُوَافِقًا، فَإِنَّمَا ذَلِكَ مُسْتَوْدَعٌ.^٥
- ١٥ الامام علي «ع»: أَوْضَعَ الْعِلْمَ مَا وَقَفَ عَلَى اللِّسَانِ، وَأَرْفَعَهُ مَا ظَهَرَ فِي الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ.^٦
- ١٦ الامام السجاد «ع»: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! وَأَرْزُقْنِي صِحَّةً فِي عِبَادَةٍ، وَفِرَاقًا فِي زَهَادَةٍ، وَعِلْمًا فِي اسْتِعْمَالٍ، وَوَرَعًا فِي إِجْمَالٍ.^٧

١ - غرر الحكم / ١٤٧.

٢ - تحف العقول / ٢٩٣.

٣ - نهج البلاغة / ٢١١؛ عبده / ١ / ١٥١.

٤ - الوسائل / ١١ / ٤١٩.

٥ - البحار / ٦٩ / ٢١٨، عن «المحاسن».

٦ - نهج البلاغة / ١١٢٧؛ عبده / ٣ / ١٧٠.

٧ - الصحيفة السجادية / ١٤٠ (الدعاء ٢٠).

الفصلُ الحادي عشر

العمل الحقّ يذهب بالباطل

الكتاب

- ١ وأَقِمِ الصَّلَاةَ، طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ، إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ،
ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّاكِرِينَ *^١
- ٢ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ، وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ، وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا
وَعَلَانِيَةً، وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ، أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ *^٢

* احاديث هذا الباب، توجد في مظانها من هذا الكتاب

وسائر كتب الحديث.

١ - سورة هود (١١) : ١١٤.

٢ - سورة الرعد (١٣) : ٢٢.

الفصلُ الثاني عشر

الدَّعوةُ بالعمل

الكتاب

١ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا، مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟ * ١

الحديث

١ النبي «ص»: يا أباذرٍّ! مَثَلُ الَّذِي يَدْعُو بِغَيْرِ عَمَلٍ، كَمَثَلِ الَّذِي يَرْمِي بِغَيْرِ وَتَرٍ.^٢

٢ الامام الصادق «ع»: يا ابنَ جُنْدَبٍ! .. رَجِمَ اللَّهُ قَوْمًا كَانُوا سِرَاجًا وَمَنَارًا، كَانُوا دُعَاةً لَنَا بِأَعْمَالِهِمْ، وَمَجْهُودٍ طَاقَتِهِمْ..^٣

١ - سورة فضلت (٤١) : ٣٣.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٤٨.

٣ - تحف العقول / ٢٢١.

٣ الامام الصادق «ع»: كونوا دُعاةَ الناسِ بأعمالِكُمْ، ولا تكونوا دُعاةً
بألسِنَتِكُمْ.^١

٤ الامام علي «ع»: إنَّ الوعظَ الَّذي لا يُمجُّهُ سَمْعٌ، ولا يَعدُّ لَهُ نَفْعٌ، ما سَكَتَ عَنْهُ
لسانُ القولِ، ونَطَقَ بِهِ لسانُ الفِعلِ..^٢

١ - قرب الاسناد / ٥٢: راجع ايضاً: الكافي ٢ / ٧٨.

٢ - غرر الحكم / ١٠٧.

الفصل الثالث عشر

الانسان رهين الاعمال

الكتاب

- ١ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ *^١
- ٢ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى *^٢
- ٣ وَإِنْ كُلاًّ لَّمَّا لِيُوفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ، إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ *^٣
- ٤ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ، لَهَا مَا كَسَبَتْ، وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ..^٤
- ٥ .. وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ ..^٥

الحديث

-
- ١ - سورة المُدَّثِّر (٧٤) : ٣٨.
 - ٢ - سورة النجم (٥٣) : ٣٩.
 - ٣ - سورة هود (١١) : ١١١.
 - ٤ - سورة البقرة (٢) : ١٤١.
 - ٥ - سورة البقرة (٢) : ١٣٩.

- ١ الامام الصادق «ع» : لَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» مَكَّةَ، قَامَ عَلَى الصَّفَا فَقَالَ: يَا بَنِي هَاشِمٍ! يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ! إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، وَإِنِّي شَفِيقٌ عَلَيْكُمْ. لَا تَقُولُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا مِنَّا؛ فَوَا اللَّهُ مَا أَوْلِيَانِي مِنكُمْ وَلَا مِن غَيْرِكُمْ إِلَّا الْمُتَّقُونَ .. أَلَا وَإِنِّي قَدْ أَعَذَرْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَفِيمَا بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَبَيْنَكُمْ، وَإِنَّ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلَكُمْ.^١
- ٢ الامام علي «ع» : مَا أَصْدَقَ الْمَرْءَ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَيُّ شَاهِدٍ عَلَيْهِ كَفَعَلِهِ؟ وَلَا يُعْرِفُ الرَّجُلُ إِلَّا بِعَمَلِهِ، كَمَا لَا يُعْرِفُ الْغَرِيبُ مِنَ الشَّجَرِ إِلَّا عِنْدَ حُضُورِ الثَّمَرِ. فَتَدُلُّ الْأَثْمَارُ عَلَى أَصُولِهَا، وَيُعْرِفُ لِكُلِّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ. كَذَلِكَ يَشْرَفُ الْكَرِيمُ بِأَدَابِهِ، وَيَفْتَضِحُ اللَّئِيمُ بِرَذَائِلِهِ.^٢
- ٣ الامام علي «ع» : .. لِلْمَرْءِ مَا اكْتَسَبَ، وَهُوَ مَعَ مَنْ أَحَبَّ.^٣
- ٤ الامام الصادق «ع» : أَقْصُرْ نَفْسَكَ عَمَّا يَضُرُّهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُفَارِقَكَ، وَاسْعَ فِي فَكَاكِهَا كَمَا تَسْعَى فِي طَلَبِ مَعِيشَتِكَ، فَإِنَّ نَفْسَكَ رَهِينَةٌ بِعَمَلِكَ.^٤
- ٥ الامام الصادق «ع» : دَعَا اللَّهُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا بِأَبَائِهِمْ لِيَتَعَارَفُوا، وَفِي الْآخِرَةِ بِأَعْمَالِهِمْ لِيُجَازَوْا، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا».^٥
- ٦ النبي «ص» : .. مَوْتُ الْإِنْسَانِ بِالذُّنُوبِ أَكْثَرُ مِنْ مَوْتِهِ بِالْأَجَلِ، وَحَيَاتُهُ بِالْبِرِّ أَكْثَرُ مِنْ حَيَاتِهِ بِالْعُمُرِ.^٦

١ - البحار ٩٦ / ٢٣٣، عن كتاب «صفات الشيعة».

٢ - غرر الحكم / ٣١٤.

٣ - البحار ١ / ١٧٩، عن «روضة الكافي».

٤ - الوسائل ١١ / ٢٣٦.

٥ - البحار ٧٨ / ٢٠٨، عن «كشف الغمة».

٦ - مكارم الاخلاق / ٤١٨.

الفصل الرابع عشر

العمل هو المقياس

الكتاب

- ١ وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِّمَّا عَمِلُوا، وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ *^١
- ٢ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ؟ *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: الْمَرْءُ يُوزَنُ بِقَوْلِهِ، وَيَقُومُ بِفِعْلِهِ؛ فَقُلْ مَا يَتَرَجَّحُ زَنْتُهُ، وَافْعَلْ مَا تَجِلُّ قِيَمَتُهُ.^٣
- ٢ الامام الصادق «ع»: لَا نَقُولُ دَرَجَةً وَاحِدَةً، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: «دَرَجَاتٌ بَعْضُهَا

١ - سورة الانعام (٦) : ١٣٢.

٢ - سورة آل عمران (٣) : ١٤٢.

٣ - غرر الحكم / ٤٣.

فوق بعض^١، «، إنما تفاضل القوم بالأعمال^٢.

٣ الامام الصادق «ع» : من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان آخر يوميه خيرهما فهو مغبوط، ومن كان آخر يوميه شرهما فهو ملعون. ومن لم ير الزيادة في نفسه فهو الى النقصان، ومن كان الى النقصان، فالموت خير له من الحياة^٣.

٤ الامام السجاد «ع» : أظهر اليأس من الناس، فإن ذلك من الغناء. وأقل طلب الحوائج اليهم، فإن ذلك فقر حاضر. وإياك وما يعتذر منه. وصل صلاة مؤدع. وإن استطعت أن تكون اليوم خيراً منك أمس، وغداً خيراً منك اليوم، فافعل^٤.

١ - اقتباس من سورة الانعام، الآية ١٦٥.

٢ - تفسير العياشي ١ / ٣٨٨.

٣ - الوسائل ١١ / ٣٧٦.

٤ - البحار ٧١ / ١٨٥، عن «مجالس المفيد».

الفصل الخامس عشر

من البواعث على العمل

الحديث

- ١ النبي «ص»: لا تحقروا شيئاً من الشرِّ، وإن صغرَ في أعينكم. ولا تستكثروا الخيرَ، وإن كثرَ في أعينكم.^١
- ٢ الامام علي «ع»: أوصيك أن لا يكوننَّ لعملِ الخيرِ عندك غايةٌ في الكثرة، ولا لعملِ الإثمِ عندك غايةٌ في القلة.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: إفعلوا الخيرَ ولا تحقروا منه شيئاً، فإنَّ صغيره كبيرٌ، وقليله كثيرٌ. ولا يقولنَّ أحدكم إنَّ أحداً أولى بفعلِ الخيرِ مني، فيكونَ والله كذلك..^٣
- ٤ النبي «ص»: إتق الله ولا تحقرنَّ شيئاً من المعروفِ..^٤
- ٥ الامام الرضا «ع»: لا تستكثروا كثيرَ الخيرِ.^٥

١ - البحار ٧٣ / ٣٥٥، عن «امالي الصدوق».

٢ - تحف العقول / ١٥٠.

٣ - نهج البلاغة / ١٢٨٤؛ عبده ٣ / ٢٥٤.

٤ - البحار ٧٤ / ٣٥٥، عن «كنز الفوائد».

٥ - الوسائل ١ / ٧٢.

٦ الامام الكاظم «ع» : يا هِشام! كان امير المؤمنين «ع» يقول: ما عبد الله بشيءٍ افضلَ منَ العقل. وما تمَّ عقلُ امرئٍ حتى يكونَ فيه خِصالُ شتَّى: الكفرُ والشُّرْمُ منه مأمونان، والرُّشدُ والخيرُ منه مأمولان .. يَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ المَعْرُوفِ مِن غَيْرِهِ، وَيَسْتَقِيلُ كَثِيرَ المَعْرُوفِ مِن نَفْسِهِ، وَيَرَى النَّاسَ كُلَّهُم خَيْرًا مِنْهُ وَأَنَّهُ شَرُّهُمْ فِي نَفْسِهِ. وهو تمام الأمر.^١

٧ الامام الرضا «ع» : لا يَتِمُّ عَقْلُ امرئٍ مسلمٍ حتى تكونَ فيه عشرُ خِصالٍ : .. الخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشُّرْمُ مِنْهُ مَأْمُونٌ، يَسْتَكْثِرُ قَلِيلَ الخَيْرِ مِنْ غَيْرِهِ، وَيَسْتَقِيلُ كَثِيرَ الخَيْرِ مِنْ نَفْسِهِ.^٢

٨ الامام السجاد «ع» : قَالَ اميرُ المَؤْمِنِينَ «ع» : إِنَّمَا الدَّهْرُ ثَلَاثَةٌ أَيَّامٍ ، أَنْتَ فِيمَا بَيْنَهُنَّ ، مَضَى أَمْسٍ بِمَا فِيهِ فَلَا يَرْجِعُ أَبَدًا. فَإِنْ كُنْتَ عَمِلْتَ فِيهِ خَيْرًا لَمْ تَحْزَنْ لِذَهَابِهِ، وَفَرِحْتَ بِمَا اسْتَقْبَلْتَهُ مِنْهُ. وَإِنْ كُنْتَ فَرَطْتَ فِيهِ فَحَسْرَتُكَ شَدِيدَةٌ لِذَهَابِهِ وَتَفْرِيطُكَ فِيهِ. وَأَنْتَ مِنْ غَدٍ فِي غِرَّةٍ، لَا تَدْرِي لَعَلَّكَ لَا تَبْلُغُهُ. وَإِنْ بَلَغْتَهُ لَعَلَّ حَظَّكَ فِيهِ التَّفْرِيطُ مِثْلَ حَظِّكَ فِي الأَمْسِ (الذي أن قال:) وَإِنَّمَا هُوَ يَوْمُكَ الَّذِي أَصْبَحْتَ فِيهِ . وَقَدْ يَنْبَغِي لَكَ، إِنْ عَقَلْتَ وَفَكَّرْتَ فِيمَا فَرَطْتَ فِي الأَمْسِ المَاضِي مِمَّا فَاتَكَ فِيهِ مِنْ حَسَنَاتٍ أَنْ لَا تَكُونَ اكْتَسَبْتَهَا وَمِنْ سَيِّئَاتٍ أَنْ لَا تَكُونَ أَقْصَرْتَ عَنْهَا (الذي أن قال :) فَاعْمَلْ عَمَلَ رَجُلٍ لَيْسَ يَأْمُلُ مِنَ الأَيَّامِ إِلَّا يَوْمَهُ، الَّذِي أَصْبَحَ فِيهِ، وَلَيْلَتَهُ ..^٣

٩ الامام علي «ع» : لَا يُزْهِدُنْكَ فِي المَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ. وَقَدْ تُدْرِكُ مِنَ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أُضَاعَ

١ - الكافي ١ / ١٨ - ١٩.

٢ - تحف العقول / ٣٢٦.

٣ - الوسائل ١١ / ٣٧٥.

الكافر، والله يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.^١

١٠ الامام الباقر «ع» - عن النبي «ص»: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُعَجَّلُ.^٢

١١ الامام السجاد «ع»: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! وَحَلِّني بِحِلْيَةِ الصَّالِحِينَ، وَأَلْبِسني زِينَةَ الْمُتَّقِينَ، فِي بَسْطِ الْعَدْلِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ .. وَاسْتِقْلَالَ الْخَيْرِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي، وَإِسْتِكَثَارِ الشَّرِّ وَإِنْ قَلَّ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي. وَأَكْمِلْ ذَلِكَ لِي بِدَوَامِ الطَّاعَةِ، وَلُزُومِ الْجَمَاعَةِ، وَرَفْضِ أَهْلِ الْبِدْعِ، وَمُسْتَعْمِلِ الرَّأْيِ الْمُخْتَرَعِ ..^٣

* اشارت هذه الاحاديثُ إلى عدَّةٍ من الحوافز التي تحمِلُ الانسانَ على العمل وترغِّبه فيه. منها استقلالُ العملِ والخيرِ الذي يأتي به وعدُّه قليلاً، إذ الانسانُ إذا استقلَّ العملَ الصَّالِحَ الذي يعملُه ولم يراه جسيماً يُبادِرُ الى عملِ آخرٍ صالحٍ غيره، ولا يقنَعُ بما يعملُه مِنَ الصَّالِحَاتِ والخيرات بحالٍ.

١ - نهج البلاغة / ١١٧٩: عبده ٣ / ١٩٩.

٢ - الوسائل ١ / ٨٥.

٣ - الصحيفة السجادية / ١٣٣ (الدعاء ٢٠).

الفصلُ السادس عشر

من البواعث على الرّكود

أ - الكسل

الكتاب

١ إنَّ المنافقين يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ، وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى، يُرَاوُونَ النَّاسَ، وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا *^١

الحديث

١ النبي «ص»: يا علي! .. إِيَّاكَ وَخَصَلْتَيْنِ: الضَّجْرَ وَالْكَسَلَ، فَإِنَّكَ إِنْ ضَجَرْتَ لَمْ تَصْبِرْ عَلَى حَقِّ، وَإِنْ كَسَلْتَ لَمْ تُؤَدِّ حَقًّا.^٢

٢ الامام الصادق «ع»: عَدُوُّ الْعَمَلِ الْكَسَلُ.^٣

١ - سورة النساء (٤) : ١٤٢.

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٠٢.

٣ - الكافي ٥ / ٨٥.

- ٣ الامام الصادق «ع» - من حديث «جُنودِ العقلِ والجهل»: .. النَّشَاطُ وَضُدُّهُ
الكَسَلُ.^١
- ٤ الامام علي «ع»: يَا هَمَّامُ! الْمُؤْمِنُ .. بَعِيدٌ كَسَلُهُ، دَائِمٌ نَشَاطُهُ، قَرِيبٌ أَمَلُهُ، حَيٌّ
قَلْبُهُ.^٢
- ٥ الامام الصادق «ع»: إِيَّاكَ وَالضُّجْرَ وَالْكَسَلَ، إِنَّهُمَا مِفْتَاحُ كُلِّ سُوءٍ؛ إِنَّهُ مَنْ
كَسَلَ لَمْ يُؤَدِّ حَقًّا، وَمَنْ ضَجَرَ لَمْ يَصْبِرْ عَلَى حَقٍّ.^٣
- ٦ الامام الصادق «ع»: اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَمَلُّوا مِنَ الْخَيْرِ، وَلَا تَكْسَلُوا..^٤
- ٧ الامام الصادق «ع» - قال سليمان بن جعفر الهمداني: قال لي جعفر بن
محمد: يَا سَلِيمَانُ! مَنْ الْفَتَى؟ فَقُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، الْفَتَى عِنْدَنَا الشَّابُّ.
قَالَ لِي: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ كَانُوا كُلُّهُمْ كُهُولًا، فَسَمَّاهُمْ اللَّهُ فِتْيَةً
بِإِيمَانِهِمْ؟ يَا سَلِيمَانُ! مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَاتَّقَى فَهُوَ الْفَتَى.^٥
- ٨ الامام علي «ع»: لَا تَتَّكِلْ فِي أُمُورِكَ عَلَى كَسَلَانٍ.^٦
- ٩ الامام الباقر «ع»: .. لَا مُصِيبَةَ كَأَسْتِهَانَتِكَ بِالذَّنْبِ، وَرِضَاكَ بِالْحَالَةِ الَّتِي أَنْتَ
عَلَيْهَا..^٧
- ١٠ الامام علي «ع»: الرَّاضِي عَنْ نَفْسِهِ مَفْتُونٌ، وَالْوَاتِقُ بِهَا مَغْبُونٌ.^٨

١ - الكافي ١ / ٢٣.

٢ - البحار ٧٨ / ٢٦؛ الكافي ٢ / ٢٣٠ - مع اختلاف يسير.

٣ - الوسائل ١٢ / ٣٩.

٤ - امالي الطوسي ٢ / ٣٠٥.

٥ - تفسير البرهان ٢ / ٤٥٦.

٦ - غرر الحكم ٢٣٣ / ٢٣٣.

٧ - تحف العقول ٢٠٨ / ٢٠٨.

٨ - غرر الحكم ٤٨ / ٤٨.

- ١١ الامام الصادق «ع» : ثلاثٌ يَحْجُزْنَ المرءَ عن طلبِ المعالي: قِصْرُ الهِمَّةِ، وقِلَّةُ الحيلة، وضعْفُ الرأْيِ.^١
- ١٢ النبي «ص» : لِلْكَسْلَانِ ثلاثُ علاماتٍ: يَتَوَانَى حتى يَفْرُطَ، وَيَفْرُطُ حتى يَضِيعَ، وَيَضِيعُ حتى يَأْتَمَ.^٢
- ١٣ الامام الصادق «ع» : الكَسْلُ يَضُرُّ بالدينِ والدُّنيا.^٣

ب - العجب

الحديث

- ١ النبي «ص» : ثلاثٌ مُهْلِكاتٌ: شُحُّ مُطَاعٍ، وَهَوَى مُتَّبِعٍ، وإِعْجَابُ المرءِ بِنَفْسِهِ. وهو مُحِبِّطٌ لِلْعَمَلِ، وهو دَاعِيَةُ المَقْتِ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ.^٤
- ٢ الامام علي «ع» : الإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الإِزْدِيَادِ.^٥
- ٣ الامام الصادق «ع» : ثلاثٌ هُنَّ قاصِماتُ الظَّهِرِ: رجلٌ اسْتَكْتَرَ عَمَلَهُ، وَنَسِيَ ذُنُوبَهُ، وَأَعْجَبَ بِرَأْيِهِ.^٦
- ٤ الامام الهادي «ع» : مَنْ دَخَلَ العُجْبُ هَلَكَ.^٧

١ و ٢ و ٣ - تحف العقول / ٢٣٤ و ٤٨ و ٢١٩.

٤ - عدة الداعي / ٢٢١.

٥ - نهج البلاغة / ١١٦٧؛ عبده ٣ / ١٩٣.

٦ - البحار ٧٥ / ٩٨، عن «جامع الاخبار».

٧ - الوسائل ١ / ٧٨.

٥ الامام السجاد «ع» : .. نعوذُ بِكَ أَنْ نَنْطَوِيَ عَلَى غِشٍّ أَحَدٍ وَأَنْ نُعْجِبَ
بأعمالنا.^١

ج - التّواني

الكتاب

- ١ ولا تَهْنُوا وَلَا تَحْزَنُوا، وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ *^٢
- ٢ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرٌ، فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا
ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ *^٣
- ٣ فَلَا تَهْنُوا وَيَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ، وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ، وَلَنْ يَتْرُكُكُمْ
أَعْمَالَكُمْ *^٤

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : من أطاع التّواني، ضيَع الحُقوقَ.^٥

١ - الصحيفة السجادية / ٨٣ (الدعاء ٨).

٢ و ٣ - سورة آل عمران (٣) : ١٣٩ و ١٤٦.

٤ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٣٥.

٥ - نهج البلاغة / ١١٩٣ : عبده ٣ / ٢٠٦.

- ٢ الامام علي «ع» : في التواني والعجز انتجت الهلكة^١!
- ٣ الامام علي «ع» : لقد أخطأ العاقل اللأهي الرشد، وأصابه ذو الاجتهاد
والجد^٢.

١ - البحار ٧١ / ٣٤٢، عن «كنز الفوائد».

٢ - غرر الحكم / ٢٥٤.

الفصل السابع عشر

النَّظْمُ فِي الْعَمَلِ

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: أوصيكمُ وجميعَ وُلدي وأهلي وَمَن بَلَغَهُ كِتَابِي، بِتَقْوَى اللَّهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ^١..
- ٢ الامام علي «ع»: .. وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ، فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ^٢..
- ٣ الامام الكاظم «ع»: اجْتَهِدُوا فِي أَنْ يَكُونَ زَمَانُكُمْ أَرْبَعَ سَاعَاتٍ: سَاعَةً لِمُنَاجَاةِ اللَّهِ؛ وَسَاعَةً لِأَمْرِ الْمَعَاشِ؛ وَسَاعَةً لِمُعَاشَرَةِ الْإِخْوَانِ وَالثَّقَاتِ الَّذِينَ يُعَرِّفُونَكُمْ غُيُوبَكُمْ وَيُخْلِصُونَ لَكُمْ فِي الْبَاطِنِ؛ وَسَاعَةً تَخْلُونَ فِيهَا لِلذَّاتِكُمْ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ. وَبِهَذِهِ السَّاعَةِ تَقْدِرُونَ عَلَى الثَّلَاثِ سَاعَاتٍ^٣..
- ٤ الامام علي «ع»: الْأُمُورُ الْمُنْتَظِمَةُ يُفْسِدُهَا الْخِلَافُ^٤.
- ٥ الامام الصادق «ع»: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»: يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ،

١ - نهج البلاغة / ٩٧٧: عبده ٣ / ٨٥.

٢ - نهج البلاغة / ١٠٢٢: عبده ٣ / ١١٤.

٣ - تحف العقول / ٣٠٢.

٤ - غرر الحكم / ٢٦.

وَأَمْسَحُوا بِمَنَاكِبِكُمْ لِيَأْتِيَ بَيْنَكُمْ يَدَايُكُمْ وَتُخَالِفُوا مَا كَفَرْتُمْ بِأَن تَخَالَفُوا مَا كَفَرْتُمْ
قُلُوبِكُمْ. أَلَا وَإِنِّي أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَخَالِفُونَ مَا كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَنَّكُمْ
الْحُكْمُ فَذُنُوبَكُمْ أَلَا تَعْقِلُونَ

الفصل الثامن عشر

اخذ التدابير وتقييم النتائج

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: أيها الناس! لا خير في دنيا لا تدبير فيه.^١
- ٢ الامام علي «ع»: من ساء تدبيره، تعجل تدميره.^٢
- ٣ الامام علي «ع»: لا مال أعود من العقل .. ولا عقل كالتدبير.^٣
- ٤ الامام علي «ع»: أدلُّ شيءٍ على غزارة العقل، حسنُ التدبير.^٤
- ٥ الامام علي «ع»: التدبيرُ قبل العملِ يُؤمِّنك من الندم.^٥
- ٦ الامام علي «ع»: قدَّر ثمَّ اقطع، وفكَّر ثمَّ انطق، وتبيَّن ثمَّ اعمل.^٦

١ - البحار ٧٠ / ٣٠٧، عن «المحاسن».

٢ - غرر الحكم / ٢٦٨.

٣ - نهج البلاغة / ١١٣٩؛ عبده ٣ / ١٧٧.

٤ - غرر الحكم / ٩٢.

٥ - تحف العقول / ٧٠؛ و ٩٧ من طبعة الففاري.

٦ - غرر الحكم / ٢٣٥.

- ٧ الامام علي «ع» : لا تُكُنْ فيما تُورِدُ كحاطبٍ ليلٍ ، وغُثاءِ سَيْلٍ^١.
- ٨ الامام علي «ع» : الطَّمَانِينَةُ قَبْلَ الحَزْمِ ضِدُّ الحَزْمِ^٢.
- ٩ الامام علي «ع» : رَوِّ تَحْزُمًا ، فَإِذَا اسْتَوْضَحْتَ فَاجْزِمِ^٣.
- ١٠ الامام علي «ع» - فيما أوصى بِهِ عِنْدَ وَفَاتِهِ: أَنهَاكَ عَنِ التَّسْرِعِ بالقول والفعل^٤.
- ١١ الامام علي «ع» : لا تُقَدِّمَنَّ عَلَى امرٍ ، حَتَّى تَخْبِرَهُ^٥.
- ١٢ الامام علي «ع» : لا تَزْهَدَنَّ فِي شَيْءٍ حَتَّى تَعْرِفَهُ^٦.
- ١٣ الامام علي «ع» : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَضْرَّةَ الشَّيْءِ ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَى الامْتِنَاعِ مِنْهُ^٧.
- ١٤ الامام علي «ع» : مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مَنْفَعَةَ الخَيْرِ ، لَمْ يَقْدِرْ عَلَى العَمَلِ بِهِ^٨.
- ١٥ الامام علي «ع» : العَاقِلُ مَنْ لَا يُضِيعُ لَهُ نَفْسًا فِيمَا لَا يَنْفَعُهُ ، وَلَا يَقْتَنِي مَا لَا يَصْحَبُهُ^٩.
- ١٦ بعض الصادقين «ع» : الجُلَسَاءُ ثَلَاثَةٌ: جَلِيسٌ تَسْتَفِيدُ مِنْهُ فَالزَّمَهُ ، وَجَلِيسٌ تُفِيدُهُ فَأَكْرَمَهُ ، وَجَلِيسٌ لَا تُفِيدُ وَلَا تَسْتَفِيدُ مِنْهُ ، فَاهْرَبْ عَنْهُ^{١٠}.

١ - غرر الحكم / ٣٤٢.

٢ - البحار ٧٨ / ٩ ، عن «مطالب السؤل».

٣ - البحار ٧١ / ٣٤١ ، عن «كنز الفوائد».

٤ - امالي الطوسي ١ / ٦.

٥ و ٦ - غرر الحكم / ٣٣٢.

٧ و ٨ - غرر الحكم / ٢٩٥.

٩ - غرر الحكم / ٥٨.

١٠ - البحار ١ / ٢٠٣ ، عن «غوالي اللثالي».

١٧ الامام علي «ع»: المغبون لا محمود ولا مأجور..^١

تتميم

في المنع عما يوجب الاعتذار

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: الاستغناء عن العذر أعز من الصدق به.^٢
- ٢ الامام علي «ع»: .. واحذر كل عمل اذا سُئِلَ عنه صاحبه، أنكره أو اعتذر منه.^٣
- ٣ الامام الصادق «ع»: لا ينبغي للمؤمن أن يذلل نفسه. قلت: بما يذلل نفسه؟ قال: يدخل فيما يعتذر منه.^٤
- ٤ الامام الصادق «ع»: إياك وما تعتذر منه! فإن المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، والمنافق يسيء كل يومٍ ويعتذر.^٥

١ - تحف العقول / ١٥٣.

٢ - نهج البلاغة / ١٢٤٢: عبده ٣ / ٢٣١.

٣ - نهج البلاغة / ١٠٦٧: عبده ٣ / ١٤٢.

٤ - مشكاة الانوار / ٥٠.

٥ - الوسائل ٦ / ٤٢٥.

الفصل التاسع عشر

مراتب الاعمال ومراعاتها

الكتاب

١ ما كان للمشركين أن يعمرُوا مساجدَ الله، شاهدينَ على أنفسهم بالكُفْرِ،
اولئك حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ، مَنْ آمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَاقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ، فَعَسَىٰ أَوْلَاكَ
أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ * أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، كَمَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ، وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنْفُسِهِمْ، أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ، وَأَوْلَاكَ هُمُ الْفَائِزُونَ *

الحديث

١ - سورة التوبة (٩): ١٧ - ٢٠.

- ١ الامام علي «ع» : مَنْ اشْتَغَلَ بِغَيْرِ الْمُهْمِ، ضَيَّعَ الْأَهْمَ.^١
- ٢ الامام علي «ع» : مَنْ اشْتَغَلَ بِالْفُضُولِ، فَاتَهُ مِنْ مُهْمِهِ الْمَأْمُولُ..^٢
- ٣ الامام علي «ع» : يُسْتَدَلُّ عَلَى إِدْبَارِ الدُّوَلِ بِأَرْبَعٍ : تَضْيِيعِ الْأَصُولِ، وَالتَّمَسُّكِ بِالْفُرُوعِ، وَتَقْدِيمِ الْأَرَادِلِ، وَتَأْخِيرِ الْأَفَاضِلِ.^٣
- ٤ الامام علي «ع» : .. مَنْ طَلَبَ الْعَقْلَ الْمُتَعَارِفَ، فَلْيَعْرِفْ صُورَةَ الْأَصُولِ وَالْفُضُولِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَطْلُبُونَ الْفُضُولَ، وَيَضَعُونَ الْأَصُولَ. فَمَنْ أَحْرَزَ الْأَصْلَ، اكَتْفَى بِهِ عَنِ الْفَضْلِ..^٤
- ٥ الامام علي «ع» : إِنَّ رَأْيَكَ لَا يَتَّسِعُ لِكُلِّ شَيْءٍ فَفَرِّغْهُ لِلْمُهْمِ.^٥
- ٦ الامام علي «ع» : مَنْ اشْتَغَلَ بِغَيْرِ ضَرُورَتِهِ، فَوَتَهُ ذَلِكَ مَنَفَعَتُهُ.^٦
- ٧ الامام علي «ع» : لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ، إِذَا أَضْرَّتْ بِالْفَرَائِضِ.^٧
- ٨ الامام الحسن «ع» : إِذَا أَضْرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرِيضَةِ فَارْفُضُوهَا.^٨
- ٩ الامام علي «ع» : كُنْ مَشْغُولًا بِمَا أَنْتَ عَنْهُ مَسْئُولٌ.^٩
- ١٠ الامام علي «ع» : لَا تُدَاقِقُوا النَّاسَ وَزَنًا بوزنٍ، وَعَظِّمُوا أَقْدَارَكُمْ بِالتَّغَافُلِ عَنِ الدُّنْيَا مِنَ الْأُمُورِ..^{١٠}

١ و ٢ - غرر الحكم / ٢٨٣.

٣ - غرر الحكم / ٣٥٧.

٤ - البحار ٧٨ / ٧، عن «مطالب السؤل».

٥ - غرر الحكم / ١١٣.

٦ - غرر الحكم / ٢٨٧.

٧ - نهج البلاغة / ١١٠٥؛ عبده ٣ / ١٦١.

٨ - تحف العقول / ١٧٠.

٩ - غرر الحكم / ٢٤٥.

١٠ - تحف العقول / ١٦١.

- ١١ الامام علي «ع» : .. أَقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ^١ ..
- ١٢ الامام علي «ع» : طُوبَى لِمَنْ قَصَرَ هِمَّتَهُ عَلَى مَا يَعْنِيهِ، وَجَعَلَ كُلَّ جِدِّهِ لِمَا يُنْجِيهِ^٢.

١ - نهج البلاغة / ١٠٦٩ : عبده ٣ / ١٤٣.

٢ - غرر الحكم / ٢٠٦.

الفصلُ العِشرون

الانتفاعُ الصَّحيحُ من القوى

الكتاب

- ١ قد أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ
اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ *^١
- ٢ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا، لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ، سَلَامٌ
عَلَيْكُمْ، لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ *^٢
- ٣ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرَّوْا كِرَامًا *^٣

الحديث

- ١ النسي «ص»: كُلُّ لَهْوِ الْمُؤْمِنِ بَاطِلٌ إِلَّا فِي ثَلَاثٍ: فِي تَأْدِيبِ الْفَرَسِ، وَرَمِيهِ

١ - سورة المؤمنون (٢٣) : ١ - ٣.

٢ - سورة القصص (٢٨) : ٥٥.

٣ - سورة الفرقان (٢٥) : ٧٢.

- عن قوسيه، ومُلاعِبَةِ أَمْرَاتِهِ، فَإِنَّهُنَّ حَقٌّ.^١
- ٢ الامام الباقر «ع» - قال الراوي: سألتُ أبا جعفر «ع» عن اللَّعْبِ بِالشُّطْرَنْجِ؟
فَقَالَ: إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَفِي شُغْلٍ عَنِ اللَّعْبِ.^٢
- ٣ الامام الصادق «ع»: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «ع» رَأَى قَاصًّا فِي الْمَسْجِدِ، فَضَرَبَهُ
وَطَرَدَهُ.^٣
- ٤ الامام علي «ع»: مَرَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِرَجُلٍ يَتَكَلَّمُ بِفُضُولِ الْكَلَامِ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ
ثُمَّ قَالَ: يَا هَذَا! إِنَّكَ تُمَلِي عَلَى حَافِظِيكَ كِتَابًا إِلَى رَبِّكَ، فَتَكَلِّمُ بِمَا يَعْنِيكَ،
وَدَعُ مَا لَا يَعْنِيكَ.^٤
- ٥ الامام الكاظم «ع»: مِنْ حُسْنِ اسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُ مَا لَا يَعْنِيهِ.^٥
- ٦ الامام علي «ع»: مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ.^٦
- ٧ الامام علي «ع»: الْعَاقِلُ مَنْ رَفَضَ الْبَاطِلَ.^٧

١ - الوسائل ٨ / ٣٦١.

٢ - الخصال ٢ / ٢٦.

٣ - الوسائل ١٢ / ١١١.

٤ - امالي الصدوق / ٢٩.

٥ - تحف العقول / ٢٩١.

٦ - نهج البلاغة / ٩٣٠؛ عبده ٣ / ٥٨.

٧ - الدرّة الباهرة / ٢٧.

الفصل الحادي والعشرون

الطريق، ثم العمل

الكتاب

- ١ وليس البرُّ بأن تَأْتُوا البُيُوتَ من ظُهُورِهَا، ولكنَّ البرَّ من اتَّقَى، وَأَتُوا البُيُوتَ
مِنْ أِبْوَابِهَا..^١

الحديث

- ١ الامام الباقر «ع» - في شرح قوله تعالى: «ليس البرُّ بأن تَأْتُوا البُيُوتَ (من ظُهُورِهَا)..»: يعني أن يَأْتِيَ الأُمُورَ مِنْ وَجْهِهَا، أَي الأُمُورِ كَانَ.^٢
- ٢ الامام الرضا «ع»: مَنْ طَلَّبَ الأَمْرَ مِنْ وَجْهِهِ لَمْ يَزَلْ، فَإِنْ زَلَّ لَمْ تَخْذُلْهُ الحِيلَةُ.^٣
- ٣ الامام الجواد «ع»: مَنْ لَمْ يَعْرِفِ العَوَارِدَ أَعْيَتْهُ المَصَادِرُ.^٤

١ - سورة البقرة (٢): ١٨٩.

٢ - تفسير العياشي ١ / ٨٥.

٣ و ٤ - الدرَّةُ الباهرة / ٣٨ و ٤٠.

الفصل الثاني والعشرون

اداة العمل

الكتاب

- ١ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله، وأبتغوا إليه الوسيلة، وجاهدوا في سبيله، لعلكم تفلحون *^١
- ٢ قالوا: يا ذا القرنين، إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً؟ * قال: ما مكني فيه ربي خيراً فأعينوني بقوة، أجعل بينكم وبينهم ردماً * أتوني زبر الحديد، حتى إذا ساوى بين الصدفين قال: انفخوا، حتى إذا جعله ناراً قال: أتوني أفرغ عليه قطراً *^٢

الحديث

- ١ الامام الصادق «ع» - عن آبائه: مرَّ موسى بن عمران «ع» برجلٍ رافعٍ يدهُ

١ - سورة المائدة (٥) : ٣٥.

٢ - سورة الكهف (١٨) : ٩٤ - ٩٦.

الى السَّمَاءِ يَدْعُو، فَانْطَلَقَ مُوسَى فِي حَاجَتِهِ فَغَابَ عَنْهُ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . ثُمَّ رَجَعَ
إِلَيْهِ وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ يَدْعُو وَيَتَضَرَّعُ وَيَسْأَلُ حَاجَتَهُ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: «يَا
مُوسَى! لَوْ دَعَانِي حَتَّى تَسْقُطَ لِسَانُهُ مَا اسْتَجَبْتُ لَهُ، حَتَّى يَأْتِيَنِي مِنَ الْبَابِ
الَّذِي أَمْرَتْهُ»^١.

- ٢ الامام علي «ع» : .. أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ^٢.
- ٣ الامام علي «ع» : التَّلَطُّفُ فِي الْحَيْلَةِ، أَجْدَى مِنَ الْوَسِيلَةِ^٣.
- ٤ الامام الصادق «ع» : إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَرِضٌ فَقَالَ: لَا أَتَدَاوَى حَتَّى يَكُونَ
الَّذِي أَمْرَضَنِي هُوَ الَّذِي يَشْفِينِي؛ فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: «لَا أَشْفِيكَ حَتَّى
تَتَدَاوَى، فَإِنَّ الشِّفَاءَ مِنِّي»^٤.
- ٥ النسي «ص» : تَدَاوَوْا! فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يُنْزِلْ دَاءً، إِلَّا وَأَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً^٥.

* هذه التعاليم ترمي الى غرضٍ حكيمٍ مُوجَّهٍ للانسان في
حياته؛ وهو أَنَّ الْعَالَمَ، لَمَّا كَانَ عَالَمَ الْاَسْبَابِ، وَهَذِهِ السَّبَبِيَّةُ نَفْسُهَا
قَانُونُ الْهَيِّ (كَمَا يَقُولُ الْاِمَامُ الصَّادِقُ: «أَبَى اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ الْاَشْيَاءَ
إِلَّا بِالْاَسْبَابِ»)^٦، فَيَجِبُ عَلَى الْاِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ مُعْتَنِيًا بِالسَّبَبِ، وَأَنْ
يَتَفَحَّصَ لِلْوَصُولِ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ عَنْ سَبَبِهِ الْمُعَدَّلِ وَالْمَوْصِلِ إِلَيْهِ.
وَهَذَا لَا يَخْرُجُ عَنِ التَّوْحِيدِ وَالْاِعْتِقَادِ بِهِ، لِأَنَّ الْاَثَرَ الَّذِي جَاءَ مِنْ
قَبْلِ الدَّوَاءِ (السَّبَبِ) - فِيمَا يَذْهَبُ الْمَرِيضُ إِلَى الطَّبِيبِ وَيَتَنَاوَلُ

١ - البحار ١٣ / ٣٥٥.

٢ - نهج البلاغة / ٥٧: عبده ١ / ٣٥.

٣ - غرر الحكم / ٥٢.

٤ و ٥ - مكارم الاخلاق / ٤١٩ و ٤١٨.

٦ - البحار ٢ / ٩٠، عن «بصائر الدرجات».

الدواء مثلاً - إنما هو من الله تعالى، لأنه هو الذي أودعه فيه وجعله
يؤثر على المرض ويبرئته، فليس هو من الطبيب ولا من الدواء
بالذات، فالشفاء من الله في كل حال .

الفصل الثالث والعشرون

الاعمال في ازماتها

الحديث

- ١ النبي «ص»: الأمور مرهونة بأوقاتها.^١
- ٢ الامام علي «ع»: .. ومُجْتَنِي الثَّمَرَةَ لِغَيْرِ وَقْتِ اِيْنَاعِهَا، كالزّارعِ بِغَيْرِ اَرْضِهِ.^٢
- ٣ الامام الصادق «ع»: مَنْ اَبْتَدَأَ بِعَمَلٍ فِي غَيْرِ وَقْتِهِ، كَانَ بَلُوغُهُ فِي غَيْرِ حِينِهِ.^٣
- ٤ الامام الحسن «ع» - سأل امير المؤمنين «ع» ابنه الحسن فقال: يا بُنَيَّ! ما العقلُ؟ قال: حفظُ قلبِك ما اسْتَوْدَعَهُ. قال: فما الحِزْمُ؟ قال: اَنْ تَنْظُرَ فُرْصَتَكَ وتُعَاجِلَ ما اَمْكَنَكَ .. قال: فما الجهلُ؟ قال: سرعةُ الوُثوبِ على الفرصة، قبلَ اِسْتِمْكَانِ مِنْهَا.^٤
- ٥ الامام علي «ع»: اِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ اَوَانِهَا، اَوْ التَّسَاقُطَ فِيهَا عِنْدَ اِمْكَانِهَا، اَوْ اللِّجَاجَةَ فِيهَا اِذَا تَنَكَّرَتْ، اَوْ الوَهْنَ عَنْهَا اِذَا اسْتَوْضَحَتْ، فَضَعُ

١ - البحار ٧٧ / ١٦٥، عن «غوالي اللثالي».

٢ - نهج البلاغة / ٥٧: عبده ١ / ٣٥ - ٣٦.

٣ - البحار ٧١ / ٣٣٨، عن «الخصال».

٤ - معاني الاخبار ٢ / ٣٨٠ - ٣٨١.

كُلُّ امرٍ مَوْضِعُهُ، وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ ..^١

٦ الامام العسكري «ع» : .. فلا تَعْجَلْ على ثَمَرَةٍ لم تُدْرِكْ، وَإِنَّمَا تَنَالُهَا في أوانِهَا .. ولا تَعْجَلْ بحوائِجِكَ قبلَ وقتِهَا، فيَضِيقُ قلبُكَ وصدْرُكَ، وَيَغْشَاكَ القُنُوطُ ..^٢

٧ الامام علي «ع» : لا تَعْجَلُوا الأمرَ قبلَ بُلُوغِهِ فتندَمُوا، ولا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ الأَمَدُ فَتَقْسُوا قُلُوبُكُمْ.^٣

٨ الامام علي «ع» : إِنَّ لِلنَّكَبَاتِ غَايَاتٍ لا بُدَّ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَيْهَا. فإذا حُكِمَ على أَحَدِكُمْ بِهَا فَلْيَتَطَاطَأْ لَهَا وَيَصْبِرْ حَتَّى يَجُوزَ، فَإِنَّ إِعْمَالَ الحِيلَةِ فِيهَا عِنْدَ إِقْبَالِهَا زَائِدٌ في مَكْرُوهِهَا.^٤

٩ النسي «ص» : الفِرَارُ في وقتِهِ ظَفَرٌ.^٥

١٠ الامام الحسين «ع» : العَجَلَةُ سَفَهُ، وَالسَّفَهُ ضَعْفٌ.^٦

١١ الامام الصادق «ع» : إِظْهَارُ الشَّيْءِ قَبْلَ أَنْ يَسْتَحْكِمَ مَفْسَدَةٌ لَهُ.^٧

١ - نهج البلاغة / ١٠٣١؛ عبده ٣ / ١٩ - ١٢٠.

٢ - البحار ٧٨ / ٣٧٩، عن «اعلام الدين»؛ عُدَّة الداعي / ١٢٥.

٣ - تحف العقول / ٨٠.

٤ - البحار ٧١ / ٩٥.

٥ - البحار ٧٧ / ١٦٥، عن «غوالي اللثالي».

٦ - كشف الغمة ٢ / ٣٠.

٧ - الوسائل ٢ / ٦٢٩.

الفصلُ الرَّابِعُ والعشرون

اغتنام الفرص

- ١ النبي «ص»: مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابُ خَيْرٍ فَلْيَنْتَهِزْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ.^١
- ٢ النبي «ص»: يَا عَلِيَّ! بَادِرْ بِأَرْبَعٍ قَبْلَ أَرْبَعٍ: شِبَابِكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتِكَ قَبْلَ سُقْمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ.^٢
- ٣ النبي «ص»: يَا أَبَاذَرٍّ! اِغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شِبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سُقْمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ.^٣
- ٤ الامام الصادق «ع»: خُذْ لِنَفْسِكَ .. خُذْ مِنْهَا فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَفِي الْقُوَّةِ قَبْلَ الضَّعْفِ، وَفِي الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ.^٤
- ٥ الامام علي «ع»: لَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ.^٥

١ - البحار ٧٧ / ١٦٥، عن «غوالي اللثالي».

٢ - مكارم الاخلاق / ٥٠٥.

٣ - مكارم الاخلاق / ٥٤٠.

٤ - الوسائل ٦ / ٣٨٢.

٥ - نهج البلاغة / ٩٣٦: عبده ٣ / ٦٢.

- ٦ الامام علي «ع» : الْفُرْصَةُ تَمُرُّمَرَّ السَّحَابِ، فَانْتَهِزُوا فُرْصَ الْخَيْرِ.^١
- ٧ الامام الحسن «ع» : الْفُرْصَةُ سَرِيعَةٌ الْفُوتِ، بَطِيئَةٌ الْعُودِ.^٢
- ٨ الامام علي «ع» : الْفُرْصَةُ خُلْسَةٌ.^٣
- ٩ الامام علي «ع» : بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غِصَةً.^٤
- ١٠ الامام علي «ع» : مَاضِي يَوْمِكَ فَائِتٌ، وَآتِيهِ مُتَّهِمٌ، وَوَقْتُكَ مُغْتَنَمٌ، فَبَادِرْ فِيهِ فُرْصَةَ الْإِمْكَانِ! وَإِيَّاكَ أَنْ تَتَّقَ بِالزَّمَانِ.^٥
- ١١ الامام علي «ع» : مَنْ أَخَّرَ الْفُرْصَةَ عَنْ وَقْتِهَا، فَلْيَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ فُوتِهَا.^٦
- ١٢ الامام علي «ع» : غَافِصِ الْفُرْصَةَ عِنْدَ إِمْكَانِهَا، فَإِنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكِهَا بَعْدَ فُوتِهَا.^٧
- ١٣ الامام علي «ع» : مَنْ وَجَدَ مَوْرِدًا عَذْبًا يَرْتَوِي مِنْهُ فَلَمْ يَغْتَنِمْهُ، يُوشِكُ أَنْ يَظْمَأَ وَيَطْلُبُهُ وَلَمْ يَجِدْهُ.^٨
- ١٤ الامام علي «ع» : طُوبَى لِمَنْ بَادَرَ صَالِحَ الْعَمَلِ، قَبْلَ أَنْ تَنْقَطِعَ أَسْبَابُهُ.^٩
- ١٥ الامام الصادق «ع» : إِذَا هَمَمْتَ بِخَيْرٍ فَبَادِرْ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا يَحْدُثُ.^{١٠}

١ - نهج البلاغة / ١٠٩٦ : عبده ٣ / ١٥٥.

٢ - البحار ٧٨ / ٧٩، عن «كشف الغمة».

٣ - أمالي الطوسي ٢ / ٢٣٨.

٤ - نهج البلاغة / ٩٣١ : عبده ٣ / ٥٩.

٥ - غرر الحكم / ٣١٨.

٦ - غرر الحكم / ٢٨٨.

٧ - غرر الحكم / ٢٢٤.

٨ - غرر الحكم / ٢٧١.

٩ - غرر الحكم / ٢٠٧.

١٠ - الوسائل ١ / ٨٤.

- ١٦ الامام الباقر «ع» : إِيَّاكَ وَالتَّفْرِيطَ عِنْدَ إِمكَانِ الْفُرْصَةِ، فَإِنَّهُ مِيدَانٌ يَجْرِي لِأَهْلِهِ بِالْخُسْرَانِ.^١
- ١٧ الامام علي «ع» : إِجْعَلْ زَمَانَ رِخَائِكَ، عُدَّةً لِأَيَّامِ بَلَائِكَ.^٢
- ١٨ الامام علي «ع» : اسْتَعْمِلْ مَعَ عَدُوِّكَ مُرَاقِبَةَ الْأَمْكَانِ وَانْتِهَازَ الْفُرْصَةِ، تَظْفِرُ.^٣
- ١٩ الامام علي «ع» : تَنَفَّسُوا قَبْلَ ضَيْقِ الْخِنَاقِ.^٤
- ٢٠ الامام علي «ع» : .. فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ، قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ، وَفِي فَرَاحِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغْلِهِ، وَفِي مُتَنَفِّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ.^٥
- ٢١ الامام علي «ع» : إِغْتَنِمُوا أَيَّامَ الصَّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ، وَالشَّيْبَةَ قَبْلَ الْهَرَمِ .. وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ الْمُهَلَّةُ عَلَى طَوْلِ الْغَفَلَةِ.^٦
- ٢٢ الامام علي «ع» : إِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يَعْْمَلَانِ فِيكَ فَاعْمَلْ فِيهِمَا، وَيَأْخُذَانِ مِنْكَ فَخُذْ مِنْهُمَا.^٧
- ٢٣ الامام الباقر «ع» : بَادِرْ بَانْتِهَازِ الْبُغْيَةِ عِنْدَ إِمكَانِ الْفُرْصَةِ؛ وَلَا امْكَانَ كَالْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ مَعَ صِحَّةِ الْأَبْدَانِ.^٨
- ٢٤ الامام الحسن «ع» : سُئِلَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ «ع» فَقِيلَ لَهُ: مَا الْعَقْلُ؟ فَقَالَ: التَّجَرُّعُ لِلْغُصَّةِ حَتَّى تَنَالَ الْفُرْصَةَ.^٩

١ - تحف العقول / ٢٠٨.

٢ و ٣ - غرر الحكم / ٦٤ و ٦٣.

٤ - نهج البلاغة / ٢٢٥؛ عبده ١ / ١٥٨.

٥ - نهج البلاغة / ٢٠٥؛ عبده ١ / ١٤٧.

٦ - البحار ٧٧ / ٤٤٠.

٧ - غرر الحكم / ١٢٠.

٨ - تحف العقول / ٢٠٧.

٩ - معاني الاخبار ٢ / ٢٢٨.

- ٢٥ الامام علي «ع» : مَنْ نَاهَزَ الْفُرْصَةَ أَمِنَ الْغُصَّةَ.^١
- ٢٦ الامام علي «ع» : رَجِمَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ حُكْمًا فَوَعَى، وَدُعِيَ إِلَى رِشَادٍ فَدَنَا
إِغْتَنَّمَ الْمَهْلَ، وَبَادَرَ الْأَجَلَ، وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ.^٢

١ - غرر الحكم / ٣٠١.

٢ - نهج البلاغة / ١٧٣ - ١٧٤؛ عبده ١ / ١٢٢.

الفصل الخامس والعشرون

التَّجَنُّبُ عَنِ التَّسْوِيفِ

الحديث

١ النبي «ص»: يا أباذر! إياك والتَّسْوِيفَ بَعْمَلِكَ، فَإِنَّكَ بِيَوْمِكَ وَلَسْتَ بِمَا بَعْدَهُ. فَإِنْ يَكُنْ غَدٌ لَكَ، فَكُنْ فِي الْغَدِ كَمَا كُنْتَ فِي الْيَوْمِ. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَدٌ، لَمْ تَتَدَمَّ عَلَى مَا فَرَّطْتَ فِي الْيَوْمِ.

.. يا اباذر! إذا أصبحت فلا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالْمَسَاءِ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِالصَّبَاحِ. وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ قَبْلَ سُقْمِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ؛ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا اسْمُكَ غَدًا.^١

٢ الامام علي «ع»: أَلَا إِنَّ الْإِيَّامَ ثَلَاثَةٌ: يَوْمٌ مَضَى لَا تَرْجُوهُ، وَيَوْمٌ بَقِيَ لَا بُدَّ مِنْهُ، وَيَوْمٌ يَأْتِي لَا تَأْمَنُهُ. فَالْأَمْسُ مَوْعِظَةٌ، وَالْيَوْمُ غَنِيمَةٌ، وَغَدٌ لَا تَدْرِي مَنْ أَهْلُهُ..
الْيَوْمُ أَمِينٌ مُؤَدٌِّّ.^٢

٣ الامام الصادق «ع» - عن أمير المؤمنين: إِيَّاكُمْ وَتَسْوِيفَ الْعَمَلِ، بَادِرُوا بِهِ إِذَا أُمَكَّنَكُمْ.^٣

١ - مكارم الاخلاق / ٥٤٠ : البحار ٧٧ / ٧٥.

٢ - تحف العقول / ١٥٨.

٣ - البحار ١٠ / ١١١.

- ٤ الامام الباقر «ع» : أَيَّاكَ وَالتَّسْوِيفَ، فَإِنَّهُ بَحْرٌ يَغْرَقُ فِيهِ الْهَلْكَى. ١
- ٥ الامام الصادق «ع» : كَتَبَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى بَعْضِ أَصْحَابِهِ يَعْظُمُهُ: .. فَتَدَارَكَ مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِكَ، وَلَا تَقُلْ غَدًا [أ] وَبَعْدَ غَدٍ؛ فَإِنَّمَا هَلَاكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ بِإِقَامَتِهِمْ عَلَى الْأَمَانِيِّ وَالتَّسْوِيفِ، حَتَّى أَتَاهُمْ أَمْرُ اللَّهِ بَغْتَةً وَهُمْ غَافِلُونَ. ٢
- ٦ الامام علي «ع» - لَوْلَدِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنْفِيَّةِ : الْيَوْمُ لَكَ، وَأَنْتَ مِنْ بُلُوغِ غَدٍ عَلَى غَيْرِ يَقِينٍ .. ٣
- ٧ النسي «ص» : الدُّنْيَا سَاعَةٌ، فَاجْعَلُوهَا طَاعَةً. ٤
- ٨ الامام علي «ع» : الْمَرْءُ بَيْنَ سَاعَتَيْهِ. ٥
- ٩ الامام الكاظم «ع» : يَا هِشَامُ! إِصْبِرْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ، وَاصْبِرْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ؛ فَإِنَّمَا الدُّنْيَا سَاعَةٌ، فَمَا مَضَى مِنْهَا فَلَيْسَ تَجِدُ لَهُ سُرُورًا وَلَا حُزْنَ، وَمَا لَمْ يَأْتِ مِنْهَا فَلَيْسَ تَعْرِفُهُ. فَاصْبِرْ عَلَى تِلْكَ السَّاعَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا، فَكَأَنَّكَ قَدْ اغْتَبَطْتَ. ٦
- ١٠ الامام الباقر «ع» : إِسْتَصْلِحُوا مَا تَقْدُمُونَ عَلَيْهِ بِمَا تَطْعُنُونَ عَنْهُ؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ غَنَمِيَّةٌ، وَغَدًا لَا تَدْرِي لِمَنْ هُوَ. ٧
- ١١ الامام علي «ع» : إِنَّمَا الدُّنْيَا ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ : يَوْمٌ مَضَى بِمَا فِيهِ فَلَيْسَ بِعَائِدٍ؛ وَيَوْمٌ

١ - البحار ٧٨ / ١٦٤.

٢ - الكافي ٢ / ١٣٦.

٣ - مستدرک نهج البلاغة / ١٥٣.

٤ - البحار ٧٧ / ١٦٤: عن «غوالي اللثالي».

٥ - غرر الحكم / ٣١.

٦ - تحف العقول / ٢٩٢.

٧ - تحف العقول / ٢١٨ - ٢١٩.

أَنْتَ فِيهِ فَحَقٌّ عَلَيْكَ اغْتِنَامُهُ؛ وَيَوْمٌ لَا تَدْرِي أَنْتَ مَنْ أَهْلُهُ وَلَعَلَّكَ رَاحِلٌ فِيهِ.
أَمَّا الْيَوْمُ الْمَاضِي فَحَكِيمٌ مُؤَدَّبٌ، وَأَمَّا الْيَوْمُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ فَصَدِيقٌ مُودِّعٌ، وَأَمَّا
غَدًا فَإِنَّمَا فِي يَدِكَ مِنْهُ الْأَمَلُ .. فَتَزَوَّدْ مِنْهُ وَأَحْسِنْ وَدَاعَهُ.

خُذْ بِالثَّقَةِ مِنَ الْعَمَلِ، وَإِيَّاكَ وَالْإِغْتِرَارَ بِالْأَمَلِ! وَلَا تُدْخِلْ عَلَيْكَ الْيَوْمَ
هَمَّ غَدٍ، يَكْفِي الْيَوْمَ هَمُّهُ، وَغَدًا دَاخِلٌ عَلَيْكَ بِشُغْلِهِ. إِنَّكَ إِنْ حَمَلْتَ عَلَى
الْيَوْمِ هَمَّ غَدٍ زِدْتَ فِي حُزْنِكَ وَتَعَبِكَ، وَتَكَلَّفْتَ أَنْ تَجْمَعَ فِي يَوْمِكَ مَا يَكْفِيكَ
أَيَّامًا، فَعَظَمَ الْحُزْنَ، وَزَادَ الشُّغْلَ، وَاشْتَدَّ التَّعَبُ، وَضَعُفَ الْعَمَلُ لِلْأَمَلِ. وَلَوْ
أَخْلَيْتَ قَلْبَكَ مِنَ الْأَمَلِ، لَجَدَدْتَ فِي الْعَمَلِ ..

أَوَلَا تَرَى! أَنْ الدُّنْيَا سَاعَةٌ بَيْنَ سَاعَتَيْنِ: سَاعَةٌ مَضَتْ، وَسَاعَةٌ بَقِيَتْ،
وَسَاعَةٌ أَنْتَ فِيهَا، فَأَمَّا الْمَاضِيَةُ وَالْبَاقِيَةُ فَلَسْتَ تَجِدُ لِرِخَائِهِمَا لَذَّةً،
وَلَا لِشِدَّتَيْهِمَا أَلَمًا. فَأَنْزِلِ السَّاعَةَ الْمَاضِيَةَ وَالسَّاعَةَ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا، مَنْزِلَةَ
الضَّيْفَيْنِ نَزَلَ بِكَ، فَظَنَّ الرَّاحِلُ عَنْكَ بِدَمِهِ إِيَّاكَ، وَحَلَّ النَّازِلُ بِكَ بِالتَّجْرِبَةِ
لَكَ ..^٢

١٢ الامام علي «ع»: عباد الله! الآن فاعملوا، والألسن مطلقه، والأبدان
صحيحة، والأعضاء لدنة، والمنقلب فسيح، والمجال عريض ..^٣

١٣ الامام علي «ع» - في العهد الأشرقي: .. وأمض لكل يوم عمله! فإن لكل
يوم مافيه. واجعل لنفسك فيما بينك وبين الله، أفضل تلك المواقيت،
وأجزل تلك الأقسام؛ وإن كانت كلها لله إذا صلحت فيها النية، وسلمت
منها الرعية.^٤

١- اي من اليوم الذي انت فيه .

٢- البحار ٨٣ / ١١١ - ١١٢ .

٣- نهج البلاغة / ٦٣٢ : عبده ٢ / ١٩٦ .

٤- نهج البلاغة / ١٠٢٢ : عبده ٣ / ١٤٤ .

- ١٤ الامام الصادق «ع» : لا تُشْعِرُوا قُلُوبَكُمْ الاِشْتِغَالَ بِمَا قَدَفَاتَ، فَتُشْغِلُوا
أَذْهَانَكُمْ عَنِ الاِسْتِعْدَادِ لِمَا لَمْ يَأْتِ^١.
- ١٥ الامام علي «ع» : الاِشْتِغَالَ بِالفَائِتِ، يُضِيعُ الوقتَ^٢.
- ١٦ الامام علي «ع» : لا تُكُنْ مَمَّنْ .. يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى، وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى^٣.

١ - الكافي ٢ / ٣١٦.

٢ - غرر الحكم / ٢٦.

٣ - نهج البلاغة / ١١٦٠؛ عبده ٣ / ١٩٠.

الفصل السادس والعشرون

الواقع الملموس، لا الامانيّ

الكتاب

- ١ وقالوا: لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى، تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ، قُلْ: هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *^١
- ٢ يُنَادُونَهُمْ: أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ، حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ، وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ *^٢
- ٣ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيًّا، وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ *^٣

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: رَجِمَ اللَّهُ أُمَّرَأً .. كَابِرَهُوَاهُ، وَكَذَّبَ مُنَاهُ *^٤.

١ - سورة البقرة (٢): ١١١.

٢ - سورة الحديد (٥٧): ١٤.

٣ - سورة البقرة (٢): ٧٨.

٤ - تحف العقول / ١٤٨.

- ٢ الامام الصادق «ع» : يا ابن جُنْدَب! .. طوبى لِمَنْ لَمْ تُلْهِهِ الْأَمَانِيُّ الْكَاذِبَةُ ..^١
- ٣ الامام علي «ع» : الْأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْأَبْصَارِ .. وَمَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلِ.^٢
- ٤ الامام علي «ع» : الْأَمَانِيُّ تَخْدَعُكَ، وَعِنْدَ الْحَقَائِقِ تَدْعُكَ.^٣
- ٥ الامام علي «ع» : إِيَّاكَ وَالْإِتِّكَالَ عَلَى الْمُنَى، فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النُّوْكَى.^٤
- ٦ الامام علي «ع» : إِجْعَلْ رَفِيقَكَ عَمَلَكَ، وَعَدُوَّكَ أَمْلَكَ.^٥
- ٧ الامام علي «ع» - في بيان صفات «المؤمن»: .. لَا يَرْجُو مَا لَا يَجُوزُ لَهُ الرَّجَاءُ.^٦
- ٨ الامام علي «ع» : الْأَمَلُ لَا غَايَةَ لَهُ.^٧
- ٩ الامام علي «ع» : .. فَإِنَّ أَجَلَهُ مُسْتَوْرٌ عَنْهُ، وَأَمَلُهُ خَادِعٌ لَهُ ..^٨
- ١٠ الامام علي «ع» : الْأَمَلُ كَالسَّرَابِ، يُغْرُّ مَنْ رَأَاهُ وَيُخْلِفُ مَنْ رَجَاهُ.^٩
- ١١ الامام علي «ع» : مَنْ سَعَى فِي طَلْبِ السَّرَابِ، طَالَ تَعَبُهُ وَكَثُرَ عَطَشُهُ. مَنْ أَمَلَ الرَّيِّ مِنَ السَّرَابِ، خَابَ أَمَلُهُ وَمَاتَ بَعَطَشِهِ.^{١٠}

١ - تحف العقول / ٢٢١.

٢ - البحار ٧٨ / ١٤، عن «مطالب السؤل».

٣ - غرر الحكم ٣٤.

٤ - نهج البلاغة / ٩٣١؛ عبده ٣ / ٥٨ - ٥٩.

٥ - غرر الحكم / ٦١.

٦ - البحار ٦٧ / ٣٦٦؛ ايضاً: «الكافي» ٢ / ٢٣٠.

٧ - غرر الحكم / ٢٣.

٨ - نهج البلاغة / ١٥٣، عبده ١ / ١٠٧.

٩ - غرر الحكم / ٤٨.

١٠ - غرر الحكم / ٢٩٧.

- ١٢ الامام علي «ع» : مَنْ غَرَّهُ السَّرَابُ، انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَسْبَابُ.^١
- ١٣ الامام علي «ع» : إَعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ.^٢
- ١٤ الامام علي «ع» : إَعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ! أَنَّ الْأَمَلَ يُذْهِبُ الْعَقْلَ، وَيَكْذِبُ الْوَعْدَ، وَيَحْتُ عَلَى الْغَفْلَةِ، وَيُورِثُ الْحَسْرَةَ. فَأُكْذِبُوا الْأَمَلَ، فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَإِنَّ صَاحِبَهُ مَأْزُورٌ..^٣
- ١٥ الامام السجاد «ع» : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! وَأَكْفِنَا طَوْلَ الْأَمَلِ، وَقَصْرَهُ عَنَّا بِصَدَقِ الْعَمَلِ، حَتَّى لَا نُؤَمِّلَ اسْتِمَامَ سَاعَةٍ بَعْدَ سَاعَةٍ، وَلَا اسْتِيفَاءَ يَوْمٍ بَعْدَ يَوْمٍ، وَلَا اتِّصَالَ نَفْسٍ بِنَفْسٍ، وَلَا لُحُوقَ قَدَمٍ بِقَدَمٍ، وَسَلَّمْنَا مِنْ غُرُورِهِ، وَأَمِنَّا مِنْ شُرُورِهِ.^٤

١ - غرر الحكم / ٣٠١.

٢ - نهج البلاغة / ٢٠٨؛ عبده ١ / ١٤٩.

٣ - تحف العقول / ١٠٧.

٤ - الصحيفة السجادية / ٢٦٠ (الدعاء ٤٠).

الفصل السابع والعشرون

التطلع الى المستقبل

الكتاب

- ١ .. إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ، أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ؟ *^١
- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ، إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ *^٢

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - في صفة اللبيب: .. راقب في يومه غده، ونظر قداماً امامه.^٣
- ٢ الامام علي «ع»: المؤمنون الذين عرفوا ما امامهم.^٤

١ - سورة هود (١١) : ٨١.

٢ - سورة الحشر (٥٩) : ١٨.

٣ - نهج البلاغة / ١٩٢ : عبده ١ / ١٣٩.

٤ - البحار ٧٨ / ٢٥.

الفصل السابع والعشرون : التطلع الى المستقبل

- ٣ الامام علي «ع» : مَنْ اسْتَقْبَلَ الْأُمُورَ أَبْصَرَ. مَنْ اسْتَدْبَرَ الْأُمُورَ تَحَيَّرَ.^١
- ٤ الامام علي «ع» : .. لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَجِلَّ بِنَا..^٢
- ٥ الامام علي «ع» : مَنْ قَعَدَ عَنْ حِيلَتِهِ، أَقَامَتْهُ الشَّدَائِدُ.^٣
- ٦ الامام علي «ع» : مَنْ لَمْ يَتَحَرَّزْ مِنَ الْمَكَائِدِ قَبْلَ وَقُوعِهَا، لَمْ يَنْفَعَهُ الْأَسْفُ عِنْدَ هُجُومِهَا.^٤
- ٧ الامام علي «ع» : إِنْ أَمْرًا لَا تَعْلَمُ مَتَى يَفْجَأُكَ، يَنْبَغِي أَنْ تَسْتَعِدَّ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَغْشَاكَ.^٥
- ٨ الامام علي «ع» : أَمْسِكْ عَنْ طَرِيقِ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ، فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ.^٦
- ٩ الامام الصادق «ع» - لِلْمُفْضَلِ الْجُعْفِيِّ: أَوْصِيكَ بِسِتِّ خِصَالٍ تُبَلِّغُهُنَّ شِيعَتِي. قُلْتُ: وَمَا هُنَّ يَا سَيِّدِي؟ قَالَ: أَدَاءُ الْأَمَانَةِ إِلَى مَنْ اتَّيَمَّنَكَ؛ وَأَنْ تَرْضَى لِأَخِيكَ مَا تَرْضَى لِنَفْسِكَ؛ وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْأُمُورِ أَوْاخِرَ، فَاحْذَرِ الْعَوَاقِبَ؛ وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَغَاتٍ، فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ؛ وَإِيَّاكَ وَمُرْتَقَى جَبَلٍ سَهْلٍ، إِذَا كَانَ الْمُنْحَدِرُ وَعِرَاءً؛ وَلَا تَعْدَنَّ أَخَاكَ وَعَدًّا، لَيْسَ فِي يَدِكَ وَفَاؤُهُ.^٧

١ - غرر الحكم / ٢٦٦.

٢ - نهج البلاغة / ١٠٧؛ عبده ١ / ٧٣.

٣ - غرر الحكم / ٢٨٤.

٤ - غرر الحكم / ٢٩٤.

٥ - غرر الحكم / ١٠٤.

٦ - نهج البلاغة / ٩١٠؛ عبده ٣ / ٤٤.

٧ - تحف العقول / ٢٧٠.

نظرة الى الباب

١- أهمية العمل : إذا أراد الإنسان أن تنضج قواه وتتفتح قابلياته في ظرف وجوده، وأن يحقق متطلباته في الخارج، لا بد له من أن يتجاوز الفكر إلى الإقدام والعمل.

لا يتحقق الخير والفضيلة بتصورهما الذهني والتعمق فيهما وفي منافعهما، لأنَّ درك الخير وتصوره أحد العوامل لتحقيقه، والعامل الرئيسي ليس إلا العمل والسعي له. وليس للإنسان إلا عمله وسعيه. والشخصية الإنسانية إنما تتكون بأعماله. والإنسان يتولد خلال أعماله تولدًا ثانيًا - كما مرَّ - فالعمل هو العلة لكل ما يطلبه الإنسان، ولكل ما يمكن أن يصل إليه الإنسان.

٢- العمل كيف، لا كم : أهمية العمل تتعلق بكيفيته أكثر مما يتعلق بكميته. فالعمل الخالص الصحيح المتقن الذي صدر عن نية خالصة، وتقوى واستهداف، وإتقان وإحكام، يعدُّ ثميناً قيماً، وإن كان قليلاً. والعمل الخالي من الصلاح والخلوص والإتقان، المشوب بالرياء والسُّمعة، لا يعدُّ شيئاً، وإن كان كثيراً. ولذلك جاء في القرآن الكريم: «... أيكم أحسن عملاً»، لا «أكثر عملاً». فالذي يعطي العمل قيمة وكرامة ويصعدُ به، ويجعله مُتمراً خيراً فاضلاً، هو جوهرية العمل وكيفيته.

٣ - الطريق الوسط (مراعاة الحد الأوسط في الأعمال) : المستوى الطبيعي لكلِّ شيءٍ هو الحدُّ الأوسط، لا الناقص منه ولا الزائد عليه. والأشياء تتحرك إلى كمالها المطلوب في هذا المستوى. فالإنسان أيضاً لا ينبغي أن يخرج عن هذا المدار - وهو المدار الطبيعي لكلِّ شيءٍ ولكلِّ حركة -

نظرة الى الباب

فَيَجِبُ أَنْ يُرَاعِيَ الْحَدَّ الْأَوْسَطَ، فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ وَاخْتِيَارَاتِهِ. وَالتَّعْبِيرُ الَّذِي جَاءَ فِي الْكِتَابِ الْكَرِيمِ: «وَكذلكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا» نَاطِرٌ إِلَى هَذَا الْأَصْلِ.

وَالْأُمَّةُ الْوَسْطُ، هِيَ الْأُمَّةُ الَّتِي تَسِيرُ فِي حَيَاتِهَا الْإِنْسَانِيَّةَ، وَإِتْجَاهَاتِهَا الْإِجْتِمَاعِيَّةَ، عَلَى الْمَهْيَعِ اللَّاجِبِ، وَالصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَهُوَ الْحَدُّ الْوَسْطُ؛ وَتَجْتَنِبُ الْجَانِبَيْنِ اللَّذَيْنِ يُخْرِجَانِهَا عَنِ الْمَدَارِ الطَّبِيعِيِّ فِي الْحَيَاةِ، وَالْمَسِيرَةِ الصَّحِيحَةِ لِلتَّكَامُلِ. فَلتَكُنِ الْأُمَّةُ الْمُسْلِمَةُ هَكَذَا، أُمَّةً وَسَطًا.

٤ - الْأَقْدَامُ يَنْفِي الْخَوْفَ: الْإِنْسَانُ قَبْلَ أَنْ يَبْدَأَ بِالْعَمَلِ غَيْرُهُ حِينَ الشَّرُوعِ فِيهِ. فَهُوَ قَبْلَ أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى أَمْرٍ، يُفَكِّرُ فِيهِ، وَيُقَدِّرُ إِمْكَانِيَّاتِهِ، وَيُشَكِّكُ فِي مَقْدَرَتِهِ، وَيَسْتَعْظِمُ الْعِرَاقِيلَ أَمَامَهُ، وَقَدْ يَنْحِتُ مَوَانِعَ وَيَرَى الْأَمْرَ غَيْرَ مُمْكِنٍ أَوْ غَيْرَ مَيْسُورٍ، فَيُقَدِّمُ رِجْلًا وَيُؤَخِّرُ أُخْرَى، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا عَزَمَ وَأَقْدَمَ يَرَى أَنَّ كَثِيرًا مِمَّا كَانَ يَرَاهُ مَانِعًا إِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ ذَهْنِيٌّ، لَيْسَ لَهُ أَثَرٌ وَتَأْثِيرٌ فِي الْوَاقِعِ الْخَارِجِيِّ.

فَبِالْإِقْدَامِ يَقْوَى الْفَاعِلُ وَيَتَّسِعُ نِطَاقُ مَقْدُورَاتِهِ، وَيَظْفَرُ بِمَا يَرَاهُ صَعْبًا، وَيُزِيحُ الْعِرَاقِيلَ عَنِ مَسِيرِهِ.

لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَعْوَانُهُ

كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَ

٥- تَصْفِيَةُ الْعَمَلِ: مِنَ الْمَسَائِلِ الَّتِي لَهَا أَهْمِيَّةٌ كُبْرَى فِي الْأَعْمَالِ وَفِي جَوْهَرِيَّتِهَا، هُوَ تَهْدِيئُهَا عَنِ الشُّوَابِ وَتَخْلِيصُهَا عَنِ مَقَاصِدِ غَيْرِ الْهَيْئَةِ. فَعَلَى الْفَاعِلِ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي كُلِّ عَمَلٍ هَدَفٌ صَحِيحٌ عَالٍ، وَأَنْ لَا يُفَكِّرَ فِي أَثْنَاءِ الْعَمَلِ بِأَيِّ شَيْءٍ آخَرَ غَيْرَ ذَلِكَ الْهَدَفِ الْعَالِي. وَمِنْ هُنَا يَأْتِي

الإخلاص، فَيَتَحَقَّقُ الْعَمَلُ لِهَذَا تَعَالَى لَا لِغَيْرِهِ، وَيُنَزَّهُ مِنْ سَائِرِ الْأَغْرَاضِ كَطَلْبِ الشُّهُرَةِ وَالرِّيَاءِ وَالتَّمَاسِ الْمَدْحِ وَالجَاهِ وَأَخْذِ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَخُلُوصُ الْعَمَلِ مِنْ تِلْكَ الْأَغْرَاضِ النَّازِلَةِ، وَكُونُهُ لِهَذَا تَعَالَى، لَهُ دَوْرٌ مُهِمٌّ فِي إِتْقَانِ الْعَمَلِ وَإِدَامَتِهِ وَتَحْسِينِ جَوْهَرِهِ؛ فَإِنَّ الْأَغْرَاضَ غَيْرَ الْإِلَهِيَّةِ تُبَدِّلُ الْأَعْمَالَ إِلَى حَرَكَاتٍ سَطْحِيَّةٍ فَارِغَةٍ لَا عُمُقَ لَهَا وَلَا قِيَمَةَ، وَكَذَلِكَ تُبَدِّلُ الْإِنْسَانَ إِلَى عَامِلٍ سَطْحِيٍّ يَطْلُبُ الظُّوَاهِرَ. وَرَبْمَا تُؤَدِّي تِلْكَ الْحَالَةَ إِلَى تَرْكِ الْعَمَلِ أَوِ الْكَسَلِ وَالْفُتُورِ فِيهِ، لِأَنَّ الْأَغْرَاضَ الْمَذْكُورَةَ رُبَّمَا يَظْفَرُ الْعَامِلُ بِهَا فِي أَثْنَاءِ الْعَمَلِ أَوْ بَعْدَ شَيْءٍ مِنْهُ، فَيَتْرُكُ الْبَقِيَّةَ الْبَاقِيَةَ مِنَ الْعَمَلِ أَوْ لَا يُتَقِنُهَا.

٦- استمرار العمل : مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ إِنَّمَا يُعَدُّ مُثْمِرًا وَمُنْتِجًا، إِذَا كَانَ مُسْتَمِرًّا؛ فَالْعَمَلُ الَّذِي يُؤْتِي بِهِ حِينًا وَيَتْرُكُ حِينًا آخَرَ لَا يُثْمِرُ لِلْعَامِلِ وَلَا يَزِيدُهُ إِلَّا ضَعْفًا. وَذَلِكَ لِأَنَّ تَرْكَ الْعَمَلِ قَدْ يُؤَدِّي إِلَى الْكَسَلِ وَالْيَأْسِ، كَمَا أَنَّ إِدَامَتَهُ تُؤَدِّي إِلَى النَّشَاطِ وَالْقُوَّةِ وَالِاجْتِهَادِ، كَمَا يَقُولُ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع»: «مَنْ يَعْمَلْ يَزِدْ قُوَّةً، وَمَنْ يَقْصُرْ فِي الْعَمَلِ يَزِدْ فَتْرَةً». فَالْبَدءُ بِالْعَمَلِ سَهْلٌ مَيْسُورٌ، وَالِاسْتِمْرَارُ فِيهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ صَعْبٌ مَعْسُورٌ، وَالنَّتِيجَةُ الْكَامِلَةُ إِنَّمَا تَتَوَقَّفُ عَلَى الْإِسْتِمْرَارِ.

٧- العمل لا الأمل : لَا قِيَمَةَ لِلْأَمَالِ وَالْأَمَانِيِّ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهَا عَمَلِيًّا مُمْكِنًا التَّحَقُّقِ، مَقْدُورَ الْوَصُولِ، فَالْأَمَانِيُّ الْكَاذِبَةُ وَالْأَمَالُ الْبَعِيدَةُ، لَيْسَ لَهَا أَيُّ أَثَرٍ إِلَّا إِضَاعَةُ الْفُرْصَةِ، وَتَأْخِيرُ الْإِقْدَامِ، وَتَفْوِيتُ الْمَصَالِحِ، وَصَرْفُ النَّفْسِ عَنِ الْوَاقِعِ الْمَقْدُورِ إِلَى الْخِيَالِ الْمَوْهُومِ؛ فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ لَا يَتْرُكَ الْعَمَلَ لِلِإِغْتِرَارِ بِالْأَمَلِ، وَأَنْ لَا يُفَوِّتَ الْمَيْسُورَ طَلَبًا لِلْأَمَانِيِّ.

نظرة الى الباب

٨- العمل طريق المعرفة: من الموضوعات المهمة التي يجب أن تلتفت إليها أنظار البشرية، وأن تجعل في صدر التعاليم التربوية، هو أن المعرفة إنما تحصل وتتكامل وتنضج في مجال العمل والإقدام. فكلما يعمل العامل ويقدم رجلاً في ساحة الإقدام، يتجلى له عمود الحق، وتلوح له أعلام الهدف، فيعلم شيئاً لم يكن يعلمه من قبل. فالعلم والعمل متفاعلان؛ فكما أن العلم يؤدي إلى العمل، كذلك العمل يؤدي إلى علم جديد، ويستتبع ظهور السبل وكشف المجاهيل.

وللمعرفة المنبثقة عن العمل وفي أثناء العمل ميزة مهمة، وهي أن هذه المعرفة تشتمل على العلم بإمكان الموضوع ووقوعه الخارجي، وكيفية هذا الإمكان وأبعاده. وهذه معرفة حية تجريبية تحصل في مرحلة العمل واللقاء مع الواقع - لا في الكتاب أو الذهن - فتتجسّد بمياه الحركة والحياة.

٩- الدعوة بالعمل: أكبر داعٍ وأحسن مبلغٍ، لأية فكرة أو دعوة هو العمل. فإسنان العمل أنطق من لسان القول، لأن لسان العمل يجمع بين الصداقة والصحة. وكم من لسان قول ينطق عن المجاز لا الحقيقة، وليس له شاهد صدق ومثال عملي في الخارج.

١٠- الانسان رهين الأعمال: الشخصية الإنسانية تتشكل من مجموعة أعماله، المنبثقة عن أفكاره ونواياه. فليس الإنسان إلا عمله، وهو رهين عمله. وليست مدة عمره بالحقيقة، إلا تلك الأزمنة والفترات التي اشتملت على عمل، من فعل أو ترك. هذا هو العمر الحقيقي، لا الزمان الفلكي، فكم من أشخاص وفئات قد عمروا كثيراً بالزمان الفلكي، غير أنهم عمروا مدة قليلة بالزمان العملي - كما سمعت أنفاً - لأن هؤلاء أخلوا مدة

العمرِ وأيامه - وهي ظروفُ الصَّالِحَاتِ - عن العملِ الصالح، فلا تُحَسَّبُ لهم، بل تُحَسَّبُ عليهم.

١١ - العمل، هو المقياس : تَبَعاً لما قُلْنَا، يَتَّضِحُ لَدِينَا بَجَلَاءِ أَنَّ المَقْيَاسَ لِقِيَمَةِ الإنسانِ وَكَرَامَتِهِ إِنَّمَا هُوَ العَمَلُ، وَأَنَّ كُلَّ مِيزَةٍ وَفَضِيلَةٍ إِنَّمَا يَرْتَبِطُ بِالعَمَلِ. فَكَمِ مِنْ أَشْخَاصٍ وَفَنَاتٍ كَانُوا أَوْلَى أَفْكَارٍ وَأَنْظَارٍ يُجِيلُونَهَا فِي أَدْمِغَتِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْعُوا لِإِخْرَاجِهَا إِلَى عَالَمِ الوجودِ، فَلَمْ يَتَرْتَبْ عَلَيْهَا أَثَرٌ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ مِنْهَا أَحَدٌ. وَكَمِ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ لَيْسَتْ لَهُمْ تِلْكَ الْأَفْكَارُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ أَخْرَجُوا مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْفِكْرِ إِلَى الوجودِ، فَبَقِيََتْ مِنْهُمْ آثَارٌ خَيْرَةٌ وَفَاضِلَةٌ.

١٢ - من البواعث على العمل : إِنَّ الإسلامَ يَدْعُو النَّاسَ، إِلَى أَنْ يَكُونُوا مُسْتَمِرِّينَ فِي مَرَاجِلِ الحَرَكَةِ وَالصَّيرورةِ وَالتَّكَامُلِ، فَبِذَلِكَ يَطْرُدُ الرُّكُودَ، وَيُعَلِّمُ أَنَّ الإنسانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا يَرَى عَمَلَهُ شامِخاً، فَإِنَّ العَامِلَ إِذَا رَأَى عَمَلَهُ شامِخاً صالِحاً وَعَدَّهُ حَسَناً كافِياً، يَقْتَنِعُ بِذَلِكَ وَيَرْضَى مِنْ نَفْسِهِ، فَيَتْرَكَ العَمَلَ أَوْ يَسْتَقِلُّ مِنْهُ. وَإِذَا رَأَى عَمَلَهُ قَلِيلاً، يَسْعَى وَيَجْتَهِدُ لِأَنْ يَعْمَلَ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَلَ، وَلِأَنْ يَزِيدَ عَلَى السَّعْيِ.

وهناك بواعثُ على العملِ والنَّشاطِ، وبواعثُ على الرُّكُودِ وتركِ العملِ، قد ذَكَرْنَا عِدَّةً مِنْهَا فِي البَابِ. فَيَجِبُ أَنْ نُحْيِيَ البَواعِثَ عَلَى العَمَلِ فِي نَفُوسِنَا، وَأَنْ نُمِيتَ البَواعِثَ عَلَى الرُّكُودِ وَالتَّرْكِ وَالإِهْمَالِ.

١٣ - اخذ التدابير وتقييم النتائج : يَجِبُ عَلَى الإنسانِ أَنْ تَكُونَ أَعْمَالُهُ وَأَفْعَالُهُ مَقْرُونَةً بِالتَّدْبِيرِ وَالنَّظْمِ وَمِلاحِظَةِ المَقارِنَاتِ وَالمناسباتِ؛ فَيَلْزِمُهُ أَنْ يُقَدِّرَ أَوَّلًا نَتِيجَةَ عَمَلِهِ، ثُمَّ يُقَدِّمَ عَلَى العَمَلِ. فَالتَّقْدِيرُ وَالْمَحاسِبَةُ قَبْلَ كُلِّ

عَمَلٍ ، أمرٌ يزيدُ قيمةَ العملِ، ويسمو بجوهرِيتهِ، ويُطوّرُ النتيجةَ ويُحسِنُها. وإذا كانَ العَامِلُ مُتَزَوِّدًا مِمَّا ذُكِرَ، يَهْتَمُّ بِأَفْعَالٍ خَيْرَةٍ وَفَاضِلَةٍ، وَأَعْمَالٍ أَصِيلَةٍ وَمَهْمَةٍ وَيَدْعُ غَيْرَهَا. وَيَجِبُ أَنْ يَلْتَفِتَ الْإِنْسَانُ إِلَى أَنَّ قِيَمَةَ الْأَعْمَالِ تُلَاحِظُ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ. فَإِذَا الْعَمَلُ الْقَلِيلُ فِي ظَرْفِهِ الْمُنَاسِبِ وَزَمَانِهِ اللَّائِقِ بِهِ، أَثْمَنُ وَأَعْلَى مِنْ عَمَلٍ كَثِيرٍ صَدَرَ فِي وَقْتٍ لَا يُنَاسِبُ ..

١٤- الانتفاع الصحيح من القوى الانسانية : يَجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ - إِذَا كَانَ مُجِدِّدًا فِي الْحَيَاةِ، عَارِفًا بِقِيَمَةِ الْعُمُرِ، مَسْئُولًا - أَنْ يُجَانِبَ اللَّغْوَ وَاللَّهُوَ، وَأَنْ لَا يَصْرِفَ قُوَاهُ فِي الْأُمُورِ الْفَارِغَةِ، وَالْأَعْمَالِ الْبَاطِلَةِ؛ فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ قُوَاهُ، إِسْتِفَادَةً صَحِيحَةً يَطْلُبُهَا الدِّينُ وَيُؤَيِّدُهَا الْعَقْلُ. فَعَلَى هَذَا صَرَفُ الْوَقْتِ فِي الْأَعْمَالِ غَيْرِ الْمُفِيدَةِ، إِتْلَافٌ لِقِسْمٍ مِنْ جَوْهَرِ الْحَيَاةِ، وَهُوَ تَلْكَ الْبُرْهَةُ مِنَ الزَّمَانِ، الَّذِي يَذْهَبُ وَلَا يَوُوبُ، وَيَفْنَى وَلَا يَعُودُ.

١٥- الطريق، ثم العمل : مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّ الْعَامِلَ إِذَا كَانَ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ يَكُونُ ذَا هَدَفٍ مُعَيَّنٍ وَمَقْصِدٍ عَالٍ . وَمِنْ الْوَاضِحِ أَيْضًا أَنَّ لِكُلِّ غَايَةٍ يَعْمَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَجْلِهَا، طُرُقًا مُنَاسِبَةً وَغَيْرَ مُنَاسِبَةٍ، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَخْتَارَ - قَبْلَ الْعَمَلِ - الطَّرِيقَ الْمُنَاسِبَ، وَالْوَسَائِلَ الْمُنْتَجَةَ، وَالزَّمَانَ الْمُلَائِمَ لِلْعَمَلِ.

وَمِنْ أَهَمِّ الْقَضَايَا وَالْأُمُورِ لِكُلِّ خَاعِلٍ فِعْلٌ ، أَنْ يَكُونَ مُتَرَوِّيًا فِي الْأَمْرِ، نَاطِرًا فِي الْعَوَاقِبِ، مُتَطَلِّعًا لِمَا تَصِيرُ إِلَيْهِ الْحَالُ، حَتَّى يَعْرِفَ مِنَ الْبَدْءِ مَالَ الْأَمْرِ وَمُنْتَهَاهُ. فَالِنَّظَرُ إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ، وَحِسَابُ الْعَوَاقِبِ، يُعِينَانِ الْإِنْسَانَ عَلَى الْإِشْتِغَالِ بِالْعَمَلِ الْمُفِيدِ، وَتَرْكِ مَا يَضُرُّ، أَوْ مَا لَا يُفِيدُ وَلَوْ فِي الْمَالِ.

البابُ الرَّابِع

الباب الرابع : ميزات الإيدولوجية الالهية : وفيه فصول:

الفصل الأول

الطمأنينة وإرواء الظمأ الوجداني

الكتاب

- ١ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ، أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ * ١
- ٢ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، لِيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ، وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .. ٢
- ٣ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ، فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ .. ٣
- ٤ وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا، فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ، فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ، إِنْ كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ * ٤

الحديث

-
- ١ - سورة الرعد (١٣): ٢٨.
 - ٢ - سورة الفتح (٤٨): ٤.
 - ٣ - سورة ابراهيم (١٤): ٢٧.
 - ٤ - سورة الانبياء (٢١): ٨٧ - ٨٨.

- ١ النبي «ص» : لا يَسْتَوْحِشُ مَنْ كَانَ اللهُ أَنْيَسَهُ.^١
- ٢ الامام علي «ع» : الرَّائِحُ إِلَى اللهِ كَالظَّمَانِ يَرِدُ الْمَاءَ.^٢
- ٣ الامام علي «ع» : الْمَعْرِفَةُ دَهْشٌ، وَالخُلُوعُ مِنْهَا عَطَشٌ.^٣
- ٤ الامام علي «ع» : يَا كُمَيْلُ ! لَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : «نَسُوا اللهُ فَأَنسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ»،^٤ وَنَسَبَهُمْ إِلَى الْفِسْقِ : «أَوْلَيْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».^٥
- ٥ الامام الصادق «ع» : جَاءَ حَبْرٌ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ حِينَ عَبَدْتَهُ؟ فَقَالَ : وَيْلَكَ ! مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ. قَالَ : وَكَيْفَ رَأَيْتَهُ؟ قَالَ : وَيْلَكَ ! لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ فِي مُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ، وَلَكِنْ رَأَتْهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ.^٦
- ٦ الامام السجاد «ع» : .. بَلِ اجْعَلْ سَكُونَ قَلْبِي وَأَنْسَ نَفْسِي وَاسْتِغْنَائِي وَكِفَايَتِي، بِكَ وَبِخِيَارِ خَلْقِكَ.^٧
- ٧ الامام السجاد «ع» : اللَّهُمَّ ! يَا كَافِيَ الْفَرْدِ الضَّعِيفِ، وَوَاقِيَ الْأَمْرِ الْمَخُوفِ ..^٨
- ٨ الامام السجاد «ع» : اللَّهُمَّ ! إِنِّي أَخْلَصْتُ بِانْقِطَاعِي إِلَيْكَ، وَأَقْبَلْتُ بِكُلِّي عَلَيْكَ..^٩

١ - مشكاة الانوار / ١٢٥.

٢ - نهج البلاغة / ٣٨٣؛ عبده ٢ / ٦.

٣ - غرر الحكم / ٣٧ - ٣٨.

٤ - سورة الحشر (٥٩) : ١٩.

٥ - البحار ٧٧ / ٢٧٣؛ تحف العقول / ١٢٢.

٦ - البحار ٤١ / ١٦، عن «توحيد الصدوق».

٧ - الصحيفة السجادية / ١٤٧ (الدعاء ٢١).

٨ - الصحيفة السجادية / ١٤٢ (الدعاء ٢١).

٩ - الصحيفة السجادية / ١٩٢ (الدعاء ٢٨).

الفصل الثاني

في ولاية الله تعالى

الكتاب

- ١ إنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ*^١
- ٢ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا، وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ*^٢
- ٣ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا، وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ*^٣
- ٤ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى : إِنَّا لَمُدْرِكُونَ* قَالَ : كَلَّا، إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ*^٤

الحديث

-
- ١ - سورة الاعراف (٧) : ١٩٦.
 - ٢ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ١١.
 - ٣ - سورة الطور (٥٢) : ٤٨.
 - ٤ - سورة الشعراء (٢٦) : ٦١ - ٦٢.

- ١ الامام علي «ع» : .. أوثق سببٍ أخذت به، سببٌ بينك وبين الله.^١
- ٢ الامام علي «ع» : .. ألجئي نفسك في الأمور كلها الى إلهك، فإنك تلجئها الى كهفٍ حريز، ومانعٍ عزيز.^٢
- ٣ الامام السجاد «ع» : اللهم اجعلني أصولُ بك عند الضرورة، وأسألُك عند الحاجة، وأتضرعُ اليك عند المسكنة، ولا تفقني بالاستعانةِ بغيرك إذا اضطررتُ، ولا بالخضوعِ لسؤالِ غيرك إذا افتقرتُ، ولا بالتضرعِ الى من دونك إذا رهبتُ، فأستحقُّ بذلك خذلانك ومنعك وإعراضك، يا أرحمَ الراحمين.^٣
- ٤ الامام السجاد «ع» : .. لا تجعل لفاجرٍ ولا كافرٍ عليّ منةً، ولا له عندي يدًا، ولا يبي إليهم حاجةً.^٤
- ٥ الامام السجاد «ع» : اللهم أنت عُدتي إن حزنتُ، وأنت مُنتجعي إن حُرمتُ، وبك استغاثتي إن كرتُ، وعندك مِمافاتٌ خلفُ، ولما فسَدَ صلاحُ، وفيما أنكرتَ تغييرُ. فأمُنْ عليّ قبلَ البلاءِ بالعافيةِ، وقبلَ الطلبِ بالجدّةِ، وقبلَ الضلالِ بالرّشادِ، وأكفني مؤونةَ معرّةِ العبادِ، وهبْ لي أمنَ يومِ المعادِ، وأمنحني حُسنَ الارشادِ.^٥
- ٦ الامام السجاد «ع» : .. فأنت يا مولاي! دُونَ كُلِّ مَسْؤُولٍ مَوْضِعُ مَسْأَلَتِي،

١ - نهج البلاغة / ٩٣٦ : عبده ٣ / ٦٢.

٢ - نهج البلاغة / ٩١٠ : عبده ٣ / ٤٥.

٣ - الصحيفة السجادية / ١٣٥ (الدعاء ٢٠).

٤ - الصحيفة السجادية / ١٤٧ (الدعاء ٢١).

٥ - الصحيفة السجادية / ١٣٨ (الدعاء ٢٠).

الفصل الثاني : في ولاية الله تعالى

وَدُونَ كُلِّ مَطْلُوبٍ إِلَيْهِ وَلِيٍّ حَاجَتِي. أَنْتَ الْمَخْصُوصُ قَبْلَ كُلِّ مَدْعُوٍّ
بِدَعْوَتِي، لَا يَشْرُكَكَ أَحَدٌ فِي رَجَائِي، وَلَا يَتَّفِقُ أَحَدٌ مَعَكَ فِي دُعَائِي، وَلَا
يَنْظِمُهُ وَإِيَّاكَ نِدَائِي. لَكَ - يَا إِلَهِي - وَحْدَانِيَّةُ الْعَدَدِ، وَمَلَكَةُ الْقُدْرَةِ الصَّمَدِ،
وَفَضِيلَةُ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ، وَدَرَجَةُ الْعُلُوِّ وَالرَّفْعَةِ..١

١ - الصحيفة السجادية / ١٩٤ (الدعاء ٢٧).

الفصل الثالث

ترابط الانسان والكون

الكتاب

- ١ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ، كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ *^١
- ٢ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ..^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: «اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَطِيَّتَانِ».^٣
- ٢ الامام السجاد «ع»: «.. هذا يومٌ حَادِثٌ جَدِيدٌ، وَهُوَ عَلَيْنَا شَاهِدٌ عَتِيدٌ. إِنْ أَحْسَنَّا وَدَعَّعْنَا بِحَمْدِهِ، وَإِنْ أَسَأْنَا فَارْقَنَا بِذَمِّهِ».

١ - سورة النور (٢٤) : ٤١.

٢ - سورة التغابن (٦٤) : ١.

٣ - الخصال ١ / ٦٨.

الفصل الثالث : ترابط الانسان والكون

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! وَارْزُقْنَا حُسْنَ مُصَاحَبَتِهِ، وَاعْصِمْنَا مِنْ
سَوْءِ مُفَارَقَتِهِ، بِارْتِكَابِ جَرِيرَةٍ أَوْ اقْتِرَافِ صَغِيرَةٍ أَوْ كَبِيرَةٍ. وَأَجْزِلْ لَنَا فِيهِ
مِنَ الْحَسَنَاتِ، وَأَخْلِنَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَأَمَلْنَا لَنَا مَا بَيْنَ طَرْفَيْهِ حَمْدًا وَشُكْرًا
وَأَجْرًا وَذُخْرًا وَفَضْلًا وَإِحْسَانًا..

اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِهِ حَظًّا مِنْ عِبَادِكَ، وَنَصيبًا مِنْ
شُكْرِكَ، وَشَاهِدَ صَدَقٍ مِنْ مَلَائِكَتِكَ ..

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! وَاجْعَلْهُ أَيْمَنَ يَوْمِ عَهْدِنَاهُ، وَأَفْضَلَ
صَاحِبِ صَحْبِنَاهُ، وَخَيْرَ وَقْتِ ظَلَّلْنَا فِيهِ .. ١

٣ الامام السجاد «ع» - من دعائه اذا نظر الى الهلال: أَيُّهَا الْخَلْقُ الْمُطِيعُ،
الدَّائِبُ السَّرِيعُ، الْمُتَرَدِّدُ فِي مَنَازِلِ التَّقْدِيرِ، الْمُتَصَرِّفُ فِي فَلَكِ التَّدْبِيرِ!
آمَنْتُ بِمَنْ نَوَّرَ بِكَ الظُّلْمَ، وَأَوْضَحَ بِكَ الْبُهْمَ، وَجَعَلَكَ آيَةً مِنْ آيَاتِ مُلْكِهِ،
وَعَلَامَةً مِنْ عِلْمَاتِ سُلْطَانِهِ، وَآمَتَهَنَكَ بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ، وَالطُّلُوعِ
وَالْأُفُولِ، وَالْإِنَارَةَ وَالْكَسُوفِ، فِي كُلِّ ذَلِكَ أَنْتَ لَهُ مُطِيعٌ، وَالْإِرَادَةَ سَرِيعٌ.
سُبْحَانَهُ، مَا أَعْجَبَ مَا دَبَّرَ فِي أَمْرِكَ! وَالْأَطْفَ مَا صَنَعَ فِي شَأْنِكَ! جَعَلَكَ
مِفْتَاحَ شَهْرِ حَادِثٍ، لِأَمْرِ حَادِثٍ، فَاسْأَلْ اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكَ، وَخَالِقِي وَخَالِقَكَ،
وَمُقَدَّرِي وَمُقَدَّرَكَ، وَمُصَوِّرِي وَمُصَوِّرَكَ، أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَنْ
يَجْعَلَكَ هِلَالَ بَرَكَةٍ لَا تَمَحُّقُهَا الْآيَّامُ، وَطَهَارَةٍ لَا تُدْنِسُهَا الْآثَامُ؛ هِلَالَ أَمْنٍ
مِنَ الْآفَاتِ، وَسَلَامَةٍ مِنَ السَّيِّئَاتِ؛ هِلَالَ سَعْدٍ لَانْحَسَ فِيهِ، وَيُؤْمِنُ لَانَكَّدَ
مَعَهُ، وَيُسِرُّ لَا يُمَارِجُهُ عُسْرٌ، وَخَيْرٌ لَا يَشُوبُهُ شَرٌّ؛ هِلَالَ أَمْنٍ وَإِيمَانٍ، وَنِعْمَةٍ
وَإِحْسَانٍ، وَسَلَامَةٍ وَاسْلَامٍ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! وَاجْعَلْنَا مِنْ أَرْضِي مَنْ طَلَعَ عَلَيْهِ، وَأَزْكَى
مَنْ نَظَرَ إِلَيْهِ، وَاسْعَدَ مَنْ تَعَبَّدَ لَكَ فِيهِ. وَوَفَّقْنَا فِيهِ لِلتَّوْبَةِ، وَاعْصِمْنَا فِيهِ مِنْ

الْحَوْبَةَ، وَاحْفَظْنَا فِيهِ مِنْ مُبَاشَرَةِ مَعْصِيَتِكَ، وَأَوْزِعْنَا فِيهِ شُكْرَ نِعْمَتِكَ،
وَأَلْبِسْنَا فِيهِ جُنْنَ الْعَافِيَةِ، وَأَتِمِّمْ عَلَيْنَا بِاسْتِكْمَالِ طَاعَتِكَ فِيهِ الْمِنَّةَ، إِنَّكَ
الْمَنَّانُ الْحَمِيدُ. صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ.^١

٤ الامام السجاد «ع»: اللهم! وَأَنْتَ جَعَلْتَ مِنْ صَفَايَا تِلْكَ الْوُظَائِفِ،
وَخِصَائِصِ تِلْكَ الْفُرُوضِ، شَهْرَ رَمَضَانَ، الَّذِي اخْتَصَصْتَهُ مِنْ سَائِرِ
الشُّهُورِ .. وَقَدْ أَقَامَ فِيْنَا هَذَا الشَّهْرُ مَقَامَ حَمْدٍ، وَصَحِبْنَا صُحْبَةَ مَبْرُورٍ،
وَأَرْبَحْنَا أَفْضَلَ أَرْبَاحِ الْعَالَمِينَ. ثُمَّ قَدْ فَارَقْنَا عِنْدَ تَمَامِ وَقْتِهِ، وَأَنْقَطَعَ
مُدَّتِهِ، وَوَفَاءِ عَدْدِهِ، فَنَحْنُ مُودَّعُوهُ وَدَاعٍ مَنْ عَزَّ فِرَاقُهُ عَلَيْنَا، وَغَمَّنَا وَأَوْحَشَنَا
انْصِرَافَهُ عَنَّا، وَلَزِمْنَا لَهُ الدَّمَامُ الْمَحْفُوظُ، وَالْحُرْمَةُ الْمَرْعِيَّةُ، وَالْحَقُّ
الْمَقْضِيُّ. فَنَحْنُ قَائِلُونَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا شَهْرَ اللهِ الْكَبِيرِ، وَيَا عِيدَ أَوْلِيَائِهِ.
السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَكْرَمَ مَصْحُوبٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ، وَيَا خَيْرَ شَهْرٍ فِي الْأَيَّامِ
وَالسَّاعَاتِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ قَرِينِ جَلِّ قَدْرُهُ مَوْجُودًا، وَأَفْجَعَ فَقْدُهُ مَفْقُودًا،
وَمَرْجُوٌّ أَلَمَ فِرَاقُهُ .. السَّلَامُ عَلَيْكَ مِنْ شَهْرٍ هُوَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ سَلَامٌ. السَّلَامُ
عَلَيْكَ غَيْرَ كَرِيهِ الْمُصَاحِبَةِ، وَلَا ذَمِيمِ الْمُلَابَسَةِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ كَمَا وَفَدَتْ
عَلَيْنَا بِالْبَرَكَاتِ، وَغَسَلَتْ عَنَّا نَسَ الْخَطِيئَاتِ. السَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُوَدَّعٍ
بَرَمًا، وَلَا مَتْرُوكٍ صِيَامُهُ سَأْمًا .. السَّلَامُ عَلَيْكَ وَعَلَى «لَيْلَةِ الْقَدْرِ»..^٢

٥ الامام السجاد «ع»: اللهم صلِّ على محمدٍ وآله! وَأَمْحَقْ ذُنُوبَنَا مَعَ أَمْحَاقِ
هَلَالِهِ، وَأَسْلُخْ عَنَّا تَبِعَاتِنَا مَعَ أَنْسِلَاحِ أَيَّامِهِ، حَتَّى يَنْقُضِيَ عَنَّا وَقَدْ صَفَّيْتَنَا فِيهِ
مِنَ الْخَطِيئَاتِ، وَأَخْلَصْتَنَا فِيهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ.^٣

١ - الصحيفة السجادية / ٢٧٨ - ٢٨١ (الدعاء ٤٣).

٢ - الصحيفة السجادية / ٣٠٢ - ٣٠٥ (الدعاء ٤٥).

٣ - الصحيفة السجادية / ٢٩٠ (الدعاء ٤٤).

الفصل الرابع

هادية الكون والانسان

الكتاب

- ١ وما خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوَارِدُنَا أَنْ نَتَّخِذَهُمْ آيَاتِنَا مِنْ لَدُنَّا، إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ، فإِذَا هُوَ زَاهِقٌ، وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ *^١
- ٢ وما خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * مَا خَلَقْنَا هُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ *^٢
- ٣ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى، وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُّعْرِضُونَ *^٣
- ٤ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ، يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ، وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى، أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ *^٤

١ - سورة الانبياء (٢١) : ١٦ - ١٨.

٢ - سورة الدخان (٤٤) : ٣٨ - ٣٩.

٣ - سورة الاحقاف (٤٦) : ٣.

٤ - سورة الزمر (٣٩) : ٥.

- ٥ وما خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَوَيْلٌ
لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ *^١
- ٦ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِيَّاكُمْ إِعْتَدْنَا خِزَائِنَهُ، وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ * وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ
لَوَاقِحَ، فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَا كُومَهُ، وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ *^٢
- ٧ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ؟ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ، فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ *^٣
- ٨ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ؟ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا
إِلَّا بِالْحَقِّ ..^٤
- ٩ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ؟ *^٥
- ١٠ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى؟ *^٦
- ١١ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا، نَمُوتُ وَنَحْيَا، وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ، وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ
مِنْ عِلْمٍ، إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ * وَإِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ، مَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا
أَنْ قَالُوا اتُّوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قُلْ : اللَّهُ يُحْيِيكُمْ، ثُمَّ يُمِيتُكُمْ، ثُمَّ
يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، لَا رَيْبَ فِيهِ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ *^٧
- ١٢ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا، مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ، فَارْجِعِ
الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ؟ *^٨
- ١٣ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً، وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ

١ - سورة ص (٣٨) : ٢٧.

٢ - سورة الحجر (١٥) : ٢١ - ٢٢.

٣ - سورة العنكبوت (٢٩) : ٢ - ٣.

٤ - سورة الروم (٣٠) : ٨.

٥ - سورة المؤمنون (٢٣) : ١١٥.

٦ - سورة القيامة (٧٥) : ٣٦.

٧ - سورة الجاثية (٤٥) : ٢٤ - ٢٦.

٨ - سورة الملك (٦٧) : ٣.

الفصل الرابع : هادفة الكون والانسان

والحِسَابَ، مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ، يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي
اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، لآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَتَّقُونَ *^١

١٤ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى *^٢

١٥ قَالَ : فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى؟ قَالَ : رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ
هَدَى *^٣

١٦ قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ
السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا
أَمَرَهُ *^٤

١٧ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ *^٥

١٨ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *^٦

الحديث

١ الامام علي «ع» : .. فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا، وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدىً، وَلَمْ
يَدْعُكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمَى، قَدْ سَمِيَ آثَارَكُمْ ..^٧

١ - سورة يونس (١٠) : ٥ - ٦.

٢ - سورة الاعلى (٨٧) : ١ - ٣.

٣ - سورة طه (٢٠) : ٤٩ - ٥٠.

٤ - سورة عبس (٨٠) : ١٧ - ٢٣.

٥ - سورة القمر (٥٤) : ٤٩.

٥ - سورة الذاريات (٥١) : ٥٦.

٧ - نهج البلاغة / ٢٠٦ : عبده ١ / ١٤٧.

٢ الامام علي «ع» : .. فما خُلِقْتُ لِشِغْلِنِي أَكُلَ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهْمِيَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلْفُهَا؛ او الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقْمُمُهَا، تَكْتَرِشُ مِنْ اِعْلَافِهَا، وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا؛ او أُتْرِكَ سُدَى و أَهْمَلْ عَابِتًا؛ او أُجْرَّ حَبْلَ الضَّلَالَةِ؛ او اُعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ ..^١

٣ الامام السجاد «ع» : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ! وَمَتَّعْنِي بِهُدَى صَالِحٍ لَا أَسْتَبِدُّ بِهِ، وَطَرِيقَةٍ حَقٌّ لَا أَزِيغُ عَنْهَا، وَنِيَّةٍ رُشِدٍ لَا أَشُكُّ فِيهَا. وَعَمَّرْنِي مَا كَانَ عُمْرِي بِذَلَّةٍ فِي طَاعَتِكَ! فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعًا لِلشَّيْطَانِ، فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ، أَوْ يَسْتَحْكِمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ.^٢

٤ الامام السجاد «ع» : .. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اخْتَارَ لَنَا مَحَاسِنَ الْخَلْقِ، وَأَجْرَى عَلَيْنَا طَيِّبَاتِ الرِّزْقِ .. وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَغْلَقَ عَنَّا بَابَ الْحَاجَةِ إِلَّا إِلَيْهِ. فَكَيْفَ نَطِيقُ حَمْدَهُ؟ أَمْ مَتَى نُؤَدِّي شُكْرَهُ؟ لَا مَتَى! وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَكَّبَ فِيْنَا آلَاتِ الْبَسْطِ، وَجَعَلَ لَنَا أَدْوَاتِ الْقَبْضِ، وَمَتَّعَنَا بِأَرْوَاحِ الْحَيَاةِ، وَأَثَبَتْ فِيْنَا جَوَارِحَ الْأَعْمَالِ، وَغَدَّانَا بِطَيِّبَاتِ الرِّزْقِ، وَأَغْنَانَا بِفَضْلِهِ، وَأَقْنَانَا بِمَنِّهِ.^٣

٥ الامام السجاد «ع» : الْحَمْدُ لِلَّهِ الْأَوَّلِ بِلا أَوَّلٍ كَانَ قَبْلَهُ، وَالْآخِرِ بِلا آخِرٍ يَكُونُ بَعْدَهُ. الَّذِي قَصَّرَتْ عَنْ رُؤْيَيْهِ أَبْصَارُ النَّاطِرِينَ، وَعَجَزَتْ عَنْ نَعْتِهِ أَوْهَامُ الْوَاصِفِينَ. ابْتَدَعَ بِقُدْرَتِهِ الْخَلْقَ ابْتِدَاعًا، وَاخْتَرَعَهُمْ عَلَى مَشِيَّتِهِ اخْتِرَاعًا .. ثُمَّ ضَرَبَ لَهُ فِي الْحَيَاةِ أَجَلًا مَوْقُوتًا، وَنَصَبَ لَهُ أَمْدًا مَحْدُودًا، يَتَخَطَّأُ إِلَيْهِ بِأَيَّامِ عُمْرِهِ، وَيَرْهَقُهُ بِأَعْوَامِ دَهْرِهِ. حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَقْصَى أَثَرِهِ، وَاسْتَوْعَبَ حِسَابَ عُمْرِهِ، قَبِضَهُ إِلَى مَا نَدَبَهُ إِلَيْهِ، مِنْ مَوْفُورِ ثَوَابِهِ، او مَحْذُورِ

١ - نهج البلاغة / ٩٧١ : عبده ٣ / ٨١.

٢ - الصحيفة السجادية / ١٣١ (الدعاء ٢٠).

٣ - الصحيفة السجادية / ٣٥ - ٣٦ (الدعاء ١).

الفصل الرابع : هادفة الكون والانسان

عِقَابِهِ. لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى،
عَدْلًا مِنْهُ، تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ..

والحمدُ لله الذي لو حَبَسَ عن عِبَادِهِ معرفةَ حَمْدِهِ على ما أَبْلَاهُم مِنْ
مِنْهُ الْمُتَتَابِعَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ، لَتَصَرَّفُوا فِي مِنْهُ فَلَمْ
يَحْمَدُوهُ، وَتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ. وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ
حُدُودِ الْإِنْسَانِيَةِ إِلَى حَدِّ الْبَهِيمِيَّةِ، فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: «إِنَّ
هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا»^٢..

٦
الامام الصادق «ع»: يا مُفَضَّلُ! إِنَّ الشُّكَّاءَ جَهَلُوا الْأَسْبَابَ وَالْمَعَانِي فِي
الْخَلْقَةِ، وَقَصُرَتْ أَفْهَامُهُمْ عَنْ تَأْمُلِ الصَّوَابِ وَالْحِكْمَةِ، فِيمَا ذَرَأَ الْبَارِي -
جَلَّ قُدْسُهُ - وَبَرَأَ مِنْ صُنُوفِ خَلْقِهِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالسَّهْلِ وَالْوَعْرِ،
فَخَرَجُوا بِقِصْرِ عُلُومِهِمْ إِلَى الْجُحُودِ، وَبِضَعْفِ بَصَائِرِهِمْ إِلَى التَّكْذِيبِ
وَالْعُنُودِ، حَتَّى أَنْكَرُوا خَلْقَ الْأَشْيَاءِ، وَأَدَّعَوْا أَنَّ كَوْنَهَا بِالْإِهْمَالِ، لَا صَنْعَةَ
فِيهَا وَلَا تَقْدِيرَ، وَلَا حِكْمَةَ مِنْ مُدَبِّرٍ وَلَا صَانِعٍ، تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ،
وَقَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْتَى يُؤْفِكُونَ. فَهُمْ فِي ضَلَالِهِمْ وَعَمَاهُمْ وَتَحْيِيرِهِمْ بِمَنْزِلَةِ عُمَيَانَ
دَخَلُوا دَارًا قَدْ بُنِيَتْ أَتَقَنَّ بِنَاءٍ وَأَحْسَنَهُ، وَفَرَشَتْ بِأَحْسَنِ الْفَرَشِ وَأَفْخَرِهِ،
وَأَعَدَّ فِيهَا ضُرُوبَ الْأَطْعِمَةِ وَالْأَشْرِبَةِ وَالْمَلَابِسِ وَالْمَارِبِ الَّتِي يُحْتَاجُ إِلَيْهَا
[و] لَا يُسْتَغْنَى عَنْهَا، وَوُضِعَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ مَوْضِعَهُ، عَلَى صَوَابٍ مِنْ
التَّقْدِيرِ وَحِكْمَةٍ مِنَ التَّدْبِيرِ، فَجَعَلُوا يَتَرَدَّدُونَ فِيهَا يَمِينًا وَشِمَالًا، وَيَطُوفُونَ
بُيُوتَهَا إِدْبَارًا وَإِقْبَالًا، مَحْجُوبَةً أَبْصَارُهُمْ عَنْهَا، لَا يُبْصِرُونَ بُنْيَةَ الدَّارِ وَمَا
أَعَدَّ فِيهَا. وَرُبَّمَا عَثَرَ بَعْضُهُمْ بِالشَّيْءِ الَّذِي قَدْ وُضِعَ مَوْضِعَهُ، وَأَعَدَّ لِلْحَاجَةِ
إِلَيْهِ، وَهُوَ جَاهِلٌ بِالْمَعْنَى فِيهِ، وَلِذَا أَعَدَّ وَلِذَا جُعِلَ كَذَلِكَ، فَتَدَمَّرَ وَتَسَخَّطَ،

١ - سورة الفرقان (٢٥) : ٤٤.

٢ - الصحيفة السجادية / ٢٨ - ٣١ (الدعاء ١).

وذمَّ الدَّارَ وبانِيهَا. فهذه حالُ هذا الصَّنْفِ في إنكارِهِم ما أنكَروا مِن امرِ الخِلْقَةِ وإثباتِ الصَّنْعَةِ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا عَزَبَتْ أذهانُهُم عن معرفةِ الأسبابِ والعِلَلِ في الأشياءِ، صاروا يَجولون في هذا العالمِ حَيارى، ولا يَفهمون ما هو عليه مِن إتقانِ خِلْقَتِهِ وحُسنِ صَنعَتِهِ وصوابِ تَهْيِئَتِهِ. ورُبَّمَا وَقَفَ بعضُهُم على الشَّيْءِ لِجَهْلِ سَبَبِهِ والأَرَبِ فِيهِ، فَيَسْرَعُ إلى ذَمِّهِ ووصفِهِ بالإحالةِ والخطاءِ..^١

٧ الامام الصادق «ع» :- يا مُفضَّلُ! الخلقُ حَيارى، عَمُونَ سُكارى، في طُغيانِهِم يترَدَّدون وبشياطينِهِم وطواغيتِهِم يَقْتَدُونَ. بُصْرَاءُ عُمِّي لا يُبصرون، نُطقاءُ بُكُمْ لا يَعْقِلون، سُمعَاءُ صُمٌّ لا يَسْمَعون. رَضُوا بالدُّونِ وحَسِبوا أَنَّهُم مُهتَدُونَ. حادُّوا عن مَدْرَجَةِ الأكياسِ، ورَتَعوا في مرْعَى الأرجاسِ الأنجاسِ، كَأَنَّهُم مِن مُفاجأةِ المَوْتِ آمِنون، وعن المُجازاةِ مُرَحْرِحون. يا وَيْلَهُم! ما أشقاهم وأطولَ عَناءِهِم وأشدَّ بلاءِهِم، يَوْمَ لا يَغْنِي مولى عن مولى شيئاً ولا هُم يُنصرون، إلاَّ مَنْ رَجِمَ اللهُ.

قال المفضل: فبكِيتُ لَمَّا سمعتُ منه، فقال: لا تَبِكِ! تَخَلَّصْتَ إذا قَبِلْتَ، ونَجوتَ إذا عَرَفْتَ..^٢

٨ الامام الصادق «ع» :- .. يا مُفضَّلُ! أوَّلُ العِبَرِ والأدِلَّةِ على الباري - جَلَّ قُدْسُهُ - تَهْيِئَةُ هذا العالمِ وتَأليفُ أَجْزائِهِ، ونَظْمُها على ما هِيَ عليه. فَإِنَّكَ إذا تَأَمَّلْتَ العالمَ بِفِكرِكَ، ومَيَّزْتَهُ بِعَقْلِكَ، وَجَدْتَهُ كَالْبَيْتِ المَبْنِيِّ المُعَدِّ فِيهِ جَمِيعُ ما يَحْتاجُ إليه عِبادُهُ. فالسَّماءُ مرفوعةٌ كَالسَّقْفِ، والأَرْضُ ممدودةٌ كَالبِساطِ، والنُّجُومُ مَنْضُودَةٌ كَالْمَصَابِيحِ، والجَواهرُ مَخزونةٌ كَالذِّخائِرِ، وكلُّ شَيْءٍ فِيها

١ - البحار ٣ / ٥٩ - ٦٠، عن كتاب «التوحيد»، للمفضل الجعفي.

٢ - البحار ٣ / ٩٠.

لشأنه معدّ. والانسان كالممك ذلك البيت، والمخول جميع ما فيه. وضروب النبات مهياة لماربه، وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه. ففي هذا، دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير وحكمة، ونظام وملائمة، وأن الخالق له واحد. وهو الذي أله ونظمه، بعضاً الى بعض، جلّ قدسه، وتعالى جدّه، وكرم وجهه، ولا إله غيره، تعالى عما يقول الجاحدون، وجلّ وعظم عما ينتحله المُلحدون.^١

الامام الصادق «ع» : .. إعتبر يا مفضل! فيما يدبر به الانسان في هذه الأحوال المختلفة هل ترى يمكن أن يكون بالإهمال؟ .. لو كان المولود يولد فهماً عاقلاً، لأنكر العالم عند ولادته، ولبقي حيران تائه العقل، إذا رأى ما لم يعرف، وورد عليه ما لم ير مثله، من اختلاف صور العالم، من البهائم والطير الى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوماً بعد يوم. واعتبر ذلك بأن من سبي من بلد الى بلد، وهو عاقل، يكون كالواله الحيران؛ فلا يسرع في تعلم الكلام وقبول الأدب كما يسرع الذي يسبي صغيراً غير عاقل. ثم لو ولد عاقلاً، كان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولاً، مرضعاً، معصباً بالخرق، مسجى في المهد، لأنه لا يستغنى عن هذا كله، لرقه بدنه ورطوبته، حين يولد. ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل. فصار يخرج الى الدنيا غيباً، غافلاً عما فيه أهله، فيلقى الأشياء بذهن ضعيف، ومعرفة ناقصة. ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلاً قليلاً وشيئاً بعد شيء وحالاً بعد حال، حتى يألف الأشياء ويتمرن ويستمر عليها، فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها، الى التصرف والاضطراب الى المعاش، بعقله وحيلته، والى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية.

وفي هذا أيضاً وجوهٌ أخرى، فإنه لو كان يُولَدُ تامَّ العقلِ ، مُستَقِلاً بنفسِه، لَدَهَبَ موضعُ حلاوةِ تربيةِ الأولادِ، وما قُدِّرَ أن يكونَ للوالدين في الاشتغالِ بالولَدِ مِنَ المَصْلَحَةِ، وما يُوجِبُ التَّربِيَةَ للآباءِ على الأبناء، مِنَ المُكَلِّفَاتِ بالبِرِّ، والعطفِ عليهم عندَ حاجتِهِم الى ذلك منهم. ثم كان الأولادُ لا يَأْلِفُونَ آباءَهُم، ولا يَأْلِفُ الآباءُ أبناءَهُم، لِأَنَّ الأولادَ كانوا يَسْتَعْنُونَ عن تربيةِ الآباءِ وحياطتِهِم، فَيَتَفَرَّقُونَ عَنْهُمْ حينَ يُولَدُونَ، فلا يَعْرِفُ الرَّجُلُ أباهُ وأُمَّهُ .. أَفَلا تَرى! كيفَ أُقِيمَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الخِلْقَةِ على غايةِ الصَّوابِ، وخَلا مِنَ الخَطَأِ دَقيقَهُ وجليلَهُ ..^١

١٠ الامام الصادق «ع» : .. إعرِفْ يا مُفَضَّلُ! ما لِلأَطْفالِ في البُكاءِ مِنَ المَنفَعَةِ، وَأَعْلَمُ أَنَّ في أَدْمِغَةِ الأَطْفالِ رَطوبَةً إِنْ بَقِيَتْ فيها أَحَدَتْ عَلَيْهِمُ أَحْداثاً جَليلةً وَعِللاً عَظيمةً، مِنَ ذهابِ البَصَرِ وغيره. فالْبُكاءُ يُسِيلُ تلكَ الرُّطوبةَ مِنَ رُؤوسِهِم فيُعقِبُهُم ذلكَ الصِّحَّةَ في أبدانِهِم والسَّلامَةَ في أَبصارِهِم. أَفَليسَ قَد جازَ أَنْ يَكُونَ الطِّفْلُ يَنْتَفِعُ بالبُكاءِ، ووالِداهُ لا يَعْرِفانَ ذلكَ؛ فهما دائِبانِ لِيُسكِتاهُ، وَيَتَوَخَّيانِ في الأُمورِ مَرَضاتِهِ، لِئَلَّا يَبْكِي. وهما لا يَعْلَمانِ أَنَّ البُكاءَ أَصْلَحُ لَهُ وَأَجْمَلُ عاقِبَةً. فهكذا يَجوزُ أَنْ يَكُونَ في كَثيرٍ مِنَ الأَشياءِ مَنافِعٌ لا يَعْرِفُها القائِلونَ بالإهْمالِ .. ولو عَرَفوا ذلكَ لَم يَقضُوا على الشَّيْءِ: أَنَّهُ لا مَنفَعَةَ فيه؛ مِنَ أَجْلِ أَنَّهُم لا يَعْرِفونَهُ ولا يَعْلَمونَ السَّبَبَ فيه. فَإِنَّ كُلَّ ما لا يَعْرِفُهُ المُنْكَرُونَ، يَعْلَمُهُ العارِفونَ ..^٢

١١ الامام الصادق «ع» : .. فَكَّرِ يا مُفَضَّلُ! في أَعْضاءِ البَدَنِ أَجمَعِ، وتَدبِيرِ كُلِّ مِناها لِلأَرَبِ؛ فاليدانِ لِلعِلاجِ، والرِّجْلانِ لِلسَّعيِ، والعَيْنانِ لِلإِهْتِداءِ، وَالفَمُّ لِلإِغْتِداءِ، وَالْمَعْدَةُ لِلهَضْمِ، وَالكَبِدُ لِلتَّخْلِيسِ، وَالْمَنافِذُ لِلتَّنْفِيزِ الفُضُولِ،

والأوعية لحملها، والفرج لإقامة النسل. وكذلك جميع الأعضاء، إذا تأملتها وأعملت فكرك فيها ونظرك وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب وحكمة ..

فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن، ووضع هذه الأعضاء منه موضعها، وإعداد هذه الأوعية فيه، لتحمل تلك الفضول، لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه. فتبارك من أحسن التقدير، وأحكم التدبير، وله الحمد كما هو أهله ومستحقه.

أنظر الآن يا مفضل! الى هذه الحواس .. فجعل الحواس خمساً تلقى خمساً، لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات؛ فخلق البصر ليذكر الألوان، فلو كانت الألوان ولم يكن بصرٌ يدرِكها لم يكن منفعة فيها. وخلق السمع ليذكر الاصوات، فلو كانت الاصوات ولم يكن سمعٌ يدرِكها لم يكن فيها أرب؛ وكذلك سائر الحواس .. ثم هذا يرجع متكافئاً، فلو كان بصرٌ ولم يكن ألوانٌ لما كان للبصر معنى. ولو كان سمعٌ ولم يكن اصواتٌ لم يكن للسمع موضع. فانظر! كيف قدر بعضها يلقي بعضها. فجعل لكل حاسة محسوساً يعمل فيه، ولكل محسوس حاسة تدركه. ومع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس والمحسوسات لا يتم الحواس إلا بها، كمثل الضياء والهواء، فإنه لو لم يكن ضياءٌ يظهر اللون للبصر، لم يكن البصر يدرِك اللون. ولو لم يكن هواءٌ يؤدي الصوت الى السمع، لم يكن السمع يدرِك الصوت. فهل يخفى على من صح نظره وأعمل فكره، أن مثل هذا الذي وصفت من تهيئة الحواس والمحسوسات، بعضها يلقي بعضها، وتهيئة أشياء أخر بها يتم الحواس، لا يكون إلا بعمدٍ وتقديرٍ من لطيف خبير. ١.

١٢ الامام الصادق «ع» : .. فَكِّرْ يَا مُفَضَّلُ ! لِمَ صَارَ الْمُخُ الرَّقِيقُ مُحَصَّنًا فِي أَنْابِ الْعِظَامِ؟ هَلْ ذَلِكَ إِلَّا لِیَحْفَظَهُ وَيَصُونَهُ؟ لِمَ صَارَ الدَّمُ السَّائِلُ مُحْصُورًا فِي الْعُرُوقِ بِمَنْزِلَةِ الْمَاءِ فِي الظُّرُوفِ، إِلَّا لِتَضْبِطَهُ فَلَا يَفِضُ؟ لِمَ صَارَتِ الْأَظْفَارُ عَلَى أَطْرَافِ الْأَصَابِعِ، إِلَّا وَقَايَةً لَهَا وَمَعُونَةً عَلَى الْعَمَلِ؟ لِمَ صَارَ دَاخِلُ الْأُذُنِ مُلْتَوِيًا كَهَيْئَةِ الْكَوْكَبِ^١، إِلَّا لِیَطْرُدَ فِيهِ الصَّوْتُ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى السَّمْعِ، وَلِیَتَكَسَّرَ حُمَّةُ الرِّيحِ فَلَا يَنْكَأُ فِي السَّمْعِ؟ لِمَ حَمَلَ الْإِنْسَانُ عَلَى فَخْذِهِ وَإِلْتَبَّهَ هَذَا اللَّحْمَ، إِلَّا لِیَقْبَهُ مِنَ الْأَرْضِ، فَلَا يَتَأَلَّمُ مِنَ الْجُلُوسِ عَلَيْهَا، كَمَا يَأَلَّمُ مَنْ نَحَلَ جِسْمَهُ وَقَلَّ لَحْمُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْأَرْضِ حَائِلٌ يَقْبِهِ صَلَابَتُهَا.

مَنْ جَعَلَ الْإِنْسَانَ ذَكَرًا وَأُنْثَى، إِلَّا مَنْ خَلَقَهُ مُتَنَاسِلًا؟ وَمَنْ خَلَقَهُ مُتَنَاسِلًا، إِلَّا مَنْ خَلَقَهُ مُؤَمَّلًا؟ وَمَنْ خَلَقَهُ مُؤَمَّلًا وَمَنْ أَعْطَاهُ آتِ الْعَمَلِ، إِلَّا مَنْ خَلَقَهُ عَامِلًا؟ وَمَنْ خَلَقَهُ عَامِلًا، إِلَّا مَنْ جَعَلَهُ مُحْتَاجًا؟ وَمَنْ جَعَلَهُ مُحْتَاجًا إِلَّا مَنْ ضَرَبَهُ بِالْحَاجَةِ؟ وَمَنْ ضَرَبَهُ بِالْحَاجَةِ إِلَّا مَنْ تَوَكَّلَ بِتَقْوِيمِهِ؟ مَنْ خَصَّهُ بِالْفَهْمِ، إِلَّا مَنْ أَوْجَبَ الْجَزَاءَ؟ وَمَنْ وَهَبَ لَهُ الْحِيلَةَ، إِلَّا مَنْ مَلَكَهُ الْحَوْلَ؟ وَمَنْ مَلَكَهُ الْحَوْلَ، إِلَّا مَنْ أَلَزَمَهُ الْحُجَّةَ؟ مَنْ يَكْفِيهِ مَا لَا تَبْلُغُهُ حِيلَتُهُ، إِلَّا مَنْ لَمْ يُبْلَغْ مَدَى شُكْرِهِ؟ فَكَّرْ وَتَدَبَّرْ مَا وَصَفْتُهُ! هَلْ تَجِدُ الْإِهْمَالَ عَلَى هَذَا النِّظَامِ وَالتَّرْتِيبِ؟ تَبَارَكَ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ ..^٢

١٣ الامام الصادق «ع» : إِعْجَبْ يَا مُفَضَّلُ! مِنْ قَوْمٍ لَا يَقْضُونَ صِنَاعَةَ الطَّبِّ بِالْخَطَاءِ، وَهُمْ يَرُونَ الطَّبَّيْبَ يُخْطِئُ؟ وَيَقْضُونَ عَلَى الْعَالَمِ بِالْإِهْمَالِ، وَلَا يَرُونَ شَيْئًا مِنْهُ مُهْمَلًا ..^٣

١ - وفي بعض النسخ : «اللؤلؤ».

٢ - البحار ٣ / ٧٤.

٣ - البحار ٣ / ١٤٦.

١٤ الامام الصادق «ع» : .. إعتبر يا مفضل! بأشياء خلقت لِمَآرِبِ الانسان، وما فيها من التدبير. فإنه خلق له الحبُّ لِعَاطِمِهِ، وكُلَّفَ طَحْنَهُ وَعَجْنَهُ وَخَبْزَهُ. وُخِلِقَ له الوَبْرُ لِكِسْوَتِهِ، فُكُلِّفَ نَدْفَهُ وَغَزْلَهُ وَنَسِجَهُ. وَخُلِقَ له الشَّجَرُ، فُكُلِّفَ غَرَسَهَا وَسَقِيَهَا وَالقِيَامَ عَلَيْهَا. وَخُلِقَتْ له العَقَاقِيرُ لِأَدْوِيَتِهِ، فُكُلِّفَ لِقَطْعَهَا وَخَلْطَهَا وَصُنْعَهَا. وكذلك تجدُ سائرَ الأشياءِ على هذا المِثَالِ. فانظر! كيف كُفِيَ الخَلْقَةَ التي لم يكن عنده فيها حيلة، وتُركَ عليه في كلِّ شيءٍ من الأشياءِ موضعَ عملٍ وحركةٍ، لِمَا لَهُ في ذلك من الصَّلاحِ، لِأَنَّهُ لو كُفِيَ هذا كُلُّهُ حتى لا يكونَ له في الأشياءِ موضعُ شُغْلٍ وَعَمَلٍ، لَمَا حَمَلَتْهُ الأَرْضُ أَشْرًا وَبَطْرًا، وَلَبَلَغَ به كذلك الى أن يتعاطى أموراً فيها تلفٌ نفسه. ولو كُفِيَ الناسُ كُلُّ ما يحتاجون اليه، لَمَا تَهَنَّأُوا بِالعَيْشِ وَلَا وَجَدُوا لَهُ لَذَّةً. ألا ترى! لو أن امرءاً نزلَ بقومٍ، فأقامَ حيناً بلَغَ جميعَ ما يحتاجُ اليه، من مَطْعَمٍ وَمَشْرَبٍ وَخِدْمَةٍ، لَتَبَرَّمَ بالفِراغِ، وَنَازَعَتْهُ نَفْسُهُ الى التَّشاغُلِ بشيءٍ؟ لِكَيْلَا تُبْرِمَهُ البَطَالَةُ، وَلِتُكْفَهُ عَن تَعَاطِي ما لا يَنَالُهُ وَلَا خَيْرَ فيه إن نالَهُ.

١٥ الامام الصادق «ع» : .. تأمل يا مفضل! هذه القوى التي في النفسِ وموقعها من الانسان، أعني: الفكرَ والوَهْمَ والعقلَ والحفظَ وغيرَ ذلك. أفرأيتَ لو نَقَصَ الانسان من هذه الخِلالِ، الحفظَ وحده، كيف كانت تكونُ حاله؟ وكم من خِلَلٍ كان يَدْخُلُ عليه في أمورِهِ وَمَعاشِهِ وَتِجارِيهِ، إذا لم يحفظْ مالَهُ وعليه، وما أخذَهُ وما أعطى، وما رأى وما سَمِعَ، وما قال وما قيلَ له؛ ولم يذُكُرْ من أحسنَ اليه مِنَّ أساءَ بِهِ، وما نَفَعَهُ مِمَّا يَضُرُّهُ. ثُمَّ كان لا يَهْتَدِي لطريقٍ لو سَلَكَه ما لا يُحصى، ولا يحفظُ عِلْماً ولو دَرَسَهُ عُمُرَهُ، ولا يَعْتَقِدُ ديناً، ولا يَنْتَفِعُ بتجربةٍ، ولا يَسْتَطِيعُ أن يَعْتَبِرَ شيئاً على ما مضى، بل كان

حَقِيقاً أَنْ يَنْسَلِخَ مِنَ الْإِنْسَانِيَةِ أَصْلاً. فَانظُرْ! إِلَى النِّعْمَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْخِلَالِ. وَكَيْفَ مَوْجِعُ الْوَاحِدَةِ مِنْهَا دُونَ الْجَمِيعِ؟ وَأَعْظَمُ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْإِنْسَانِ فِي الْحِفْظِ، النِّعْمَةُ فِي النِّسْيَانِ، فَإِنَّهُ لَوْلَا النِّسْيَانُ لَمَا سَلَا أَحَدٌ عَنِ مُصِيبَةٍ، وَلَا انْقَضَتْ لَهُ حَسْرَةٌ، وَلَا مَاتَ لَهُ حِقْدٌ، وَلَا اسْتَمْتَعَ بِشَيْءٍ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا، مَعَ تَذَكُّرِ الْآفَاتِ ..

. أَفَلَا تَرَى كَيْفَ جَعَلَ فِي الْإِنْسَانِ الْحِفْظَ وَالنِّسْيَانَ، وَهُمَا مُخْتَلِفَانِ مُتَضَادَّانِ؟ وَجُعِلَ لَهُ فِي كُلِّ مِنْهُمَا ضَرْبٌ مِنَ الْمَصْلَحَةِ..^١

١٦ الامام الصادق «ع» : .. أَنْظُرْ يَا مُفْضِلُ! إِلَى مَا خُصَّ بِهِ الْإِنْسَانُ، دُونَ جَمِيعِ الْحَيَوَانَ، مِنْ هَذَا الْخُلُقِ الْجَلِيلِ قَدْرُهُ، الْعَظِيمِ غَنَاؤُهُ، أَعْنَى: الْحَيَاءُ فَلَوْلَاهُ لَمْ يُقَرَّ ضَيْفٌ، وَلَمْ يُؤَفَّ بِالْعِدَاتِ، وَلَمْ تُقْضَ الْحَوَائِجُ، وَلَمْ يُتَحَرَّ الْجَمِيلُ، وَلَمْ يُتَنَكَّبِ الْقَبِيحُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، حَتَّى إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأُمُورِ الْمُفْتَرَضَةِ أَيْضًا إِنَّمَا يُفْعَلُ لِلْحَيَاءِ. فَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَوْلَا الْحَيَاءُ لَمْ يَرَعَ حَقَّ وَالِدِيهِ، وَلَمْ يَصِلْ ذَارِحِمٍ، وَلَمْ يُؤَدِّ أَمَانَةً، وَلَمْ يَعْفَ عَنْ فَاخِشَةٍ. أَفَلَا تَرَى كَيْفَ وَفِّيَ لِلْإِنْسَانِ جَمِيعَ الْخِلَالِ الَّتِي فِيهَا صَلَاحُهُ وَتَمَامُ امْرِهِ؟^٢

١٧ الامام الصادق «ع» : (يَا مُفْضِلُ!) .. فَكَّرِ الْآنَ فِي كَثْرَةِ نَسْلِهِ^٣ وَمَا خُصَّ بِهِ مِنْ ذَلِكَ. فَإِنَّكَ تَرَى فِي جَوْفِ السَّمَكَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ الْبَيْضِ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً. وَالْعَلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَتَّسِعَ لِمَا يَغْتَذِي بِهِ مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانَ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَهَا يَأْكُلُ السَّمَكَ، حَتَّى إِنَّ السَّبَاعَ أَيْضًا فِي حَافَاتِ الْآجَامِ عَاكِفَةٌ عَلَى الْمَاءِ أَيْضًا كَيْ تَرُصِدَ السَّمَكَ، فَإِذَا مَرَّبَهَا خَطَفَتْهُ. فَلَمَّا كَانَتِ السَّبَاعُ تَأْكُلُ السَّمَكَ، وَالطَّيْرُ يَأْكُلُ السَّمَكَ، وَالنَّاسُ يَأْكُلُونَ السَّمَكَ، وَالسَّمَكُ يَأْكُلُ السَّمَكَ، كَانَ

١ و ٢ - البحار ٣ / ٨٠ - ٨١.

٣ - اي: نسل السمك.

مِنَ التَّدْبِيرِ فِيهِ أَنْ يَكُونَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْكَثْرَةِ ..^١

١٨ الامام الصادق «ع» : .. فَكَّرَ بِأَمْفُضٍّ! فِي النُّجُومِ وَاخْتِلَافِ مَسِيرِهَا، فَبَعْضُهَا لَا تُفَارِقُ مَرَكَزَهَا مِنَ الْفَلَكِ وَلَا تَسِيرُ إِلَّا مُجْتَمِعَةً، وَبَعْضُهَا مُطْلَقَةٌ تَنْتَقِلُ فِي الْبُرُوجِ وَتَفْتَرِقُ فِي مَسِيرِهَا؛ فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَسِيرُ سَيْرَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ: أَحَدُهُمَا عَامٌّ مَعَ الْفَلَكِ نَحْوَ الْمَغْرَبِ، وَالْآخَرُ خَاصٌّ لِنَفْسِهِ نَحْوَ الْمَشْرِقِ، كَالنَّمْلَةِ الَّتِي تَدُورُ عَلَى الرَّحَى، فَالرُّحَى تَدُورُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَالنَّمْلَةُ تَدُورُ ذَاتَ الشَّمَالِ. وَالنَّمْلَةُ فِي تِلْكَ تَتَحَرَّكُ حَرَكَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا بِنَفْسِهَا، فَتَتَوَجَّهُ أَمَامَهَا، وَالْآخَرَى مُسْتَكْرَهَةً مَعَ الرَّحَى، يَجْذِبُهَا إِلَى خَلْفِهَا. فَاسْأَلِ الزَّاعِمِينَ أَنَّ النُّجُومَ صَارَتْ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ بِالْإِهْمَالِ، مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ وَلَا صَانِعٍ لَهَا، مَا مَنَعَهَا أَنْ تَكُونَ كُلُّهَا رَاتِبَةً؟ أَوْ تَكُونَ كُلُّهَا مُنْتَقِلَةً؟ فَإِنَّ الْإِهْمَالَ مَعْنَى وَاحِدٌ. فَكَيْفَ صَارَ يَأْتِي بِحَرَكَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ، عَلَى وَزْنٍ وَتَقْدِيرٍ؟ ففِي هَذَا بَيَانٌ أَنَّ مَسِيرَ الْفَرِيقَيْنِ عَلَى مَا يَسِيرَانِ عَلَيْهِ، بِعَمْدٍ وَتَدْبِيرٍ وَحِكْمَةٍ وَتَقْدِيرٍ، وَلَيْسَ بِإِهْمَالٍ كَمَا تَزَعُمُ الْمُعْطَلَّةُ.^٢

١٩ الامام الصادق «ع» : .. فَكَّرَ! فِي هَذَا الْفَلَكِ بِشَمْسِهِ وَقَمَرِهِ وَنُجُومِهِ وَبُرُوجِهِ، تَدُورُ عَلَى الْعَالَمِ فِي هَذَا الدَّوْرَانِ الدَّائِمِ، بِهَذَا التَّقْدِيرِ وَالْوِزْنِ، لِمَا فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهَذِهِ الْأَزْمَانِ الْأَرْبَعَةِ الْمُتَوَالِيَةِ عَلَى الْأَرْضِ، وَمَا عَلَيْهَا مِنْ أَصْنَافِ الْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ، مِنْ ضُرُوبِ الْمَصْلُحَةِ، كَالَّذِي بَيَّنْتُ وَشَخَّصْتُ لَكَ أَنْفَاءً. وَهَلْ يَخْفَى عَلَى ذِي لُبٍّ أَنَّ هَذَا تَقْدِيرٌ مُقَدَّرٌ، وَصَوَابٌ وَحِكْمَةٌ مِنْ مُقَدَّرٍ حَكِيمٍ؟^٣

١ - البحار ٣ / ١٠٩ .

٢ و٣ - البحار ٣ / ١١٤ و ١١٦ .

الفصل الخامس

النظرة الايجابية لا السلبية

الكتاب

- ١ ذلك بَانَ اللهُ هو الحقُّ، وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ، وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ *^١
- ٢ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ *^٢
- ٣ .. فَأَمَّا يَا تِئِنَّكُمْ مِنِّي هُدًى، فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي، فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى *^٣
- ٤ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى، أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ؟ *^٤
- ٥ .. قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ، وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ

١ - سورة لقمان (٣١) : ٣٠.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٥٧.

٣ - سورة طه (٢٠) : ١٢٣ - ١٢٤.

٤ - سورة الملك (٦٧) : ٢٢.

- مستقيم *^١
- ٦ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ، إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ *^٢
- ٧ قُلْ : أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ؟ إِيَّا تُنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ *^٣
- ٨ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا : لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ، كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا، قُلْ : هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا؟ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرُصُونَ *^٤
- ٩ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ، وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ، كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ، فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ؟ *^٥
- ١٠ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ *^٦
- ١١ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا الظَّنَّ، إِنْ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ *^٧
- ١٢ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ، مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، إِنْ

١ - سورة المائدة (٥) : ١٥ - ١٦.

٢ - سورة الاعراف (٧) : ٣٠.

٣ - سورة الاحقاف (٤٦) : ٤.

٤ - سورة الانعام (٦) : ١٤٨.

٥ - سورة يونس (١٠) : ٣٩.

٦ - سورة لقمان (٣١) : ٢٠.

٧ - سورة يونس (١٠) : ٣٦.

- يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ، وَمَاتَهَوَى الْانْفُسُ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى*^١
- ١٣ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ، وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا، كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ*^٢
- ١٤ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً، صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى، فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ*^٣
- ١٥ مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، أَعْمَاهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ، لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ، ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ*^٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ؟*^٥
- ١٦ وَالَّذِينَ كَفَرُوا، بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ، أُولَئِكَ يَئِسُوا مِنْ رَحْمَتِي، وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ*^٥
- ١٧ وَالَّذِينَ كَفَرُوا، أَعْمَاهُمْ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً، حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ، وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ*^٦ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ، يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ، مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ، ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْدِيرْهَا، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ*^٦
- ١٨ لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ، وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ*^٧

١ - سورة النجم (٥٣) : ٢٣.

٢ - سورة غافر (٤٠) : ٣٥.

٣ - سورة البقرة (٢) : ١٧١.

٤ - سورة ابراهيم (١٤) : ١٨ - ١٩.

٥ - سورة العنكبوت (٢٩) : ٢٣.

٦ - سورة النور (٢٤) : ٣٩ - ٤٠.

٧ - سورة الرعد (١٣) : ١٤.

- ١٩ قُلْ : مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ قُلْ : اللَّهُ، قُلْ : أَفَأَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِهِ
أَوْلِيَاءَ، لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا؟ قُلْ : هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ،
أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ، أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ
الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ؟ قُلْ : اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * ١
- ٢٠ قُلْ : أَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا، وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا
اللَّهُ، كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا، لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى
الهُدَى اثْنًا، قُلْ : إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى، وَأُمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * ٢

١ - سورة الرعد (١٣) : ١٦.

٢ - سورة الانعام (٦) : ٧١.

الفصل السادس

الرّقابة الغيبية وعمق اثرها

الكتاب

- ١ لله ما في السماوات وما في الأرض، وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله، فيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *^١
- ٢ هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق، إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون *^٢
- ٣ ما يلفظ من قولٍ إلاّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ *^٣
- ٤ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبِ، فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ *^٤
- ٥ إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ، فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا *^٥
- ٦ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ *^٦

١ - سورة البقرة (٢) : ٢٨٤.

٢ - سورة الجاثية (٤٥) : ٢٩.

٣ - سورة ق (٥٠) : ١٨.

٤ - سورة يس (٣٦) : ١١.

٥ - سورة الاحزاب (٣٣) : ٥٤.

٦ - سورة الطارق (٨٦) : ٤.

الحديث

- ١ الامام علي «ع» : عَظَمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ..^١
- ٢ الامام علي «ع» : وَأَشْعِرُ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ، وَاللُّطْفَ بِهِمْ. وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبْعًا ضَارِيًا تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخُ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ؛ يَفْرُطُ مِنْهُمْ الزَّلْلُ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلْلُ، وَيُؤْتِي عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمَدِ وَالْخَطَا. فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيكَ اللَّهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ، وَاللَّهُ فَوْقَ مَنْ وَلَاكَ، وَقَدْ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ، وَابْتَلَاكَ بِهِمْ. وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَا يَدَّ لَكَ بِنِقْمَتِهِ، وَلَا غِنَى بَكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ. وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعَقُوبَةٍ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَدْوَحَةً، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ أَمْرٌ فَأُطَاعُ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغَيْرِ. وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أَبْهَةً أَوْ مَخِيلَةً، فَانظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ، وَيَكْفُ عَنْكَ مِنْ غَرَبِكَ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ ..^٢

الفتا نظر

يجب ان يكون ما جاء في هذا «العهد المعروف»، من الوصايا والاحكام، مورد اهتمام بالغ، على المستوى التطبيقي، في كل حكم اسلامي. ولقد جاء في المقطع الذي نقلناه تعبير عجيب: «...»

١ - نهج البلاغة / ٦١٢ : عبده ٢ / ١٨٦.

٢ - نهج البلاغة / ٩٩٣ : عبده ٣ / ٩٣ - ٩٥.

وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللَّهِ؛ حيثُ عدَّ الامام عليُّ بن ابي طالب، اهمالَ امور الناس والتواني فيما يرجع اليهم بمنزلة أن يَنْصِبَ الحُكَّامَ والمسؤولون انفسهم لحربِ الله تعالى.

اجل، إنَّ الناسَ مخلوقون خلقهم الله وهو يُحِبُّهُمْ. وإنَّ الذين يُشغِلون الجهاتِ المسؤولة ويَصِلُونَ - باسم الدِّين و شعائره - الى مراكز التأثير في المجتمع الاسلامي، إنَّما يَصِلُونَ اليها بمُوازرةِ الناس وايمانهم واشاراتهم وتضحياتهم و شهدائهم وما بذلوه من الانفس والدماء، ولاسيما المحرومين منهم والمستضعفين؛ ففي هذا الضوء، يُضحى القصورُ والتواني - او التقصيرُ والتفريط - في استردادِ حقوقهم المغصوبة وارزاقهم المسروقة، والابتعاد عنهم والاقترابُ من المتكاثرين والمُترفين بمنزلة الحرب من الله تعالى.

وحيث كان الحكمُ المصريُّ - الذي قلَّده الامامُ عليُّ مالكَ الاشرَ النَّخعيِّ - حكماً اسلامياً، كَتَبَ له هذا العهدَ و اوصاه بما فيه من الوصايا والاحكام. فهذا مقياسُ الحكم الاسلامي. وعلى كلِّ حكمٍ اسلاميٍّ - إن كان ذاك بحسب الواقع لا الهُتاف - ان يَعْمَلَ بكلِّ ما جاء في العهد، صغيره وكبيره، ويَهْتَمَّ لتجسيده اشدَّ الاهتمام.

٣ الامام علي «ع»: «إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظَّمَ جَلَالَ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ، أَنْ يَصْغَرَ عِنْدَهُ - لِعَظَمِ ذَلِكَ - كُلُّ مَا سِوَاهُ.»^٢

٤ الامام علي «ع»: «.. لَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ، وَلَا تَظُنُّوا بِي اسْتِثْقَالَ فِي حَقِّ قِيلَ لِي، وَلَا التَّمَّاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي، فَانَّهُ مِنْ اسْتِثْقَالِ الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوْ

١ - كما يقول الامام الحسن العسكري: «... اغنياؤهم يسرقون زاد الفقراء» - (المستدرک ٢ / ٣٢٢).

٢ - نهج البلاغة / ٦٨٦: عبده ٢ / ٢٢٦.

العدل أن يُعرض عليه، كان العملُ بهما أثقلَ عليه. فلا تُكفوا عن مقالةٍ بحقٍّ او مشورةٍ بعدلٍ . فإنِّي لستُ في نفسي بفوقِ أن أُخطيَ ولا آمنُ ذلك من فعلي - إلا أن يكفِيَ الله من نفسي ما هو أملكُ به مِنِّي - فإنما أنا وأنتم عبيدٌ مملوكونَ لربِّ لا ربَّ غيره، يملكُ مِنَّا ما لا نملكُ من أنفسنا، وأخرجنا مما كُنَّا فيه الى ما صلحنا عليه، فأبد لنا بعد الضلالة بالهدى، وأعطانا البصيرةَ بعد العمى^١.

٥ الامام الكاظم «ع» : .. يا زيادا! إذا ذكرتَ مقدرتكَ على الناس، فاذكُرْ مقدرةَ الله عليكَ غداً.^٢

٦ الامام الرضا «ع» - فيما نقله فضلُ بن شاذان: .. فإن قال [قائلٌ]: لِمَ أُمرَ الخلقُ بالاقرارِ بالله وبرُسلِهِ وبحُجَجِهِ، وبما جاء من عندِ الله عزَّ وجلَّ؟ قيل: لعلَّ كثيرة: منها أن من لم يُقرَّ بالله عزَّ وجلَّ، لم يجتنِبْ معاصِيَهُ، ولم ينتهِ عن ارتكابِ الكبائرِ، ولم يُراقِبْ أحداً فيما يشتهي ويستلذُّ من الفسادِ والظلم. فإذا فعلَ الناسُ هذه الأشياءَ وأرتكبَ كلُّ انسانٍ ما يشتهي ويهواه من غيرِ مُراقبةٍ لأحدٍ، كان في ذلك فسادُ الخلقِ اجمعين، ووثوبُ بعضهم على بعضٍ . فغصبوا الفروجَ والأموالَ، وأباحوا الدماءَ والنساءَ، وقتلَ بعضهم بعضاً من غيرِ حقٍّ ولا جرمٍ؛ فيكونُ في ذلك خرابُ الدنيا، وهلاكُ الخلقِ، وفسادُ الحرثِ والنسلِ .. ولا يكونُ حظُّ الفسادِ، والأمرُ بالصَّلاحِ، والنهيُّ عن الفواحشِ، إلا بعدَ الاقرارِ بالله عزَّ وجلَّ ومعرفةِ الأمرِ والنَّاهي. ولو تُركَ الناسُ بغيرِ اقرارٍ بالله عزَّ وجلَّ ولا معرفته، لم يثبتْ أمرٌ بصلاحٍ، ولا نهْيٌ عن فسادٍ، إذا لا أمرَ ولا ناهي.

١ - نهج البلاغة / ٦٨٧: عبده ٢ / ٢٢٧.

٢ - الكافي ٥ / ١١٠.

ومنها: أنا وجدنا الخلق قد يُفسدون بأمرٍ باطنةٍ مستورةٍ عن الخلق، فلولا الاقرارُ باللهِ وخشيتهِ بالغيب، لم يكن أحدٌ إذا خلا بشهوتهِ وارانتهِ يُراقبُ أحدًا في تركِ مَعْصِيَةٍ وانْتِهَاجِ حَرَمَةٍ وارْتِكَابِ كَبِيرَةٍ، إذا كان فعلُهُ ذلكَ مستورًا عن الخلق، غيرَ مُراقبٍ لِأَحَدٍ؛ فكانَ يكونُ في ذلكَ هلاكُ الخلقِ أجمعين. فلو لم يكن قوامُ الخلقِ وصلاحُهم إلا بالاقرارِ منهم بعليمٍ خبيرٍ، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، أمرٌ بالصَّلاحِ، ناهٍ عن الفسادِ، ولا تَخْفَى عليه خافيةٌ، لَيَكُونُ في ذلكَ انزِجارٌ لَهُم عَمَّا يَخْلُون بِهِ مِنْ أنواعِ الفسادِ.^١

٧ الامام السجاد «ع»: .. والحمدُ لله الذي لو حَبَسَ عن عِبَادِهِ معرفةَ حمدِهِ، على ما أبلاهم مِنْ مَنَنِهِ الْمُتَتَابِعَةِ وَأَسْبَغَ عَلَيْهِمْ مِنْ نِعَمِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ، لَتَصَرَّفُوا فِي مَنَنِهِ فَلَمْ يَحْمَدُوهُ، وَتَوَسَّعُوا فِي رِزْقِهِ فَلَمْ يَشْكُرُوهُ. وَلَوْ كَانُوا كَذَلِكَ لَخَرَجُوا مِنْ حُدُودِ الْإِنْسَانِيَّةِ إِلَى حُدُودِ الْبَهِيمِيَّةِ، فَكَانُوا كَمَا وَصَفَ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: «إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا»^٢.

١ - عيون اخبار الرضا ٢ / ٩٩ - ١٠٠.

٢ - سورة الفرقان (٢٥): ٤٤.

٣ - الصحيفة السجادية / ٣١ (الدعاء ١).

الفصل السابع

المنشأ الالهي للحقوق

* هناك في القرآن الكريم آيات، تسمى «آيات الاحكام»، وكذلك آيات وَرَدَتْ بِصَدَدِ الْمَوَاضِعِ الْاِخْلَاقِيَّةِ، فَكُلُّ مِنْ هَاتَيْنِ الطَّائِفَتَيْنِ مِنَ الْآيَاتِ، يُبَيِّنُ حُقُوقًا. وَمِنَ الْعُلُومِ أَنْ مَنشَأُ تِلْكَ الْحُقُوقِ مَنشَأُ إِلَهِيٍّ اِيضًا، اذْجَاء ذِكْرُهَا فِي الْكِتَابِ الْاِلَهِيِّ.

الحديث

- ١ الامام علي «ع»: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا.. وَفَضَّلَ حُرْمَةَ الْمُسْلِمِ عَلَى الْحُرْمِ كُلِّهَا، وَشَدَّدَ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا..^١
- ٢ الامام علي «ع»: جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ، وَجَعَلَ جَزَاءَ هِمِّ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ الثَّوَابِ، تَفْضُلًا مِنْهُ وَتَوْسَعًا بِمَا هُوَ مِنَ الْمَزِيدِ أَهْلُهُ. ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَقُوقِهِ حَقُوقًا افْتَرَضَهَا لِبَعْضِ النَّاسِ عَلَى بَعْضٍ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ..^٢

١ - نهج البلاغة / ٥٤٤: عبده ٢ / ٩٧.

٢ - نهج البلاغة / ٦٨١: عبده ٢ / ٢٢٤.

٣ الامام علي «ع» : .. فَلَيْسَ أَحَدٌ - وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَى رِضَا اللَّهِ حَرُّهُ، وَطَالَ فِي الْعَمَلِ اجْتِهَادُهُ - بِبَالِغِ حَقِيقَةِ مَا اللَّهُ أَهْلُهُ مِنَ الطَّاعَةِ لَهُ. وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حَقُوقِ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، النَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ، وَالتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ الْحَقِّ بَيْنَهُمْ. وَلَيْسَ أَمْرٌ - وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ - بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ؛ وَلَا أَمْرٌ - وَإِنْ صَغُرَتْهُ النُّفُوسُ وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ - بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ. ١

٤ الامام السجاد «ع» - من رسالته في الحقوق، المعروفة: .. اعلم - رَحِمَكَ اللَّهُ - أَنَّ اللَّهَ عَلَيْكَ حَقُوقًا مُحِيطَةً بِكَ، فِي كُلِّ حَرَكَةٍ تَحْرُكُهَا، أَوْ سَكَنَةٍ سَكَنَتْهَا، أَوْ مَنْزِلَةٍ نَزَلَتْهَا، أَوْ جَارِحَةٍ قَلَّبَتْهَا، أَوْ آلَةٍ تَصَرَّفَتْ بِهَا؛ بَعْضُهَا أَكْبَرُ مِنْ بَعْضٍ. وَأَكْبَرُ حَقُوقِ اللَّهِ عَلَيْكَ، مَا أَوْجَبَهُ لِنَفْسِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْحَقُوقِ، وَمِنْهُ تَفَرَّعَ. ثُمَّ مَا أَوْجَبَهُ عَلَيْكَ لِنَفْسِكَ، مِنْ قَرْنِكَ إِلَى قَدَمِكَ، عَلَى اخْتِلَافِ جَوَارِحِكَ .. ثُمَّ جَعَلَ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَفْعَالِكَ عَلَيْكَ حُقوقًا .. ثُمَّ تَخْرُجُ الْحَقُوقُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ، مِنْ ذَوِي الْحَقُوقِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْكَ .. ٢

٥ الامام علي «ع» : جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ حَقُوقَ عِبَادِهِ مُقَدِّمَةً لِحُقُوقِهِ، فَمَنْ قَامَ بِحَقُوقِ عِبَادِ اللَّهِ، كَانَ ذَلِكَ مُؤَدِّيًا إِلَى الْقِيَامِ بِحَقُوقِ اللَّهِ. ٣

١ - نهج البلاغة / ٦٨٤؛ عبده ٢ / ٢٢٥.

٢ - تحف العقول / ١٨٤؛ و ٢٥٥، من طبعة الفقاري.

٣ - غرر الحكم / ١٦٥، و نسخة أخرى.

الفصل الثامن

الصّلات الجذريّة بين الانسان والقانون

الكتاب

- ١ وما لَنَا أَنْ لَانْتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا، وَلَنْصَبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ *^١
- ٢ قال: آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ؟ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ، فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ، لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ، وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قالوا: لا ضَيْرَ، إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا، أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ *^٢

الحديث

-
- ١ - سورة ابراهيم (١٤) : ١٢.
- ٢ - سورة الشعراء (٢٦) : ٤٩ - ٥١. والآيات في بيان قصة موسى «ع» وسحرة فرعون وقبلها: «فَأُلْفِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قالوا: آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قال: آمَنْتُمْ لَهُ...».

١ الامام علي «ع» - عن الأصْبَغِ بنِ نُبَاتَةَ: أتى رَجُلٌ اميرَ المؤمنين «ع» فقال: يا اميرَ المؤمنين، إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهَّرْنِي! فَأَعْرَضَ عَنْهُ بِوَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ: أَجْلِسْ! فَقَالَ: أَيَعِجْزُ أَحَدُكُمْ إِذَا قَارَفَ هَذِهِ السَّيِّئَةَ أَنْ يَسْتُرَ عَلَى نَفْسِهِ، كَمَا سَتَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ؟ فَقَامَ الرَّجُلُ فَقَالَ: يَا اميرَ المؤمنين، إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهَّرْنِي! فَقَالَ: وَمَا دَعَاكَ إِلَى مَا قَلْتِ؟ قَالَ: طَلَبُ الطَّهَارَةِ. قَالَ: وَأَيُّ طَهَارَةٍ أَفْضَلُ مِنَ التَّوْبَةِ؟ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ يُحَدِّثُهُمْ؛ فَقَامَ الرَّجُلُ فَقَالَ: يَا اميرَ المؤمنين، إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهَّرْنِي! فَقَالَ لَهُ: أَتَعْرِفُ مَا يَلْزِمُكَ مِنْ حَقُوقِ اللَّهِ فِي صَلَاتِكَ وَزَكَاتِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَسَأَلَهُ فَأَصَابَ. فَقَالَ لَهُ: هَلْ بِكَ مَرَضٌ يَعْرُوكَ أَوْ تَجِدُ وَجَعًا فِي رَأْسِكَ أَوْ بَدَنِكَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: إِذْهَبْ حَتَّى نَسْأَلَ عَنْكَ فِي السِّرِّ، كَمَا سَأَلْنَاكَ فِي الْعِلَانِيَةِ؛ فَإِنْ لَمْ تَعُدْ إِلَيْنَا لَمْ نَطْلُبْكَ.. ١

٢ الامام علي «ع» - رُوِيَ عَنِ الْأَصْبَغِ بنِ نُبَاتَةَ قَالَ: دَخَلْتُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ عَلَى اميرِ الْمُؤْمِنِينَ «ع» فِي جَامِعِ الْكُوفَةِ، فِإِذَا بِجَمٍّ غَفِيرٍ وَمَعَهُمْ عَبْدٌ أَسْوَدٌ. فَقَالُوا: يَا اميرَ الْمُؤْمِنِينَ! هَذَا الْعَبْدُ سَارِقٌ. فَقَالَ لَهُ الْامَامُ: أَسَارِقُ أَنْتَ يَا غَلَامٌ؟ فَقَالَ لَهُ: نَعَمْ. فَقَالَ لَهُ مَرَّةً ثَانِيَةً: أَسَارِقُ أَنْتَ يَا غَلَامٌ؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا مَوْلَايَ! فَقَالَ لَهُ الْامَامُ: إِنْ قُلْتَهَا ثَالِثَةً قَطَعْتُ يَمِينَكَ، فَقَالَ لَهُ: أَسَارِقُ أَنْتَ يَا غَلَامٌ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا مَوْلَايَ! فَأَمَرَ الْامَامُ بِقَطْعِ يَمِينِهِ، فَقَطَعَتْ. فَأَخَذَهَا بِشِمَالِهِ وَهِيَ تَقْطُرُ دَمًا. فَلَقِيَهُ ابْنُ الْكَوَّاءِ - وَكَانَ يَشْنَأُ اميرَ الْمُؤْمِنِينَ - فَقَالَ لَهُ: مَنْ قَطَعَ يَمِينَكَ؟ قَالَ: قَطَعَ يَمِينِي الْأَنْزَعُ الْبَطِينُ، وَبَابُ الْيَقِينِ، وَحَبْلُ اللَّهِ الْمَتِينُ، وَالشَّافِعُ يَوْمَ الدِّينِ، الْمُصَلِّي إِحْدَى وَخَمْسِينَ. قَطَعَ يَمِينِي امَامُ التُّقَى، وَابْنُ عَمِّ الْمُصْطَفَى، شَقِيقُ النَّسَبِ الْمَجْتَبَى، لَيْثُ الشَّرَى، غَيْثُ الْوَرَى، حَتْفُ الْعَدَى، وَمِفْتَاحُ النَّدَى، وَمَصْبَاحُ الدُّجَى. قَطَعَ يَمِينِي امَامُ

الحقّ، وسيدّ الخلق .. قَطَعَ يَمِينِي ..^١

٣

الامام علي «ع» - أَنْتِ امْرَأَةٌ مُجِحُّ امِيرِ الْمُؤْمِنِينَ «ع»: فَقَالَتْ: يَا امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهَّرْنِي طَهَّرَكَ اللهُ! فَإِنَّ عَذَابَ الدُّنْيَا أَيْسَرُ مِنْ عَذَابِ الآخِرَةِ، الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ. فَقَالَ لَهَا: مِمَّا أَطَهَّرُكَ؟ فَقَالَتْ: إِنِّي زَنَيْتُ. فَقَالَ لَهَا: وَذَاتُ بَعْلِ أَنْتِ، إِذْ فَعَلْتِ مَا فَعَلْتِ أَمْ غَيْرُ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: بَلْ ذَاتُ بَعْلٍ. فَقَالَ لَهَا: أَفَحَاضِرًا كَانَ بَعْلُكَ إِذْ فَعَلْتِ مَا فَعَلْتِ أَمْ غَائِبًا كَانَ عَنْكَ؟ قَالَتْ: بَلْ حَاضِرًا. فَقَالَ لَهَا: إِنُّنْطَلِقِي فَضْعِي مَا فِي بَطْنِكَ، ثُمَّ ابْتَيْنِي أُطَهِّرُكَ. فَلَمَّا وَلَّتْ عَنْهُ الْمَرْأَةُ فَصَارَتْ حَيْثُ لَا تَسْمَعُ كَلَامَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّهَا شَهِادَةٌ. فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَتَتْهُ فَقَالَتْ: قَدْ وَضَعْتُ فَطَهَّرْنِي. قَالَ (الرَّوَايَةُ^٢): فَتَجَاهَلَ عَلَيْهَا فَقَالَ: أَطَهَّرُكَ يَا أُمَّةَ اللهِ مِمَّاذَا؟ قَالَتْ: إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهَّرْنِي! قَالَ: وَذَاتُ بَعْلٍ أَنْتِ إِذْ فَعَلْتِ مَا فَعَلْتِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ زَوْجُكَ حَاضِرًا أَمْ غَائِبًا؟ قَالَتْ: بَلْ حَاضِرًا. قَالَ: فَانْطَلِقِي فَأَرْضِعِيهِ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ كَمَا أَمَرَكَ اللهُ. قَالَ: فَانْصَرَفَتِ الْمَرْأَةُ، فَلَمَّا صَارَتْ مِنْهُ حَيْثُ لَا تَسْمَعُ كَلَامَهُ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا شَهِادَتَانِ. قَالَ: فَلَمَّا مَضَى الْحَوْلَانِ أَتَتِ الْمَرْأَةُ فَقَالَتْ: قَدْ أَرْضَعْتُهُ حَوْلَيْنِ فَطَهَّرْنِي يَا امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! فَتَجَاهَلَ عَلَيْهَا وَقَالَ: أَطَهَّرُكَ مِمَّاذَا؟ فَقَالَتْ: إِنِّي زَنَيْتُ فَطَهَّرْنِي! فَقَالَ: وَذَاتُ بَعْلٍ أَنْتِ إِذْ فَعَلْتِ مَا فَعَلْتِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: وَبَعْلُكَ غَائِبٌ إِذْ فَعَلْتِ مَا فَعَلْتِ؟ فَقَالَتْ: بَلْ حَاضِرٌ. قَالَ: فَانْطَلِقِي! فَكَفْلِيهِ حَتَّى يَعْقِلَ أَنْ يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ، وَلَا يَتَرَدَّى مِنْ سَطْحٍ، وَلَا يَتَهَوَّرَ فِي بَيْتٍ. قَالَ: فَانْصَرَفَتْ وَهِيَ تَبْكِي. فَلَمَّا وَلَّتْ وَصَارَتْ حَيْثُ لَا تَسْمَعُ كَلَامَهُ، قَالَ: اللَّهُمَّ هَذِهِ ثَلَاثُ شَهَادَاتٍ. قَالَ: فَاسْتَقْبَلَهَا عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ الْمَخْزُومِي فَقَالَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ يَا أُمَّةَ اللهِ! وَقَدْ رَأَيْتُكَ تَخْتَلِفِينَ إِلَى عَلِيِّ

١ - البحار ٨ / ٧٢٤ (طبعة الكمباني).

٢ - وهو عمران بن ميثم، او صالح بن ميثم.

تَسْأَلِينَهُ أَنْ يُطَهَّرَكَ؟ فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَيْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «ع» فَسَأَلْتُهُ أَنْ يُطَهِّرَنِي فَقَالَ: أَكْفُلِي وَلَدَكَ حَتَّى يَعْقَلَ أَنْ يَأْكُلَ وَيَشْرَبَ وَلَا يَتَرَدَّى مِنْ سَطْحٍ وَلَا يَتَهَوَّرَ فِي بَيْتٍ، وَقَدْ خِفْتُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ الْمَوْتُ وَلَمْ يُطَهِّرَنِي. فَقَالَ لَهَا عَمْرُو بْنُ حَرِيثٍ: إِرْجِعِي إِلَيْهِ فَأَنَا أَكْفُلُهُ. فَرَجَعَتْ فَأَخْبَرَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ «ع» بِقَوْلِ عَمْرُو بْنِ حَرِيثٍ، فَقَالَ لَهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ مُتْجَاهِلٌ عَلَيْهَا ١..

٤ الامام الصادق «ع»: إِسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» حَارِثَةَ بْنَ مَالِكِ بْنِ النُّعْمَانِ الْإِنصَارِيِّ، فَقَالَ لَهُ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَارِثَةَ بْنَ مَالِكٍ! فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مُؤْمِنٌ حَقًّا. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ «ص»: لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ، فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكَ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ هَوَاجِرِي، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي، وَقَدْ وُضِعَ لِلْحِسَابِ. وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِي الْجَنَّةِ. وَكَأَنِّي أَسْمَعُ عَوَاءَ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ «ص»: عَبْدُ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ، أَبْصَرَتْ فَائِبَتُ! فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَدْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يَرْزُقَنِي الشَّهَادَةَ مَعَكَ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ ارْزُقْ حَارِثَةَ الشَّهَادَةَ. فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا أَيَّامًا حَتَّى بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» سَرِيَّةً فَبَعَثَهُ فِيهَا، فَقَاتَلَ، فَقُتِلَ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً، ثُمَّ قُتِلَ ٢.

١ - الوسائل ١٨ / ٣٧٨.

٢ - الوافي ١ / (٣ م) / ٣٣.

الفصل التاسع

شجب السلطات الطاغوتية

الكتاب

- ١ قل : يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً آرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون *^١
- ٢ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً، أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة..^٢
- ٣ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم، وعصوا رسله، واتبعوا أمر كل جبار عنيد * وأتبعوا في هذه الدنيا لعنة، ويوم القيامة، إلا إن عاداً كفروا ربهم، إلا بعداً لعاد قوم هود *^٣
- ٤ وتلك نعمة تمها علي، أن عبدت بني إسرائيل؟ *^٤
- ٥ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة، ثم يقول للناس كونوا

١ - سورة آل عمران (٣) : ٦٤ .

٢ - سورة النحل (١٦) : ٣٦ .

٣ - سورة هود (١١) : ٥٩ - ٦٠ .

٤ - سورة الشعراء (٢٦) : ٢٢ - ٢٣ .

عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا، أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ؟ *^١

٦ قل : اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا، لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ، مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا *^٢

٧ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ، فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ، وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *^٣

٨ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ *^٤

الحديث

- ١ النبي «ص» : لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق^٥.
- ٢ الامام علي «ع»... فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ؛ وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ؛ وَلَا تُسَخِّطِ اللَّهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، فَإِنَّ فِي اللَّهِ خَلْفًا مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ مِنْ اللَّهِ خَلْفٌ فِي غَيْرِهِ^٦.

١ - سورة آل عمران (٣) : ٧٩ - ٨٠.

٢ - سورة الكهف (١٨) : ٢٦.

٣ - سورة الشورى (٤٢) : ٩.

٤ - سورة الجاثية (٤٥) : ١٩.

٥ - الوسائل ١١ / ٤٢٢.

٦ - نهج البلاغة / ٨٨٨ : عبده ٣ / ٣٣.

٣ الامام علي «ع» : أَمَا بَعْدُ! فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّدًا «ص» بِالْحَقِّ، لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ عِبَادِهِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ عُهُودِ عِبَادِهِ إِلَى عُهُودِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ عِبَادِهِ إِلَى طَاعَتِهِ، وَمِنْ وِلَايَةِ عِبَادِهِ إِلَى وِلَايَتِهِ.^١

٤ الامام السجاد «ع» : .. فَاسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَارْجِعُوا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ مَنْ هُوَ أَوْلَى بِالطَّاعَةِ، مِمَّنْ اتَّبَعَ فَأُطِيعَ .. فَقَدِّمُوا أَمْرَ اللَّهِ وَطَاعَةَ مَنْ أَوْجَبَ اللَّهُ طَاعَتَهُ، بَيْنَ يَدَيِ الْأُمُورِ كُلِّهَا. وَلَا تَقْدِّمُوا الْأُمُورَ الْوَارِدَةَ عَلَيْكُمْ، مِنْ طَاعَةِ الطَّوَاغِيتِ، مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ .. فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ! وَاسْتَقْبِلُوا فِي إِصْلَاحِ أَنْفُسِكُمْ، وَطَاعَةِ اللَّهِ، وَطَاعَةِ مَنْ تُؤَلُّونَهُ فِيهَا .. وَايَاكُمْ وَصُحْبَةَ الْعَاصِينَ، وَمَعُونَةَ الظَّالِمِينَ، وَمُجَاوِرَةَ الْفَاسِقِينَ، إِحْذَرُوا فِتْنَتَهُمْ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ سَاحَتِهِمْ. وَاعْلَمُوا! أَنَّهُ مَنْ خَالَفَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ، وَدَانَ بِغَيْرِ دِينِ اللَّهِ، وَاسْتَبَدَّ بِأَمْرِهِ دُونَ أَمْرِ وِلِيِّ اللَّهِ، كَانَ فِي نَارٍ تَلْتَهَبُ .. وَاعْتَبِرُوا يَا أَوْلَى الْأَبْصَارِ، وَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ. وَاعْلَمُوا! أَنَّكُمْ لَا تَخْرُجُونَ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ إِلَى غَيْرِ قُدْرَتِهِ. وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولَهُ، ثُمَّ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. فَانْتَفِعُوا بِالْعِظَةِ! وَتَأَدَّبُوا بِآدَابِ الصَّالِحِينَ!^٢

٥ الامام الصادق «ع» - فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا»،^٣ قَالَ: لَيْسَ الْعِبَادَةُ هِيَ السُّجُودُ وَالرُّكُوعُ، إِنَّمَا هِيَ طَاعَةُ الرَّجَالِ. مَنْ أَطَاعَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، فَقَدْ عَبَدَهُ.^٤

١ - الوافي ٣ (م ٤) / ٢٢.

٢ - الكافي ٨ / ١٥ - ١٧.

٣ - سورة مريم (١٩) : ٨١.

٤ - الوسائل ١١ / ٤٢٣.

- ٦ النبي «ص» : مَنْ أَرْضَى سُلْطَانًا جَائِرًا بِسَخَطِ اللَّهِ، خَرَجَ عَنِ دِينِ اللَّهِ.^١
- ٧ الامام علي «ع» : كُلُّ عَزِيزٍ دَاخِلٌ تَحْتَ الْقُدْرَةِ فَذَلِيلٌ.^٢
- ٨ الامام علي «ع» : .. وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ..^٣

الفات نظر

السُّلْطَةُ الْبَشَرِيَّةُ الْمَنْفِيَّةُ بِهَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ وَأَضْرَابِهَا، هِيَ السُّلْطَةُ الَّتِي أَوْجَدَهَا الْجَبَابِرَةُ وَالطَّوَاغِيتُ وَسَائِرُ الْحُكَّامِ وَالسَّلَاطِينِ، بَلْ كُلُّ الْحُكُومَاتِ الْبَشَرِيَّةِ وَجَمِيعُ أَنْوَاعِ الْقُدْرَةِ الَّتِي أَوْجَدَهَا الْحُكَّامُ، عَادِلُهُمْ وَظَالِمُهُمْ، كُلُّ هَذِهِ مَنْفِيَّةٌ مُرَدُودَةٌ فِي مَنْطِقِ الدِّينِ وَشَرِيعَةِ السَّمَاءِ. فَهَذِهِ الْحُكُومَاتُ هِيَ الَّتِي قَدْ نَفَاها وَطَرَدَهَا النَّظَامُ السَّمَاوِيُّ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ. وَقَدْ نَفَاها وَطَرَدَهَا الْإِسْلَامُ بِأَصْرَحِ تَعْبِيرٍ وَأَشَدِّ صُمُودٍ. وَأَمَّا وِلَايَةُ بَعْضِ النَّاسِ، الَّذِينَ نَصَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، كَالْأَنْبِيَاءِ وَأَوْصِيائِهِمْ، فَهَذِهِ فِي الْوَاقِعِ وِلَايَةُ الْهَيْئَةِ لَا بَشَرِيَّةً.^٤ وَالْحُكَّامُ الْإِلَهِيُّونَ هُمُ الَّذِينَ يُجْرُونَ أَوْامَرَ اللَّهِ فِي النَّاسِ وَيَبْسُطُونَ حُدُودَ اللَّهِ عَلَى الْأَرْضِ. وَهُمْ: الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَوْصِيَاءُ، ثُمَّ مَنْ يَنْوِبُ عَنِ الْوَصِيِّ بِجِدَارَةٍ. وَهَذِهِ الْحُكُومَةُ وَالْوِلَايَةُ أَمْرٌ

١ - الوسائل ١١ / ٢٢١.

٢ - تحف العقول / ١٥٣.

٣ - نهج البلاغة / ٦٠٠: عبده ٢ / ١٣٢.

٤ - وَمِنْ أَهَمِّ سِمَاتِ هَذَا الْحُكْمِ، الَّذِي يُقِيمُهُ النَّبِيُّ أَوْ الْوَصِيُّ، أَوْ مَنْ يَنْوِبُ عَنْهُ، تِلْكَ الْأُمُورُ التَّالِيَةُ:

أ - تَجْسِيدُ الْقِسْطِ الْقُرْآنِيِّ وَالْعَدَالَةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ.

ب - مُقَاطَعَةُ الْاِغْنِيَاءِ وَالْمُتَرَفِّينَ وَإِقْصَاؤُهُمْ عَنِ الْمُسْتَوِيَّاتِ، وَقَطْعُ الْأَمَلِ عَمَّا بَايَدِيهِمْ، وَلِالانْفَاقِ عَلَى الْمَشَارِيعِ الْخَيْرِيَّةِ وَالنَّفَقَاتِ الدِّينِيَّةِ (وَيَا قَوْمِ! لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا - سُورَةُ هُودٍ: ٢٩). وَذَلِكَ لِأَنَّ الْاِغْنِيَاءَ مَا لَمْ يَنْتَسُوا مِنْ حَاجَةِ أَهْلِ الدِّينِ إِلَيْهِمْ، لَا يَبْتَخَعُونَ بِحَقِّ وَلَا يَفْتِنُونَ إِلَى

الفصل التاسع : شجب السّلات الطّاغوتيّة

ضروريّ في نظام المجتمع البشريّ، وموضوع ثابت يوطد أسسه
القرآن الكريم:

- إنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ، فَمَنْ
نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ، فَمَسِيئَتِهِ
أَجْرًا عَظِيمًا.^١

- إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ.^٢

- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ
مِنْكُمْ.^٣

- .. وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا.^٤
فالمقصد الهام الذي نلّفِتُ إليه الأنظار، في هذا البحث، أن
تأسيس الحكومة الإلهية ودعم الولاية الدينية الثابتة لخلفاء الله
على الأرض، هو الغرض الاجتماعيّ اللّغائيّ للدين؛ وبه يكون قوام

عدل (ولا حكم إسلامياً بلاعدل). وإن علماء الدين مالم يقطعوا الأمل عنهم ويردعوهم. لا
ينجحون في مكافحتهم بصورة قام بها الانبياء «ع». وليس لدين الله الذي جاء به الانبياء
المجاهدون ولا سيما سيدهم وخاتمهم، صورة أخرى غير ما أبلغوه وقاموا بدعم أسسه.

ج - رفع شأن الانسان وكيانه الفردي والاجتماعي.

د - الوقوف بجانب المستضعفين والمحرومين لإحقاق حقوقهم وإخراجهم من الاستضعاف
والحرمان. وذلك امر لا سبيل للوصول اليه الا بتطبيق العدالة الاقتصادية وسحق التكاثر والاطراف
والاسراف والعدوان الاقتصادي والتوزيعي.

هـ - شجب الطّاغوتين معاً، السياسي والاقتصادي، كما فعله الانبياء «ع».

ولاقيمة - في هذا الميدان - للّهتاف والقول والوعظ، اذ لم تجد تلك الغايات السامية الالهية
والانسانية سبيلاً الى التحقق والتجسيد.

١ - سورة الفتح (٤٨) : ١٠.

٢ - سورة المائدة (٥) : ٥٥.

٣ و ٤ - سورة النساء (٤) : ٥٩ و ٧٥.

الحقّ، وثباتُ العدل، وبه يتجسّدُ بسطُ الاحكام، وتُمهّدُ سُبُلَ
السَّعادات.

راجعُ بهذا الصَّدَد: البابُ الخامس، والفصلُ الثالثُ
والعشرين، من البابِ السَّادس، والابوابُ السَّابعُ والثَّامنُ والتَّاسعُ،
وكلُّ ذلك في الجزءِ الثَّاني.

الفصلُ العاشرُ

رفع المستوى الانساني

الكتاب

- ١ ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ، وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا *^١
- ٢ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً، قَالُوا: أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ؟ قَالَ: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ *^٢
- ٣ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ، وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ، لِيَبْلُوَكُمْ فِيهَا آتَاكُمْ ..^٣

الحديث

١ - سورة الإسراء (١٧) : ٧٠

٢ - سورة البقرة (٢) : ٣٠

٣ - سورة الأنعام (٦) : ١٦٥

١ الامام الصادق «ع»: يا مُفضَّل! أوَّل العِبَر والأدِلَّةِ على الباري - جَلَّ قُدْسُهُ - تَهْيِئَةُ هذا العالَمِ وتَأليفُ أَجزائِهِ ونَظْمُها على ما هي عليه؛ فَإِنَّكَ إِذَا تَأَمَّلْتَ العالَمَ بفِكرِكَ، وميَزْتَهُ بعقلِكَ، وَجَدْتَهُ كَالْبَيْتِ المَبْنِيِّ المَعْدَّ فِيهِ جَمِيعُ ما يَحْتَاجُ اليه عِبَادُهُ. فالسَماءُ مرفوعةٌ كَالسَّقْفِ، والأرضُ ممدودةٌ كَالبِساطِ، والنُجُومُ منضودةٌ كَالْمَصَابِيحِ، والجَواهِرُ مخزونةٌ كَالذِّخَائِرِ؛ وَكُلُّ شَيْءٍ فِيها لِشأنِهِ مُعَدُّ، والانسَانُ كَالْمَمْلُوكِ ذَلِكِ البَيْتِ، والمُخَوَّلِ جَمِيعَ ما فِيهِ، وَضُرُوبُ النَباتِ مُهَيَّاةٌ لِمَآرِبِهِ، وَصُنُوفُ الحَيوانِ مَصروفَةٌ فِي مَصالِحِهِ وَمَنافِعِهِ..١

* الأحاديثُ فِي هذا المقصد كثيرةٌ، مِنها هذا الحديثُ المُفضَّلِيُّ، الَّذِي سَلَفَتْ عِدَّةٌ مِن مَقاطِعِهِ فِيما مضى مِن قَبْلِ. وَكُلُّ هذه التَّعاليمُ يُنَوِّهُ بِشأنِ الإنسانِ وموقِفِهِ فِي المسَلَكِ الفِكرِيِّ الإلهِيِّ. وهذا أمرٌ مُهمٌّ فِي التَّربِيَةِ والتَّعْلِيمِ والمَدَنِيَّةِ والاجتماعِ والسَّعَادَةِ والسُّلُوكِ والعدالةِ والقسطِ والتَّقدُّمِ والرُّقْيِ. وهذا الموضوعُ الهامُّ العَظِيمِ، يعني رَفَعَ شأنَ الإنسانِ ومستواه وصيانَةَ كرامَتِهِ وحقوقِهِ، لَمْ يُلْتَفَتْ اليه مِثْلَما تُلْتَفَتُ اليه فِي الدِّينِ الإسلاميِّ والكتابِ السَّمَاوِيِّ والسُّنَّةِ والحديثِ.

فراجع: مَظانِّها فِي «القرآنِ الكَرِيمِ»، و«الكتَبِ الأربعة»، و«نَهجِ البِلاغَةِ»، و«الصَّحِيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ»، و«رسالةِ الحَقوقِ السَّجَّادِيَّةِ»، و«تُحْفِ العُقُولِ»، و«مِكارِمِ الأَخلاقِ»، و«الوَسائِلِ»، و سائِرِ مجاميعِ الحديثِ. وراجعَ أيضاً مِن هذا الكتابِ: الأَبوابَ والفصولَ الَّتِي تَرْتَبِطُ بِهذا الأَصْلِ، فِي أَجزائِهِ.

الفصلُ الحادي عشر

الرّعاية الدّقيقة للحقوق

الكتاب

١ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنا حَاسِبِينَ *

الحديث

١ الامام علي «ع» - إنَّ اميرَ المؤمنين «ع» وُلِّيَ أبَا الأَسودِ التُّوَلِي القَضَاءَ ثُمَّ عَزَلَهُ. فقال له: لِمَ عَزَلْتَنِي وما خُنْتُ ولا جَنَيْتُ؟ فقال: إنِّي رَأَيْتُ كَلامَكَ يعلُو كَلامَ خَصَمِكَ.^٢

٢ الامام الصادق «ع» - فيما رواه عن الامام امير المؤمنين: رُفِعَ الى امير المؤمنين «ع» رَجُلٌ مَسْلُومٌ اشْتَرى أرضاً مِنْ أَرْضِي الخِراجِ، فقال امير

١ - سورة الانبياء (٢١) : ٤٧.

٢ - المستدرک ٣ / ١٩٧.

المؤمنين «ع» : لَهُ مَا لَنَا وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْنَا، مُسْلِمًا كَانَ أَوْ كَافِرًا. لَهُ مَا لِأَهْلِ اللَّهِ وَعَلَيْهِ مَا عَلَيْهِمْ.^١

٣ الامام الصادق «ع» : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» يُقَسِّمُ لِحِظَاتِهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَيَنْظُرُ إِلَى ذَا وَيَنْظُرُ إِلَى ذَا بِالسُّوِيَّةِ.^٢

٤ الامام الصادق «ع» : النَّاسُ سَوَاءٌ، كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ ..^٣

الفات نظر

هذا الأصل - أصل المساواة والتسوية - من أهم الأصول الإجتماعية التي دعا إليها الإسلام وعَمِلَ بها أولياء الإسلام: النبي وأوصياؤه . ولم يُعْتَدَ بشأن هذا الأصل، كما اعتدَّ به الإسلام غير أن المسلمين لم يَهْتَمُّوا به في التجسيد، وأن علماء الدين ودُعَاتَهُ لم يَعْمِدُوا إِلَيْهِ .

راجع في ذلك المقصد الانساني والتربوي والاجتماعي الهام، المحيي للانسان والانسانية: الفصل السابع والاربعين، من الباب الحادي عشر.

١ - الوافي ٣ (م ١٠) / ١٣٣ .

٢ - الكافي ٢ / ٦٧١ .

٣ - تحف العقول / ٢٧١ .

الفصل الثاني عشر

الانسان بين الركيزة المادية والالهية

الكتاب

- ١ وَاذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ: إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي، فَفَعَّالَهُ سَاجِدِينَ *^١
- ٢ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ؟ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ..^٢
- ٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ *^٣
- ٤ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ * .. ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ *^٤

الحديث

-
- ١ - سورة الحجر (١٥): ٢٨ - ٢٩.
 - ٢ - سورة الاسراء (١٧): ٨٥.
 - ٣ - سورة التين (٩٥): ٤.
 - ٤ - سورة المؤمنون (٢٣): ١٢ و ١٤.

١ الامام الباقر «ع» - محمد بن مسلم قال: سألتُ ابا جعفر «ع» عمّا يروون: «إنَّ الله عزَّ وجلَّ خَلَقَ آدَمَ على صورته»؟ فقال: هي صورةٌ مُحدَثَةٌ مخلوقةٌ، اصْطَفَاها الله واختارها على سائرِ الصُّورِ المِخْتَلِفَةِ، فأضافها الى نفسه، كما أضاف الكعبةَ الى نفسه، والروحَ الى نفسه، فقال: «بَيْتِي» وقال: «نَفَخْتُ فيه مِنْ رُوحِي»^٢.

٢ الامام الباقر «ع» - قال محمد بن مسلم: سألتُ ابا جعفر «ع» عن قولِ الله عزَّ وجلَّ: «ونَفَخْتُ فيه مِنْ رُوحِي»؟ قال: روحُ اختاره اللهُ واصْطَفَاهُ وخالقه وأضافه الى نفسه، وفضَّله على جميعِ الأرواحِ، فَأَمَرَ فَنَفَخَ مِنْهُ في آدَمَ «ع»^٤.

* إنَّ جزءَ الانسانِ المادِّي معلومٌ بشكلٍ نسبيٍّ، لذلك اكتفينا هنا بالإشارة الى جزئه الرُّوحِيِّ واهميَّته وموقعه.

١ - سورة البقرة (٢) : ١٢٥؛ سورة الحج (٢٢) : ٢٦.

٢ - سورة الحجر (١٥) : ٢٩؛ سورة ص (٣٨) : ٧٢.

٣ - البحار ٤ / ١٣، عن «كتاب التوحيد»، للصدوق.

٤ - معاني الأخبار ١ / ١٥.

الفصل الثالث عشر

كرامة الانسان

الكتاب

- ١ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا،
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتِّقَاكُمْ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ *^١
- ٢ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ
فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا، وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَى النَّاسَ
جَمِيعًا..^٢
- ٣ وَمَالِكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ
وَالْوِلْدَانِ؟ الَّذِينَ يَقُولُونَ: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ
لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا *^٣

١ - سورة الحجرات (٤٩) : ١٣.

٢ - سورة المائدة (٥) : ٣٢.

٣ - سورة النساء (٤) : ٧٥.

الحديث

- ١ النبي «ص»: الخلق كُلُّهم عيالُ الله، فأحبُّهم الى الله عزَّ وجلَّ أنفعُهم لِعِيَالِهِ..^١
- ٢ الامام علي «ع»: كُلُّكم عيالُ الله، والله سبحانه كافلُ عِيَالِهِ.^٢
- ٣ الامام الصادق «ع»: قال الله عز وجل: الخلقُ عيالي، فأحبُّهم إليَّ، أطفُهم بِهِم، وأسعاهم في حوائجهم.^٣
- ٤ الامام علي «ع»: .. أشعرُ قلبك الرَّحمةَ للرَّعيةِ والمحبةَ لهم!.. فإنهم صنفان: إمَّا أخ لك في الدين، وإمَّا نظيرُ لك في الخلق..^٤
- ٥ الامام الصادق «ع» - في كتاب: .. إنَّ الله - تبارك وتعالى - إمَّا أحبُّ أن يُعرفَ بالرجال، وأن يُطاعَ بطاعتهم؛ فجعلهم سبيلهُ ووجههُ الَّذي يُوتى منه، لا يقبلُ الله من العبادِ غيرَ ذلك.. فقال فيمن أوجبَ من محبتهِ لذلك: «مَنْ يُطعِ الرَّسولَ فقد أطاعَ الله ومن تولى، فما أرسلناك عليهم حفيظاً»^٥.
- ٦ النبي «ص»: لئن يَهدي اللهُ بك رجلاً واحداً، خيرٌ لك من الدنيا وما فيها.^٦
- ٧ الامام الصادق «ع»: قال اميرُ المؤمنين «ع»: لَمَّا وَجَّهني رسولُ الله «ص» الى اليمن، فقال: يا علي! لا تُقاتِلْ أحداً حتى تدعوه الى الاسلام. وأيمُ الله!

١ - البحار ٩٦ / ١١٨: عن «قرب الاسناد».

٢ - غرر الحكم / ٢٥٠.

٣ - الكافي ٢ / ١٩٩.

٤ - نهج البلاغة / ٩٩٣: عبده ٣ / ٩٣.

٥ - سورة النساء (٤): ٨٠.

٦ - بصائر الدرجات / ٥٣١.

٧ - منية المرید / ١٠؛ و ١١ - ١٢، من طبعة قم المنقحة.

لئن يَهْدِي اللهُ عَلَى يَدَيْكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَغَرُبَتْ،
وَلَكَ وَلاؤُهُ.^١

٨ الامام الصادق «ع»: أَحْسَنُ مِنَ الصَّدَقِ قَائِلُهُ، وَخَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ فَاعِلُهُ.^٢

٩ الامام العسكري «ع» - عن الامام السَّجَّادِ «ع»، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^٣ عِبَادَ اللَّهِ! هَذَا قِصَاصٌ قَتَلَكُمْ، لِمَنْ تَقْتُلُونَهُ فِي الدُّنْيَا وَتُفْنُونَ رُوحَهُ. أَوْلَا أَنْبِيئِكُمْ بِأَعْظَمٍ مِنْ هَذَا الْقَتْلِ، وَمَا يُوجِبُ اللَّهُ عَلَى قَاتِلِهِ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الْقِصَاصِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ! قَالَ: اعْظُمُ مِنْ هَذَا الْقَتْلِ، أَنْ تَقْتُلَهُ قِتْلًا لَا يَنْجِبُهُ وَلَا يَحْيِي بَعْدَهُ أَبَدًا. قَالُوا: مَا هُوَ؟ قَالَ: أَنْ يُضِلَّهُ عَنْ نَبْوَةِ مُحَمَّدٍ «ص» وَعَنْ وِلَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ «ع»، وَيَسْلُكَ بِهِ غَيْرَ سَبِيلِ اللَّهِ.^٤

١٠ الامام الباقر «ع» - قَالَ فَضِيلٌ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ «ع»: قَوْلُ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ: «وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا»^٥؟ قَالَ: مَنْ حَرَقَ أَوْ غَرَقَ. قُلْتُ: فَمَنْ أَخْرَجَهَا مِنْ ضَلَالٍ إِلَى هُدًى؟ قَالَ: ذَلِكَ تَأْوِيلُهَا الْأَعْظَمُ.^٦

الفتات نظر

قصدنا من هذا الفصل لفت الأنظار إلى أهمية الشؤون الإنسانية في منطق الدين، وأهمية الدفاع عن المستضعفين، وقيمة

١ - الوافي ٢ (م ٩) / ١٦.

٢ - امالي الطوسي ١ / ٢٢٦.

٣ - سورة البقرة (٢): ١٧٩.

٤ - البحار ٢ / ٢٣، عن «تفسير الامام العسكري».

٥ - سورة المائدة (٥): ٣٢.

٦ - الكافي ٢ / ٢١٠ - ٢١١.

الخدمات والمسعى في سبيل المجتمع البشري، ومساواة الناس عند الله تعالى، ونفي التمييزات الواهية، والإشعار إلى عدم تأثيرها في واقع الإنسان وشؤونه.

وكذلك قصدنا لفت الأنظار إلى أن الأعمال الصادرة من الإنسان إذا كانت لترفيه الناس والسعي في حوائجهم الفردية والاجتماعية، هي بعينها عبادات وقربات. و«سبيل الله» هو «سبيل الناس» وبالعكس، إذا وقع عمل لله وكانت النوايا إلهية خالصة. وهذا هو الذي يشير إليه الامام علي بن ابي طالب «ع» بقوله: «.. وَأَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ، وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسامِ، وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلَّهِ، إِذَا صَلَّحَتْ فِيهِمَا النِّيَّةُ وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ»^١.

وهذا الاصل من اهم الاصول التربوية الفردية والاجتماعية في الاسلام، فلاخط. وراجع: الآيات والاحاديث الواردة بصدده، في مظانها من ابواب الكتاب.

١ - نهج البلاغة / ١٠٢٢؛ عبده ٣ / ١١٤.

الفصلُ الرَّابِعُ عشر

القدرة والعزة والصمود

الكتاب

- ١ يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليُخرجنَّ الاعزُّمنها الاذلَّ، ولله العِزَّةُ ولرسوله وللمؤمنين، ولكنَّ المنافقونَ لا يعلمون *^١
- ٢ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً..^٢
- ٣ إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ؟ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ *^٣
- ٤ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، أَيْتَغُونَ عَنْدَهُمُ الْعِزَّةَ؟ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً *^٤

الحديث

- ١ - سورة المنافقون (٦٣) : ٨.
- ٢ - سورة فاطر (٣٥) : ١٠.
- ٣ - سورة آل عمران (٣) : ١٦٠.
- ٤ - سورة النساء (٤) : ١٣٩.

- ١ الامام علي «ع» : مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ سَبَحَانَهُ، عَزَّ وَقَوِيَ.^١
- ٢ الامام علي «ع» - كَتَبَ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ : أَوْصِيكَ بِسَبْعٍ هُنَّ مِنْ جَوَامِعِ الْإِسْلَامِ: تَخَشَى اللَّهَ عِزَّ وَجَلَّ وَلَا تَخْشَى النَّاسَ فِي اللَّهِ .. وَلَا تَخْفُ فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمَةً.^٢
- ٣ الامام الباقر «ع» : إِنْ اللَّهُ عِزَّ وَجَلَّ أَعْطَى الْمُؤْمِنَ ثَلَاثَ خِصَالٍ : الْعِزَّةَ فِي الدُّنْيَا، وَالْفَلَجَ فِي الْآخِرَةِ، وَالْمَهَابَةَ فِي صُدُورِ الظَّالِمِينَ، ثُمَّ قَرَأَ: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ»^٣.
- ٤ الامام الصادق «ع» : إِنْ الْمُؤْمِنَ أَشَدُّ مِنْ زُبْرِ الْحَدِيدِ. إِنْ الْحَدِيدَ إِذَا دَخَلَ النَّارَ لَانَ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ لَوْ قُتِلَ وَنُشِرَ، ثُمَّ قُتِلَ، لَمْ يَتَغَيَّرْ قَلْبُهُ.^٥
- ٥ الامام الصادق «ع» : إِنْ الْمُؤْمِنَ يَخْشَعُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَيَهَابُهُ كُلُّ شَيْءٍ.^٦
- ٦ الامام الصادق «ع» : إِنْ اللَّهُ فَوْضَ إِلَى الْمُؤْمِنِ أَمْرَهُ كُلَّهُ، وَلَمْ يَفُوضْ إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ ذَلِيلًا. أَمَا تَسْمَعُ اللَّهُ يَقُولُ عِزَّ وَجَلَّ: «وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ»؟ فَالْمُؤْمِنُ يَكُونُ عَزِيزًا وَلَا يَكُونُ ذَلِيلًا. ثُمَّ قَالَ: إِنْ الْمُؤْمِنَ أَعَزُّ مِنَ الْجَبَلِ، إِنْ الْجَبَلَ يُسْتَقَلُّ مِنْهُ بِالْمَعَاوِلِ، وَالْمُؤْمِنَ لَا يُسْتَقَلُّ مِنْ دِينِهِ شَيْءٌ.^٧

١ - غرر الحكم / ٢٧٨.

٢ - أمالي الطوسي / ١ / ٣٠.

٣ - سورة المنافقون (٦٣) : ٨.

٤ - الخصال / ١ / ١٥٢.

٥ - البحار / ٨٠ / ١٧٨، عن «المحاسن».

٦ - البحار / ٦٩ / ٢٨٥.

٧ - مشكاة الأنوار / ٥٠.

الفصل الخامس عشر

الاعتصام والاستقامة

الكتاب

- ١ فلما تراءى الجمعان قال اصحاب موسى : انا لمدركون * قال : كلا ان معي ربي سيهدين *
- ٢ فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به، فسيدخلهم في رحمة منه وفضل، ويهديهم اليه صراطاً مستقيماً *
- ٣ وجاهدوا في الله حق جهاده، هو اجتناكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملة ابيكم ابراهيم، هو سماكم المسلمين من قبل، وفي هذا، ليكون الرسول شهيداً عليكم، وتكونوا شهداء على الناس، فاقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، واعتصموا بالله هو مولاكم، فنعم المولى ونعم النصير *
- ٤ وتوكل على العزيز الرحيم * الذي يراك حين تقوم * وتقلبك في الساجدين * انه هو السميع العليم *

١ - سورة الشعراء (٢٤) : ٦١ - ٦٢.

٢ - سورة النساء (٤) : ١٧٥.

٣ - سورة الحج (٢٢) : ٧٨.

٤ - سورة الشعراء ٢١٧ - ٢٢٠.

- ٥ إذ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا، وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا، وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ * وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ، وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *
- إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ: أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُدْعَىٰ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ * بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا، يُدْعِكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ، وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ، وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ *^١
- ٦ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ، لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا، وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ، وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا *^٢
- ٧ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، إِنْ تَنصَرُوتُمْ لِلَّهِ تَنصُرْكُمْ، وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ *^٣
- ٨ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً، هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *^٤
- ٩ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا، فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى، فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *^٥
- ١٠ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا *^٦
- ١١ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ، وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ؟ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ *^٧

١ - سورة آل عمران (٣) : ١٢٢ - ١٢٤.

٢ - سورة الاحزاب (٣٣) : ٢٥.

٣ - سورة محمد «ص» (٤٧) : ٧.

٤ - سورة الانعام (٦) : ٤٧ - ٤٨.

٥ - سورة البقرة (٢) : ٣٨.

٦ - سورة طه (٢٠) : ١١٢.

٧ - سورة آل عمران (٣) : ١٦٠.

الحديث

- ١ النبي «ص»: «إِنْ سَرَّكَ أَنْ تَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ ، فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ! .. وَإِنْ سَرَّكَ أَنْ تَكُونَ أَعْنَى النَّاسِ ، فَكُنْ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِكَ»
- ٢ الامام الصادق «ع» - عن آبائه، عن رسول الله «ص»: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَكْرَمَ النَّاسِ ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ. وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَتَقَى النَّاسِ ، فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ أَعْنَى النَّاسِ ، فَلْيَكُنْ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ»^٢.
- ٣ الامام الصادق «ع»: «لَيْسَ شَيْءٌ إِلَّا وَلَهُ حُدٌّ. قَالَ (ابو بصير): قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ! فَمَا حَدُّ التَّوَكُّلِ؟ قَالَ: الْيَقِينُ. قُلْتُ: فَمَا حَدُّ الْيَقِينِ؟ قَالَ: أَنْ لَا تَخَافَ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا»^٣.
- ٤ الامام الرضا «ع»: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ أَقْوَى النَّاسِ ، فَلْيَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ. وَسُئِلَ عَنْ حَدِّ التَّوَكُّلِ، مَا هُوَ؟ قَالَ: أَنْ لَا تَخَافَ سِوَاهُ»^٤.
- ٥ الامام الباقر «ع»: «مَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ لَا يُغْلَبُ. وَمَنْ اعْتَصَمَ بِاللَّهِ لَا يُهْزَمُ»^٥.

١ - مكارم الاخلاق / ٥٥٢.

٢ - معاني الاخبار / ١٨٨.

٣ - الكافي / ٥٧.

٤ - البحار / ٧١ / ١٤٣، عن «فقه الرضا».

٥ - البحار / ٧١ / ١٥١، عن «جامع الاخبار».

الفصل السادس عشر

التجاوب مع الكائنات في قبول القدرة الالهية

الكتاب

- ١ ولله جنود السماوات والارض، وكان الله عزيزاً حكيماً *^١
- ٢ يسأله من في السماوات والارض، كل يوم هو في شأن *^٢
- ٣ ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق، وما كنا عن الخلق غافلين *^٣
- ٤ قل: من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءاً، أو أراد بكم رحمةً؟ ولا يجِدُونَ لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً *^٤
- ٥ وقالت اليهود: يد الله مغلولة، غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا، بل يدها مبسوطتان، يُنفقُ كيف يشاء..^٥
- ٦ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون؟ * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون؟ * أفأمنوا مكر الله؟ فلا يأمن مكر الله

١ - سورة الفتح (٤٨) : ٧.

٢ - سورة الرحمن (٥٥) : ٢٩.

٣ - سورة المؤمنون (٢٣) : ١٧.

٤ - سورة الاحزاب (٣٣) : ١٧.

٥ - سورة المائدة (٥) : ٦٤.

- إِلَّا الْقَوْمَ الْخَاسِرُونَ * أَوْلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ
 أَصْبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ *^١
- ٧ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا، لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ *
 بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَأَبَاءَهُمْ، حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ، أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ
 نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا، أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ *^٢
- ٨ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدِينَا لَمْ يَسْعُونَ * وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ *^٣
- ٩ قَالَتْ: أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ: كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ
 هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ، وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِننَا، وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا *^٤
- ١٠ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ، فَإِذَا قَضَى أَمْرًا، فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ *^٥
- ١١ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا * إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ، وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا
 نَسِيتَ وَقُلْ: عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا *^٦
- ١٢ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا
 النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا *^٧
- ١٣ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ * أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ
 نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا، وَاللَّهُ يَحْكُمُ وَلَا يُعْتَبَرُ لِحُكْمِهِ، وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ *^٨
- ١٤ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ، أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ *^٩

١ - سورة الاعراف (٧): ٩٧ - ١٠٠.

٢ - سورة الانبياء (٢١): ٤٣ - ٤٤.

٣ - سورة الذاريات (٥١): ٤٧ - ٤٨.

٤ - سورة مريم (١٩): ٢٠ - ٢١.

٥ - سورة غافر (٤٠): ٤٨.

٦ - سورة الكهف (١٨): ٢٣ - ٢٤.

٧ - سورة النساء (٤): ١٣٢ - ١٣٣.

٨ - سورة الرعد (١٣): ٣٩ و ٤١.

٩ - سورة النحل (١٦): ٤٠.

- ١٥ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة، ويوم حنين، إذا عجبتمكم كثرتكم، فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين *^١
- ١٦ وهو القاهر فوق عباده، ويرسل عليكم حفظة، حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم رددوا الى الله، مولاهم الحق، الاله الحكيم وهو أسرع الحاسبين * قل : من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخفية؟ لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين * قل : الله ينجيكم منها، ومن كل كرب، ثم انتم تُشركون * قل : هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم، أو من تحت أرجلكم، أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض، انظر كيف نُصِّفُ الآيات لعلهم يفقهون *^٢
- ١٧ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء، فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام، حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها، أتاهم أمرنا ليلاً أو نهاراً، فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس، كذلك نُفَصِّلُ الآيات لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ *^٣
- ١٨ وربك الغني ذو الرحمة، إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء، كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين *^٤
- ١٩ وما جعله الله إلا بشري، ولتطمئن به قلوبكم، وما النصر إلا من عند الله، إن الله عزيز حكيم * إذ يغشىكم النعاس أمنة منه، وينزل عليكم من السماء ماءً ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان، وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام *^٥

١ - سورة التوبة (٩) : ٢٥.

٢ - سورة الانعام (٦) : ٦١ - ٦٥.

٣ - سورة يونس (١٠) : ٢٤.

٤ - سورة الانعام (٦) : ١٣٣.

٥ - سورة الانفال (٨) : ١٠ - ١١.

الحديث

١ الامام علي «ع»: الحمد لله الذي لم تسبق له حالٌ حالاً، فيكون أولاً قبل أن يكون آخراً ويكون ظاهراً قبل أن يكون باطناً. كُلُّ مُسَمَّى بالوحدة غيره قليل، وكلُّ عزيزٍ غيره ذليل، وكلُّ قويٍّ غيره ضعيف، وكلُّ مالكٍ غيره مملوك، وكلُّ عالمٍ غيره متعلم، وكلُّ قادرٍ غيره يقدر ويعجز، وكلُّ سميعٍ غيره يصم عن لطيف الأصوات ويصمه كبيرها، ويذهب عنه ما بعد منها. وكلُّ بصيرٍ غيره، يعمى عن خفي الألوان ولطيف الأجسام. وكلُّ ظاهرٍ غيره غير باطن، وكلُّ باطنٍ غيره غير ظاهر. لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان، ولا تخوفٍ من عواقب زمان، ولا استعانةٍ على ندمثاور، ولا شريكٍ مكاثير، ولا ضدٍّ منافير؛ ولكن خلائق مَرَبوبون، وعبادٍ داخرون. لم يحلل في الأشياء فيقال: هو فيها كائن. ولم ينأ عنها فيقال: هو منها بائن. لم يؤده خلق ما ابتداءً، ولا تدبير ما ذراً، ولا وقف به عجز عما خلق، ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى وقدر، بل: قضاء متقن، وعلم محكم، وامر مبرم. المأمول مع النقم، المرهوب مع النعم. ١

الفصل السابع عشر

الانضباط في الاعمال

الكتاب

- ١ قد أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * .. وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ *^١
- ٢ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ، وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ، لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ *^٢
- ٣ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ *^٣
- ٤ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَاهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ *^٤
- ٥ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ، يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ *^٥
- ٦ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ، إِلَّا كُنَّا

١ - سورة المؤمنون (٢٣) : ١ و ٣.

٢ - سورة القصص (٢٨) : ٥٥.

٣ - سورة الزلزال (٩٩) : ٧ - ٨.

٤ - سورة الانبياء (٢١) : ٤٧.

٥ - سورة لقمان (٣١) : ١٦.

عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه، وما يعزبُ عن ربك من مثقالِ ذرةٍ في الارضِ ولا في السماءِ ولا اصغرَ من ذلك ولا اكبرَ، إلا في كتابٍ مبين *^١
٧ والوزنُ يومئذٍ الحقُّ، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون *^٢

الحديث

- ١ النبي «ص»: أعظمُ الناسِ قدراً مَنْ تَرَكَ ما لا يَعْنِيهِ.^٣
- ٢ الامام الصادق «ع»: كانَ أبي يقول: قُمْ بِالْحَقِّ، وَلَا تَعْرَضْ لِمَا نَابَكَ، وَاعْتَزِلْ عَمَّا لَا يَعْنِيكَ!^٤
- ٣ الامام الصادق «ع» - عن آبائِهِ، عن امير المؤمنين: جُمِعَ الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي ثَلَاثِ خِصَالٍ: النَّظَرِ وَالسَّكُوتِ وَالْكَلَامِ. فَكُلُّ نَظَرٍ لَيْسَ فِيهِ اعْتِبَارٌ، فَهُوَ سَهْوٌ. وَكُلُّ سَكُوتٍ لَيْسَ فِيهِ فِكْرَةٌ، فَهُوَ غَفْلَةٌ. وَكُلُّ كَلَامٍ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرٌ، فَهُوَ لَغْوٌ. فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ نَظْرُهُ عِبْرَةً، وَسُكُوتُهُ فِكْرًا، وَكَلَامُهُ ذِكْرًا.^٥
- ٤ الامام الكاظم «ع» - كَتَبَ هَارُونُ الرَّشِيدُ إِلَى مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ «ع»: عِظْنِي وَأَوْجِزْ! .. فَكَتَبَ إِلَيْهِ: مَا مِنْ شَيْءٍ تَرَاهُ عَيْنَكَ، إِلَّا وَفِيهِ مَوْعِظَةٌ.^٦

١ - سورة يونس (١٠) : ٦١.

٢ - سورة الاعراف (٧) : ٨ - ٩.

٣ - معاني الاخبار / ١٨٨.

٤ - البحار ٧١ / ٢٧٧.

٥ - الخصال ١ / ٩٨.

٦ - امالي الصدوق / ٤٥٧.

٥ الامام السجاد «ع» : اللَّهُمَّ! وَإِنَّكَ مِنَ الضُّعْفِ خَلَقْتَنَا، وَعَلَى الْوَهْنِ بَنَيْتَنَا، وَمِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ابْتَدَأْتَنَا، فَلَا حَوْلَ لَنَا إِلَّا بِقُوَّتِكَ، وَلَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِعَوْنِكَ. فَأَيَّدْنَا بِتَوْفِيقِكَ، وَسَدَّدْنَا بِتَسْدِيدِكَ، وَأَعْمِرْ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا عَمَّا خَالَفَ مَحَبَّتَكَ، وَلَا تَجْعَلْ لِشَيْءٍ مِنْ جَوَارِحِنَا نُفُوزًا فِي مَعْصِيَتِكَ. اللَّهُمَّ! فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَاجْعَلْ هَمَّسَاتِ قُلُوبِنَا، وَحَرَكَاتِ أَعْضَائِنَا، وَلَمَحَاتِ أَعْيُنِنَا، وَلَهْجَاتِ أَلْسِنَتِنَا، فِي مُوجِبَاتِ ثَوَابِكَ، حَتَّى لَا تَفُوتَنَا حَسَنَةٌ نَسْتَحِقُّ بِهَا جَزَاءَكَ، وَلَا تَبْقَى لَنَا سَيِّئَةٌ نَسْتَوْجِبُ بِهَا عِقَابَكَ.^١

٦ الامام السجاد «ع» : يَا مَنْ ذَكَرُهُ شَرَفٌ لِلذَّاكِرِينَ! وَيَا مَنْ شَكَرُهُ فَوْزٌ لِلشَّاكِرِينَ! وَيَا مَنْ طَاعَتُهُ نَجَاةٌ لِلْمُطِيعِينَ! صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! وَاشْغَلْ قُلُوبَنَا بِذِكْرِكَ عَنْ كُلِّ ذِكْرٍ، وَأَلْسِنَتَنَا بِشُكْرِكَ عَنْ كُلِّ شُكْرٍ، وَجَوَارِحَنَا بِطَاعَتِكَ عَنْ كُلِّ طَاعَةٍ.^٢

٧ الامام السجاد «ع» : اللَّهُمَّ! وَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ مَا خَالَفَ إِرَادَتَكَ! أَوْزَالَ عَنْ مَحَبَّتِكَ، مِنْ خَطَرَاتِ قَلْبِي، وَلِحَظَاتِ عَيْنِي، وَحِكَايَاتِ لِسَانِي، تَوْبَةً تَسْلَمُ بِهَا كُلُّ جَارِحَةٍ عَلَى حِيَالِهَا مِنْ تَبِعَاتِكَ، وَتَأْمَنُ مِمَّا يَخَافُ الْمُعْتَدُونَ مِنْ أَلِيمِ سَطَوَاتِكَ.^٣

الفات نظر

يُشيرُ هذا الفصلُ إلى أن أعمالَ الإنسانِ تقعُ تحتَ محاسبةِ اللهِ الدَّقِيقَةِ، فَيَحَاسِبُهُ عَلَى أَيِّ عَمَلٍ صَدَرَ عَنْهُ، جَلِيلٍ أَوْ حَقِيرٍ بِالغِ فِي الْحَقَارَةِ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ. فَمِنْ هَذَا الْمَسَلِكِ الْفِكْرِيِّ

١ - الصَّحِيفَةُ السَّجَادِيَّةُ / ٨٧ (الدَّعَاءُ ٩).

٢ - الصَّحِيفَةُ السَّجَادِيَّةُ / ٩٠ (الدَّعَاءُ ١١).

٣ - الصَّحِيفَةُ السَّجَادِيَّةُ / ٢١١ (الدَّعَاءُ ٣١).

يَنْبَعُ أَصْلَانِ:

الأصلُ الأول: أنَّ الإنسانَ لا يرى أيَّ مُسامحةٍ وإهمالٍ في الأخذ والحساب، فيفرضُ على نفسه أن يُصحَّحَ أعماله ويُهذَّبَها ويُدقَّقَ النَّظَرَ في جليلها وحَقيرها، حالما يأتي بها.

الأصلُ الثاني: أنَّ الإنسانَ يُساقُ الى أن يَسْتَفِيدَ مِن لَحَظَاتِ عُمُرِهِ وجميعِ قُوَاهُ وإمكاناتِهِ لِلْعَمَلِ الصَّالِحِ والإقدامِ الخَيْرِ.

الفصل الثامن عشر

النجاة من اليأس

الكتاب

- ١ قالوا : بَشْرُنَاكَ بِالْحَقِّ، فَلَا تُكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ * قَالَ : وَمَنْ يَقْنُطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ *^١
- ٢ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَآخِيهِ، وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، إِنَّهُ لَا يَيَاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ *^٢
- ٣ قُلْ : يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ *^٣
- ٤ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا، جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ، وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ *^٤
- ٥ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ : اتَّذُرْ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ . وَيَذُرَكَ وَالْهَتَكَ؟ قَالَ : سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ، وَإِنَّا فَوْقَهُمْ

١ - سورة الحجر (١٥) : ٥٥ - ٥٦.

٢ - سورة يوسف (١٢) : ٨٧.

٣ - سورة الزمر (٣٩) : ٥٣.

٤ - سورة يوسف (١٢) : ١١٠.

قاهرون * قال موسى لقومه: اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا، إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قالوا: أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا، قَالَ: عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ، فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ *^١

الحديث

- ١ الامام علي «ع» - ممّا قاله لابنه الحسن، في وصيةٍ معروفة: .. وسألته من خزائن رحمته ما لا يقدرُ على إعطائه غيره من زيادة الأعمار، وصحة الأبدان، وسعة الأرزاق؛ ثم جعل في يديك مفاتيح خزائنه، بما أذن لك فيه من مسألته. فمتى شئت استفتحت بالدعاء ابواب نعمته، واستمطرت شأبيب رحمته، فلا يقنطنك ابطاء إجابته، فإن العطية على قدر النية ..^٢
- ٢ الامام الكاظم «ع» - عن آبائه، عن النبي «ص»: يبعث الله المقنطين يوم القيامة، مغلبةً وجوههم - يعني غلبة السواد على البياض - فيقال لهم: هؤلاء المقنطون من رحمة الله تعالى.^٣
- ٣ الامام الصادق «ع»: لا يزال المؤمن بخيرٍ ورخاءٍ ورحمةٍ من الله، ما لم يستعجل فيقنط، فيترك الدعاء. قلت له: كيف يستعجل؟ قال: يقول: قد دعوت منذ كذا وكذا ولا أرى الإجابة.^٤

١ - سورة الاعراف (٧): ١٢٧ - ١٢٩.

٢ - نهج البلاغة / ٩٢٤: عبده ٣ / ٥٣ - ٥٤.

٣ - البحار ٢ / ٥٥: نوادر الراوندي / ١٨.

٤ - البحار ٩٣ / ٣٧٤. عن «عدة الداعي».

- ٤ الامام الصادق «ع» : ،، اليأس من روح الله عزوجل أشدُّ برداً من الزمهرير.^١
- ٥ الامام السجاد «ع» : .. لا تُؤيسني من الأمل فيك، فيغلب عليّ القنوط من رحمتك.^٢
- ٦ الامام علي «ع» : كُنْ لِمَا لَا تَرْجُو أَرْجِيْ مِنْكَ لِمَا تَرْجُو..^٣
- ٧ الامام الرضا «ع» - عن آباءه، عن النبي «ص» : قال الله - تبارك وتعالى - : «يا ابن آدم! لا يغرنك ذنبُ الناسِ عن ذنبك، ولا نعمةُ الناسِ من نعمةِ الله عليك، ولا تُقنطِ الناسَ من رحمةِ الله تعالى وأنتَ ترجوها لنفسك».^٤
- ٨ الامام علي «ع» - نظرَ أميرُ المؤمنين «ع» الى رجلٍ أثرَ الخوفُ عليه فقال: ما بالك؟ قال: إني أخافُ الله. فقال: يا عبدَ الله! خفْ ذنوبك، وخفْ عدلَ الله عليك في مظالمِ عباده، وأطعهُ فيما كلفك، ولا تعصِهِ فيما يصلحك؛ ثمَّ لا تخفِ الله بعدَ ذلك! فإنه لا يظلمُ أحداً، ولا يُعذِّبُهُ فوقَ استحقاقه ابداً؛ إلا أن تخافَ سوءَ العاقبةِ بأن تغيَّرَ أو تبدَّلَ؛ فإن أردتَ أن يؤمنك الله سوءَ العاقبةِ، فأعلمَ أن ما تأتيه من خيرٍ فبفضلِ الله وتوفيقه، وما تأتيه من سوءٍ فبإمهالِ الله وإنظاره إياك، وحلمه وعفوه عنك.^٥

١ - امالي الصدوق / ٢١٧.

٢ - الصحيفة السجادية / ٣٤٨ (الدعاء ٤٧).

٣ - تحف العقول / ١٤٨.

٤ - البحار ٧٠ / ٣٨٨، عن «صحيفة الرضا».

٥ - البحار ٧٠ / ٣٩٢، عن «تفسير الامام العسكري».

الفصل التاسع عشر

بين الخوف والرجاء

الكتاب

- ١ اولئك الذين يدعون، يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب، ويرجون رحمته ويخافون عذابه، إن عذاب ربك كان محذوراً *^١
- ٢ الذين يخشون ربهم بالغيب، وهم من الساعة مشفقون *^٢
- ٣ فمن كان يرجو لقاء ربه، فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً *^٣
- ٤ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خرّوا سُجّداً وسَبّحوا بحمد ربهم، وهم لا يستكبرون * تتجافى جنوبهم عن المضاجع، يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، ومِمَّا رزقناهم يُنفقون *^٤

الحديث

١ سورة الاسراء (١٧) : ٥٧.

٢ - سورة الانبياء (٢١) : ٤٩.

٣ - سورة الكهف (١٨) : ١١٠.

٤ - سورة السجدة (٣٢) : ١٥ - ١٦.

- ١ الامام علي «ع» : .. وإن استطعتم أن يشتد خوفكم من الله وإن يحسن ظنكم به، فأجمعوا بينهما! فإن العبد إنما يكون حسن ظنه بربه، على قدر خوفه من ربه. وإن أحسن الناس ظناً بالله، أشدهم خوفاً لله.^١
- ٢ الامام علي «ع» : عند الخوف يحسن العمل.^٢
- ٣ الامام الصادق «ع» قال راوي الحديث: قلت لابي عبدالله «ع» : إن قوماً من مواليك يلمون بالمعاصي ويقولون: نرجو. فقال: كذبوا، ليسوا لنا بموالٍ. أولئك قوم ترجحت بهم الأمانى. من رجا شيئاً عمل له. ومن خاف من شيء هرب منه.^٣
- ٤ الامام علي «ع» : إياكم والكذب! فإن كل راجٍ طالب، وكل خائف هارب.^٤
- ٥ الامام علي «ع» : خير الأعمال، اعتدال الخوف والرجاء.^٥
- ٦ الامام الصادق «ع» : كان أبي يقول: إنه ليس من عبد مؤمن إلا [و] في قلبه نوران: نور خيفة، ونور رجاء. لو وزن هذا لم يزد على هذا.^٦
- ٧ الامام علي «ع» : الخوف سجن النفس عن الذنوب، ورادعها عن المعاصي.^٧
- ٨ الامام علي «ع» : لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل.^٨
- ٩ الامام علي «ع» : .. فكل من رجاء، عرف رجاؤه في عمله، إلا رجاء الله، فإنه

١ - نهج البلاغة / ٨٨٧ : عبده ٣ / ٣٢ .

٢ - البحار ٧٨ / ٩٠ : عن «كنز الفوائد» .

٣ و ٤ - الكافي ٢ / ٦٨ - ٦٩ و ٣٤٣ .

٥ - غرر الحكم / ١٧٤ .

٦ - الكافي ٢ / ٦٧ .

٧ - غرر الحكم / ٥١ .

٨ - نهج البلاغة / ١١٦٠ : عبده ٣ / ١٨٩ .

الفصل التاسع عشر: بين الخوف والرجاء

مَدخُولٌ. وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللَّهِ، فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ. يَرْجُو اللَّهُ فِي الْكَبِيرِ، وَيَرْجُو الْعِبَادَ فِي الصَّغِيرِ، فَيُعْطِي الْعَبْدَ مَا لَا يُعْطِي الرَّبَّ.. وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عِبِيدِهِ، أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَا لَا يُعْطِي رَبَّهُ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ الْعِبَادِ نَقْدًا، وَخَوْفَهُ مِنَ خَالِقِهِ ضِمَارًا وَوَعْدًا..^١

١٠ الامام الصادق «ع»: لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يكون خائفًا راجيًا؛ ولا يكون خائفًا راجيًا حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو.^٢

١١ الامام الصادق «ع»: أُرْجُ اللَّهُ رَجَاءً لَا يُجْرِيكَ عَلَى مَعَاصِيهِ، وَخَفِ اللَّهَ خَوْفًا لَا يُؤْيِسُكَ مِنْ رَحْمَتِهِ!^٣

١٢ الامام الصادق «ع»: الْخَوْفُ رَقِيبُ الْقَلْبِ. وَالرَّجَاءُ شَفِيعُ النَّفْسِ. وَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ عَارِفًا، كَانَ مِنَ اللَّهِ خَائِفًا، وَإِلَيْهِ رَاجِيًا. وَهُمَا جَنَاحَا الْإِيمَانِ، يَطِيرُ الْعَبْدُ الْمُحَقَّقُ بِهِمَا إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ؛ وَعَيْنَا عَقْلِهِ يَبْصُرُ بِهِمَا إِلَى وَعْدِ اللَّهِ وَوَعِيدِهِ. وَالْخَوْفُ طَالِعُ عَدْلِ اللَّهِ [و] نَاهِي وَعِيدِهِ. وَالرَّجَاءُ دَاعِي فَضْلِ اللَّهِ، وَهُوَ يُحْيِي الْقَلْبَ؛ وَالْخَوْفُ يُمِيتُ النَّفْسَ. قَالَ النَّبِيُّ «ص»: الْمَوْمِنُ بَيْنَ خَوْفَيْنِ: خَوْفِ مَا مَضَى، وَخَوْفِ مَا بَقِيَ. وَبِمَوْتِ النَّفْسِ يَكُونُ حَيَاةُ الْقَلْبِ، وَبِحَيَاةِ الْقَلْبِ الْبُلُوغُ إِلَى الْإِسْتِقَامَةِ. وَمَنْ عَبَدَ اللَّهَ عَلَى مِيزَانِ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، لَا يَضِلُّ، وَيَصِلُ إِلَى مَأْمُولِهِ..^٤

١٣ الامام الصادق «ع»: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ خَافَهُ، وَمَنْ خَافَ اللَّهَ حَثَّهُ الْخَوْفُ مِنَ اللَّهِ عَلَى الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَالْأَخْذِ بِتَأْدِيبِهِ..^٥

١ - نهج البلاغة / ٥٠٥: عبده ٢ / ٧١ - ٧٢.

٢ - الوسائل ١١ / ١٧٠.

٣ - امالي الصدوق / ١٣.

٤ و ٥ - البحار ٧٠ / ٣٩٠ و ٤٠٠.

الفصلُ العَشرون

تنزيه الاعمال عن الشوائب والالتيان بها للقيم الالهية

الكتاب

- ١ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ
لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا *^١
- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ
رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ..^٢
- ٣ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ، بَطْرًا وَرِثَاءَ النَّاسِ، وَيَصُدُّونَ عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ *^٣

الحديث

١ - سورة الدهر (٧٦) : ٨ - ٩.

٢ - سورة البقرة (٢) : ٢٦٤.

٣ - سورة الانفال (٨) : ٤٧.

- ١ النبي «ص» - عن ابي ذر الغفاري قال: قال رسول الله «ص»: «إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً. وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِخْلَاصِ، حَتَّى لَا يُحِبَّ أَنْ يُحَمَدَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ عَمَلٍ»^١.
- ٢ النبي «ص»: «مَنْ آثَرَ مُحَامِدَ اللَّهِ عَلَى مُحَامِدِ النَّاسِ، كَفَاهُ اللَّهُ مُوْنَةَ النَّاسِ»^٢.
- ٣ النبي «ص»: «لَا تَعْمَلْ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ رِثَاءً، وَلَا تَدْعُهُ حَيَاءً»^٣.
- ٤ الامام علي «ع»: «لَا يُزَهِّدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ. وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ، أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ. وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»^٤.
- ٥ الامام علي «ع»: «لَا تَمْنَعَنَّ الْمَعْرُوفَ وَإِنْ لَمْ تَجِدْ عَرُوفًا»^٥.
- ٦ الامام الصادق «ع» - عن ابيه، إِنَّ النَّبِيَّ «ص» قَالَ: لِلْمُرَائِي ثَلَاثُ عِلْمَاتٍ: يَكْسَلُ إِذَا كَانَ وَحْدَهُ، وَيَنْشَطُ إِذَا كَانَ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَيُحِبُّ أَنْ يُحَمَدَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ»^٦.
- ٧ الامام الصادق «ع»: «إِنَّ حُبَّ الشَّرَفِ وَالذِّكْرِ، لَا يَكُونَانِ فِي قَلْبِ الْخَائِفِ الرَّاهِبِ»^٧.

١ - المستدرک ١ / ١٠ .

٢ - البحار ٧٢ / ٣٠٤، عن «عُدَّة الدَّاعِي».

٣ - تحف العقول / ٤٧ .

٤ - نهج البلاغة / ١١٧٩؛ عبده ٣ / ١٩٩ .

٥ - غرر الحكم / ٣٣٣ .

٦ - قرب الاسناد / ٢٢ .

٧ - الكافي ٢ / ٦٩ .

٨ الامام الصادق «ع» : كُلُّ رِيَاءٍ شِرْكٌ. إِنَّهُ مَنْ عَمِلَ لِلنَّاسِ، كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى النَّاسِ. وَمَنْ عَمِلَ لَهِ كَانَ ثَوَابُهُ عَلَى اللَّهِ.^١

٩ الامام الصادق «ع» - في قولِ الله عز وجل: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»^٢. قَالَ: الرَّجُلُ يَعْمَلُ شَيْئًا مِنَ الثَّوَابِ، لَا يَطْلُبُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ، إِنَّمَا يَطْلُبُ تَزْكِيَةَ النَّاسِ، يَشْتَهِي أَنْ يَسْمَعَ بِهِ النَّاسُ؛ فَهَذَا الَّذِي أَشْرَكَ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ. ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْ عَبْدٍ أَسْرَّ خَيْرًا فَذَهَبَتْ أَيَّامُهُ أَبَدًا حَتَّى يُظْهِرَ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا؛ وَمَا مِنْ عَبْدٍ يُسِرُّ شَرًّا فَذَهَبَتْ أَيَّامُهُ حَتَّى يُظْهِرَ اللَّهُ لَهُ شَرًّا.^٣

١٠ الامام الباقر «ع» : مَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا قِلَّةُ الْعَقْلِ. قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَبْدَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ الَّذِي هُوَ اللَّهُ رِضًا، فَيُرِيدُ بِهِ غَيْرَ اللَّهِ، فَلَوْ أَنَّهُ أَخْلَصَ لِلَّهِ لَجَاءَهُ الَّذِي يُرِيدُ فِي أَسْرَعٍ مِنْ ذَلِكَ.^٤

١١ النبي «ص» : أَعْظَمُ الْعِبَادَةِ أَجْرًا، أَخْفَاهَا.^٥

١٢ الامام الرضا «ع» - عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ إِخْفَاءُ الْعَمَلِ، وَالصَّبْرُ عَلَى الرَّزَايَا، وَكِتْمَانُ الْمَصَائِبِ.^٦

١٣ الامام علي «ع» : أَفْضَلُ الزُّهْدِ، إِخْفَاءُ الزُّهْدِ.^٧

١٤ الامام العسكري «ع» : قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «ع» : إِنِّي أَكْرَهُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ

١ - الكافي ٢ / ٢٩٣.

٢ - سورة الكهف (١٨) : ١١٠.

٣ - الكافي ٢ / ٢٩٣ - ٢٩٤.

٤ - البحار ٧٢ / ٢٩٩ عن «المحاسن».

٥ - الوسائل ١ / ٥٨.

٦ - البحار ٧٠ / ٢٥١، عن «صحيفة الرضا».

٧ - نهج البلاغة / ١٠٩٨ : عبده ٣ / ١٥٦.

الفصل العشرون : تنزيه الأعمال عن الشوائب ..

لأغراضٍ لي ولِثَوَابِهِ، فَأَكُونُ كَالْعَبْدِ الطَّامِعِ المَطِيعِ، إِنْ طَمِعَ عَمَلًا، وَإِلَّا لَمْ يَعْمَلْ. وَأَكْرَهُ أَنْ أَعْبُدَهُ لِخَوْفِ عِبَادِهِ كَالْعَبْدِ السُّوءِ، إِنْ لَمْ يَخَفْ لَمْ يَعْمَلْ. قِيلَ: فَلِمَ تَعْبُدُهُ؟ قَالَ: لِمَا هُوَ أَهْلُهُ، بِأَيْدِيهِ عَلَيَّ وَأَنْعَامِهِ..^١

١٥ الامام علي «ع» - لَمَّا أُدْرِكَ عَمْرَ وَ بِنَ عَبْدِ وَدَّ لَمْ يَضْرِبُهُ، فَوَقَعَ فِي عَلِيٍّ .. فَلَمَّا جَاءَ سَأَلَهُ النَّبِيُّ «ص» عَن ذَلِكَ. قَالَ: قَدْ كَانَ شَتَمَ أُمِّي وَتَفَلَّ فِي وَجْهِ، فَخَشِيتُ أَنْ أَضْرِبَهُ لِحَظِّ نَفْسِي، فَتَرَكْتُهُ حَتَّى سَكَنَ مَا بِي، ثُمَّ قَتَلْتُهُ فِي اللَّهِ.^٢

١ - البحار ٧٠ / ١٩٨، عن «تفسير الامام العسكري».

٢ - المستدرک ٣ / ٢٢٠.

الفصل الحادي والعشرون

طريق العودة

الكتاب

- ١ ويا قوم اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا،
ويزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ، وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ *^١
- ٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، تُوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا، عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ
سَيِّئَاتِكُمْ، وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا آمِنَّا
لِنَانُورَنَّا، وَآغْفِرَ لَنَا، إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *^٢
- ٣ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ، يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا *^٣
- ٤ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ، خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا، عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ *^٤
- ٥ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا، فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ،

١ - سورة هود (١١) : ٥٢.

٢ - سورة التحريم (٦٦) : ٨.

٣ - سورة النساء (٤) : ١١٠.

٤ - سورة التوبة (٩) : ١٠٢.

وكانَ اللهُ غفوراً رَحِيماً * وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحاً، فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَاباً *^١

٦ وما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ، لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً *^٢

٧ وليستِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ، وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ، أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً *^٣

الحديث

- ١ الامام الباقر «ع» : مِنْ أَلْفَاظِ رَسُولِ اللَّهِ «ص» : «الندامةُ توبةٌ».^٤
- ٢ الامام الصادق «ع» - قَالَ امِيرُ الْمُؤْمِنِينَ «ع» : إِنَّ النَّدَمَ عَلَى الشَّرِّ يَدْعُو إِلَى تَرْكِهِ.^٥
- ٣ الامام الصادق «ع» : مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ، وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ، فَهُوَ مُؤْمِنٌ.^٦
- ٤ الامام علي «ع» : ثَمَرَةُ التَّوْبَةِ، اسْتِدْرَاكُ فَوَارِطِ النَّفْسِ.^٧
- ٥ الامام علي «ع» : التَّوْبَةُ نَدَمٌ بِالْقَلْبِ، وَاسْتِغْفَارٌ بِاللِّسَانِ، وَتَرْكُ الْجَوَارِحِ، وَإِضْمَارُ أَنْ لَا يَعُودَ.^٨

١ - سورة الفرقان (٢٥) : ٧٠ - ٧١.

٢ - سورة النساء (٤) : ٦٤.

٣ - سورة النساء (٤) : ١٨.

٤ و ٥ - الوسائل ١١ / ٣٤٩.

٧ - غرر الحكم / ١٥٩.

٨ - غرر الحكم / ٥٣ - ٥٤.

- ٦ الامام الباقر «ع» : والله لا ينجو من الذنب إلا من أقرَّ به. ١
- ٧ الامام علي «ع» : لا تؤيس مُذنباً، فكم من عاكفٍ على ذنبه، ختم له بخيرٍ. وكم من مُقبلٍ على عمله، مُفسدٌ في آخر عمره.. ٢
- ٨ الامام علي «ع» : ألا! وإنَّ اليومَ المِضمارُ، وغداً السِّباق؛ والسِّبقةُ الجَنَّةُ، والغايةُ النَّارُ. أفلا تائبٌ من خطيئته قبل مَنِيَّته؟ الا عامِلٌ لِنَفْسِهِ قبلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ؟ ألا وإنَّكم في أيامِ أَمَلٍ مِن ورائِهِ أَجَلٌ. فَمَنْ عَمِلَ في أَيَّامِ أَمَلِهِ، قبلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، فقد نَفَعَهُ عَمَلُهُ ولم يَضُرَّهُ أَجَلُهُ. وَمَنْ قَصَرَ في أَيَّامِ أَمَلِهِ، قبلَ حُضُورِ أَجَلِهِ، فقد خَسِرَ عَمَلَهُ وَضُرَّهُ أَجَلُهُ. أَلَا فَاعْمَلُوا في الرَّغْبَةِ كما تَعْمَلُونَ في الرَّهْبَةِ.. ٣
- ٩ الامام السجاد «ع» : اللّهُمَّ! إِنِّي أَعْتَذِرُ اليكَ مِن مَظْلُومٍ، ظَلِمَ بِحَضْرَتِي، فَلَمْ أَنْصُرْهُ.. أَعْتَذِرُ اليكَ - يا الهِي - مِنْهُنَّ وَمِنْ نَظَائِرِهِنَّ، اعْتَذارَ نَدَامَةٍ، يَكُونُ واعِظاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنْ أَشْبَاهِهِنَّ؛ فَصَلِّ عَلَي مُحَمَّدٍ وَآلِهِ! واجْعَلْ نَدَامَتِي عَلَي ما وَقَعْتُ فِيهِ مِنَ الزَّلَّاتِ، وَعَزِّمِي عَلَي تَرْكِ ما يَعْرضُ لِي مِنَ السَّيِّئَاتِ، تَوْبَةً تُوجِبُ لِي مَحَبَّتَكَ، يا مُحِبَّ التَّوَّابِينَ. ٤
- ١٠ الامام السجاد «ع» : هذا مقامٌ من اعترف بسُبوغِ النِّعماءِ وقابلها بالتَّقصيرِ، وشَهِدَ عَلَي نَفْسِهِ بِالِاهْمالِ والتَّضييعِ، وَأنتَ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ، البَرُّ الكَرِيمُ. ٥

١ - المستدرک ٢ / ٣٤٥.

٢ - تحف العقول / ٧٢.

٣ - نهج البلاغة / ٩٨؛ عبده ١ / ٦٧.

٤ - الصحيفة السجادية / ٢٥٠ - ٢٥٣ (الدعاء ٣٨).

٥ - مفاتيح الجنان / ١٢٢ - من «مناجاة الشاكرين».

١١ الامام السجاد «ع» : أَتَيْتَكَ مُقِرًّا بِالْجُرْمِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَى نَفْسِي، أَتَيْتَكَ أَرْجُو عَظِيمَ عَفْوِكَ الَّذِي عَفَوْتَ بِهِ عَنِ الْخَاطِئِينَ.^١

١٢ الامام السجاد «ع» : اللَّهُمَّ! إِنِّي أَتُوبُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هَذَا مِنْ كِبَائِرِ ذُنُوبِي وَصَغَائِرِهَا، وَبَوَاطِنِ سَيِّئَاتِي وَظَوَاهِرِهَا، وَسَوَالِفِ زَلَّاتِي وَحَوَادِثِهَا، تَوْبَةً مَنْ لَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِمَعْصِيَةٍ، وَلَا يُضْمِرُ أَنْ يَعُودَ فِي خَطِيئَةٍ، وَقَدْ قُلْتُ - يَا إِلَهِي - فِي مُحْكَمِ كِتَابِكَ: إِنَّكَ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِكَ، وَتَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ، وَتُحِبُّ التَّوَّابِينَ. فَاقْبَلْ تَوْبَتِي كَمَا وَعَدْتَ، وَاعْفُ عَن سَيِّئَاتِي كَمَا ضَمَنْتَ، وَأَوْجِبْ لِي مَحَبَّتَكَ كَمَا شَرَطْتَ. وَلَكَ - يَا رَبِّ - شَرْطِي أَنْ لَا أَعُودَ فِي مَكْرُوهِكَ، وَضَمَانِي أَنْ لَا أَرْجِعَ فِي مَذْمُومِكَ، وَعَهْدِي أَنْ أَهْجَرَ جَمِيعَ مَعَاصِيكَ ..^٢

١٣ الامام السجاد «ع» : إِلَهِي! أَلْبَسْتَنِي الْخَطَايَا ثَوْبَ مَذَلَّتِي، وَجَلَّلَنِي التَّبَاعُدُ مِنْكَ لِبَاسَ مَسْكَنَتِي، وَأَمَاتَ قَلْبِي عَظِيمُ جِنَايَتِي، فَأَحْبِبْهُ بِتَوْبَةٍ مِنْكَ، يَا أَمَلِي وَبُغْيَتِي، وَيَا سُؤْلِي وَمُنِيَّتِي ..^٣

١٤ الامام السجاد «ع» : إِلَهِي! إِنْ كَانَ قَبْحُ الذَّنْبِ مِنْ عِبْدِكَ، فَلْيَحْسُنِ الْعَفْوَ مِنْ عِنْدِكَ ..^٤

١ - الصحيفة السجادية / ٣٦٤ (الدعاء ٤٨).

٢ - الصحيفة السجادية / ٢٠٨ - ٢٠٩ (الدعاء ٣١).

٣ و ٤ - مفاتيح الجنان / ١١٨ - من «مناجاة التائبين».

الفصل الثاني والعشرون

العقيدة بالحياة الأخرى ودورها في تعالي الانسان

الكتاب

- ١ إليه مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا، وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا، إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ *^١
- ٢ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ * إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى، وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ *^٢
- ٣ هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ، مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ، وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ *^٣
- ٤ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا، وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا، وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ *^٤
- ٥ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا، وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ، وَهُمْ

١ - سورة يونس (١٠) : ٤.

٢ - سورة الصافات (٣٧) : ٥٨ - ٦١.

٣ - سورة يونس (١٠) : ٣٠.

٤ - سورة آل عمران (٣) : ٣٠.

- لا يُظلمون *^١
- ٦ إذا السماء انفطرت * وإذا الكواكب انتثرت * وإذا البحار فجرت * وإذا القبور بعثرت * علمت نفس ما قدمت وأخرت *^٢
- ٧ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله، إن الله بما تعملون بصير *^٣
- ٨ وآتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، ثم توفى كل نفس ما كسبت، وهم لا يُظلمون *^٤
- ٩ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم، قال : أليس هذا بالحق؟ قالوا : بلى وربنا، قال : فدوقوا العذاب بما كنتم تكفرون * قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا : يا حسرتنا على ما فرطنا فيها، وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم، ألا، ساء ما يزرون *^٥
- ١٠ وقال الذين كفروا: لا تأتينا الساعة، قل : بلى وربى لتأتينكم، عالم الغيب، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا اصغر من ذلك ولا أكبر، إلا في كتاب مبين *^٦
- ١١ وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها، قلتم : ما ندري ما الساعة؟ إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين *^٧
- ١٢ ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون * إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه

١ - سورة النحل (١٦) : ١١١ .

٢ - سورة الانفطار (٨٢) : ١ - ٥ .

٣ - سورة البقرة (٢) : ١١٠ .

٤ - سورة البقرة (٢) : ٢٨١ .

٥ - سورة الانعام (٦) : ٣٠ - ٣١ .

٦ - سورة سبأ (٣٤) : ٣ .

٧ - سورة الجاثية (٤٥) : ٣٢ .

الآبصار * ١

- ١٣ ووضع الكتاب فترى المجرمين مُشفقين مما فيه، ويقولون: يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاّ أحصاها؟! وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا * ٢
- ١٤ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ، بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ، سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .. ٣
- ١٥ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا، وَهُوَ مُؤْمِنٌ، فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا * ٤
- ١٦ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ، فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ، يَأْتِ بِهَا اللَّهُ .. ٥
- ١٧ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * ٦
- ١٨ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا * إِقْرَأْ كِتَابَكَ، كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا * ٧
- ١٩ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ * فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ * وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ * وَظِلٍّ مَمْدُودٍ * وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ * وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ * لَامَقْطُوعَةٍ * وَلَا مَمْنُوعَةٍ * وَفُرْشٍ مَّرْفُوعَةٍ * إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا * غُرُبًا أَتْرَابًا * لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ * ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَىٰ * وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ * وَأَصْحَابُ الشَّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ * فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ * وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ * لَا بَارِدٍ

١ - سورة ابراهيم (١٤) : ٤٢.

٢ - سورة الكهف (١٨) : ٤٩.

٣ - سورة آل عمران (٣) : ١٨٠.

٤ - سورة الاسراء (١٧) : ١٩.

٥ - سورة لقمان (٣١) : ١٦.

٦ - سورة الاعراف (٧) : ٨.

٧ - سورة الاسراء (١٧) : ١٣ - ١٤.

الفصل الثاني والعشرون : العقيدة بالحياة الأخرى ..

ولا كريم * إنهم كانوا قبل ذلك مُترفين * وكانوا يُصِرُّون على الحنث العظيم *^١

٢٠ يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * إِرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مُرَضِيَةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي *^٢

الحديث

١ النبي «ص» : يا أَبَاذَرٍّ! حَاسِبْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبَ، فَإِنَّهُ أَهْوَنُ لِحِسَابِكَ غَدًا. وَزِنْ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ، وَتَجَهَّزْ لِلْعَرَضِ الْأَكْبَرِ، يَوْمَ تُعْرَضُ لَا تَخْفَى عَلَى اللَّهِ خَافِيَةٌ.. يا أَبَاذَرٍّ! لَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنَ الْمُتَّقِينَ، حَتَّى يُحَاسِبَ نَفْسَهُ أَشَدَّ مِنْ مُحَاسَبَةِ الشَّرِيكِ شَرِيكِهِ، فَيَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ مَطْعَمُهُ! وَمِنْ أَيْنَ مَشْرَبُهُ! وَمِنْ أَيْنَ مَلْبَسُهُ؟ أَمِنْ حَلَالٍ أَمْ مِنْ حَرَامٍ؟ يا أَبَاذَرٍّ! مَنْ لَمْ يُبَالِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَ الْمَالَ، لَمْ يُبَالِ اللَّهُ مِنْ أَيْنَ أَدْخَلَهُ النَّارَ.^٣

٢ الامام علي «ع» : إَعْلَمُوا! أَنَّهُ لَا يَصْغُرُ مَا ضَرَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَلَا يَصْغُرُ مَا يَنْفَعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. فَكُونُوا فِي مَا أَخْبَرَكُمْ اللَّهُ كَمَنْ عَايَنَ.^٤

٣ الامام العسكري «ع» : فِي تَفْسِيرِهِ، عَنْ آبَائِهِ، عَنْ عَلِيٍّ، عَنِ النَّبِيِّ «ص» : أَكْبَسُ الْكَيْسِيِّينَ مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ. فَقَالَ رَجُلٌ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! كَيْفَ يُحَاسِبُ نَفْسَهُ؟ قَالَ : «إِذَا أَصْبَحَ ثُمَّ أَمْسَى رَجَعَ إِلَى

١ - سورة الواقعة (٥٦) : ٢٧ - ٤٦.

٢ - سورة الفجر (٨٩) : ٢٧ - ٣٠.

٣ - الوسائل ١١ / ٣٧٩.

٤ - المستدرک ٢ / ٢٨٤.

نفسه وقال: يا نفسي! إن هذا يوم مضى عليك، لا يعود اليك أبداً. والله يسألك عنه بما أفنيته! فما الذي عملت فيه؟ أذكرت الله، أم حمدته؟ أفضيت حوائج مؤمن فيه؟ أنفست عنه كربة؟ أحفظته بظهر الغيب في أهله وولده؟ أحفظته بعد الموت في مخلفيه؟ أكففت عن غيبة أخ مؤمن؟ [أ] أعنت مسلماً! ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه. فإن ذكر أنه جرى منه خير، حمد الله وكبره على توفيقه. وإن ذكر معصية أو تقصيراً، استغفر الله وعزم على ترك معاودته»^١.

٤ الامام علي «ع» - من العهد الاشرى: .. إياك والإستئثار بما الناس فيه أسوة، والتغابي عما تُعنى به، مما قد وضح للعيون؛ فإنه مأخوذ منك لغيرك، وعما قليل تنكشف عنك أغطية الأمور، ويُنصفُ منك للمظلوم. إملك حمية أنفك، وسورة حدك، وسطوة يدك، وغرب لسانك! واحترس من كل ذلك بكف البادرة، وتأخير السطوة، حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار! ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربك!^٢

٥ الامام علي «ع»: لو تعلمون ما أعلم مما طوي عنكم غيبه، إذا لخرجتم الى الصعدات، تبكون على أعمالكم، وتلتمون على أنفسكم، ولتركتكم أموالكم لا حارس لها ولا خالف عليها، ولهمت كل امرئ منكم نفسه، لا يلتفت الى غيرها. ولكنكم نسيتم ما ذكرتم، وأمنت ما حذرتم، فتاه عنكم رأيكم.^٣

٦ الامام علي «ع»: فإنكم لو عاينتم ما قد عاين من مات منكم، لجزعتم ووهلتم، وسمعتهم وأطعتم، ولكن محجوب عنكم ما قد عاينوا، وقريب ما

١ - الوسائل ١١ / ٣٧٩ - ٣٨٠.

٢ - نهج البلاغة / ١٠٣١: عبده ٣ / ١٢٠ - ١٢١.

٣ - نهج البلاغة / ٣٦٤: عبده ١ / ٢٢٨.

الفصل الثاني والعشرون : العقيدة بالحياة الأخرى ..

يُطْرَحُ الْحِجَابُ. وَلَقَدْ بَصَّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ، وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ سَمِعْتُمْ، وَهُدَيْتُمْ إِنْ اهْتَدَيْتُمْ. بِحَقِّ أَقُولُ لَكُمْ: لَقَدْ جَاهَرْتُكُمْ الْعَبْرُ، وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ، وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ^١.

٧ الامام علي «ع» : .. حَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا، فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذَلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا، حَتَّى كَانَتْهُمْ يَرُونَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ. فَلَوْ مَثَلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةَ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةَ، وَقَدْ نَشَرُوا دَوَابِينَ أَعْمَالِهِمْ، وَفَرَّغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ، عَلَى كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا، وَحَمَلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ، فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا، فَنَشَجُوا نَشِيجًا، وَتَجَاوَبُوا نَحِيبًا، يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ، مِنْ مَقَامٍ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ؛ لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجَى، قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ^٢ ..

٨ الامام علي «ع» : أَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي الدُّنْيَا، نَصَبُ أَعْيُنِهِمْ فِي الْآخِرَةِ^٣.

٩ الامام الجواد «ع» : عَنْ آبَائِهِ: قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ «ع» : لَمَّا اشْتَدَّ الْأَمْرُ بِالْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، نَظَرَ إِلَيْهِ مَنْ كَانَ مَعَهُ، فَإِذَا هُوَ بِخِلَافِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَلَّمَا اشْتَدَّ الْأَمْرُ تَغَيَّرَتْ أَلْوَانُهُمْ، وَارْتَعَدَتْ فَرَائِضُهُمْ، وَوَجَلَّتْ قُلُوبُهُمْ. وَكَانَ الْحُسَيْنُ «ع» وَبَعْضُ مَنْ مَعَهُ مِنْ خِصَائِصِهِ، تُشْرِقُ أَلْوَانُهُمْ، وَتَهْدِي جَوَارِحُهُمْ، وَتَسْكُنُ نَفُوسُهُمْ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَنْظُرُوا لَا يُبَالِي بِالْمَوْتِ! فَقَالَ لَهُمُ الْحُسَيْنُ «ع» : صَبْرًا بَنِي الْكِرَامِ! فَمَا الْمَوْتُ إِلَّا قَنْطَرَةٌ تَعْبُرُ بِكُمْ عَنِ الْبُؤْسِ وَالضَّرَاءِ، إِلَى الْجَنَانِ الْوَاسِعَةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمَةِ.

١ - نهج البلاغة / ٧٩ : عبده ١ / ٥٣.

٢ - نهج البلاغة / ٧٠٤ : عبده ٢ / ٢٣٨ - ٢٣٩.

٣ - غرر الحكم / ٤٧.

فَأَيْكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ سِجْنٍ إِلَى قَصْرِ؟ وما هو لأعدائكم إلا كَمَنْ يَنْتَقِلُ
مِنْ قَصْرِ إِلَى سِجْنٍ ..^١

١٠ الامام علي «ع» : .. أَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ، فَظَلَمُ الْعِبَادِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا،
الْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ. لَيْسَ هُوَ جَرْحًا بِالْمُدَى وَلَا ضَرْبًا بِالسَّيَاطِ، وَلَكِنَّهُ مَا
يُسْتَصْفَرُ ذَلِكَ مَعَهُ ..^٢ إِنَّ اللَّهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إِذَا بَرَزَ لِخَلْقِهِ، أَقْسَمَ قَسْمًا
عَلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: «وَعِزَّتِي وَجَلَالِي! لَا يَحُوزُنِي ظَلْمٌ ظَالِمٍ، وَلَوْ كَفَّ بِكَفٍّ،
وَلَوْ مَسَحَهُ بِكَفٍّ، وَنَطَحَهُ مَا بَيْنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ إِلَى الشَّاةِ الْجَمَاءِ»، فَيَقْتَصُّ
اللَّهُ لِلْعِبَادِ، بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، حَتَّى لَا يَبْقَى لِأَحَدٍ عِنْدَ أَحَدٍ مَظْلَمَةٌ ..^٣

١١ الامام السجاد «ع» : اللَّهُمَّ ارْزُقْنَا خَوْفَ عِقَابِ الْوَعِيدِ، وَشَوْقَ ثَوَابِ
الْمَوْعُودِ! حَتَّى نَجِدَ لَذَّةَ مَا نَدْعُوكَ بِهِ، وَكَأَبَةَ مَا نَسْتَجِيرُكَ مِنْهُ.^٤

١٢ الامام السجاد «ع» : .. نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْحَسْرَةِ الْعُظْمَى، وَالْمُصِيبَةِ الْكُبْرَى،
وَأَشَقَى الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْمَأْبِ، وَحَرَمَانِ الثَّوَابِ، وَحُلُولِ الْعِقَابِ. اللَّهُمَّ!
صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ، وَأَعِذْنِي مِنْ كُلِّ ذَلِكَ بِرَحْمَتِكَ وَجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ
وَالْمُؤْمِنَاتِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ!^٥ ..

١ - البحار ٤٤ / ٢٩٧.

٢ - نهج البلاغة / ٥٧٥: عبده ٢ / ١١٦.

٣ - البحار ٧ / ٢٦٥.

٤ - الصَّحِيفَةُ السَّجَادِيَّةُ / ٣١١ (الدعاء ٤٥).

٥ - الصَّحِيفَةُ السَّجَادِيَّةُ / ٨٥ (الدعاء ٨).

نظرة الى الباب

لقد وَصَفْنَا فِي هَذَا الْبَابِ جُمْلَةً مِنْ مِيزَاتِ الْإِيدِيُولُوجِيَّةِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْإِعْتِقَادِ الدِّينِيِّ، فَإِنَّ لِلْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَالتَّصَوُّرِ التَّوْحِيدِيِّ عَنِ الْعَالَمِ، وَالْعَقِيدَةِ بِالْحَيَاتَيْنِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، خِصَائِصَ وَمِيزَاتٍ لَا تُوجَدُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الْإِيدِيُولُوجِيَّاتِ وَالتَّصَوُّرَاتِ.

١- الطَّمَانِينَةُ وَإِرْوَاءُ الظَّمَا الْوَجْدَانِي : إِنَّ الْإِنْسَانَ الْمُؤْمِنَ بِاللَّهِ لَا يُحِسُّ بِالْغَرَبَةِ وَالْوَحْدَةِ فِي الْعَالَمِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ - وَهُوَ بِطَبْعِهِ بَاحِثٌ وَمُتَفَحِّصٌ - يَبْحَثُ وَيَسْعَى لِيَصِلَ إِلَى سِرِّ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ وَمَا تَحْتَهُمَا مِنْ غَايَاتٍ وَأَهْدَافٍ؛ وَكَذَلِكَ يَجْتَهِدُ لِيَجِدَ لِنَفْسِهِ مَوْئلاً فِي هَذَا الْعَالَمِ الْفَسِيحِ. وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى شَيْءٍ يُسَمِّنُ وَيُغْنِي مِنَ جُوعٍ، بِدُونِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيُحِسُّ بِالْخَلَا الْمَعْنَوِيِّ وَبِالْوَحْدَةِ وَالْغَرَبَةِ، وَفُقْدَانِ أَيِّ مَلَاذٍ وَمَوْئِلٍ؛ فَإِلَى أَيِّ شَطْرٍ يُؤَلِّي الْإِنْسَانُ وَجْهَهُ يَجِدُهُ سَرَاباً مُمَوَّهاً لَا يُرَوِي غَلَّةً وَلَا يُسَكِّنُ ظَمَأً. وَالْمَدَارِسُ الْبَشَرِيَّةُ وَالنَّحْلُ الْفِكْرِيَّةُ، لَا تَأْخُذُ بِيَدِهِ وَلَا تُوصِلُهُ إِلَى مُبَوِّأٍ مَنْشُودٍ، لِأَنَّهَا لَا تُتَمَّرُ - فِي الْإِغْلَبِ - شَيْئاً سِوَى أَوْهَامٍ وَظُنُونٍ تَزَعَمُ أَنَّهَا عِلْمٌ. وَهَذِهِ وَأَمْثَالُهَا لَا تَهْدِي إِلَى الْغَايَةِ الْكَرِيمَةِ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَلَا تَحُلُّ أَلْغَازَ الْحَيَاةِ الْبَشَرِيَّةِ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ.

فَالْإِنْسَانُ إِذَا لَا يَجِدُ بُغْيَتَهُ إِلَّا فِي الْإِيمَانِ الدِّينِيِّ، وَالْوَصُولِ إِلَى الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ الْوَاعِيَةِ وَالْجَازِمَةِ الَّتِي تَحْصُلُ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ، وَالْعَقِيدَةِ بِاللَّهِ تَعَالَى. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَحُلُّ جَمِيعَ الْأَلْغَازِ، وَيُنِيرُ سُبُلَ الْحَيَاةِ، وَيَرْسُمُ الْغَايَةَ مِنَ الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَيُعْطِي طَّمَانِينَةً رُوحِيَّةً، وَمَلَاذاً بَاطِنِيًّا، وَرَبّاً لِدَلِّكَ الظَّمَا الْأَكْبَرَ.

٢- ترابط الانسان والكون : الإنسان الموحَّد يَعْلَمُ أَنَّهُ وما في العالمِ عامَّةً، مخلوقاتٌ خَلَقَهَا اللهُ تعالى؛ وكلُّ يَسِيرٌ في طريق واحدٍ، إلى مقصدٍ واحدٍ، لغايةٍ واحدة. وَيَعْلَمُ أيضاً أَنَّ كُلَّ ما في العالمِ قد خُلِقَ بعضُهُ لبعضٍ، وخُلِقَ الكلُّ للإنسان، وأنَّ كُلَّ ما في الوجودِ مُنقادٌ لله تعالى؛ فيرى نفسه كأنَّهُ في معبدٍ عظيمٍ قد خَرَّ كُلُّ شَيْءٍ ساجداً لله سبحانه، وإن من شيءٍ إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ..

في المسجدِ والديرِ وفي العالمِ أَمْسَى
عُشاقُكَ يُلْقُونَ على العالمِ دَرَساً
من نافذةِ الكونِ لهم يُسْمَعُ همساً
في مدرسةِ العشقِ وقد تُهتُ وتاهوا.

وعندَ ذلكِ يُحسُّ بانسجامِهِ مَعَ الطَّبِيعَةِ، وانخراطِهِ مع بقيةِ الكائناتِ في سبيلِكِ واحدٍ، فَيَتجاوَبُ مَعَهَا، وَيَسْتَفِيدُ منها، وَيَتَحَرَّكُ في خِلالِ الكُلِّ الى تلكِ الغاياتِ العظيمةِ للحياةِ، سائراً إلى ناموسِ الوجودِ الكبيرِ ..

٣- هادِيةُ الكونِ والانسانِ : لا يُوجَدُ في عالمِ الكونِ الفَسِيحِ شيءٌ إلا وَلَهُ غايَةٌ، لأجلِها خُلِقَ، ولِلوَصولِ اليها أُوجِدَ. وهذه الغائِيَةُ ساريةٌ في جميعِ أنحاءِ الكونِ واجزائه، مِنَ الذَّرَّةِ إلى المَجَرَّةِ. فَالكلُّ يَتَّبِعُ قوانينَ مخصوصةً، وَيَعْمَلُ في إطارِ خُطَّةٍ مُنَسَّقَةٍ، لِلوَصولِ إلى غاياتِ كمالِيَّةٍ مُعَيَّنَةٍ. ولَمَّا كانَ العالمُ كُلُّهُ كمجموعَةٍ واحدةٍ مُنسجِمَةٍ متجاوِبةٍ، يَكونُ شمولُ أيِّ جزءٍ مِنْهُ على الغايةِ كشمولِ الجزءِ الآخرِ عليها، فَلَيْسَ الأمرُ كما يَقولُ القائلُ التَّائِهُ:

جِئْتُ لا أَعْلَمُ مِنْ أينَ ولكنِّي أتَيْتُ
ولقد أبصرتُ قُدَّامي طريقاً فَمَشَيْتُ

نظرة الى الباب

نعم، ليس الأمر العظيم على هذه البساطة، حتى يكفيه سؤال وتجاهل. فإن اللبيب لا يرى قطرة في نهر صغير، أو ذرة في الهواء، إلا ويرى معها حكمةً وتديراً ولهما غايةً ومسيرةً ومقصوداً. وكلما عظم الشيء، عظمت غايات وجوده. فالإنسان إذا لوجوده لأجزاء وجوده غايات حكيمة قد خلقت بيد القدرة الكاملة، فيجب عليه أن يسير مع الكائنات الهادفة، إلى ذلك المقصد الأسنى، الذي لأجله خلق هو والعالم الكبير.

٤ - النظرة الايجابية لا السلبية : نظراً إلى ما قلناه إلى الآن، من ميزات الاعتقاد الديني والتصور الإلهي، نرى أن الإنسان الموجد له نظرة إيجابية إلى نفسه وإلى العالم، يعلم بهذه النظرة غايات الحركة والحياة، فيتوجه إليها من دون أن يحتار، أو يفشل، أو يتردد، فهو يعرف المقصد ويعرف الطريق، فيأخذ في السير بلا فشل أو تردد، وبدون أن يرى السير والعمل عبثاً. وإذا كان الإنسان ذا نظرة إيجابية إلى العالم، لا يرى الحياة فارغة، أو لغزاً لا حل له، بل يرى العالم وأجزائه حقائق هادفة، ويرى أن الغايات الحكيمة مسيطرة عليها. ومعلوم ما لهذه النظرة من الآثار الإيجابية التي تغطي جوانب الحياة الإنسانية، والحركات الفردية والاجتماعية.

وهذا التصور الاعتقادي البناء لا يتمتع به من لا يكون له اعتقاد إيماني إلهي. لأن الذين لا يؤمنون بالله وباليوم الآخر، ليست لهم هذه النظرة العميقة المؤمنة إلى الوجود وغاياته، لأنهم يرون أن العالم - بأبعاده الفسيحة وعرصاته الشاسعة - قد وجد صدفةً أو ما يشبه الصدفة، فلا غاية هناك ولا حكمة، ولا واجب هناك ولا تجاوب.

١ - وإنما قلنا: «أو ما يشبه الصدفة» مماشاةً، وألّا فإن انكار الخلق والحكمة هو القول بـ «الصدفة» عيناً؛ وهذا محال عند العقل العادي فضلاً عن مال إلى الإمعان..

والإنسان الناظرُ الى العالم بهذه النظرة، لا يعرفُ الحياةَ والإنسانَ والوجودَ فلا يعرفُ شيئاً معرفةً حقيقيةً، وإن كان عالماً طبيعياً، أو رياضياً، أو فيزيائياً، أو .. وإن علقَ على نفسه أوسمةَ العلمِ وشاراتِ المشاهدة. وبما أنَّ الإنسانَ لا يستغني عن تصوُّرِ الغايةِ في حياته وأفعاله، يخلقُ لنفسه ما يُسمِّيه غايةً - وليس كذلك - فلا يُشبعُه ولا يُرويه، ولا يتفاعلُ معه تفاعلَ الغايةِ الحقيقيةِ، فيبطلُ بذلك ماهيتهَ الإنسانيةَ.

٥- الرقابة الغيبية وعمق اثرها : إنَّ القوانينَ ومُراعاتها والعملَ على وفِّقها، من أهمِّ عوامِلِ الصَّلاحِ والإصلاحِ والتكاملِ في المجتمعاتِ البشرية. وهذا الأمرُ إنما يتحقَّقُ إذا كانت تلك المُراعاةُ مُنبِعثَةً عن قبولِ القانونِ وتبنيهِ عن إيمانٍ واعتقادٍ، لا عن خوفٍ وتهيبٍ، لأنَّ الخوفَ لا يُؤدِّي إلى تطبيقِ القانونِ تطبيقاً دقيقاً شاملاً. ومن الواضحِ أنَّ الرِّعايةَ المُبتنِيةَ على الإيمانِ، المنبِعثَةَ من أعماقِ النفسِ، لا تُوجدُ إلاَّ إذا كانتِ القوانينُ دينيةً إلهيةً، وكان المُشرِّعُ هو الله، خالقَ الإنسانِ ومالكَ موتهِ وحياته، والعالمِ بسرِّهِ وعلنيهِ والواقفَ على أعمالِهِ، صغيرها وكبيرها. وأهميةُ هذه الكيفيةِ في تطبيقِ القوانينِ، ممَّا لا خفاءَ فيه.

أضفُ إلى ذلك أنَّ القوانينَ الدِّينيةَ تبتني على جزاءين: جزاءٍ دُنويٍّ وجزاءٍ أُخرويٍّ. والإنسانُ المُوحَّدُ يَعْلَمُ أنَّ الجزاءَ الثانيَ أعظمُ وأهمُّ من الأوَّلِ، في الجهتين: المثوبة والعقوبة. وأنَّهُ لو تَخَلَّصَ من العقوبةِ الأولى، لا يتخَلَّصُ من العقوبةِ الثانيةِ.

فمن ميزاتِ الاعتقادِ التوحيدِيِّ أنَّه يُؤدِّي إلى تطبيقِ القوانينِ والاحكامِ الالهية تطبيقاً يُغطِّي جوانبَ حياةِ الفردِ والمجتمع، فيتحقَّقُ بذلك الصَّلاحُ العامُّ والسَّعادةُ الشَّاملةُ.

٦ - المنشأ الإلهي للحقوق : إنَّ المنشأ الأوَّل لجميع الحقوق، في الإيديولوجية الإلهية، هو الله تعالى وحقُّه. فكلُّ حقٍّ وواجب، من حقِّ الله تعالى يَبْدأُ وإليه يَعُودُ، فالحقوق لها صِبْغَةُ الهَيْة؛ وتستوي في ذلك الحقوق الإجتماعية، والعائليَّة، والفردية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، وما إلى ذلك. فالإنسان المُوَحَّدُ يَنْظُرُ إلى الحقوق جميعها باعتبار أنها حقوقُ ناشئةٌ من حقِّ الله تعالى فيجتهدُ في مُراعَاتها وادائها.

٧ - الصلات الجذرية بين الإنسان والقانون : لقد قلنا في الكلمتين السالفتين، إنَّ تَبَنِّي القوانين وتطبيقها في التربية الدينية، إنما يكونُ تَبَنِّياً إعتقادياً، وإنَّ المنشأ لجميع الحقوق الدينية هو حقُّ الله تعالى. وهذان الأصلان يُعلنان بأنَّ صلاتِ الإنسان المُوَحَّدِ بالقوانين الدِّينية الإلهية، وتطبيقها في كلِّ مورِدٍ، لا تكونُ إلاَّ صلاتِ جذريةً قلبيةً إيمانيةً عميقةً. وهذه الكيفية من أهمِّ ميزاتِ الإيديولوجية الإلهية، بالنسبة إلى تهذيب النفوس، وتصحيح السياسات، وإصلاح المجتمعات.

٨ - شجب السلطات الطاغوتية : يُصبحُ الإنسانُ المُوَحَّدُ معتقداً مؤمناً بأنَّ كلَّ ما في الوجود هو من الله تعالى، ومستفيضٌ من انعامه، وموجودٌ بإرادته، ومنقادٌ لأمره، ومساوٍ عنده من جهة، فلا فضلَ لأحدٍ على أحدٍ؛ فالله هو مالكُ الحياةِ والموتِ والحاكمُ عليهما وعلى جميعِ الأحياءِ والأمواتِ، وليسَ خالقٌ ورازقٌ وحاكِمٌ ومالكٌ وربُّ وإلهٌ وأمْرٌ وناهٍ غيره. وبذلك تَكْتَمِلُ حريةُ الإنسان، فيخْرُجُ عن عبودية العباد إلى عبودية الله، وتتقوَّمُ شخصيته الإنسانية، بالإنقطاعِ عن المخلوقين، والإنصرافِ بأكمله إليه تعالى.

٩ - الإنسان بين الركيزة المادية والالهية : الإنسانُ عندَ الإلهيين موجودٌ

مُزْدَوِجٌ مِنْ جِسْمٍ وَرُوحٍ ، قَدْ تَمَازَجَا وَاتَّحَدَا وَتَفَاعَلَا ، بَحِيثٌ إِنْ كَمَالَ
الرُّوحُ وَتَعَالَيْهِ يُنَاطُ بِالْجِسْمِ وَكَمَالِهِ وَكَمَالِ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ . وَمِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ
لِلْعَيْشِ السَّالِمِ وَالْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ صِلَةً كَبِيرَةً بِالصُّعُودِ الرُّوحِيِّ وَالْحَيَاةِ
المَعْنَوِيَّةِ ، وَهَكَذَا لِلْإِعْتِقَادِ بِالمَوْتِ وَبالبَقَاءِ بَعْدَ المَوْتِ ، وَالتَّفَكِيرِ فِي
أَحْوَالِ تَسْنُحِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ البَدَنِ .

فهذا المُعْتَقَدُ - أي ازدواجية الإنسان في الوجود - يَحْمِلُ الإنسانَ
على أَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ عُمُرِهِ وَجِسْمِهِ وَقَوَاهِ المَادِّيَّةِ الزَّائِلَةِ ، لِتَحْسِينِ حَيَاتِهِ
الباقية الخالدة ، بِمَعْرِفَةِ الحَقِّ وَقَبُولِهِ ، وَبفَعْلِ الخَيْرَاتِ وَالصَّالِحَاتِ ،
وَالسَّعْيِ لِتَحْسِينِ حَيَاةِ النَّاسِ وَمَعَايِشِهِمْ . وَهَذَا مِنْ أَهَمِّ الأَسْبَابِ
لِتَوْسِيعِ دَائِرَةِ الخَيْرِ وَالفِضِيلَةِ وَالصَّلَاحِ ، فِي الأَفْرَادِ وَالمُجْتَمَعَاتِ .

١٠ - القدرة والعزة والصمود : لا ريب في أن الإنسان إذا كان مؤمناً بالله
قادر لا منتهى لقدرته ، وبإيده العزة والمُلك ، ولهُ العِظَمَةُ وَالجَبْرُوتُ ، لا
يُحْسُ أبدأً بِضَعْفٍ ، أو انْهِزَامٍ ، أو مَغْلُوبِيَّةٍ ، لِأَنَّهُ يَرَى نَفْسَهُ مُسْتَمِدًّا مِنْ قُدْرَةِ
مُطْلَقَةٍ فَيَاضَةٌ لا حَدَّ لَهَا وَلا نِهَايَةَ ، فَهَذَا الإنسانُ يُصْبِحُ مُقْتَدِرًا ، عَزِيزًا (إِنَّ
العِزَّةَ اللهُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ^١) صَامِدًا ، لا يُبَالِي بِالقُدْرَاتِ المَحْدُودَةِ
الزَّائِلَةِ ، وَلا يَكْتَرِثُ لِأَيِّ إنسانٍ يُظْهِرُ الإِقْتِدَارَ وَيَتَظَاهَرُ بِالعِظَمَةِ . فَهُوَ يَعْتَصِمُ
بِاللهِ تَعَالَى ، مُتَمَتِّعًا بِالإِسْتِقَامَةِ فِي سَبِيلِ العَدَالَةِ وَالحَقِّ ، مَاضِيًا فِي طَرِيقِ
الخَيْرِ وَالفِضِيلَةِ ، قَائِمًا بِأداءِ مَا يَفْرُضُهُ الدِّينُ الإِلَهِيُّ وَلو كانَ مَحْفُوفًا
بِالمَوَانِعِ وَالمُشَبَّطَاتِ ؛ فَهُوَ مُقْتَدِرٌ بِاللهِ وَمُتَوَكِّلٌ عَلَيْهِ ، وَعَالِمٌ بِأَنَّ اللهَ الحَاكِمَ
على الكَوْنِ لا يَدْعُهُ وَلا يَتْرُكُ نَصْرَهُ وَتَأْيِيدَهُ .

١١ - التجاوب مع الكائنات في قبول القدرة الالهية : لقد وَضَحَ مِمَّا سَلَفَ ،

١ - اقتباس من الآية ٨ ، سورة المنافقون (٦٣) .

نظرة الى الباب

أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُوحَّدَ لَا يَعْرِفُ حَاكِمًا لِلْكَوْنِ الْعَظِيمِ سِوَى اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلَهُ الْحَاكِمِيَّةُ الشَّامِلَةُ الْمَطْلُوقَةُ عَلَى جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْظِمَةِ الْجَارِيَةِ وَالنَّوَامِيسِ السَّارِيَةِ فِي الْكَوْنِ، وَعَلَى جَمِيعِ الْعِلَلِ وَالْمَعْلُولَاتِ، بَلْ لَهُ الْحُكُومَةُ عَلَى عِلِّيَّةِ الْعِلَلِ وَسَبَبِيَّةِ الْأَسْبَابِ؛ فَالْعِلَّةُ عِلَّةٌ وَمُؤَثِّرَةٌ بِإِرَادَتِهِ، وَالسَّبَبُ سَبَبٌ بِمَشِيئَتِهِ تَعَالَى.^١

وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْإِعْتِقَادَ بِهَذِهِ الْقُدْرَةِ الْعَامَّةِ الْمُسْتَوْعِبَةِ وَالْإِتِّكَالَ عَلَيْهَا، يُوْجِبَانِ أَنْ يَرَى الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ قَادِرًا، مَفْتُوحَ الْيَدِ، غَيْرَ مَحْصُورٍ فِي نِطَاقِ الْعِلَلِ وَالْمَعَالِيلِ، لِأَنَّهُ مُسْتَظْهَرٌ بِقُدْرَةِ تَخْتِرُقِ الْعِلَلَ وَلَا تَتَوَقَّفُ لَدَى الْأَسْبَابِ الطَّبِيعِيَّةِ، فَلَهُ أَنْ يَتَصَرَّفَ فِي الْعَالَمِ لِمَقَاصِدِهِ الصَّالِحَةِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى.

وَمِنْ هُنَا نَنْتَهِي إِلَى أَمْرٍ آخَرَ عَظِيمٍ، وَهُوَ الدُّعَاءُ، فَعَرَفْنَا أَهْمِيَّتَهُ وَتَأْثِيرَهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُغَيِّرُ مَا هُنَاكَ مِنْ عِلَلٍ وَأَسْبَابٍ^٢، إِذَا دَعَا عَبْدٌ بِدَعَاءٍ مُسْتَجَابٍ.

١٢ - الانضباط في الأعمال: من أهم ميزات الإيدولوجية الإلهية ونتائجها الفعالة لتهديب النفوس وإصلاح المجتمعات، هو ما توجهه هذه الإيدولوجية من مراقبة الإنسان على أعماله وإقداماته، وأفعاله وتروكه، حتى أفعاله النفسية؛ فإن المؤمن الموحّد يعتقد بقوانين إلهية، وبأن الله هو المُشرِّع لتلك القوانين، وهو الحاضر الناظر إلى من يطبقها أو يهملها، وهو العالم بكل شيء، «يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ»^٣، وهو القاضي

١ - قال مُعَلِّمُ التَّوْحِيدِ، الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ السَّجَّادِ «ع»، فِي التَّعْلِيمِ السَّابِعِ، مِنْ «صَحِيفَتِهِ الشَّرِيفَةِ» (ص ٧٧): «... ذَلَّتْ لِقُدْرَتِكَ الصَّعَابَ، وَتَسَبَّيْتُ بِلُطْفِكَ الْأَسْبَابَ...»: فَسَبَبَةُ السَّبَبِيَّةِ وَعَدَمُهَا إِلَى السَّبَبِ مُتَسَاوِيَةٌ، لَوْلَا اللَّطْفُ الْإِلَهِيُّ ..

٢ - سُورَةُ الرَّعْدِ (١٣): ٣٩.

٣ - سُورَةُ غَافِرٍ (٤٠): ١٩.

العادل الذي يُحاسبُ المجرمين بكتابٍ «لا يُغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلاَّ أحصاها»^١. «وإن كان مثقالَ حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفي بنا حاسبين»^٢.
 فحيثُ يَعْلَمُ هذه كلها ويؤمنُ بها، يجعلُ لأعماله وشؤونِه في حياته حدوداً دقيقةً لا يتجاوزها، ويحاسبُ نفسه أدقَّ محاسبةٍ، ويُعدِّدُ أعماله على نفسه بدقةٍ شاملةٍ، ويحترزُ عن أداءِ كلمةٍ، أو إلقاءِ نظرةٍ، أو خُطورِ فكرةٍ، إذا لم يكن فيها رضا الله تعالى. وان وقع منه ما يخالف ذلك، يتوب ويؤوب، ويرجع الى الحد الذي يجبُ رعايته، ويتدارك ما فات منه، بالنسبة الى الله او الى الناس.

وهذا - كما قلنا - من أهمِّ العواملِ المؤثرة في بناء النفس والمجتمع، وتوسيع دائرة التربية المتعالية.

١٣ - النجاة من اليأس : اليأسُ عاملٌ فعَّالٌ ضارٌّ بالإنسان. وإذا استولى على النفسِ الإنسانية لا يتركها إلاَّ متلاشياً ساقطاً. وهذه النقطة السوداء لا سبيلَ لها إلى حياة الإنسان الموحد فإنه لا يعرفُ هذه الظاهرة ولا يتركُ لظهورها مجالاً، بل يدفعُ شيطانها عن نفسه، وينظرُ إلى الحياة نظرةً إيجابيةً، فلا يرى طريقاً مسدوداً، ولا لغزاً لا ينحلُّ، ولا عرقلةً لا تُزاح، ولا عُقدةً لا تُفتح، بل يرى آفاقَ الحياة مُفعمةً بالنور، وشموسَ الآمالِ طالعةً في كبدِ السماء، وربيعَ النجاحِ قد خيمَ على الأطراف. وكلُّ هذه إنما يتجلَّى في نفسِ الموحد لإيمانه بإرادةِ الله تعالى وألطافِهِ الفياضة، العامة والخاصة؛ فإنه لا يدعُ لليأسِ والتشاؤمِ والتضجرِ مجالاً، بل لا يدعُ جانباً إلاَّ يعمه، ولا خيراً إلاَّ يهدي إليه. وإذا سدَّ جميعَ الطرقِ وأغلقَ جميعَ الأبواب لا يسدُّ بابُ الله تعالى، ولا يمكنُ لشيءٍ أن يمنعَ شمولَ ألطافِهِ.

١ - سورة الكهف (١٨) : ٤٩.

٢ - سورة الانبياء (٢١) : ٤٧.

نظرة الى الباب

والأمور وإن كانت تابعة لأنظمة وقوانين قد جعلها الله وقدرها، غير أن إرادته غالبية على كلها، قادرة على تغييرها وتحويلها من اقتضاء إلى اقتضاء آخر - كما مضت الإشارة إليه.

أضف إلى ما أسلفناه، أن الإنسان الموحد يعيش في حالة بين الخوف والرجاء، فيخاف من الله تعالى ومن أخذه وعدله، ومن محاسبة أعماله، يوم عرض الأعمال على الله؛ ويرجو الله تعالى ورحمته التي وسعت كل شيء، فيعلق الرجاء على عفوهِ وصفحهِ. وهذه الحالة تنشأ من التضاد الباطني في الإنسان،^١ وتصير أكبر دافع له نحو التحرك والعمل، فإن الإنسان الراجي الصادق في رجائه لا يقعد عن العمل، ولا يرضى لنفسه أن يكون ناظرًا لذهاب أيام العمر بلا كسب جدوى وفائدة فيقوم ويسعى، وكذلك الخائف الصادق في خوفه، لا يمكن أن يعانق البطالة والإهمال.

١٤ - طريق العودة: من المسلم به أن في الإنسان جاذبتين: جاذبة نفسانية تجذبه إلى الشهوات والميول، والتعدي والاسراف على النفس والمجتمع، فتزله وتذله؛ وجاذبة عقلانية تجذبه إلى ترك الشهوات وتعديلها والجنوح إلى الأعمال الحكيمة والأفعال الفاضلة الصالحة، فتسعه وتضعده. فمن انجذب إلى الثانية واتبع العقل وفعل الخير، فلا سبيل لليأس والتعسر أن يستوليا عليه. وأما من انجذب إلى الجاذبة الأولى فجعل غايات الحياة وراء ظهره، واتبع الشهوات وآثر اللذات الآنية الزائلة وفعل الآثام، فهذا الإنسان يتبدل إلى فردٍ عاصٍ، ساقطٍ، ظالمٍ، ضالٍّ عن الطريق، فيستأسر بيد الإضطرابات النفسية وندامة الضمير، فييأس وتسقط شخصيته

١ - نقصده بفعالية الحالتين، الخوف والرجاء، في باطن الإنسان وضميره.

الانسانية أو تقرب من التلاشي والسقوط . وهل يوجد لهذا الانسان
المُسرفِ على نفسه النادم التائه - أو الذي يُحِبُّ الندامة و التَّرك -
ما يُنجيه ويُحييه؟ نعم، يوجد ذلك في الايدولوجية الالهية، وهو التَّوبَةُ
والعود . فالتَّوبَةُ سبيلٌ يسلكُ بالانسانِ إلى تدارك ما فات منه، ويُمكِّنُهُ
من أن يعودَ من طريقِ الضلالةِ والعصيانِ إلى طريقِ الهدى والطاعةِ لله
تعالى، ومن الابتعادِ من الله إلى التَّقربِ منه، فيسعدُ بذلك ويدخلُ في
سبيلِ فاعلي الخيراتِ والصالحاتِ، ويلتحقُ بالصالحين .

١٥ - العقيدة بالحياة الأخرى ودورها في تعالى الانسان: الانسانُ
الالهيُّ المُعتقِدُ بازدواجيةِ الانسان وتركيبه من الجسد والروح، يعلمُ أنه
لا يفنى بعد موتِ الطبيعة والجسد، بل يبقى وتستمر حياته بشكلٍ
آخر . وليس الموت نهاية الأمر، بل هو مبدأ حياةٍ أفضل وأكملٍ
والطَّف . وهذه الدنيا الفانية - التي تبدأ حياة الانسان فيها بالولادة
وتنتهي بالموت - ليست إلا متجراً يجبُ أن يربحَ الانسان في تجارته
فها، وأن يكسبَ زاداً لعقبة كؤودٍ سيسلُكها بعد الموت . فالانسانُ في
الحياة الأخرى مقرونٌ بأعماله ومجزئٌ بها، إن خيراً فخير، وإن شراً
فشر .

فعلى هذا إن الذي يُقرنُ بالانسانِ ويصاحبه ويلزمه في تلك
الحياة، ليس إلا ما اكتسبه في هذه الحياة، فان صلحَ واتقى، واكتسبَ
معالي وفضائل، وأتى بحسناتٍ، يُقرنُ بها ويعيشُ معها، ويستريحُ
ويتنهجُ حيثُ ينظرُ إلى صالحاته ويعلمُ أنه أتى بما كان واجباً عليه،
فيسعدُ بذلك؛ أضفُ إليه أنه يدخلُ الجنة التي أُعدتُ للمتقين . وإن
فسقَ وفجرَ، واكتسبَ مساوياً وردائلاً، وعَمِلَ موبقاتٍ، واتى بسيئاتٍ،
يُجزى بها ويعيشُ معها، ويشقى ويحزنُ بروية موبقاته وجرائمه التي

نظرة الى الباب

صَدَرَتْ مِنْهُ؛ أَضْفَ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَدْخُلُ جَهَنَّمَ وَيُنْسِ الْمَصِيرَ. فَالْحَيَاةُ
الْأُخْرَى لَيْسَتْ إِلَّا إِدَامَةً وَتَجَسُّماً وَتَحَقُّقاً آخَرَ لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَثَارٍ مَا
عَمِلَ فِيهَا..
وهذه العقيدة تُنتِجُ الأمورَ الثلاثةَ التَّالِيَةَ، عَلَى الْأَقْلَى، وَهِيَ أُمُورٌ
مَهْمَةٌ وَعَظِيمَةٌ:

١ - أَنْ هَذِهِ الْعَقِيدَةُ تَفْرُضُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى هَذِهِ الْحَيَاةِ
نَظْرَةً إِيْجَابِيَّةً، وَأَنْ يَرَاهَا حُلُوءَةً، مُثْمِرَةً، بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا مَزْرَعَةٌ لِلْآخِرَةِ، فَلَهُ أَنْ
يَسْتَعْمِلَ مِنْهَا أَحْسَنَ اسْتِغْلَالٍ وَأَكْثَرَهُ، فَيُخَلِّصَ نَفْسَهُ مِنَ الْكَسَلِ وَالْيَأْسِ
وَالنَّظْرَةِ السَّلْبِيَّةِ، وَيَسْتَعِدَّ لِأَنْ يَسْتَفِيدَ مِنْ جَمِيعِ أَوْقَاتِهِ وَلِحَظَاتِهِ وَمَوَاهِبِهِ
وَقَوَاهُ وَإِمْكَانِيَّاتِهِ.

٢ - وَكَذَلِكَ تَفْرُضُ الْعَقِيدَةُ الْمَذْكُورَةُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُقْبَلَ بِكُلِّهِ عَلَى
تَبَنِّي الْمَسْئُولِيَّاتِ الْبَاهِظَةِ، وَأَنْ يَكُونَ فَعَّالاً، مُثْمِراً، إِيْجَابِيّاً، حَيْثُ يَرَى أَنَّ
الْأَمْرَ لَا يَنْتَهِي فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْمَتَصَرِّمَةِ بَلْ يَسْتَمِرُّ إِلَى حَيَاةٍ أُخْرَى خَالِدَةٍ،
تَكُونُ الْمَحَاسِبَةُ فِيهَا أَدَقَّ، وَالْحُجَّةُ أَلْزَمَ، وَالْحَسْرَةُ أَدْوَمَ، وَالْجَزَاءُ أَوْفَى.
وهذه كُلُّهَا - إِذَا كَانَتْ عَنْ بَصِيرَةٍ وَيَقِينٍ - تَجْعَلُ مِنَ الْإِنْسَانِ مِثَالِيّاً،
هَادِفاً، لَا يَرْتَضِي بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَمَلِ، بَلْ يَسْعَى أَشَدَّ السَّعْيِ لِأَنْ يَمْلَأَ
الْآفَاقَ مِنَ الْفَضِيلَةِ وَالْخَيْرِ.

٣ - وَهَنَّاكَ يَنْحَلُّ لَدَى الْإِنْسَانِ لُغْزُ الْكَوْنِ الْعَظِيمِ، وَيَتَجَلَّى عِنْدَهُ سِرُّ
الْحَيَاةِ الْكَبِيرِ..

انتهى الجزء الأول من كتاب «الحياة»، ويتلوه الجزء الثاني - ان شاء الله تعالى -
ويتبدى به «الباب الخامس»: «الأصول العامة لرسالات الانبياء».

تنبيه

لقد ارجأنا ذكر المصادر والتعريف بها وبطبعتها الى آخر اجزاء الكتاب - ان شاء الله تعالى- غير أننا ننبّه هنا على امور:

١ - «نهجُ البلاغة»، الذي نذكره بعد العدد في الهامش، نريده طبعته الايرانية التي طبعها السيد علي بنقي فيض الاسلام الاصفهاني مع ترجمته الفارسية. وتزيد صفحاته في الطبعات الاخيرة على سابقاتها، تسع صفحة او عشر، فليلاحظ.

٢ - «عبده»، الذي يذكر بعد الاول، نريد به شرح الشيخ محمد عبده المصري، بتحقيق الاستاذ محمد محيي الدين عبدالحميد، طبعة مصر (في هذه الطبعة)، مطبعة الاستقامة، في ثلاثة اجزاء.

٣ - «مُستَدْرِكُ نهجِ البلاغة»، نريد به المستدرك الذي ألفه الشيخ هادي كاشف الغطاء النجفي، طبعة بيروت (في هذه الطبعة)، مكتبة الاندلس. واما «المستدرك»، فالمراد به «مستدرك الوسائل»، لشيخنا النوري الطبرسي.

٤ - «الصّحيفة السّجّاديّة»، التي ارجعنا اليها، هي ايضاً من

طبعتها الايرانية لفيض الاسلام الاصفهاني . وانما اردفنا رقم الدعاء على رقم الصفحات، حتي يتسنى للمراجع العثور على محل النقل من اية طبعة او نسخة تكون لديه .

٥ - لقد جعلنا النقطتين الافقيتين (..)، علامة لكل حذف وتلخيص، بيد أننا لم نثبتهما في كل مكان، كعدة من اوائل الآيات .

٦ - وحيث راجعنا الكتاب لإعداده لهذه الطبعة، وقفنا - مع الاسف - على عدة من الاغلاط الواقعة في الاعراب والشكل - وبعض سهوٍ واغلاطٍ اخرى في الارقام - فصححناها رجاء ان لا يقع شيء منها في هذه الطبعة .

ولا توفيق الا من الله تعالى .

اعلان و استدعاء

نستدعي من الادباء الكرام، الذين يجيدون احدي اللغات الشهيرة كالفرنسية، والانجليزية، والالمانية، والروسية، والاردوية، واليابانية، والصينية، والاسبانيولية، والايطالية، ان يقدموا على نقل هذا الكتاب الى احدي تلك اللغات، بعد ان يتفضلوا علينا بالاعلام.
المؤلفون